الأعمال الشعرية الكاملة

محمد مهدي الجواهري



شاعر الرفض والإباء

الجزء الأول

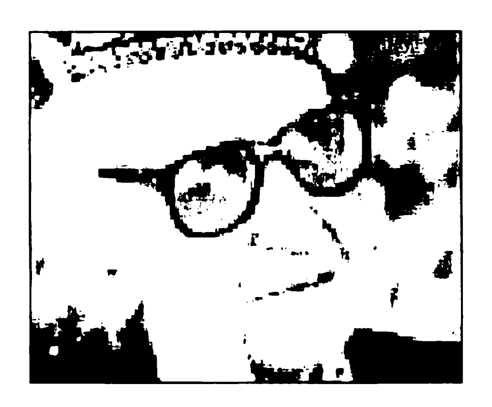
دراسة وتقديم

عصام عبد الفتاح



الأعمال الشعرية الكاملة

محمد مهدي الجواهري



شاعر الرفض والإباء

الجزء الأول

دراسة وتقديم

عصام عبد الفتاح



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اســم الكتاب : الأعمال الشعرية الكاملة

(محمد مهدي الجواهري) الجزء الأول

دراسة وتقديم : عصام عبد الفتاح

رقــم الإيداع : ٢٠١٠/١٥٧٠٢

الطبعة الأولى ٢٠١١



القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

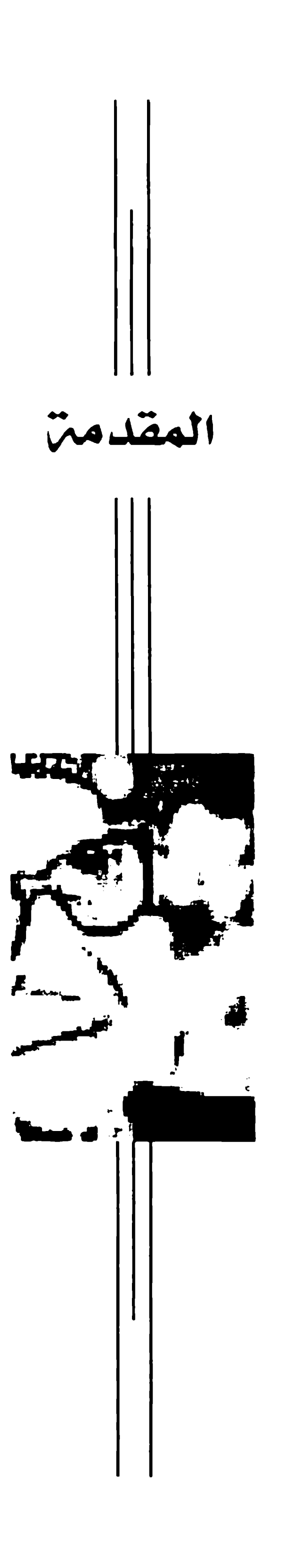
ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com

أنـا يـا شـعر وإيـاك سـواءٌ في العـذاب
أنـا مما بـكَ أبكيـكَ وتَبكينـي لِـما بي

الجواهري....

المقدمة



المقدمة

العراق أرض الفتن.. والدماء..

الخصومة.. والانقلابات..

فهناك في الكوفة قُتِلَ الإمام عليٌ كرم اللهُ وجهه.. وفي كربلائها سقط ابنه الإمام الحسين شهيداً.. ومنها خرج الحجاج بن يوسف الثقفي[1].. وما أدراك من هو الحجاج.. أشهر سفاحي التاريخ.. وما بين سيفه.. ودمويته.. ولسانه.. وبلاغته.. كتبت سطور أكثر صفحات تاريخنا الإسلامي دموية.. وكذلك العراق.. فبين ملكيته.. وجمهوريته.. عاش أهله بين الرمضاء.. والنار.. فما تهدأ فتنةٌ.. حتى تقوم أخرى.. واحتكم الجميع قديماً لنصول السيوف.. وحديثاً لطلقات الرصاص.

والعراقيون مهما تعددت أطيافهم.. وتباينت انتماءاتهم.. هم شعبٌ يميل إلى الحرية.. ويأبون الضيم.. وتعاف نفوسهم القهر.. فيثورون.. وفي كل ثورة تسيل الدماء.. وُتقطع الرؤوس.

(١) اسمه بالكامل أبو محمد الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل بن الحكم الثقفي وهو سياسي أموي وقائد عسكري.. من أكثر الشخصيات المثيرة للجدل في التاريخ الإسلامي والعربي..عُرف بـ (المبير) أي المبيد.. وكان خطيباً بليغاً.. لعب دوراً كبيراً في تثبيت أركان الدولة الأموية.. وسير لذلك الفتوح.. وخطط المدن.. و بنى مدينة واسط.. واختلط في المخيلة الشعبية بروايات مبالغ فيها تدل على ميراث الرعب الهائل الذي خلفه.. ولد في منازل ثقيف بمدينة الطائف.. في عام المجاعة ٤١هـ.. وكان اسمه كليب ثم أبدله بالحجاج.. وأمه الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي الصحابي الشهيد.. نشأ في الطائف.. وتعلم القرآن والحديث والفصاحة.. ثم عمل في مطلع شبابه معلم صبيان مع أبيه.. يعلم الفتية القرآن والحديث.. ويفقههم في الدين.. لكنه لم يكن راضياً بعمله هذا.. على الرغم من تأثيره الكبير عليه.. فقد اشتهر بتعظيمه للقرآن.

ووسط كل هذا.. عاش.. ومات شاعرنا الجواهري شيخ شعراء القرن العشرين.. وشاعر العربية الأكبر.. فالجواهري من الشعراء الذين آمنوا برسالة الشعر.. وأمانة الشاعر في التعبير عن أهل وطنه.. واتخذ من الكلمة مصباحاً يبدد به ما استطاع من ظلام.. ومظالم أهله ووطنه.. وتحولت أشعاره.. وكلماته.. ومواقفه إلى سيفٍ في وجه الجور.. والظلم.. والظالمين.

والشعر في تاريخنا العربي تحول على يد كثيرين ممن امتلكوا ناصيته إلى مجرد أداة للوصف الحسي.. خاصةً فيما يتعلق بمفاتن المرأة وذلك في أكثر أغراضه شيوعاً وهو غرض الغزل.. لكنه مع شعراء آخرين مثل الجواهري تحول إلى سيفٍ يقطع رقاب الظالمين من الحكام.. وسدنتهم.. وسوطٍ يلهب به حماس أبناء الوطن.. ليحرك جمود.. واستسلام الخانعين.. الساكتين من الرعية.

التزم الجواهري دائماً بقضية وطنه المكبل بأغلال الاستبداد.. الساكت على نهب خيراته.. وثرواته.

وآمن أن الشعب مصدر القوة.. ومنبع الحصانة لكل شاعر.

وأدرك أن جبروت الحكام يستمد بقاءه من جبن الشعوب.. ونهبهم لخيرات أوطانهم.. فشنف الشاعر آذان كل العرب بالكلمات القاسية.. وزلزل القلوب الواجفة بالمعاني القارصة.. وحرك النفوس الغافلة بحبٍ.. وإخلاص أملاً في حرية غائبة.. وعدالة ضائعة.

والذي يعرف الجواهري.. ويعرف ما جبلت عليه نفسه من تعطش للحرية.. والعدالة.. وما لاقاه من معاناة.. وألم المنفى.. والغربة.. وتعنت الحكام ضده.. يعرف لماذا كان شعره نفثاتٍ من روحه الناقمة على الظلم.. والظالمين.. وشذراتٍ من لهيب نفسه.. تعكس كالمرآة الصادقة ما في داخل هذا الشاعر من إباءٍ.. وعزةٍ..

وكرامةٍ.. وشرفٍ.. وكبرياء .

وهكذا عاش الجواهري عمره المديد الذى قارب على قرنٍ كامل.. ثم طويت صفحة حياته المادية.. ورحل عن دنيانا نظيف اليد.. صادق الوعد.. سليم النية..مخلصاً لعقيدته في الحياة..لكنه أبداً ما طُوِيت ـ ولا أظنها ستطوى ـ صفحة حياته الشعرية..من ديوان فطاحل الشعراء العرب.. نعم برحيله أُسدِلَ الستار على واحد من أهم عمالقة الشعر.. لكن كنانة الشعر العربي ما زالت ولادة.. ومليئة بالسهام.. تنتظر قوس الآوان.. ويد الرامي.

وقبل أن نبحر بين شطآن عالم الجواهري الشعري الزاخر بمئات القصائد التى كتبها عبر عمره المديد الذى قارب على المائة عام.. نتعرف أولاً على نبذة مختصرة عن حياة شاعرنا.

عصام عبد الفتاح

elbtrawy@yahoo.com

الجواهري

شاعر العزة.. والإباء

بورتريه خاص جداً..



هناك في العراق.. أرض الخصب والنماء.. أرض الرافدين.. أو أرض السواد كما أسماه أسلافنا[1].. وبالتحديد عام ١٨٩٩ وُلِدَ شاعرنا «محمد مهدي الجواهري»[2] لأسرة عريقة تميزت بكونها بيت علم ودين.. أسرة نبغ فيها شعراء.. وأئمة.. وعلماء.. واستقرت الأسرة في مدينة النجف الأشرف العراقية.

اشتهرت العائلة باسم «آل الجواهر» نسبةً إلى الجد الأكبر للأسرة.. وهو المرحوم الشيخ محمد حسن المعروف بـ «صاحب الجواهر» نسبةً لكتابه الشهير الذي ألّفه الجد في الفقه.. والمعروف باسم «جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام».. ومن هذا الاسم جاء لقب الجواهر.

ومن الجد ورث الأب الاشتغال بالدعوة الإسلامية.. وكان أحد علماء النجف المعروفين.. وأراد الأب لابنه أن يكون مثله عالماً دينياً.. لذا كفل له في سنٍ مبكرة مشايخ النجف النابهين.. والمُدرّسين الكبار ليساعدوه في حفظ القرآن.. وإتقان علوم اللغة.. والنحو.. والصرف.. والبلاغة.. والفقه.. والدين.. وألبسه وهو طفل في سن العاشرة عباءة العلماء.. وعمامتهم.. والقراءة.. وخطط له والده أن يحفظ في كل يوم خطبة من نهج البلاغة.. وقصيدة من ديوان أبى الطيب المتنبي.

شاعرٌ من يومه..

وأدرك الجواهري الصغير في نفسه القدرة على كتابة الشعر.. وتهيأت له صغيراً ملكات فطرية مكنته من ذلك.. فجادت قريحته بالشعر منذ عهد الصبا.. وفي عام ١٩٢٧ صدر الجزء الأول من ديوانه.لذا نظم الجواهري الشعر في سن مبكرة..

(١) أرض السواد دلالة على كثرة النخيل التي تظلل الأرض والأفق فحيثما امتد بصر الإنسان رأى سوادا وما ذاك إلا فأل خير وبشارة .. ويُمن.

(٢) هناك رواية أخرى تقول أن مولد محمد مهدي الجواهري كان عام ١٩٠٠

وأظهر ميلاً منذ الطفولة إلى الأدب.. فأخذ يقرأ في كتاب «البيان والتبيين» للجاحظ.. ومقدمة ابن خلدون.. ومختلف دواوين الشعر.. واشترك في ثورة العشرين[1] عام ١٩٢٠ ضد السلطات البريطانية.

شاعر متمكن..

يتحكم الجواهري في لغته الشعرية تحكم الواثق من نفسه.. والقادر على توصيل أفكاره سليمة.. وواضحة.. المالك لملكاته الشعرية.. المتمكن من أدواته التعبيرية وحسن اختيار اللفظ الموحي بالمعنى المقصود.. فلا تعاني لغته الشعرية من الملل.. أو الفتور.. وكأنه امتلك ناصية اللغة.. فأسلست له القياد.. وتشبعت روحه بفلسفة الحداثة.. وتعمقت ثقافته بالوعي التام بمعاني الحرية والعدالة الاجتماعية والديمقراطية.. وزادته قناعته اليسارية ثباتاً في الموقف.. وحرناً على الفكرة.. كل هذه العوامل أشعرت الشاعر بحريته التي زهت بها نفسه فلم يجد ما يدعوه إلى التخلي عن الشعر العمودي.. واللجوء إلى شعر التفعيلة استزادة من الحرية في القول والأصالة في المعنى.

شاعرٌ ساخر..

هناك ميزة في شعره واضحة للعيان مسفرة للقارئ وهي روح السخرية.. وكأنها

(١) هي ثورة قامت ضد الاحتلال البريطاني للعراق وسياسة تهنيد العراق تمهيدا لضمه لبريطانيا كسلسلة من الانتفاضات التي حدثت في الوطن العربي جراء عدم إيفاء الحلفاء بالوعود المقطوعة للعرب بنيل الاستقلال كدولة عربية واحدة من اهيمنة العثمانية. اتخذت الثورة بادئ الأمر شكل العصيان المدني ثم المواجهات المسلحة التي أدت إلى عقد مؤتمر القاهرة الذي حضره وزير المستعمرات البريطاني ونستون تشرشل لمناقشة موضوع الانتفاضات العربية كثورة ١٩١٩ في مصر وثورة العشرين في العراق وثورة سورية وانتفاضة اليمنيين والفلسطينيين.. وتقرر منح هذه الدول استقلال ذاتي محدود تنفيذاً لمقررات اتفاقية سايكس - بيكو بتجزئة الولايات العثمانية ومنحها استقلال شكلي وربطت تلك الدول بمعاهدات تسهل من خلالها هيمنة بريطانيا وفرنسا عليها.

البلسم الذي يبلسم جراحه.. والشهقة التي يجد فيها الراحة والعزاء.. وهو يستخدمها في شعره كطريقةٍ من طرق التعبير عن تبلد الجماهير.. وسبيلاً يستنهض به العزائم ويستثير به الهمم.

ديوانه الأول..

تحت عنوان «خواطر الشعر في الحب والوطن والمديح» أعد شاعرنا مجموعته الشعرية الأولى منذ عام (١٩٢٤).. حتى صدرت في شكل ديوان عام (١٩٢٨) وكان يحمل عنوان «بين الشعور والعاطفة».. وفي سنة ١٩٣٥ أصدر الجزء الثاني من ديوانه.. وفي سنة ١٩٥٣ أصدر الجزء الثالث من ديوانه.

محطات هامة في حياة شاعرنا..

اشتغل فترة قصيرة في بلاط الملك فيصل الأول عندما تُوج ملكاً على العراق.. وكان لا يزال يرتدي العمامة.

ثم ترك العمامة كما ترك الاشتغال في البلاط الفيصلي.. واستقال سنة ١٩٣٠.. وراح يعمل بالصحافة بعد أن غادر النجف إلى بغداد.. فأصدر مجموعة من الصحف منها جريدة (الفرات) ثم ألغت الحكومة امتيازها وحاول أن يعيد إصدارها ولكن بدون جدوى.. فبقي بدون عمل إلى أن عُيِّنَ معلماً في أواخر سنة ١٩٣١ في مدرسة المأمونية.. ثم نقل إلى ديوان الوزارة رئيساً لديوان التحرير.. وفي أواخر عام ١٩٣٦ أصدر جريدة (الانقلاب) إثر الانقلاب العسكري الذي قاده بكر صدقي[١] .. الذى أنهى الملكية في العراق.

(١) بكر صدقي (١٨٨٦ ـ ١٩٣٧) عسكري وسياسي عراقي قام بانقلاب عسكري ضد وزارة الهاشمي وُلِدَ في قرية عسكر القريبة من مدينة كركوك لأبوين كرديين.. درس في المدرسة الحربية في الآستانة=

فى المعتقل..

طمح شاعرنا إلى الحرية والديمقراطية والمساواة وأمل في الثورة خيراً.. وهو ما لم يجده منها.. ولم يستطع السكوت فجهر برأيه.. وصدع بأفكاره.. التي تعارضت مع فلسفة الحكم والنظام القائم.. وبدأ يرفض التوجهات السياسية للانقلاب.. ومن أجمل ما كتب يجسد توجهه ضد هؤلاء الظلمة.. والمستبدين قصيدته تلك التى جاء فيها..

ما تشاؤون فاصنعوا فرصة لا تضيع
فرصة أن تحكموا وتحطوا وترفعوا
وتدلوا على الرقاب وتعطوا وتمنعوا
لكم الرافدان والزاب ضرع فأضرعوا
ماتشاؤون فاصنعوا الجماهير هطع
ما الذي يستطيعه مستضامون جوع؟

إنها صيحة صريحة.. وقوية.. لا مواربة فيها.. ولاتعمية لغتها مشبعة بالتحدي والرفض.. لغتها شديدة الإيحاء بمعاني الجور والظلم والنهب خيرات البلد من جهة الحكام.. والخنوع والاستسلام من جهة المحكومين.. فحُكِمَ عليه بالسجن ثلاثة أشهر وبإيقاف الجريدة عن الصدور شهراً.

=باسطنبول وتخرج منها ضابطاً في الجيش العثماني . وشارك في الحرب العالمية الأولى في آخر سنينها.. وبعد نهاية الحرب واندثار (الدولة العثمانية) نضم إلى الجيش العراقي الذي أسسه المحتلون في ٦ يناير ١٩٢٠ برتبة ملازم أول.. رغم كونه من أبوين كرديين فقد كانت له ميول قومية عربية.. ولذلك فقد تلقفه أنصار القومية العربية من طبقة الحكام العراقيين.. تدرج في رتبته العسكرية حتى وصل إلى رتبة فريق ركن في عهد الملك غازي واشتهر بالصرامة والتنفيذ الحرفي للأوامر العسكرية عندما قاد الجيش العراقي ضد انتفاضة الأثوريين أو الأشوريين كما يسمون حالياً.

سقوط حكومة الانقلاب..

بعد سقوط حكومة الانقلاب.. غير اسم الجريدة إلى (الرأي العام).. ولم يتح لها هي الأخرى مواصلة الصدور.. فعُطِلت الجريدة أكثر من مرة بسبب ما كان يكتب فيها من مقالات ناقدة للسياسات المتعاقبة.

حركة مارس..

لما قامت حركة مارس١٩٤١ أيّدها وبعد فشلها غادر العراق مع من غادر إلى إيران.. وقام برحلة إلى فرنسا وبولونيا.. وتركت هذه الرحلة في نفسه أعمق الأثر وهو يقارن بين ماينعم به الأوربيون من عدل ومساواة وتقدم وحرية وعصر صناعي بما يقاسيه الشعب العراقي من جور وطبقية ورجعية وعصر حجري.. ثم عاد إلى العراق في العام نفسه ليستأنف إصدار جريدته (الرأي العام).. وفي سنة ١٩٤٧ دخل المجلس النيابي نائباً عن كربلاء.

رئيساً لاتحاد الكتاب العراقيين..

انتُخِبَ الجواهري رئيساً لاتحاد الأدباء العراقيين.. ونقيباً للصحفيين بالعراق.

لبنان منفاه الاختياري..

ولكنه كان كدأبه ناقماً على الجور أبياً.. يكره الهوان.. متعطشاً إلى الحرية.. والعدل.. طامحاً إلى وثبة حضارية.. وعلمية تعطي بلاده مكانتها المستحقة في ركاب الحضارة.. فلاقى من كل الأنظمة الجهامة.. والتضييق على حريته جزاءً على جهره بمعارضته.. واعتراضاً على مخالفته لفلسفة الحكم.. في هذه الفترة واجه شاعرنا مضايقات مختلفة فغادر العراق عام ١٩٦١ إلى لبنان ومن هناك استقر في براج[1]

(١) عاصمة تشيكوسلوفاكيا

سبع سنوات.. وصدر له فيها في عام ١٩٦٥ ديوان جديد سمّاه « بريد الغربة».

عودته إلى العراق..

عاد إلى العراق في عام ١٩٦٨ وخصصت له حكومة الثورة راتباً شهرياً قدره ١٥٠ ديناراً في الشهر.. وفي عام ١٩٧٣ رأس الوفد العراقي فى مؤتمر الأدباء التاسع الذي عقد في تونس.

خارج الوطن ثانيةً..

تجول شاعرنا بين عدة دول عربية منها .. مصر.. المغرب.. والأردن.. ولكنه استقر به المقام أخيراً في دمشق التي أمضى فيها بقية حياته.. وهناك في سوريا وجد الاستقرار والتكريم.. ونزل في ضيافة الرئيس الراحل حافظ الأسد(١).. الذى

(١) اسمه بالكامل حافظ سليمان الأسد .. رئيس الجمهورية العربية السورية بين أعوام ١٩٧٠ - ٢٠٠٠ ولد في٦ أكتوبر ١٩٣٠ بمدينة القرداحة بمحافظة اللاذقية لأسرة من الطائفة العلوية كانت تعمل في فلاحة الأرض.. أتم تعليمه الأساسي في مدرسة قريته التي أنشأها الفرنسيون عندما أدخلوا التعليم إلى القرى النائية.. وكان أول من نال تعليماً رسمياً في عائلته.. ثم انتقل إلى مدينة اللاذقية حيث أتم تعليمه الثانوي .. التحق بحزب البعث عام ١٩٤٦ عندما شكل رسمياً أول فرع له في اللاذقية.. كما اهتم بالتنظيمات الطلابية حيث كان رئيس فرع الاتحاد الوطني للطلبة في محافظة اللاذقية.. ثم رئيساً لاتحاد الطلبة في سوريا.. لم يتمكن من تحقيق حلمه بالالتحاق بكلية الطب في الجامعة اليسوعية ببيروت بسبب فقر أسرته مادياً.. لذا التحق بالأكاديمية العسكرية في حِمص عام ١٩٥٢ ومن ثم التحق بالكلية الجوية ليتخرج منها برتبة ملازم طيار عام ١٩٥٥ وبعد سقوط حكم أديب الشيشكلي واغتيال العقيد عدنان المالكي انحسم الصراع الدائر بين الحزب السوري القومي الاجتماعي.. وحزب البعث العربي الاشتر كي لصالح البعثيين مما سمح بزيادة نشاطهم وحصولهم على امتيازات استفاد منها هو حيث اختير للذهاب إلى مصر للتدرب على قيادة الطائرات النفاثة ومن ثم أرسل إلى الاتحاد لسوفييتي ليتلقى تدريباً إضافياً على الطيران الليلي بطائرات ميج١٥ وميج ١٧ والتي كان قد تزود بها سلاح الجو السوري.. انتقل لدى قيام الوحدة بين سوريا ومصر مع سرب القتال الليلي التابع لسلاح الجو السوري للخدمة في القاهرة .. وكان حينها برتبة نقيب=

كرمه.. وأحسن وفادته.. ومنحه أعلى وسام في البلاد.. ومن قصائده الرائعة قصيدته التي امتدح فيها الرئس حافظ الأسد وقال فيها..

سلاماً أيها الأسد

سلمت وتسلم البلد

كما كتب شاعرنا عن دمشق واحدة من أجمل قصائده وهى القصيدة التى حملت اسم (دمشق جبهة المجد).. ويعتبرها النقاد إحدى دُرره الشعرية.

شاعر العرب الأكبر..

هذا هو اللقب الذي أطلقه على الجواهري جموع قراء الشعر في الوطن العربى.. رغم أن الساحة العربية كانت في زمن توهجه.. مليئة بالشعراء الكبار في عصره.. إلا أنه حصل على هذا اللقب بإجماع مطلق.. واستحقه عن جدارة في وقت مبكر من حياته الشعرية.

السمات المميزة لأشعار الجواهري..

إن أهم ميزات شعر الجواهري كونه استمراراً لتراث الشعر العربي العظيم.. ولعلنا لا نجافي الحقيقة إذا قلنا أنه لم يظهر بعد المتنبي شاعر مثل الجواهري.. وهذه قناعة العرب جميعاً.. قارئين ونقاداً.. وباحثين.. في الوقت ذاته واكب الحركة الوطنية العربية.. وعبر في شعره عنها.. وقدم لها قصائد ستظل خالدة.. بالرغم من

=(حسب بعض المصادر رائد).. لم يتقبل مع عدد من رفاقه قرار قيادة حزب البعث بحل الحزب عام ١٩٥٨ استجابة لشروط عبد الناصر لتحقيق الوحدة.. فقاموا بتشكيل تنظيم سري عام ١٩٦٠ عرف باللجنة العسكرية (هي التي حكمت سوريا فيما بعد) وكان لها دور بارز في الانقلابات التي حدثت في مطلع الستينات.

قصائده المطولة التي وصلت إلى أكثر من ١٠٠ بيت.. والتجديد في شعر الجواهري كان يلتزم فيه تماماً بالوزن.. والقافية.. مع جمال اللغة.. وجزالة الأسلوب.. والموسيقى.

وفاته..

توفي الجواهري في أحد مستشفيات دمشق عام ١٩٩٧ عن عمر ناهز الثامنة والتسعين.



ديوان

الجواهري

العزم وأبناؤه

هو العزم لا ما تدعي السُمْرُ والقُضْبُ وذو الجدِّ حتى كل ما دونه لِعْبُ
ومن أخلفته في المعالي قضية تكفل في إنتاجها الصارم العضب
ومن يتطب مصعبات مسالك فأيسر شيء عنده المركب الصعب
ومن لم يجد إلا ذعاف مذلة وروداً فموت العز مورده عذب
وهل يظمأ اللاوى من الذل جانباً وبيض الظبا رقراقها علل سكب
إذا رمت دفع الشك بالعلم فاختبر بعينيك ماذا تفعل الأسد الغلب
أما والهضاب الراسيات ولم أقل عظيماً فكل دون موقفه الهضب
لئن أسلمتهم عزة النفس للردى فما عودتهم أن يلم بهم عتب
أحباي لو لم تمسك القلب أضلعي لطار أسى من برج ذكراكم القلب
قضيتم وفي صدر الليالي وليجة وما غيركم يستلها فلها هبوا
سقاك الحيا أرض العراق ولارقت جفون غواديه وناحت بكِ السحب
تضمنت لا ضمنت شراً لظالم كواكب ليل الخطب إن حلك الخطب
بكيت وحيداً في رباك ولم أرد مخافة واشٍ أن يساعدني الركب
فيا شرق حتى الحشر تربك فوقه دليل لمن يدر ما فعل الغرب

***

رثاء شيخ الشريعة

أبن ما لهذا الدين ناحت منابره وقل خفية أين استقلت عساكره

ولم شرق النـــاعي بمنعـــاه علـــه ... رأى شـــامتًا يخشـــى وعينـــا تحـــاذره
فخافت فلا تفصح بما طرق الهدى ... جهارا وقل قد أسلم الغاب خادره
وشكواك فاكتمها وقل متجلداً ... زمـان مضـت أولاه هـذي أواخـره
وهل ينفع المفجوع حبس دموعه ... وبـاطن مـا يخفيـه يبديـه ظـاهره
وقالوا بنو الآمال تشكو من الظما ... فقلت نعم..بحر الندى جف زاخره
لفقدك أبكي باطن الأرض ظهرها ... فعـــادت ســـواءً دوره ومقـــابره
إذا كان ورد الموت من عمر ماجدٍ ... فما عن سوى الأمجاد تهوى مصادره
أبا حسن في الصدر مني سريرة ... ســـأكتمها حتـــى تبـــاح سرائـــره
أعدوك للأمر الجليل وأضمرت ... خلاف الذي قد أضمروه مقادره
ولم تدرك الثأر المنيم من العدى ... فجفنـــك لم أغضى وهـــوم ســـاهره؟
سلام على النعش الخفيف فقد ثوت ... ثقـــال المعـــالي عنـــده وأواصره
أناعيه خفض فالشريعة تعتزي ... إلى شـيخها فـانظر لمـا أنـت ذاكـره
لفقدك حال الدين عما عهدته ... فمســـلمه في ذمـــة الشرع كـــافره
فلا بلغ الناعي على دين أحمد ... منـــاه ولا حاقـــت يـــديـــه بـــواتره
فلو شاء ذاك القبر بين كم به ... أمـــاني نفـــوس قـــد طوتهـــا ضمـــائره
فيا لا سقت إلا يداه ضريحه ... ففيـه مسـح الغيـث حـل ومـاطره

***

ثورة العراق

إن كـــــان طـــــال الأمـــــدُ ... فبعـــــد ذا اليـــــوم غـــــدُ
مـــا آن أن تجلـــو القـــذى ... عنهـــا العُيـــون الرَّمـــد

أسيافُكم مرهفة ... وعزمُكم متقد
هبوا كفتكم عبرة ... أخبار من قد رقدوا
هبوا فعن عرينه ... كيف ينام الأسد
وثورة بل جمرة ... ليعرب لا تخمد
أججها إباؤهم ... والحر لا يستعبد
لا تنثني عن بلد ... حتى يشب البلد
خفوا إلى الداعي ... وفي الحرب جبالاً ركدوا
واستبشروا بعزمهم ... فهلهلوا وغردوا
وأقسموا إلى العدى ... أن لا يلين المقود
يأبى لكم أن تقهروا ... عزمكم والمحتد
إن كان أعيا مورد ... غير الأذى لا تردوا
أو كان لا يجديكم ... قربى لهم فابتعدوا
كم جلب الذل على ... المرء حسام مغمد
زيدوا لقاحاً حربكم ... لعل عزاً تلد
إياكم والذل إن ... جرحه لا يضمد
وللفرات نهضة ... مشهودة لا تجحد
هاجوا بها لا لعب ... فيها أتوا أودد
غطارف من الظبا ... صرح لهم ممرد
وفتية على المنى ... أوالمنايا احتشدوا
ناديهم الحرب ... وصهوة الجياد المقعد

لــــو أوردوا عـــلى ظـــماً بذلـــــة مـــــا وردوا
مـــن كـــل مشـــتد الحصـــاة رأيـــــه مستحصـــــــد
ناشـــد بـــذاك عوجـــة ومثلهـــــا يستنشـــــد
هـــل اشـــتفت مـــن العـــدى أم بعـــد فيهـــا كمـــد؟
وهـــــل درت أبناؤهـــــا أن الثنـــــا مخلـــــد
هـــم عمروهـــا خطـــة يصـــلى بهـــا وتحمـــد
خالـــدة مـــا ضرهـــم أنهـــم مـــا خلـــدوا
وللقطـــــار وقعـــــة منهـــــا تفـــز الكبـــد
مـــا تركـــوا حتـــى الحديـــد سلســـــلوا وقيـــــدوا
مـــر وقـــد تحاشـــدت عديـــــده والعـــــدد
كـــــأنها لســـــانه خطيـــب جمـــع مزبـــد
كأنـــــه آلى عـــــلى أن لا يطـــــول المـــــدد
تكـــاد مـــن هيبتـــه صـــم الجبـــال تســـجد
تحتشـــه النـــار كـــما بـــالروح سارالجســـد
لم يلـــف إلا موعـــداً فمـــــبرق ومرعـــــد
حتـــى إذا مـــا أجـــل دنـــا وحـــان الموعـــد
لم ينجـــه مـــن الـــردى حديـــــده الموطـــــد
هيهـــات يغنـــي عـــن قضـــاء زبـــر مصـــفد
مـــن بعـــد مـــا قـــد أبـــرم الأمـــر قـــدير أوحـــد
هنـــاك لـــو قـــد وجـــدوا ســـم خيـــاط نفـــدوا
واســـتنجدوا وأيـــن مـــن حـــين النفـــوس المنجـــد

ملحمـــة تشــكر مصــليها الوحـــــــــوش الشرد
ودعـــــوة مشــــــهودة تـــــدعو ليـــوم يشـــهد
قــــام بهــــا مقلــــد بعزمــــــه مجتهــــــد
« محمــــــد » ومعجـــز مثلـــك يـــا « محمــد »
ألقحتهـــــا شـــعواء لا يطـــاع فيهـــا الســيد
يــــرون أقصى مطمــــع في الحـــرب أن يستشـــهدوا
كـــأنها ليســـت لهـــم نفوســـــهم والولـــــد
حتـــى إذا مـــا ويلســـن ضـــاقت بهـــا منـــه اليـــد
ولم يجـــد لينـــاً بهـــم وهـــل يلـــين الجلمـــد
ومـــا رأى ذنبـــاً ســـوى أن حقوقـــا تنشـــد
وأنهـــم أولى بـــها قـــد زرعـــوا أن يحصـــدوا
ســـواعد مفتولـــة بعزمهـــا تعتضـــد
وهمـــة شـــماء لا ينـــال منهـــا الفرقـــد
مـــال إلى الحـــق ولم يكـــن لحـــق يرشـــد
وقـــال : هـــذا عاصـــف هـــب وبحـــر مزبـــد
وجـــذوة تلهـــم مـــن أطرافهـــا مـــا تجـــد
ولســـت أقـــوى حمـــل مـــا تنـــوء عنـــه الكتـــد
يـــاثورة العـــرب انهضي لا تخلقـــي ماجـــددوا
لاعـــاش شـــعب أهلـــه لســـانهم مقيـــد
ســـيان عنـــدي مقـــول أو مرهـــف مجـــرد.

أفـــدي رجـــالاً أخلصــوا لشـــــعبهم واجتهـــــدوا
كـــم خطبـــة نفاثـــة فيهـــا تحـــل العقـــد
ومقـــول قصر عـــن تـــأثيره المهنـــد
هـــذا لســـاني شـــاهد عـــدل متـــى تستشـــهدوا
أن لا تـــزال أضـــلعي تطـــوى عـــلى مـــا تجـــد
عهـــداً أكيـــداً فثقـــوا أني عـــلى مـــا أعهـــد
صـــبراً ومـــا طـــاب لكـــم مرعـــاكم والمـــورد
صـــبراً ومـــا عودتمـــوا مـــن قبـــل أن تضطهدوا
إن رفعـــت رواقهـــا الحـــرب فـــأنتم عمـــد
وأنـــتم إذا الـــوغى أعـــوزه مـــن يوقـــد
نـــيران حـــرب يصـــطلي الأدنـــى بهـــا والأبعـــد
مـــواطني شـــقت وأبنـــاء الســـقوط ســـعدوا
يـــا إخـــوتي كـــل الـــذي أملتمـــوه بـــدد
نصـــيبكم مـــن كـــل مـــا شـــيدتموه النكـــد
تتركـــوا.. تـــأرمنوا.. تنكلـــزوا.. تهنـــدوا
أولا فـــان عرضـــكم ومـــالكم مهـــدد
قـــد أكلـــت نتـــاج أقـــوامي أنـــاس جـــدد
أخـــو الشـــعور في العـــراق ضـــائع مضـــطهد
يحـــت مـــن فـــؤاده مـــا لا يحـــت المـــبرد

****

الثورة العراقية

لعل الذي ولى من الدهر راجع ... فلا عيش إن لم تبق إلا المطامع
غرور يمنينا الحياة وصفوها ... سراب وجنات الأماني بلاقع
نسر بزهو من حياة كذوبة ... كما افتر عن ثغر المحب مخادع
هو الدهر قارعه يصاحبك صفوه ... فما صاحب الأيام إلا المقارع
إلى م التواني في الحياة وقد قضى ... على المتواني الموت هذا التنازع
ألم تر أن الدهر صنفان أهله ... أخو بطنه مما يعد وجائع
إذا أنت لم تاكل أكلت وذلة ... عليك بأن تنسى وغيرك شائع
تحدث أوضاع العراق بنهضة ... ترددها أسواقه والشوارع
وصرخة أغيار لانهاض شعبهم ... وإنعاشه تستك منها المسامع
لنا فيك يانشء العراق رغائب ... أيسعف فيها دهرنا أم يمانع
ستأتيك يا طفل العراق قصائدي ... وتعرف فحواهن إذ أنت يافع
ستعرف ما معنى الشعوركم جنت ... لنا موجعات القلب هذي المقاطع
بني الوطن المستلفت العين حسنه ... أباطحه فينانة والمتالع
يروي ثراه « الرافدان » وتزدهي ... حقول على جنبيهما ومزارع
تغذيه أنفاس النسيم عليلة ... تذيع شذاهن الجبال الفوارع
أأسلمتوه وهو عقد مضنة ... يناضل عن أمثاله ويدافع
وقد خبروني أن في الشرق وحدة ... كنائسه تدعو فتبكي الجوامع
وقد خبروني أن للعرب نهضة ... بشائر قد لاحت لها وطلائع
وقد خبروني أن مصر بعزمها ... تناضل عن حق لها وتدافع

وقــد خــبروني أن في الهنــد جــذوة ... تهــاب إذا لم يمنــع الشر مــانع
هبــوا أن هــذا الشرق كــان وديعــة ... فلابــد يومــاً أن تــرد الودائــع
ويـوم نضـت فيـه الخمـول غطـارف ... يصان الحمى فيهم وتحمى المطالع
تشـــوقهم للعـــز نهضـــة ثـــائر ... حنـين ظـماء أسـلمتها المشـارع
هـم افترشـوا خـد الـذليل وأوطئـت ... لأقـدامهم تلـك الخـدود الضـوارع
لقــد عظمــوا قــدراً وبطشــاً وإنــما ... عــلى قــدر أهليهــا تكــون الوقــائع
ومـا ضرهـم نبـو السـيوف وعنـدهم ... عـزائم مـن قبـل السـيوف قواطـع
إذا اسـتكرهوا طعـم المـمات فأبطـأوا ... أتـيح لهـم ذكـر الخلـود فسـارعوا
وفي الكوفـة الحمـراء جاشـت مراجـل ... مـن المـوت لم تهـدأ وهاجـت زعـازع
أديــرت كــؤوس مــن دمــاء بريئــة ... عليهــا مــن الــدمع المــذال فواقــع
هــم أنكــأوا قرحــاً فأعيــت أســاته ... وهــم أوســ ـرا خرقـا فـأعوز راقـع
بكـــل مشـــب للـــوغى يهتـــدى بـــه ... كـــما لاح نجـــم في الدجنـــة ســـاطع
ومـــا دهـــاني والقلـــوب ذواهـــل ... هنـاك وطـير المـوت جـاث وواقـع
وقـد سـدت الأفـق العجاجـة والتقـت ... جحافـل يحـدوها الـردى وقطـائع
وقـد بـح صـوت الحـق فيهـا فلـم يكـن ... ليســـمع.. إلا مـــا تقـــول المـــدافع
كمــن مشــى بــين الكــمات وحولــه ... نجـوم بليـل مـن عجـاج طوالـع
يعلمهـــم فـــوز الأمـــاني ولم تكـــن ... لتجهلـــه لكـــن ليـــزداد طـــامع
ومـا كـان حـب الثـورة اقتـاد جمعهـم ... إلى المـوت لـولا أن تخيـب الـذرائع
هم استسلموا للموت والموت جارف ... وهم عرضوا للسيف والسيف قاطع
ببـــاخرة فيهـــا الحديـــد معاقـــل ... تقيهـــا وأشـــباح المنايـــا مـــدارع
وإن أنـس لا أنـس «الفـرات» وموقفـاً ... بـه مثلـت ظلـم النفـوس الفظـائع

غداة تجلى الموت في غير زيه ... وليس كراء في التهيب سامع
تسير وألحاظ البروق شواخص ... إليها وأمواج البحار توابع
تراها بيوم السلم في الحسن جنة ... بها زخرفت للناظرين البدائع
على أنها والغدر ملء ضلوعها ... على النار منها قد طوين الأضالع
مدرعة الأطراف تحمي حصونها ... كماة بطيات الحديد دوارع
ألا لا تشل كف رمتها بثاقب ... حشته المنايا فهو بالموت ناقع
من اللآء لا يعرفن للروح قيمة ... سواء لديها شيب ورضائع
فواتك كم م[illegible] من قدر معجب ... كما ميل الخد المصعر صافع
أتتها فلم تمنع رداها حصونها ... وليس من الموت المحتم دافع
هنالك لو شاهدتها حين نكست ... كما خر يهوي للعبادة راكع
هوت فهوى ح[illegible] وظلم تمازجا ... بها وانطوى مرأى مروع ورائع
فإن ذهبت طي الرياح جهودنا ... فعرضك يا أبناء يعرب ناصع
ثبت وحسب المرء فخراً ثباته ... كما ثبتت في الراحتين «الأصابع»
ومحي لليل التم يحمي بطرفه ... ثغوراً أضاعتها العيون الهواجع
تكاد إذا ما طالع الشهب هيبة ... تخر لمرآه النجوم الطوالع
مدبر رأي كلف الدهر همه ... فناء بها أعيا به وهو ظالع
مهيب إذا رام البلاد بلفظة ... تدانت له أطرافهن الشواسع
« ينام بإحدى مقلتيه ويتقي ... بأخرى الأعادي فهو يقظان هاجع »
يخف به كل ابن هم إذا رنا ... إلى الحي ردت مقلتيه المدامع
يرى أينما جال اللحاظ مهاجما ... يصول وما في الحي عنه مدافع

تثـور بـه للمـوت نفسُ أبيـة | وتـأبى سـوى عـاداتهن الطبـائع
يطارحـه وقـع السـيوف إذا مشـى | كما طارح المشتاق في الأيك ساجع
وقـد راعنـي حـول الفـرات منـازل | تخلـين عـن ألافهـا.. ومرابـع
دوائـر مـن بعـد الأنـيس توحشـت | وكـل مقـام بعـد أهليـه ضـائع
جـرى ثـائراً مـاء الفـرات فـما ونـى | عـن العـزم يومـاً موجـه المتـدافع
حـرام علـيكم ورده مـا تزاحمـت | على سفحه تلك الوحوش الكوارع
هـم وجـدوا حـول الفـرات أمانيـاً | لطافـاً أضـلتها نفـوس نـوازع
ولـو قـد أمدتـه السـيوف بحـدها | لغـص بمـوار مـن الـدم كـارع
ومهـر المنـى سـوق مـن المـوت حـرة | بهـا يـرخص الـنفس العزيـزة بـائع
فـلا توحـدوه إنـه يسـتمدكم | بأنفاسـه تيـاره المتتـالع
عـلى أي عـذر تحملـون وقـد نهـت | قـوانينكم ن فعلكـم والشرائـع
عـلى رغـم روح الطهرعيسـى أذلـتم | بـراء ذمـاء هونتهـا الفظـائع
فيـا وطنـي إن لم يحـن رد فائـت | عليـك فـإن الـدهر مـاض وراجـع
وأحلامنـا منهـا صـحيح وكـاذب | وأيامنـا مـنهن معـط ومـانع
كـما فـرق الشـمل المجمـع حـادث | فقـد يجمـع الشـمل المفـرق جـامع
ومـا طـال عصر الظلـم إلا لحكمـة | تنبـئ أن لابـد تـدنو المصـارع

***

الليل والشاعر

وليـل بـه نـم السـنا عـن سـدوفه | فنمـت بـما تطـوى عليـه الأضـالع
تلامـع في عـرض الأثـير نجومـه | كـأن الـدجى صـدر وهـن مطـامع

رعيت به الآمال والنسر طائر إلى أن تبدى الفجر والنسر واقع
خليلان مذهولان من هيبة الدجى تطالعني من أفقها وأطالع
سجية مطوي الضلوع على الأسى متى يرم السلوى تعقه المدامع
صريع أمان لم يقرِّبه جاذب لما يرتجي إلا وأقصاه دافع
عمي لعيون الهاجعين وأسلموا لحر الأسى جنباً قلته المضاجع
أفي العدل صدرلم تضق عنه أضلع تضيق به الست الجهات الشواسع

***

الشاعر المقبور

دعا الموت فاستحلت لديه سرائره أخو مورد ضاقت عليه مصادره
عراه سكوت فاستر أبت عداته وما هو إلا شاعر كل خاطره
وحيدًا يحامي عن مبادئ جمة أما في البريا منصف فيوازره
تفرد بالشكوى فأسعده البُكا لقد ذل من فيض المدامع ناصره
يهم يبث النجوم سراً فينثني كأن رقيباً في الدراري يحاذره
وتنطقه الشكوى فيخرسه الأسى فيسكت لاحيه إذا جد عاذره
يروم محالاً أن يرى عيش ماجد أوائله محمودة وأواخره
فؤادي وإن ضاق الفضا عنه فسحة فلابد أن تحويه يوماً مقابره
فؤادي وكم فيه انطوت لي سريرة عظيماً أرى يبلى وتبلى سرائره
سيحمل همي عند منزل وحدتي وتصبح آمالي طوتها ضمائره
فيا طير لا تسجع ويا ريح سكني هبوبا على جسمي ليسكن ثائره
ويا منزل الأجداث رحمة مشفق عليه ففيك اليوم قرت نواظره

ويا بدر من سامرته وجدك انقضى فمن لك بعد اليوم خل تسامره؟
عساك إذا ضاقت بصدرك فرجة تطالعه في رسمه فتذاكره
ويا خلة الباكي عليه تصنعاً ألم تك قبل اليوم ممن يغايره؟
تحمل ما ينأى فشاطره الردى فما ضر لو كانت الرزايا تشاطره
ويا غاصبا قلبي لترقيق حره سراحاً فقد دارت عليه دوائره
دعا بك يستشفي فأغضيت فانطوى وما فيه إلا الهجر داء يخامره
أمن بعد ما وسدته بت جازعاً إذا مات مهجوراً فلا رق هاجره
فيا ظلمة الآمال عني تقشعي فقد تتجلى عن فؤادي دياجره

***

شكوى وآمال

أعاتب فيك الدهر لو كان يسمع وأشكو الليالي.. لو لشكواي سمع
أكل زماني فيك هم ولوعة وكل نصيبي منك قلب مروع
ولي زفرة لا يوسع القلب ردها وكيف وتيار الأسى يتدفع
أغرك مني في الرزايا تجلدي ولم تدر ما يخفي الفؤاد الملوع
خليلي قد شف السها فرط سهدها فهل للسها مثلي فؤاد وأضلع
كأني وقد رمت المواساة في الورى أخو ظمأ مناه بالورد بلقع
كأن ولاة الأمر في الأرض حرّمت سياستهم أن يجمع الحر مجمع
كأن الدراري حملت ما أبثه إلى الليل من شكوى الأسى فهي ضلع
كأن بلاد الحر سجن لمجرم وما جرمه إلا العلى والترفع
ستحملني عن مسكن الذل عزمة بواطأتها السبع السواتر تخشع

تجنبنى من كنت فى الخطب ضلّة بإسعافه دون البرية أطمع
أرى لك في هذا التورع مقصداً وإلا فما ضب الفلا والتورع
تلفعت بالتقوى وثوبك غيره فلله ذياك الضلال الملفع
لعل زماناً ضيعتني صروفه يرق فيرعى فيه قدر مضيع
وخلاً أساء الظن بي إن بدت له حقيقة ما أخفي عن الشر يقلع
إليك زماني خذ حياة سئمتها هي السم في ذوب الحشاشة ينقع
وإني وإن كنت القليل حماقة فلي مبدأ عنه أحامي وأدفع
ولو أنني أعجلت خيفت بوادري ولكن صبر الحر للحر أنفع

***

صحو بعد سكر

أأن عنَّ في جنح الدجى بارق الحمى طويت على الشوق الفؤاد المتيما
وباتت تعانيها ضلوعك جذوة تضيء إذا ما طارق الوجد أظلما
جهدت فلم تملك مع الحب مهجة بها لم يصح الشوق إلا لتسقما
تود وفيه الحزم لو كنت بالحشا ضنينا ويأبى الحب إلا تكرما
سلوت الهوى فليردد النوم سالب فجفني لم يخلق لكيلا يهوّما
فما أنا من ريم الحمى بمكانة تهون من قدري لديه ليكرما
ولا أنا ممن يقتفي الجهل كاشفاً فؤادي مرمى للغواني مرجما
ومالي وسلسال بخد مرقرق نصيبي منه لوعة تورث الظما
قلى لك يا ظبي الصريم وللهوى فذاكَ زمان كان ثم تصرما
بمثل الذي راشت لحاظك للحشا رماني زماني لا عفا الله عنكما

وما فيك يا عرش الشباب مزية | على الشيب إلا السير فبك على عمى
سلمت وقد أسلمتني بيد الأسى | كأني إلى الموت اتخذتك سلما
خليلي هل كان السُها قبل واجدا | خفوق الحشا أم من فؤادي تعلما
وهل بحمام الأيك ما بي من الأسى | شكا فتغني.. واستراب فجمجما
أظنك ما رنمت إلا تجلداً | وإن قال أقوام سلا فترنما
وما ذاك من ظلم الطبيعة أن ترى | شجياً ولكن كي ترى الحزن مثلما
ولم تبكك الأزهار وجداً وإنما | نثرت عليهن الجمان المنظما
فنح ينح القلب المعنى فإنما | أقام علينا الليل بالحزن مأتما
وبح لي بأسرار الغرام فرحمة | بأهل الهوى غني مغن ونغما
ولا تحذر الشهب الدراري فلم يدع | لها برح الشهبين قلبا لتعلما
ومنك تعلمت القريض منمنماً | فحق بأن أهديك شكري منمنما
فلا تبتئس إن آلمتك حوادث | فإن قصارى الحر أن يتألما
أفي كل يوم للحواسد جولة | أرى مقدماً فيها الذي كان محجما
كأن لم أسر من مقولي في كتيبة | ولا حملت كفي اليراع المصمما
ولا كان لي البدر المعلى مسامراً | وإن كنت أعلى منه قدراً وأكرما

***

منى شاعر

حمامة أيك الروض ما لي ومالك | ذعرت فهل ظلم البرية هالك
نفرت وقد حق النفور لأنني | مجسم أحزان وقفت حيالك
ولولا جناح طار عن موقع الأسى | لكان قريباً من منالي منالك

أعندك علم أنني من معاشر ... أبوهم جنى واختار أدنى المسالك
رماهم إلى شر المهالك آدم ... فهم أبرياء حُمِّلوا وزر هالك
هلمي .. هلمي .. أن هاتيك نسبة ... تقرب ما بيني وبين الملائك
ألسنا وإن كنا شتاتاً يضمنا ... أسانا وإن لم تمس حالي كحالك
ألفت الرياض الزهر يبسم ثغرها ... وما ألفتي غير الوجوه الحوالك
هرجت فنظمت الدموع قلائداً ... فليت مثالي كان لي من مثالك
بعيشك كم عنى مثيلك طائر ... وكم نائح مثلي ثوى في ظلالك
تقولين: خلق ليس يدري سوى العنا ... عجيب فمن أنبأك أني كذلك
رأيتك قبلت الغدير لأنه ... على صفحتيه لاح مرأى خيالك
وداعبت فيه البدر فانصاع مذعراً ... يموج ارتجافا خشية من جلالك
فقلت مطارا أمة الشرق هكذا ... تملكت الأطيار أعلى الممالك
تباكوا وقالوا : الشرق مال دعامه ... وهل دعم قامت بغير التهالك !
وقالوا : هي الدنيا عراك رويدكم ... فإنا ضعاف مالنا والتهالك
نصحنا ولا يجدي وكم قبل رددت ... بمثل مقالي صحفهم ومقالك
سألتك ما معنى وجود مكون ... إذا لم تكن عقباه غير المهالك
وهل هذه الدنيا سبيل لعابر ... أم الأرض مهواة الغواة الهوالك
وإني أراني بين نوم ويقظة ... أسيان حالي في هنا أو هنالك
أجيبي فلي صوت يقطعه الأسى ... فقد لذ للقلب المعنى سؤالك
فردت وأوردت مثل زند لقادح ... خواطر يسمو وقعها عن مداركي
وقالت : نعم في ذلك السر حكمة ... فقلت : وما شككت في غير ذلك

وبتنا كما شاءت إخوة جنسنا خليلين أصفى من عقيل ومالك
درسنا كتاب العاطفات وما اعتنت بنو نوعنا ألا يدرس التفارك
إلى أن بدا وجه الطبيعة سافراً يضاحك من ثغر الأقاح المضاحك
وقد شردت فكري هنالك ضجة لأطيارها تدعو بنبذ التفاكك
إذا ما السما كانت دخاناً كما ادعوا فليس سوى أنفاس أهل الحسائك
هناك شكرت الطير رأفة مشفق على جنسه شأن الحزين المشارك
منى خالجت نفسي وأحبب بها منى تريني حياتي فوق الشهب النيازك
فقلت إلى اللقيا سلام مودع هنالك عيش الخالدين هنالك

***

في الليل

وليل دجوجي الحواشي سعرته بنار الأسى بين الجوانح فاستعر
نشرت به الآمال وهي هواجس بعقد الثريا لو غدا مثلها انتثر
وردد لي همس الطبيعة نغمة من الشعر ما كانت سوى خاطر خطر
أعرت الدراري فكرة تبعث الأسى إلى القلب شأن الناظرين ذوي الفكر
شكوت إلى البدر الهوى شأن من مضى قُبيلي فلن أسكت ولا نطق القمر
بثثت إليه أنة توهن الصفا فلما تغاضى صحَّ لي أنه حجر

***

مبادلة العواطف

يا أخا البلبل رفقاً هجت لي وجداً وذكرا

لمت في أمري ولو أستطيع ... ما أخفيت أمرا
أنت لو تعلم ما ... يلهب نفسي قلت :عذرا
كان لي سر ولكن ... بك قد أصبح جهرا
قد طويت الحزن أزماناً ... فخذه اليوم نشراً
أنا ما غردت لو أنيَّ ... رضيت العيش أسرا
أنا ما لجلجت في أغنيتي ... لو كنت حرا
أنا أخشى النفع إن ... جاهرت فيه كان ضرا
غالط الوجد وسل القلب ... وادع الحزن شعرا
فأنا ذاك الفتى ... يطلب بعد « الخمر أمرا»
وسيبدو لك ما تهواه ... من أمري .. فصبرا

***

يا شعب

زعموا التطرف في هواك جهالة ... أكذا يكون الجاهل المتطرف
هذا فؤادي للخطوب دريئة ... وأنا المعرض فيكم فاستهدفوا
أما هواك فذاك ملء جوانحي ... تحنو على ذكراك فيه وتكلف
يا شعر نم على الشعور فكم وكم ... نمت على زمر العواطف أحرف

***

بين القلب والاستقلال

وهواجس في الليل رامت حملها ... شهب فعثن بشملها المجموع

مـا أنصـفت فيـه الطبيعـة حبّهـا ... لمـا دعـا للشـوق غـير سـميع
أبـت الجـوانح أن تقـر فمـن يطـق ... ملكـا فلسـت بهالـك لضـلوعي
حبّ الرجوع إلى الشباب ولم أجد ... في مـرِّه مـا يرتجـى لرجـوع
بـين الأضـالع صـخرة لكنّهـا ... ممـاجنى الأحبـاب ذات صـدوع
قلـب عليـه تحالفـت زمـر الهـوى ... فمنيعـه للـذُّل غـير منيـع
قالوا استقلَّ عن الهموم فقلت: لا ... فهـو التبيـع لظـالم متبـوع

❊❊❊

فطار الحمام

ياشعب كـم في القلـب مـن لوعـة ... عليـك تغـلي يـا مهـيج الغـرام
شـكوت عيشـاً خلتـه وصـمة ... وحبـذا عيشـك لـو كـان دام
تزاحمـت فيـك أمـاني الـورى ... « والمـورد العـذب كثير الزحـام »
هـم نصـبوا للصـيد أشراكهـم ... فلـم يجـد بـداً فطـار الحـمام
حنَّـت قلـوب لـك شـوَّقتها ... يـا معهـد الشـوق سـقاك الغـمام
إن نجحـت فيـك أمـانٍ لنـا ... فهـي وإلا فعليـك السـلام

❊❊❊

يا يراع الحر

أيهـا الطالـب إنصـافاً ... لقـد رمـت محـالا
أنـت مـثلي عـاطش ... غـرك إذ أبصرت آلا
كـاذب مـا نـال شـعب ... بسـوى القـوة نـالا

يـــا يـــراع الحـــر قـــد ضـاق بـك الحـر مجـالا
فصـــموتاً فلكـــم جـــرَّ لـــك النطـــق وبـــالا
واعتـزالاً أو يكـون الحـق حـــــراً..فـــــاعتزالا
يـــا أخـــا البلبـــل شـــدواً وشـــعوراً واعتقـــالا
كلُّنـا يـدري الـذي تلقـى كفينـــــاك مقـــــالا
لم تطـل دولـة هـذا الظلـم إلا لتـــــــــــدالا
عشـرة يـا شـعب كانـت أحـــــرام أن تقـــــالا
أإلى الأحـــــرار تشـــكو وهـــم أســـوأ حـــالا
تهـــت لمـــا أخمـــدوها فكـــرة ..كانـــت ذبـــالا

***

جناية الأماني

جلبـــت لي الهـــم والهـــمُّ عنـــا آه مـــا أروحنـــى لـــولا المنـــى
آه مـــا أخيبنـــي مـــن غـــارس شـجر الآمـال لكـن مـا جنـى
كلـــما حـــدِّثت عـــن نجـــم بـــدا حـــدثتني الـــنفس أن ذاك أنـــا
أمـــل أخشـــى عليـــه زمنـــي فلـــو اســـتطعت أطلـــت الزمنـــا
لا تـــذكرني الهنـــا يشـــجو الحشـــا ذكـــره إني ألفـــت الشَّـــجنا
إنـــما أشـــكو حيـــاة كلُّهـــا تبعـــات كنـــت عنهـــا في غنـــى
لا تخلـــه في هنـــاء ظـــاهر كلُّ من في الأرض لا يـدري الهنا
غـــرّد الطـــير فقـــالوا : مســـعد ربَّ نـــوح خالـــه الغـــرُّ غنـــا
وانثنـــى الغصـــن ولـــولا أنـــه حامـــل مـــا لم يطقـــه مـــا انثنـــى

أتــرى الأنجــم طــرّاً تشــتكي ذا أم الآلام خصــت نجمنــا ؟
بات يرعى الشُّهب مضنى جالباً ســهراً راق لــه وهــو ضــنى
أتـرى استجليت منهـا غامضـاً أنـت يـا مـن بالـدراري افتتنـا
آه مــا أبهــاك يــا ليــل عــلى ظلمـة فيـك ومـا أجـلى سـنا !
أتـرى مرتهنـاً بـات بـك البـدر أم بـــتَّ بـــه مرتهنـــا
فمـــن أنـــت ذا لم تهـــوه فبـــه سرُّك أضـــحى علنـــا
كـم فـؤاد فيـك مطـوي عـلى حـرق مـن غـير مـا ذنـب جنى
ومعنّــى أزعــج الشُّــهب لــه حــر أنفــاس فــرادى وثنــى
فعـلى الرفـق فـما أبقـى الأسـى أمـلاً يجـدي عـلى الرفـق بنـا
أنـا حمّلتـك يـا طـير الأسـى أنـا حتـى عـدت منـه ألكنـا
تلـك أثقـال المنـى شـاطرتني حملهـا أنـت فأسـديك الثَّنـا
أنــت مــثلي شــاعر معتــزل فتغنــى كــي تميــل الغصــنا
أنــت لا تطلــب مــا لا ينبغــي فـدع الألقـاب عنـا والكنـى
أنــت يــا آمــال قــد عاهــدتني بالوفــا لا.. لا تخــوني عهــدنا
غنّنــي باســم عراقــي تشــجني واتــرك الشَّــام وخــلِّ اليمنــا
لا أرى لي بـــدلاً عنـــه وقـــد عــذب الــورد وطــاب المجتنى
أتـــرى يغنيـــك عنـــه وطـــن أنـت يـا مـن خـان هـذا الوطنـا
لم تبـع شـعبك لـو أنصـفته فمـن الشَّـعب قبضـت الثمنـا
خلَّـف المجـد لنـا مـن سـلفوا أفيخـزي عارنـا مـن بعـدنا

***

بين الأحبة والبدر

لئن شكر الصبح المحبون إنني ... شكرت الدجى إذ كان ما بيننا سترا
وليل رثى لي والأحبة نوَّم ... له مقلة بالشُّهب من لوعتي عبرى
بكيت فرَّق النجم لي وهو صخرة ... إلى أن جرت منه مجرَّته نهرا
ومالي صدر ينفث الهمَّ زفرة ... ولكنّه الهمُّ الذي ينفث الصدرا
خليلي ما اخترت الدراري لو أنني ... وجدت بكم من يحفظ العهد والسرّا
وما أهون الآلام لو كان سرُّها ... يباح.. ولكن أحمل الوجد والصبرا
على البدر من غدر الأحبة مسحة ... فكل قسى قلباً وضاحكني ثغرا

❊❊❊

بلية القلب الحساس

تلبَّد لكن ما حكاه غمام ... وناح ولكن أين منه حمام
ألا ليت إحساساً وسلوى تجمعا ... وكيف.. وهل يلفى سنى وظلام ؟
فمن أين للحساس قلب يريحه ؟ ... ومن أين للقلب الغبيِّ غرام ؟
أكلُّ نسيم للأسى هبَّ زعزع ... وكل ضباب للهموم قتام ؟
تطلَّب دقيقات الأمور تفز بها ... وخل التي تنوي فتلك جسام

❊❊❊

بين النجف وأمريكا

أأمريك يابنت « كولمبس » ... لحبِّك وقع على الأنفس

صبوت إليك وأين الفرات وأهلوه من بحرك الأطلس
حننّا ولو كان في وسعنا سعينا إليك على الأرؤس
إذا آنس الصبَّ ذكر الحبيب ففي غير ذكرك لم آنس
هواجس تدني إليك المنى ولولا المنى قط لم أهجس
وإني.. ومابي حبّ الصخور أحن إلى صخرك الأملس
هوى لو بشهب الدراري صبت ولو بالعواصف لم تهمس
إذا كان من ثمر للمنى ففي غير أرضك لم يُغرس
وكم قائل ما اصطلى في الهوى بناري وقد غرّه ملمسي
أليس سواها نفيس يرام فقلت :هواي مع الأنفس
أحبّاى حتى لم يصبو لكم معاف ويذكركم من نسي
ألا هل أتاكم بأني متى تدر كأس حبّكم أحتس
وأني كالليل بادي الهموم وأني كالنجم لم أنعس
ولي قلب حر عصيُّ الزمام فإن راضه حبُّكم يسلس
وكم ليلة بتُّ في عزلة ومن طيب ذكراكم مجلسي
وبلدة ذل تميت الشعور فمنطيقها الحرُّ كالأخرس
أحب بلادي لو لم أخف بها شرَّ ذي الغدرة الأشرس
يجاذب قلبي إليها الهوى ويأبى المقام بها معطسي
جفوني ولا ذنب إلا الأباء وإن طاب من بينهم مغرسي
وقالوا تناسى ولا حنة وهل بلبل حنَّ للمحبس !

❊❊❊

ابن الشام

....

....

أسفاً تبيت رُباك وهي مدرّة للرزق.. رهن الفقر والإملاق
خدعوك إذ سمّوا قيودك حيلة ما أشبه الأصفاد بالأطواق
لك في العراق جوانح ملهوفة تشكو الذي تشكنه وتلاقي
إني شامي إذا نسب الهوى وإذا نسبت لموطنى فعراقي
ويذيع منك البرق كامن لوعتي فيدي على قلبي من الإشفاق
رقت طباع بنيك فهي إذا انبرت سالت كصفو نميرك الرقراق
كم في الجوانح لي إليهم زفرة كمنت ليوم تزاور وتلاقي
ورسائل برقية مهزوزة أسلاكها من قلبي الخفاق
أما الهوى فدليله شرقي متى ذكروا رُباكِ بدمعي المهراق
أرقت أجفاني فلو راودتها غمضاً لما طاوعن في الأطباق
قالوا : دمشق.. فقلت : غانية الربى قالوا : لذاك تطاول الأعناق
ابن الشام سلام صب واجد يهدي إليكم أكرم الأعلاق
يهفو إليكم لوعة لا مدَّعي ما أهون الدعوى على العشاق
أنا ما بكيت الشعر ذل وإنما أبكي الشعور يباع في الأسواق
أنا للتجاذب نقطة إن سَّرني لقياكم ساء العراق فراقي
ما كان أصفى ما أسال من الهوى هذا اليراع بهذه الأوراق

***

ذكرت الوئام

وليـــل ذكـــرت بـــه صـبوتي فعــــدت إلى الــــزمن الأول
تجـردت عــن تبعـات الجـدود وبــتُّ عــن الغـير في معــزل
قست شهبه عن شكاة الهوى وحـــدّقن شـــزراً ولم تحفـــل
أبـــثُّ لهـــا هـــمَّ عصر مضى فتبســـم عـــن عصري المقبـــل
ســـهرنا.. وشـــتان مـــا بيننـــا وأيـــن مـــن المســـتهام الخـــلي !
أمـــان تســـامت فمـــن أجلهـــا حيـــاتي.. وفي شرحهـــا مجمـــلي
وآنســـت في جنحـــه وحـــدتي فبـــتَّ كـــأني في محفـــل
سكون الـدجى وجـلال الغـرام جناحـــان للشـــاعر الأعـــزل
وعاذلـــة في الهـــوى لـــو درت بحـــال المحبّـــين لم تعـــذل
« ذكـــرت الوئـــام » فمـــن عـــبرة تســـيل ومـــن زفـــرة تعـــتلي
كمالـــك جـــر عليـــك الفنـــاء أخـــا القـــرد ليتـــك لم تكمـــل
كـــأن الـــدُّنا خـــص في واحـــد فكـــل يقـــول الـــذي فيـــه لي
وهاتفـــة راعهـــا مقـــدمي فـــلاذت بأغصـــانها الميَّـــل
أيـــا ورق لا تـــذعري إننـــا شربنـــا العواطـــف مـــن منهـــل
ولا تنفـــري ســـانحات المهـــا أصـــبت الأمـــان عـــلى المقتـــل
ويـا ليـل ردد صـدى مـن مضى وإن كنـــت يـــا ليـــل لم تعقـــل
فكـم بـثَّ مـثلي أخـو حسرة إليـــك الغـــرام فلـــم تحفـــل
ويـا بـدر كـرر حـديث الشُّجون فلـــولا هـــوى بـــك لم تضـــؤل
أيـا ليـل كـم فيـك مـن خـاطر لـــذي لوعـــة بالأســـى ممـــتلي

وكـــم مقلـــة فيـــك ســـهرانة ... وكـــم غلَّـــة فيـــك لم تبلـــل
تجـــلى بـــك البـــدر ربُّ الجـــمال ... فهـــام بطلعتـــه المجـــتلي
أيـــا ليـــل هـــام بـــك المغرمـــون ... لمـــا فيـــك مـــن عـــالم أمثـــل
فراشـــاً بجنحـــك حـــاموا عـــلى ... ســـنا البـــدر ينـــزل أو يعـــتلي
عـــلى رغـــد أيهـــا النـــائمون ... فجفنـــي بـــالغمض لم يكحـــل
وياليـــل رحمـــاك يـــا ذا الجـــلال ... ويـــا بـــدر عطفـــاً فأنـــت العـــلي

***

ما هذه النفوس قداح

قـلى لـك يـا عصر الشبيبة والصبا ... فإنـك مغـدى للأسـى ومـراح
صحبتك مر العيش لا الروض يانع ... لـديَّ.. ولا المـاء القـراح قـراح
تفيـأت أطـلال التصـابي وإنـما ... نصـيبي منهـا حسرة وبـراح
حشى أفسحت فيه المنى خطواتها ... فضاقت به الأرجاء وهي فساح
يقولون: محصوص الجناح هفت به ... همـوم ومـاذا يسـتطيع جنـاح
عـلى رسـلكم إن الليـالي قصـيرة ... ومـا هـي إلا غـدوة ورواح
أأحبابنـا مـاذا التغـير لا الهـوى ... بصاف ولا تلك الوجوه صباح
تحولتم عن مركب الحب واستوى ... مشـوب وداد عنـدكم وصراح
إلى ما انخـداعي بـالمنى وهـي غـرة ... وتركـي فيهـا الجـدَّ وهـو مـزاح
همـوم تـرى في كـل حـين بمظهـر ... سـواء هـديل شـائق ونـواح
أغـاض دمـوعي أنهـن كـرائم ... وأن النفـوس الآبيـات شـحاح
وما أعربـت خـرس الأراك بلحنها ... عـن الحـب إلا كـي يقـال فصـاح

لأهـل الهـوى ياليـل فيـك سرائـر عجـاب وغـدر أن يـنمَّ صـباح
رأوا فيـك مخضر الأمـاني فعرسّـوا بجنحـك مـا شـاء الغـرام ونـاحوا
نغـض لمـرآك الجفـون وإنـما عيـون الـدراري في دجـاك وقـاح
خـروق نجـوم في سـماء تلاوحـت كـما لاح في جسـم الطعـين جـراح
ومـرضى قلـوب مـن وعـود وخلفـة ولم تهـو يومـاً أنهـن صـحاح
براها الأسى حتى استطار شرارها فرفقـاً.. فـما هـذي النفـوس قـداح

❊❊❊

تحية العيد
أو الملك والانتداب

لمـن الصُّـفوف تحـفُّ بالأمجـاد وعـلى مـن التـاج الملمـع بـاد
ومـن المحـلّى بـالجلال يزينـه وقـر الملـوك وسـحنة العبّـاد
ليت الرشيد يعـاد مـن بطـن الثرى لـيرى الـذي شـاهدت في بغـداد
حيـث الملـوك تطلعَّـت تّواقـة لـك والوفـود روائـح وغـوادي
وعـلى المواكـب مـن جلالـك هيبـة غـضَّ الصـعيد بهـا ومـاج الـوادي
شّـوال جئـت وأنـت أكـرم وافـد بالعيـد تسـعد كعبـة الوفّـاد
أمـا العـراق فلسـت مـن أعيـاده وعليـه لـلأرزاء ثـوب حـداد
ملـك العـراق هنـاك ملكـك أنـه وقـف عـلى سـبط النبـي الهـادي
زف العـراق إلى عـلاك سـلامه مـا بـين حـاضر ربعـه والبـادي
يـدعوك للأمـر الجليـل ولم تـزل ترجـى ليـوم كريهـة ونـآد
فـكَّ العـراق مـن الحمايـة تحيـه وامـدد لسـوريّا يـد الإسـعاد

عجباً تروم صلاح شعبك ساسة ... بالأمس كانوا أصل كلٍّ فساد
صرِّح لهم بالضدِّ من آمالهم ... أو لست ممن أفصحوا بالضاد ؟
قم ماش هذا الشعب في خطواته ... لا تتركن وطني بغير سناد
الله خلفك والجدود كلاهما ... وكفاك عون الله والأجداد
هذي الرقاب ولم تعوَّد ذلة ... تشكو إليك نكاية الأصفاد
علت الوجوه الواضحات كآبة ... ومحا الذبول نضارة الأوراد
والرافدان تماوجا حتى لقد ... أشفقت أن يثبا على الأسداد
ولقد شجاني أن ترى في مأتم ... أمَّ الخلائف مرقد الأسياد
سل عن تشرشل كيف جاذبه الهوى ... حتى استثار كوامن الأحقاد
هيهات من دون الذي أمَّلته ... وقع السُّيوف ووثبة الآساد
ومواطن حدبت على استقلالها ... بالسيف ترضعه دم الأكباد
يكفيكمو بالأمس ما جرَّبتم ... فدعوا السيوف تقرُّ في الأغماد
أبني الشعوب المستضامة نهضة ... ترضي الجدود فلات حين رقاد
هذا تراث السالفين وديعة ... لا تخجلوا الأجداد في الأحفاد

***

العلم والوطنية

يا علم قد سعدت بك الأوطان ... فليسم منك على المدى سلطان
وليسق حبّيك العراق ليشتفي ... منه الغليل ويرتوي الظمآن
هذِّب لنا أخلاق أهليه فقد ... غشّى عليها الجهل والعدّوان
يا أيّها النشء الجديد تسابقاً ... بالعلم إن حياتكم ميدان

صونوا البلاد فإنما عزماتكم ... قضب ومن أقلامكم خرصان

يا شعب هل تخشى ضياعاً بعدما ... حاطت عليك حياضك الشبان

شادوا المدارس بالعلوم تنافساً ... فكأنَّما بين البلاد رهان

يا جهل رفقا بالشعوب فأهلها ... كادت تذيب قلوبها الأضغان

لا لن تفرقنا الحدود ولم تكن ... تدري الحواجز أخوة جيران

ماذا يريد اللائمون فإنّه ... وطن يحبُّ وحبُّه إيمان

سنذود عنه بعزم حر صادق ... منه ضمير يستوي ولسان

لا يرتضي إلا المنية منهلا ... أو منزلاً من دونه كيوان

لي فيك آمال وصدق عزائم ... لا بد تنشر طيَّها الأزمان

ولئن هتفت بها أجن فعاذر ... فلقد أضر بصدري الكتمان

يا موطن النُّجد الغزاة هضيمة ... كيف ارتقت عن شأنك الأوطان

ماذا التواني منك في شوط العلى ... هلا نهضت وكلنا أعوان

إن تخش سطوة ظالم فلقد ترى ... والغرب منه لحكمك الإذعان

غرُّوك إذ دارت كؤوس خداعهم ... حتى سكرت فعقَّك النُّدمان

أمن المروءة أن تنال حقوقها ... لقط وأنت نصيبك الحرمان

بئست علاقة واغلين وإنما ... عيش الكريم مع اللئيم هوان

قد سرَّ أكناف الجزيرة ما رووا ... يا مصر عنك ومادت الأركان

مديٍّ بروجك للعراق يبن له ... نهج الرشاد.. أمدَّك الرحمن

يا أيها الوطن المفدى دونه ... يوم الفداء الأرض.. والأوطان

فدّتك ناشئة البلاد وشمرت ... لك عن سواعد عزمها الفتيان

زاحم بمنكبك النجوم ولا يطل ... شرفا عليك ببرجه «كيوان»

وارع الشباب وصن كريم عهودهم فهم لصفحة مجدك العنوان

***

خل النديم

خلِّ النديم.. فما يكون رحيقُهُ وأدر لَماك إذا غفا إبريقُهُ
لم يُصبني كأسُ النديم وخمرُهُ لو دام لي ثغر الحبيب وريقه
أن تحم عن أهل الهوى كأس اللَّمى فالخمرُ أجود ما يكون عتيقه
حاشا لعهدك بعد ما عوذتَه بدقيق خصرك أن يُحَلَّ وثيقه
عين تؤرقها عدتك قروحها وحشاً تؤججه عداك حريقه
حمّل فؤادي ما تشاء يُطق به إلاّ جفاكَ فذاك لست أطُيقه
ما نسبة الخَصرْ النحيف مع الحشا فهل استُعير من الوشاح خفوقه
أنا ليس لي عنه غنى فلو ارتضى دينَ المسيح فإنني بِطْريقه
لا أدّعي هجر الخيال وإنما أرَّقْتُ أجفاني فَسُدَّ طريقه
طرف تنازعه هوىً ومهابة هذاك يجذِبه وذاك يعوقه
أم كيف يسلو عنك نشوان ومِن كأس الغرام صَبوحهُ وغَبوقه
قالوا: نَزالِ.. فقلت : هل يخشى قلبي واسمر قده معشوقه
كذَب الوُشاة فما يزال كعهده رَغم الصدود يشوقني وأشوقه
ما راق في عيني سواه ولا انثني شيء سواي عن الأنام يروقه
بالرغم مني بعد طول تواصل أرضى بطيف منك عز طُروقه
وقف البيان عليكما فتغزُلي بك والثناء إلى « علي » أسوقه
ما أبعدَ الشأوين هذا إن يضق منه الحشا فبذا يُفَرَّج ضيقه

دع عنك من كعبٍ وحاتِم إنما ... للّجود معنى عنده تحقيقه
المجد ما روجت فيه بضائعاً ... للمكرُمات فما عُكاظُ وسوقه
نسب زهت بأبي الجواد فروعُه ... وإلى محمدِ ينتمين عروقه
ذو عزمة مشهورة لو طاردت ... شُهْبَ السما ما عاقه عَيُّوقه
صال العدى فقست صلود صفاته ... وسرى الندى فاهتز منه وريقه
لو يدَّعي الحساد شأوك في العلى ... لعريق مجدك يُستَذمُّ عريقه
أنعم بليلتك التي قضَيتها ... والبدرُ من بين السُّتور شروقه
لله أيُ رِتاج باب رمتَه ... حتى استُبيح بهجمة مغلوقه
عجباً لقلبٍ بالوصال تروعه ... ودم بلا ذنب هناك تُريقه
لي فيك صوغٌ للبلاغة لو خلا ... جيدُ الفتاة لزانها منسوقه
أرفدتُه لك لا كبائر سلعة ... لكن كما هنّا الصديق صديقه
دُمتم على مر الزمان مباهيا ... بكمُ وأخطي جمعكم تفريقه

❊❊❊

استعطاف الأحبة

كلُّ ما في الكون حب وجمالُ ... بتجليك وإن عزَّ المنالُ
بسط النور فكم ثائر بحر ... هادئاً بات.. وكم ماجت رمال
ورياض ضاحَكَ الزهرَ بها ... ثغرُك الصافي وناجاها الخيال
وسهول كاد يعرو هَضْبَها ... نزقٌ من صبوة لولا الجلال
ما لمن يهوى جمالا زائلا ... وعلى البدر جمال ما يُزال
لا عدِمناك مروجاً للهوى ... جِدَة فيها.. وللدهر اقتبال

عيشُنا غض وميدان الصبا   فيه مجرىً للتصابي ومجال
يا أحباي وكم من عثرة   سلفت ما بالُ هذي لا تقال
علَّلونا بوعود منكم   ربما قد علل الظمآنَ آل
وعدوني بسوى القرب فقد   شفَّني الهجرانُ منكم والوصال
لا أمَّل العيش ما شئتم فكونوا   لسوى حبكم يحلو الملال
أمن العدل وما جُزْتُ الصبا   ومداه يألف الشيبَ القذال
إنها أنفُسُ لم تخلق سدى   ورقيقات قلوب لا جبال
أشتكي منكم وأشكو لكمُ   إنَّ دائي في هواكم لعُضال
فعلى الرفق كفاني في الهوى   ما أُلاقي.. وكفاكم ذا المِطال
ألذنبٍ تصطلي حَرَّ الجْوى   مهجٌ كانت لها فيكم ظِلال
أرتجيها صفوة منكم وإن   زَعَموها بغيةً ليست تنال
إنما أغرى زماني بكم   نِعَمٌ طابت وأيام طِوال
لا أذُم الدهر هذي سُنة   للهنا حال وللأحزان حال
قد حثثناها مطايا صبوة   لكُمُ أوشك يعروها الكلال
ورجعنا منكمُ خِلواً ولو   أكلت منهن آمال هزال
لا تقولوا: هجرُنا عن علة   ربما سَرَّ حسوداً ما يقال
أنا من جربتموه ذلك الطاهرُ   الحبِ إذا شِينت خِصال
شيم هذَّبْنَ طبعي في الهوى   مثلما يجلو من السيف الصِّقال
أيها الناعمُ في لذاته   لذةُ النفس على الروح وَبال
شهوة غرَّتك فانقدْتَ لها   ومُنى المرء شعور وكمال

لبنان في العراق

أرض العـــراق ســعت لهــا لبنــانُ | فتصـــافح الإنجيـــلُ والقـــرآنُ
وتطلَّعــت لــكَ دجلــةٌ فتضــاربت | فكـــأنها بعبُابهـــا الهَـــيمان
أأمـــين أن سُرَّ العـــراقُ فبعـــدما | أبكـى ربـوعَ كـومبس َالهجـران
لــك بــالعراق عــن الشــام تصـبر | وبأهلـــه عـــن أهلهـــا سُـــلوان
لــو تسـتطيع دنــت إليــك مُدّلــةً | فتـــزودت مـــن رُدنــك الأردان
وحِّــد بــدعوتك القبائــل إنــه | ألقـــى إليـــك زمامَــه التِّبيــان
كيــف التــآلفُ والقلــوبُ مواقــد | تغــلي بهــا الأحقــادُ والأضــغان
أنِـر العُقـول مـن الجهالــة يسـتبنْ | وضـحَ السـبيلِ ويهتـدي الحـيران
وأجهـز بحـد رهيـف حـدٍ لمَ ينُـبْ | لــك عـــن شَـباه مهنـد وسـنان
خضعت لعنوته الطغاةُ.. فأقسـمت | أن لــيس تعــدو حُكْمَــه التيجــان
نــار تُــذيب النــار وهــي يراعــةٌ | عضبٌ يفُل العضبَ وهو لسـان
أنّي يــقصِر بالعِنـــان إذا انـــبرى | وهـــو الجمـــوح وفكــرك الميــدان
زِدنــا بمنطقــك الــوجيز صـبابةٍ | فهـــو السَّـــلاف وكلُّنـــا نشـــوان
مــا كــل حــي قائــل مــا قلتــه | لكـــنْ أمـــدَّ بيانــك الـــرحمن
الشرق مهتــز بنطقــك معجــب | والغـــرب أنـــت بجـــوه مِرنـــان
والقول مـا نَمَّقْـتَ.. والشعر الـذي | يـــوحي إليــك.. فصــاحةٌ وبيــان
أنــا خصــم كــل منــافق ! لم يَنْهَنـي | حَـــذرٌ ولم يقعُـــد بي الكِـــتمان
عابوا الصراحة منك لما استعظموا | أن يســـتوي الإسرُ والإعـــلان
يـا شـعب خـذ بيـد الشباب فـإنهم | لـــك عنـــد كـــل كريهـــة أعـــوان

واعرِف حقوق المصلحين فإنها ... بهم الحقوق الضائعات تصان
واعطف لريحان النُّفوس ورَوْحها ... فله عليك تعطف وحنان
واسِ الضعيف يكن ليومك أسوة ... وكذا الشُعوب كما تدين تدان
يا شرق.. يا مهد النوابغ شدّما ... ساوى مكانٌ بينهم وزمان
للناس كان .. وإن أبت لبنان ... « فأمين » ليس لها ولا « جبران »

❊❊❊

الوحدة العربية الممزقة

حتى مَ هذا الوعدُ والإيعادُ ... وإلى كم الإبراقُ والإرعادُ
أنا إن غصصتُ بما أحسُّ ففي فمي ... ماء وبين جوانحي إيقاد
يا نائمينَ على الأذى لا شامُكم ... شامٌ.. ولا بغدادُكُمْ بغداد
تلك المروج الزاهراتُ تحولت ... فخلا العرينُ وصوّح المرتاد
هُضِمت حقوقُ ذوي الحقوق وُضيِّعت ... تلك العهودُ وخاست الآساد
أعزِزْ على الأجدادِ وهي رمائم ... أن لا تُعزَّ تراثَها الأحفاد
فزِعت إلى تلك المراقد في الثرى ... لو كان يُجدي بالثرى استنجاد
قَرِّي شعوبَ المَشرقَيْنِ على الأسى ... ميعادُ فكِّ أسارِك الميعاد
أخذوا بأسباب السماء تعالياً ... واستنزلوكِ إلى الثرى أو كادوا
يسمو الخيال بنا ويسمو جهُدهم ... بهمُ.. فكلٌّ عنده منطاد
إيهِ زعيم الشرق نجوى وامق ... لَهِج بذكركَ هزَّةٌ الإنشاد
إن فَتَّ في عضُدِ الخِلافة ساعدٌ ... فلكَمْ هوت بسواعد أعضاد
ولكم تضرَّت في القلوب عواطفٌ ... ثم انثنت وكأنهنَّ رماد

خُطَّت علـى صـفحات عزمـك آيـةٌ إن الحيــاة ترفــعٌ وجهــاد
حاطـت جلالَـك عصـبةٌ مـا ضرّهـا أن أبرقــت.. أن يكثُــر الإرعــاد
أنـا مـنكم حيـث الضُّـلوع خوافـق يهفـو بهـا التصـويبُ والإصـعاد
أنـا شـاعرٌ يبغـى الوفـاق موّحـد بـين الشُّـعوب.. سـبيلُه الإرشـاد
مـا الفـرسُ والأعـراب إلا كَفتـا عـدلٍ ولا الأتـراكُ والأكـراد
لم تكفنـا هـذي المطـامع فُرقـةً حتـى تُفـرِّقَ بيننـا الأحقـاد
ألغـات هـذا الشرق سـيري للعـلى جنبـاً لجنـب رافقتـك الضـاد

***

أمين الريحاني

لمـنِ المحافـلُ جمّـة الوُفّـادِ.. جَـلَّ المَقـام بهـا عـن الإنشـادِ
مَـنْ زان صـدرَ المجلـس الأعلى وقـد طفح الجلال بحيثُ فاض النادي
مِن صاحبُ السِّمة التي دَلّت علـى أدب الحضـارة في جمـال البـادي
يـا نجـلِ « سـوريا » وتلـك مزيـة شـهِدت بهـا بمهـارة الأولاد
في كـل يـوم للمحافـل رنـةٌ لـك مـن نيويـوركٍ إلى بغـداد
مـا قـدرُ هـذا الاحتفـالِ وإنـه كـلُ الزمـان محافـلٌ ونـوادي
تَعْـدادُ مجـد المـرء منقصـة إذا فاقـت مزايـاه عـن التَّعْـداد
يـا كاشـف الآثـار زور أهلهـا وكفـت بـذوُرك عنـدهم مـن زاد
رُحمـاكِ بـالأمم الضِّعاف هـوت بهـا إحـنٌ.. فَمُـدَّ لهـا يـدُ الإسـعاد
وأشـفق عـلى تلـك الجـوانح إنهـا حُنيـت أضـالعُها عـلى الأحقـاد
وَحـدْ بـدعوتك القبائـل تهتـدي عـن غيِّهـا ولكـل شـعب هـادي

اقرأ على « مصر » السلامَ وقل لها حَيَّتْ رباكِ روائحٌ وغوادي
لا توحشي دارَ الرشيد فإنها وقفٌ على الإبراق والإرعاد
وتصافحي بيد الإخاء فهذه كفُّ العراق تمُدُّ حبل وداد
لا ترهَبَنَّكِ قسوةٌ من غاصبٍ عاتٍ فإن الحق بالمرصاد
لا تَخْدعَنَّك حِليةٌ موهومة ما أشبه الأطواقَ بالأقياد
ما أنصفوا التاريخ وهو صحائف بيض نواصع لفعت بسواد
أمثقِفَ القلم الذي آلى على أن ليس ترجَحُ كفةُ استعباد
ومشَّيداً للشرق ركناً يلتجى منه بأمنع ذمة وعماد
أنصِفْ شكية شاعر قد خَلقت بالصبر منه فظائع الأنكاد
إني سمعت وما سمعت بمثله نبأً يرن على مدى الآماد
سورية أمُّ النوابغ تغتذي هدفَ العداة فريسةَ الأوغاد
تُضحي على البلوى كما تُمسي وقد خَفَت الزئيرُ بها عن الآساد
لم تكفِها آراؤك الظُّلَّمَ التي غَشيتْ ولم تَهمُمْ بقدح زناد
أكذا يكون على الوداد جزاؤها أم لست من أبنائها الأمجاد
حنَّت إليك مرابعٌ فارقتها لو أن بُعداً هز قلبَ جماد
حدث عن الدنيا الجديدة إنها أم الشعوب حديثة الميلاد
ماذا نقول غداً إذا بك حدَّقت خُوْصُ العيون بمحضر الأشهاد
وتساءل الأقوامُ عنّا هل لنا فينا الشعور وما غناء الحادي
وتعجَّبوا من مهبِط الوحي الذي سمِعوا وليس سوى قرارةِ وادي
وعلمت ما في الدار غيرُ تشاجر وتطاحن ومذلة وفساد

أتـــذيع سرّ حضـــارةٍ إن غُيِّبَـــت منهـا السرائـر فالرسـوم بـوادي
« كـل المصـائب قـد تمـر عـلى الفتـى فتهـون غـير شـماتة الحُسّـاد»
قـل إن سُئلتَ عـن الجزيـرة مُفصِحاً مـا أشـبهَ الأحفـادَ بالأجـداد
ما حُوِّلت تلك الخيامُ ولا عَدَتْ فينا فينـا عـلى تلـك الطبـاع عـوادي
نـارُ القِـرى مرفوعـةٌ وبجنبهـا نـارُ الـوغى مشـبوبةُ الإيقـاد
أبقيـةَ السـلف الكـريم عجيبـةٌ مـا غيرتـكِ طـوارئ الآبـاد
مـا لوَّثَـتْ منـك الحقائـبُ مسـحة موروثـةً لـك قبـلَ أعصر عـاد
مـا للحـوادث فاجأتـكِ كأنهـا كانـت عـلى وعـد مـن الأوعـاد
نام « الرشيد » عن العراق وما درى عـن مصره فرعـون ذو الأوتـاد
حالـت عـن العهـد الـبلاد كأنهـا لبسـت لفقـدِهُمُ ثيـاب حِـداد
واستوحشـت عرصـاتُها ولقـد تُـرى دارَ الوُفـادة كعبـة الوُفـاد
إذ مُلْكُهـا غـض الشباب.. ورَوضُها زاهـي الطـراز.. مفـوف الأبـراد
وعـلى الحِمـى للوافـدينَ تطلـع بتعاقـب الإصـدار والإيـراد
أغـرى بهـا الأعـداءَ صـيقلُ حسـنها وجنـت عليهـا نَضْرةُ المرتـاد
فتسـاندوا بعـد اخـتلاف مطـامع أن لا يقـيمَ الشرقَ أيَّ سـناد
وإذا أردتَ عـلى الحيـاة دلائـلا لم تلـق مثـلَ تـآلف الأضّـداد
إن هـزكمْ هـذا الشـعورُ فطالمـا لانَ الحديـدُ بضربـة الحـداد
أو تنكـروا منـي حماسـة شـاعرٍ فـالقومُ قـومي والـبلاد بـلادي
عَجِلَتْ على وطني الخطوبُ فحتَّمت أن لا يقَـرَّ وسـادهُ ووسـادي

***

في سبيل الكتاب

إعـــــارةُ الكُتْـــــبِ رســـــمُ ... بـــــين الصِّـــــحاب ورمـــــزُ
وقـــــد أخـــــذتَ كتـــــابي ... أظُنُّـــــــــه ســـــــيُبَزّ!
المســــــتعارُ عزيـــــــز ... والمســــــتعير أعـــــــز
«قَرنـــــاكَ» تغـــــدو طحينـــــاً ... والصـــــوف منـــــك يُجَـــــز!

***

يا أحبايَّ

يــا ليــالي مــن جنــب الحِمــى ... قــابلي حَــرَّ الجـوى مــن نــفسي
إن رعينـــا في هـــواكِ الـــذِّمما ... فَلكَـــمْ عنـــدكِ عهـــدٌ قـــد نُسي
يــا أحبّــاي وإن حــال الــودادْ ... وذوى غصـن الصِّبا وهـو رطيـبْ
فلكــم مــا بــين أضــلاعي فــؤاد ... حظُّــه مــنكم عــذابٌ ووجيــب
فسقى دمعــي لاصـوبَ العهـاد ... زمنــاً مــرَّ ولم يــدرِ الرقيــب
تُشـهدُ الأرض بنـا شُـهب السـما ... فســـوى الريبـــة لم نحـــترسِ
عَرِيـــت أشـــواقُنا لكـــنما ... حاكــتِ العفــةُ أبهــى ملــبس
يــا مــراح العــيش في «الحـيرة» ... لا زلتَ ضحَاكا من الغيث العميمْ
كنــتَ فينــا للتصــابي مــأهلاً ... حيــثُ صـح الجـو واعتـل النسيم
إن يكــن روض شــبابي أمحــلا ... فلقـــد يُقنعنـــي منــه الشــميم
ليــت مــلاّكَ الهــوى مــا حرّمــا ... ثمـــرَ اللَّهـــو عـــلى المغـــترسِ
ودرى أيَّ فـــؤاد إذا رمـــى ... منـــه أضـــحى نهـــزةَ المفـــترس

يـــا مواثيـــق عهـــود ســـلفتْ ذكّـــري أحبابنـــا مـــا عاهـــدوا
وانشُـــديهم نفـــس حـــر تَلَفَـــت في هـــواهمْ ضَـــلّ عنهـــا الناشـــد
عَرفـوا كـفّ النـوى مـا خلّفـت فيَّ لـــو بعـــض همـــومي كابـــدوا
لا تـــرى في الحـــب خَطبْـــاً مـــثلما مُصْـــعَبٌ يُعطـــي قيـــادَ المســـلسِ
شـــيمة منهـــا أُعيـــذ الكَرمـــا يستوي المحســـنُ فـــيكم والمسِي
لي فـــــؤاد فـــــيكُمُ إن سُـــــعِّرا بلظى الشـوق يَقُـلْ :هـل مـن مزيـدْ
أفمِـــن أجـــل حـــديث مفـــترى يؤخـــذُ المغـــدور بـــالحكم العنيـــد
أم كـــذا الأحبـــاب كـــانوا أم تـــرى ضاعت الأخلاقُ في العصر الجديـد
كـــيفما شـــئتمْ فكونـــوا إنـــما لكـــم انقـــادت ضـــعاف الأنفـــسِ
لم يَـــدَعْ منهـــا الجفـــا إلا دَمـــا كبقايـــــا غســـــقٍ في غلـــــس
أنا مـا استبدلتُ عـن كـاس اللَّمى بـــــدلا يشـــــهدُ لي مرشـــــفُهُ
ذكِّـــروه العهـــد والســـفح ومـــا ضـــمَّنا إن قـــال لا أعرفُـــه
فـــإذا رقَّ فقولـــوا حرّمـــا ربُّـــك الظلـــم فلِـــمْ تُتْلِفُـــه
وإذا مـــا أزور قولـــوا أجرمـــا وهـــو مـــن عَطْفـــك لمـــا ييـــأسِ
إنـــما الحـــب ضـــلال وعمـــى فاهـــدِهِ نـــورَ الرضـــا يســـتأنس
مســـتهام بكُـــمُ إن عَنَّفـــا عـــاذلٌ داجـــاه عـــن أشـــواقِهِ
قلـــت : لا ترجـــع لعهـــدٍ ســـلفا إن عمـــراً شـــبَّ عـــن أطواقـــه
قـــال غالطـــت خبـــيرا عرفـــا كـــل مـــا في القلـــب مـــن إخفاقـــه
قلـــتُ يـــا قلـــبُ نقضـــت المبرمـــا أنـــا لـــولاك شـــديدُ الململمـــسِ
ظـــالم خاصـــمته فاختصـــما آه لـــو أمهـــل دقُّ الجـــرس

هجرت الديار

هجـرتَ الـديارَ فقلـتُ العفـا ... لربـــــع السّرور وزُوارِهِ
وبــتُّ بليــل لفــرط الأســى ... كَلَيــل الضــجيع عــلى نــاره
وظـــل يحـــن فـــؤاد المشـــوق ... لـــذكر الحبيـــب وأخبـــاره
تفـــيض دُمـــوعي بتَـــذكاره ... زمانـــاً تَـــقَضّى بأوطـــاره
ولوبِنتَ «لا بنتَ »عن ذا المحيط ... لضـــاق عـــليَّ بأقطـــاره
أطلـــت المُقـــام ألا عـــودةٌ ... تحيـــي « الغـــريَ » بـــأنواره
لعمـــري أســـاء إليـــك الصـــنيع ... زمـــان يُشـــاب بأكـــداره
كـذا الـدهرُ كـم حـاز مـن خامـل ... وحـــرٍ تصـــدى لأفكـــاره
علـــوت عـــلى موجـــه بعـــدما ... تحـــداك عـــارم تيـــاره
تـــنُم بطيـــب شـــذاك الـــبلاد ... كـــما الـــروضُ فـــاح بأزهـــاره
بعيشـــك شـــاطر فـــؤادي الهمـــوم ... فقـــد ضـــاق صـــدري بـــأسراره
فمثلـــك يُـــنهِضُ قطـــرَ العـــراق ... ويَجْمـــعُ أشـــتات أحـــراره
فـــلا تحـــرِم الشرقَ مـــن مقـــولٍ ... تـــروع عـــداه ببتـــاره
دُعُـــوا ودُعيـــتَ لـــنظم القـــريض ... فكنـــتَ السَّـــبوقَ بمضـــماره
فهـــل أنـــت تغنَمهـــا فُرصـــةٍ ... فتُـــنهِضَ قطـــركَ مـــن عـــاره

***

الشباب المر

طوت الخطوبُ من الشباب صحيفةً ... لم ألـــقَ منهـــا مـــا يُعِـــز فراقهـــا

ومسهدٍ راع الظلامَ بخاطر لو كان بالجوزاء حَلّ نطاقها
ترنو له زُهرُ النجوم وإنها لو أنصفته لسَوّدتْ أحداقها
أفدي الضُّلوع الخافقات يروعني أن الرقاد مسكّن خفاقها
وأنا المؤاخذ في شظايا مهجة حَمّلْت مالا تستطيع.. رقاقها
ضمنت لي العيش المهنأ لوعة أَخذت على شُهْب السما آفاقها
يشتاق إن يردَ اللواذع منهلا صبٌ ولولا لذةٌ ما اشتاقها
هزجٌ إذا ما الوُرق نُحن لأنني خالفت في حب الأسى أذواقها
كم نفثةٍ لي قَنّعتْ وجه الدجى هماً وأوحت للسُها إخفاقها
ومهونٍ وجدي عَدَتْهُ لواعجٌ أخرسن ناطقَ عذله لو ذاقها
ما في يديْ هي مهجةٌ وهفا بها داءٌ ألّح.. وَعبرةٌ وأراقها
يا مهبِطَ الرسل الدعاة إلى الهدى عليا بنيلـ ـن العلى ما عاقها
زحفت بمدرجة الخُطوب ففاتها شأو المُجِدِّ من الشعوب وفاقها
لحقت فلسطينٌ بأندلسٍ أسىً والشامُ ساوت مصرَها وعراقها
مهضومةٌ من ذا يرد حقوقها وأسيرةٌ من ذا يفُك وَثاقها
يسمو القويُّ وذاك حكم لم يدع حتى الغصونَ فشذَّبت أوراقها
نقضت مواثيقَ الشُّعوب ممالكٌ باسم العدالة أبرمت إرهاقها
لم تُنْصفوا الأمم الضِعافَ ورَدْتُمُ عذْب الحياة وأُوْرِدت غَسْاقها
إن الذي قسم الورى جعل الحبا نصفاً وقسَّم بينهم أرزاقها
هُبي ليوثَ المشرقينِ وجددي منها الحياة وقوّمي أخلاقها
صبحٌ من الآمال أشرق إن يكنْ حقاً فشمسكَ عاودت إشراقَها
أسمعت تَهْدار الأُسود مهاجة تحمي العرينَ وهل رأيت وفاقها

تلك الشُّعوب المستكينة من جلا عنها القذى؟من حثَّها؟ من ساقها؟
ولقـــد علمـــت بـــأن ذاك لغايـــة تســـمو بهـــا إذ أكثـــرت إطراقهـــا
لـك في محـاني « الـدردنيل » معاصـم آلـــت تمـــد عـــلى رُبـــاك رِواقهـــا
حلَفت بمجد الشرق لا خانـت لـه عهـــداً..فـــأحكمَ حِلفُهـــا ميثاقهـــا

***

الروضة الغناء

نسـجَ الربيـــع لهـــا الـــرداء الضـــافي وَهَمَـتْ بهـا كـفُّ الحيـا الوكّـافِ
فضَّـــت بهـــا عـــذراءَ كـــلِ ســـحابة خطـــرت فنبهـــتِ الهـــزار الغـــافي
قضّى الربيـــع بهـــا ديـــونَ مَصـــيفها مـن سَـح كـل مـدرة الأخـلاف
الحـب مـا ضَـمِنـ ضُـلوع سمائها للأرض لا مـــا يدعيـــه الجـــافي
قلـب كـما اتَّقـدت لظـيٍ.. وجـوانحٌ رَغْـدٌ وجَفـنٌ دائـم التَّـنزاف
إن الـــذي قَســـم الحظـــوظَ مواهبـــا أعطـى الربيـع نِقابـة الأريـاف
وكـــأنما لبســـت بـــه أعطافهـــا حُلـلا يُوشِّـها الَّسـحاب ضـوافي
وكـأنما هَـزَجُ الرعـود إذا حَـدتْ ركـبَ السـحاب بشـائر الألطـاف
وكـأنما العُشـبُ النضـير خمائـلٌ ومـن الـورود لهـا طِـراز وافي
وكـأن ميـاسَّ الغُصـون إذا انتشـى غِبَّ السحاب يُعبُّ صِرف سلاف
وكـأن مختلـف الـورود صـحائفٌ فيهـا تُخـط بـدائع الأوصـاف
وكـأن خـلاّق الطبيعـة شـاعرٌ نَظَـمَ الريـاض قصـائداً بقـوافي
وتلبـد الجـو المغـيم كأنـه قُطـرٌ عرتـه سياسـة الإجحـاف
وكـأنما المـاء النمـير مهنـد للمَحْـل تصـقُله يـد الإرهـاف

وكأنـــه سَـــلَبَ الأصـــيلَ رداءه أو دسّ قـرنَ الشـمس في الأجـراف
أيـــن الصـــفي سرائــراً وخلائقـــاً يحكـي لنـا لُطْـفَ النمـير الصـافي
مترقرقــاً تلقـــى الســماء بأرضـــه لـولا خيـالُ تشـابك الصفصـاف
وتخـــال إن لمعـــت حَصـــاهُ لآلئـــاً تُجْـلى بكـف النِّقـدِ الصرّاف
ترتـــد عنـــه الطـــير وهـــي مُليحـــة ممـا عليـه مـن الجـلال الطـافي
أوحـــى النســـيم إليـــه أن عواصـــفاً بعـدي فـأرجف خِشـية الإرجـاف
واهتـــاج حتـــى ود أن ضـــفافه سـالت فلـم يُصبحْ رهـين ضفاف
ليـــت الـــذي قـــاد الزعـــازع ردّهـــا عـن مثـل هـذا الجـوهرِ الشـفاف
الروضـــةُ الغنـــاء مفـــرشُ لـــذتي حيـثُ الخيـالُ مطَّـرزُ الأفـواف
تتســـاند الأعشـــاب في جَنَباتِهـــا فـترى القـويَّ يَشُـدُّ إزر ضـعاف
باكرتُهـــا والـــنجمُ متقـــدُ الســـنا لِهثٌ وقـد ضرب الـدجى بسِجاف
والطـــيرُ يكـــتم نطقـــه متحـــذراً خـوف انتبـاه الصـبح للأسـداف
حتـــى إذا مـــا الفجـــر حـــان نشـــوره وسـطا الصـباح بجيشـه الزحـاف
خلعـــت عليـــه ذُكـــا مـــلاءة نورهـــا فتبـاشرت منهـا ربّـى وفيـافي
فأخـــذت أنشـــدها وعنـــدي هـــاجس أخـذ الهمـومَ علـيَّ مـن أطـرافي
لـــو شـــاء مـــن ضـــم الأزاهـــر لم تكـــن لتعيـثَ في الأكـوان كـف خـلاف
ولِمـــا تزاحمـــت القـــوى وتهافتـــت منهـا سِـهامٌ لانتهـاك عجـاف
متكـــالبين كـــأنَّ رب لغـــاتهم مـاخط فيهـا لفظـة الإنصـاف
لـــو أن ألقـــاب الـــورى في قبضـــتي حـلَّ الوضـيعُ محَلّـة الأشراف
لـــو كـــان في مـــال الغنـــيِّ لمعـــوزٍ حـق لسـادت عيشـة بكفـاف
يســـمو الغنـــي عـــلى المُقـــل وعنـــده أن الثـــراء قـــوادم وخـــوافي

عــائوا بشــمل الاجـتماع فحبــذا ... يــومٌ يَعيــث القصــد بــالإسراف
خــير مــن الأشر الضـنين صــعالك ... لا يســألون النــاس بالإلحــاف
لِتبَجــلِّ النــاس الغنــيَّ فــإنني ... كلــفٌ بتبجيــل الفقـير العــافي

***

النقمة

قــد كنــتُ أقــربَ للرجــاء ... فصرت أقــربَ للقنــوطِ
كــلُّ الــبلاد صــعودٍ .. ... والعــراقُ إلى هبــوط
في كــل يــوم مبــدأٌ.. ... أُواهُ مــن هــذا السُّــقوط
وطــنٌ أقامــت ركنــه ... شــبابنا بــدم عبــيط
يــا للرجــال تلاقفتــه ... يــدُ الأعــاجم والنَّبــيط
سـقط النشـيط عـلى افتقـار ... الخــاملين إلى النشــيط
ولقــد بَكَيْــتُ عــلى حُبوطِـكِ ... يــا بــلادي لا حبــوطي
يــا نــائماً مــا نَبَّهَتْــهُ ... الحادثــاتُ مــن الغطــيط
لم يبــقَ مــن نســج الأكــفِّ ... المحكــمات ســوى خُيــوط
خُـدِعت جمـوعٌ عـن صريـح ... الحــق بــالكَلِمِ البســيط
أبــداً تَقَــرُّ عــلى ضــياع ... في حقــوق أو غمــوط
أمــا أنــا فكــما تــرى ... بــين الطبيعــة والمحــيط
أُفِ لهــا مــن عيشــةٍ ... مــا بــين وغــدٍ أو لقــيط
يــا شــعرُ ثُــرْ إن الشــعور ... مهــدَّدٌ يــا نفــس شــيطى

***

أمنعم القلب الخلي

أمــــنعمَ القلـــب الخـــلي — تركتنـــي حِلْـــفَ المحـــنْ
لم تـــرع عهـــد فتـــى رعـــاك — عـــلى السريـــرة وأتمـــن
ســـل جفنـــك الوســنان هـــل — علمـــت جُفــوني مـــا الوســن
لحـــظ الحبيـــب أثـــار بـــين — النـــوم واللحـــظ الفـــتن
إن كــــان لا بـــد الرِّهــــانُ — فرحمـــــةً بــــــالمرتهن
رفقـــاً بقلـــب مـــا درى — غـــيرَ الشـــجى بـــك والشـــجن
يصـــبو لـــذكرك كلـــما — نـــاح الحـــمام عـــلى فـــنن
أخشـــى يطـــول عـــلى الصراط — عـــذاب مطلعـــك الحســـن
مـــا ضرَّ مـــن ضـــمن الحشـــا — لـــو كـــان يرعـــى مـــا ضـــمن
طَـــرْفٌ قريـــر كـــان فيـــك — رمـــاه هجـــرك بالـــدَّرَن
الله مـــــاذا حَمَّلـــــت — كـــفُّ النـــوى هـــذا البـــدن
لا تحســـبوا مـــاءَ الفـــرات — كعهـــدكمْ فلقـــد أجَـــن
حســـد الزمـــان ليالـيـــاً — سَـــمَح الوصـــال بهـــا فضـــن
أعـــذَرْتُمُ لـــولا النـــوى — ووَفَيْـــتُمُ لـــو لا الـــزمن
لـــو تشـــترى بـــالروح — أيـــام الصـــبا قـــل الـــثمن
ولقـــد وقفـــتُ بـــداركمْ — وكأنهـــا بطـــن المِجَـــنْ
يـــا مـــألف الأحبـــاب حُلْـــتَ — وحـــال عهـــدُك بالسَّـــكن
واعتضـــتَ آرامـــاً ســـوانحَ — فيـــك عـــن ريمـــي الأغـــن
وذَعْـــرتَ سِربي بـــالفراق — فليـــت سربَـــك لا أمِـــن

ويـــحَ المعـــذب بالبِعـــاد تَهيجُـــه حتـــى الـــدِّمن
مـــاذا عـــلى العُـــذّال إن وجـد المقـيم بمـن ظعـن
أيـــلام إلْـــفٌ بـــأن عنـــه أليفُـــه فبكـــى وحـــن
لـــو لم يشُـــفِ القـــوس مرمـــى سـهمه مـــا كـــان رن

***

النشيد الخالد

تزاحمـت الآمـال حولـكِ وانـبرتْ قلـوب عليـهنَّ العُيـون شـواهدُ
مشت مهجتي في إثرِ طرفِكِ واقتفت دليـل الهـوى والكـلُّ مـنهنَّ شـارد
حُشاشةُ نفسٍ أجهدت فيك والهوى يطاردهـا عـن قصـدها وتطـارد
أجابـت نفـوسٌ فيـك وهـي عصـية ولانت قلوب منك وهي جلامد
أعـلَّ السُّـها مسرى هـواك وأوشـكت تَنـازَلُ عـن أفلاكهـنَّ الفراقـد
ورغبَنـي في الحـب أن لـيس خاليـاً من الحـب إلا بـارد الطبـع جامـد
إذا كان وحي الطرف للطرف مدليا بـأسرار قلبينـا فـأين التباعـد
خلـيلي مـا للعـين في الحـب ريبـةٌ إذا كُرمـت للنـاظرين المقاصـد
ولي نزعـات أبعـدتها عـن الخنـا سـجية نفـس هـّذبتها الشـدائد
أقاويـل أهـل الحـب يفنـى نشـيُدها وأمـا الـذي تُمـلي الـدموع فخالـد
ومـا الشـعر إلا مـا يـزان بـه الهـوى كـما زينـت عطـل النحـور القلائـد

***

سلام على أرض الرصافة

صبوت إلى أرض العراق وبَرْدها إذا ما تصابى ذو الهوى لربى نجدِ
بلاد بها استعذبتُ ماء شبيبتي هوىٍ ولبست العزَّ بُرداً على برد
وصلت بها عمرِ الشباب وشَرخَه بذكر على قرب وشوق على بعد
بذلت لها حق الوداد رعايةً وما حفظ الود المقيم سوى الود
سلام على أرض الرُّصافة إنها مراح ذوي الشكوى وسلوى ذوي الوجد
لها الله ما أبهى ودجلةُ حولها تلف كما التف السوارُ على الزند
يعطر أرجاها النسيم كأنما تنفس فيها الروض عن عابق النَّد
هواؤكِ أم نشر من المسك نافح وأرضك يا بغداد أم جنة الخلد
أحباي بالزوراء كيف تغيَّرت رسوم هوىً لم يرع جانبهُ بعدي
رَضِينا بحكم الدهر لا جو عيشنا بصاف ولا حبل الوداد بممتد
كأن لم نحمِّلْ بيننا عاتق الصبَّا رسائل أعيته من الأخذ والرد
جفوتم ولم أنكر جفاكم فلستمُ بأولِ صَحْب لم يدوموا على العهد

***

لا تفكوا أساره

شباب ولكن في هواكم أضعتُه وغرس ولكن ما جنيت ثمارهُ
أسَرْتُم فؤاداً لا يحب انعتاقه بحب سواكم ما رضيتم إساره
خذوه تُريحوا أضلعاً كابدت به هموماً برتها .. أبعد الله داره!!
ولم أنس يوم السفح إذ طلَّه الندى ولا كأس إلا طرفه فأداره

أقــول لــه لا ترجــع اللحــظ إننــي   مــن النظـرة الأولى عَرفـتُ اقتـداره

***

الشاعر السليب

«بَلِينا ومـا تَبْلى النجـوم » الرواكـدُ   رسـومٌ عَفَـت منهـا العـلا والمحامـدُ
أصــاخَ بهــا للجهــل طــيرٌ مشردٌ   وسـابت بهـا للغـي رُقْـمٌ أسـاود
وليلــة بتنــا بــالغريّ بســاطُنا   رياض.. ومن خد الشقيق الوسائد
تخال الصبًا إما سرت كفٌ لا قـط   وقـد نُظِمـتْ للطـلِّ فيهـا فرائـد
تجمــع للأحــزان جــو ملبــدٌ   وهبـت مـن البلـوى ريـاحٌ رواكـد
ومـا شــجا أن الثلاثــة قــادهم   لما قـادني حَـظٌ عـن الكـل شـارد
صــغارٌ بغــوا للنحــو شرً وســيلة   تضِــل بهــا للســالكين المقاصــد
يقولـون أعْـرب قـام زيـد وخالـد   ومـا جـرّ إلا الشـؤمَ زيـدٌ و خالـد
فقلتُ: لئن قاما فذاك الفعل حـاضر   وقـد بـان عـما تسـألون الشـواهد
وقـالوا : جلاميـدٌ أقيمـت مُحَارِبـاً   فقلـت : جسـومٌ دونهـن الجَلامـد
فلـما دنونـا وانجـلى ضـوء بـارق   من الحق جلّى الظنُ والظن فاسد
هناك التقى الجِنُحان منها وأخفقا   ضـعيفان مقصـودٌ هنـاك وقاصـد
ومـا مـنهمُ إلا كـما الـبرجُ نـاهض   علينا ومثل الكلب للترب ساجد
يقولون : لا تَهمِس وبالهمس قولهم   فقلـت : استوى منا خـليٌّ وواجـد
أراكم «حسبتم كل بيضاء شحمةٍ»   من الناس أو ضاقت عليكم فدافد
وإلا فهـل أغنـتكُمُ عـن طرائـف   مـن المـال هـذى الباليـاتُ الأوابـد
لهـم حسـب في اللـؤم دقًـت عروقُـهُ   طوارفُــه تســمو بهِــم والتوالــد

مُحالاً أرى تصحو من الغي قفرة ... أراذلها تُكسى وتَعرى الأماجد
لئن سلبوا ثوباً أرَثَّ فبعدما ... كستهم ثياب العار مني القصائد

***

على ديوان ابن الخياط

وما الروضُ رواحَهُ مثقَلٌ ... من المُزن يَحْمِلُ ما لا يطيقُ
فعاطاه من صوب أكوابه ... هنالك ما لا يعاطي الرحيق
وفَضَّت لطائمَهُنَّ الرياحُ ... عليه كما فاح مسك فتيق
بأحسنَ مما أجاد القريض ... وحلاه هذا الكلامُ الرشيق
بألفاظه وهي غرٌّ رِقاقٌ ... ومعناه وهو الغريب الدقيق
سيُبْلى زمانُك حتى الحديد ... ويُبليه هذا النسيجُ الرقيق

***

صوت من النجف

أنابغةَ الدين الذي دون عِرضه ... تدافع يُسراه وتحمي يمينهُ
مقالُك هز المشرقَيْنِ وقد بكى ... لما هاجه ركنَ الصفا وحَجونه
شحذتَ له الذهن الذكي توقداً ... كما شحذت عضبَ الغرار قُيونه
فجاء كما راقت شَمولٌ أجادها ... بنا جَوْدُها دهراً سَفَّتْ سنينه
وما كنت شيعياً ولكن مذهباً ... دعاك لكف الظن عنه يقينه
صدقتَ فإما ذنبه فسكوتُهُ ... لدنيا وأما عاره فسكونه
كثيرٌ محبوه الكرام وإنما ... لما قد عراه أخرستهم شجونه

هـو الـدين أمـا حاكمتـه خصـومه	فقرآنـهُ يـقضي علـيهم مبينـه
ومـا هـو إلا واحـد في جميعـه	وإن رجـم الغـاوي وسـاءت ظنونـه
أخـلايَ مـا أحـلى التـآلفَ في الهـوى	إذا كثُـرت عُذّالُـهُ وعُيونـه
هلُمـوا فهـذا الـروض زاهٍ أريضُـهُ	لنرتـاده والمـاءُ صـاف معينـه
نسـير معـاً لا العـرق منـي بنـابِض	سـواكم ولا عهـد الإخـاء أخونـه
فلو ريْـمَ كشفُ السـتر عـن قـبر أحمـدٍ	إذن لشـجانا نَوْحُـه وحنينـه
تجمعنـا مـن أمـره لـو نطيعـه	ووحـدتناً مـن عهـده لـو نصـونه
أعـد نُصرةَ الإسـلام تقـض دُيونـه	سـيَجزيك عنـه الله فالـدين دينـه
أثرهـا عـلى اسـم الله نفثـةَ واجـد	تهـيج الـذي يطـوى عليـه حزينـه
ألسـتَ الـذي إن قـال أصـغت لشـعره	رياض الحمـى واستنشـدته غُصـونه
يبـين لـه السرُّ الخفـي إذا خفـى	عـلى غـيره مـا لا يكـاد يبينـه
وتُـرقص أوتـار القلـوب لحونـه	يُخـال بهـا مـسُ الصِـبا أو جنونـه
فـلا تبتـئسْ إن طاولتـك قصـائر	وناطحـك الكـبشُ الخفـاء قرونـه
فـذلك دأب الـدهر جـرَّع مـن مضى	بمثـل الـذي جُرِّعَتـه منجَنُونُـه
مضى عـالم الآداب عنـا فهـذه	حقائقـه تفنـى ويحيـا مُجونـه
وللعلـم مثـلَ الشـعب عمـرٌ مقـدر	وكـلا أراه حـان للمـوت حنينـه
أفي العـدل يعلـو مـن ذُبـاب طنينـه	ويَصـغِر بالليـث الهزبـر عرينـه
ويسـكت عـن حـق ويعـزى بباطـل	وتـغضي عـلى هضـم الأبي جُفونـه
ويُظلـم مـن كانـت تهَـشُ لصـوته	سهول الفلا شوقاً وتبكي حُزونه
يُـردّ في صـدح الهـزار صُـداحُهُ	وتسـتقطر الصخر الأصـم لحُونـه

وما كان بالمستضعف العزم من سطا ... بعــز المعــالي والمعــالي تُعينــه
وراءك أقــلام يهــوِّن وقعُهــا ... شبا السيف إن ساوى القرينَ قرينه
تُمَــدُّ بهــا أيــدٍ طِــوال يُطيعهــا ... البيــانُ جنيبــاً إن تعاصــت فُنونــه
ويَرْفِــدها الفكــر الغزيــر كأنــه ... مصــبُّ غــدير طافحــات مُتونــه

***

أعيذكم من كذبتين

خــذوا كبــدي قبــل الفــراق فإنهــا ... معــودة ألاّ تَقَــرَّ عــلى النَّــزْح
ومــن نسمات الصــبح روحٌ جديــدة ... بعثــتم بهــا لي قبــل منَبلج الصــبح
يــذكرِّني عليــاكُمُ رونــقُ الضــحى ... إذا ارتفعت شمس النهــار عــلى رمــح
ونُبِّئــتُ أن البعــد أورى زنــادكُم ... فلــم تعِرفــوا غــير الوقيعــة في قــدحي
هلمــوا انظــروا قلبــي فــإن صــفاءه ... يبــين الــذي خلَّفــتمُ فيــه مــن قَــرح
محضــتُ لكــم رشــح الــوداد كعــادتي ... ولم تعرفــوا لي غــير مختــلط الرشــح
لــئن سركــم أني إلى العــيش كــادح ... لقــد ســاءني أني لغــير العــلى كــدحي
فــما عرفــت كفــي التســول للغنــى ... ولا صــافحت كفــاً تمُــدُّ إلى المــنح
وإنيِّ مــذ فــارقتكم كــان لي غنــى ... وشــغل عــن المــال المجمــع بــالطرح
أَعيــذكُمُ مــن كــذبتين فلــم يكــن ... ليصْــدقَ في الــذم المصــدَّق في المــدح

***

على أطلال الحيرة

وقفــت عليــه وهــو رِمــةُ أطــلالِ ... أســائله عــن ســيرة العصُر الخــالي

مضَوا أهلُه عنه وخُلّف موحشاً ... معاصرَ أجيال مترجمَ أحوال
خليليَّ ما لوح الكتاب مخلَّداً ... بأفصحَ منه وهو مندرس بالي
مهيجَ بلبالِ المناذرةِ الأولى ... بأنسك هجتَ اليومَ بالحزن بلبالي
أهابُك إنْ أدنو إليك كأنني ... أرى الملكَ الغضبانَ في دسته العالي
أفي يوم بؤسٍ أم نعيم زيارتي ... إليك لَقد خاطرت بالنفس والمال
أخاف «أبا قابوس» أن لا يسره ... لساني ولا يُرضيه شكلي ولا حالي
أبعد ابن ذبيانٍ زيادٍ لسانِهِ ... ونابغِه يُصغي ليسمع أقوالي
بلادك يا «نُعمان» سلْ كيف أصبحت ... فغيرُك ليس اليوم عنها بسآل
فلا تحسبنْ أن العروبة معقِلٌ ... منيعٌ فقد أضحت نِهابا لدُخّال
ولا تحتقرْ هذا المقالَ فإنه ... وإن قلَّ يكبو دونه كلُّ قوّال
لقد أعدت العربَ المقاويلَ رطنةٌ ... وزمزمةٌ ليست بزجر ولا فال
لو أن «زياداً» و«المنخّلَ» راجعا ... زماني لما جاءا براء ولا دال
يَعيبُكِ يا أم الجهال مبغّضٌ ... من القول عارٍ عن جمال وإجمال
خليليّ باع الناس بخساً بلادهم ... فما لي وحدي سُمتها الثَمن الغالي

***

وخزات

طال السكوت لأمرٍ ... خيراً عسى أن يكونا
قالوا ليوم وشهرٍ ... فكيف عاد سنينا
ما بين «أمرٍ» و«خمرٍ» ... ظنَّ العراق الظنونا
لا تفهموا من كلامي ... يا ناس أيَّ اعتراضِ

أســـــاخطٌ ليــــت شـــعري ... «مـــولاي» أم هـــو راضي؟!
« طيـــــارة» في بـــــلادي ... تَكفـــي لحـــلِ « المشـــاكلْ»
وحفنــــــةٌ مــــن نُضـــار ... تهُـــدُّ كـــل « الهياكـــل »
أصـــاحب « الأمـــر »يهـــوى ... شـــيئاً ونحـــن نجـــادل
نُريـــد وضـــعاً جديـــداً ... لكـــن بغـــير مخـــاضِ
شـــعبي لهـــذا وهـــذا ... غنيمـــةٌ بـــالتراضي
أشـــكو ضَـــياعيْ ولكـــن ... أشـــكو مـــن الحُـــرّاسِ
مـــاذا جنتْــــه بـــلادي ... مـــن كـــل هـــذا الغِـــراس
أمـــا أنـــا فـــبرأسي ... لم يبـــقَ أي «عُطـــاس»
لم يبـــقَ أيُّ حـــراك ... في قلبـــي النضَّـــاضِ
يـــا حـــاكمي.. ياخصـــيمي.. ... اقـــضِ بـــما أنـــت قـــاض
أواجــــدون لشـــعبي ... في كـــل يـــومٍ دسيسَـــةْ
يَهنْـــيكُمُ قـــد أكلـــتم ... حتـــى عظـــامَ الفريســـه
حتـــى « الدجاجـــةُ» تـــأبى ... ترفعـــاً أن تسوســـه
قالـــت بـــما في مبـــيضي ... مـــن صُـــفرة وبيـــاض
وزارة أنـــــا فيهـــــا ... قبلتهـــا بامتعـــاض
ظننـــتُ مـــاءً فلـــما ... ســـبحتُ سَـــبْحاً طـــويلاً
لم أُلـــفِ إلاّ سرابـــا ... وســـاء ورداً وبـــيلا
أردت شـــيئاً كثـــيراً ... لم أُعـــطَ حتـــى القلـــيلا
العـــيشُ صـــوّح لكـــن ... آمالُنـــا في ريـــاض
عـــن دجلـــةٍ وفـــراتٍ ... غنـــى لنـــا بالحيـــاض

مستهام

إن سعى الواشي يُريك الغَيَّ رشداً　　لا تكن أهلاً وصُن للود عهدا
حاشَ لله بقايا ذمةٍ　　منك أن تُشْمِتَ بي خصماً ألدا
أنا إنْ بُلِّغتُ عنكم ريبةً　　قلت :شكراً لهم مني وحمدا
وإذا قيل جفا من سلوة　　قلت :لا أسلو وإن عاف وصّدا
مستهام كَرَعَ الدمع فما　　زادَه إلاجوى فيكم ووقدا

***

تذكر العهود

أُعِدَّ لك النَّهجُ الواضحُ　　فسِر لا هفا طيرُك السانحُ
وحيّاك ربك من ناصح　　إذا عزّنا المشفقُ الناصح
يحدث عنك بطيب الهُبوب　　نسيمٌ له عبقٌ نافح
فكل مكان ربيع يروق　　وكل تراب شذىً فائح
سلام الإله على طالع　　يحارُ بطلعته المادح
مَهِيب يرُدُّ سناه العيون　　وإن أُجْهد النظرُ الطامح
مليكَ العراق وكم جمرةٍ　　يَضيق بأمثالها القادح
ينوح المغرد شجواً فلا　　يَغُرَّنكَ إن غرّد النائح
أَنُبِّئك أن الفؤاد الرقيقَ　　يُمضُّ به الحادث الفادح
ألا لا يُقلْ.. وحُبيتَ الحياةَ..　　وريدُك أنت له ذابح
وإنك مستبدِل باليَسار　　يميناً لها الشرف الراجح

وإنـــك خودعـــتَ عـــن نيـــة فـــؤادُ الحســـود بهـــا طـــافح
فقـد سـار بـين حُـداة الركـاب حـديثٌ يـرِق لـه الكاشـح
تـنُمَّ الشَـمال بـه للجَنـوب ويُبنـي بـه الغـاديَ الـرائح
وحاشاك.. حاشاك كيف استُخِفَّ لمـا بلَّغـوا حِلْمـك الـراجح
بـودي لـو مجمـلاتُ الحـديث تبـاح لينشُرَهـا شـارح
لـتعلمَ كيـف خبايـا الصُّـدور ومـن هـو في غيبـهِ جـارح
لـئن سرهـم أننـا عـزَّلٌ فقـد أخطـأ المقتـلَ الـرامح
وفـيمن تصـول لـرد الصَّـيال يمـينٌ لهـا عَضُـدٌ طـائح
تـذكَّرْ لعـل ادكـارَ العُهـود يـراح بـه نَفَـسٌ رازح
غـداةَ استضّـمك في «كـربلاء» وإيـاهم المجلـسُ الفاسـح
هُـمُ ألْقحـوا الأمـر حتـى إذا تمخَّـض لم يجْنـه اللاقـح
فيـا جَـبرَ اللهُ ذاك الكسـير ويـا خَسِرَ الصـفقةَ الـرابح
ووالله لا الـورْدُ عـذبُ النمـير ولا العيشُ مـن بعـدِهِمْ صـالح
وأقسـمُ لـولا أمـنٍ يـراض بتعليلهن الحشـا الجـامح
لبِتنـا وكـلٌّ لـه شـاغل وكـلٌّ علـى قربـه نـازح
ولـولا قـدومُك كـان «الغـري» لفقـدهم وجهـهُ كـالح
وإنـا لنأمـلُ نصرَ اللُّيـوث وأن يلْقـمَ الحجـرَ النـابح
ودام مَقامـك للوافـدين كـالركن مـا مسـح الماسـح

***

يا فراتي

إي وعـيشِ مضى عليـك بَهـيٍّ ... وشُـعاع مـن شَّـطِك الـذهبيِّ
والتفـافِ النَّخيـل حولَـكَ حتَّـى ... لـو تقصَّـيْتَ لم تجـدْ غـيرَ في
وانبسـاطِ السَّـفح الـذَّي زاحمتـه ... دَفَعـاتٌ مـن مَوجـكَ الثَّـوْري
وسـنا الشَّـمس حين مجَّتْ لُعاباً ... أرسـلته مـن نورهـا الـكسروي
فتخـالُ الضـياءَ والمـاءُ مـوجٌ ... في رواح مـن جانـبِ ومجـي
كخيوطٍ من فضَّةٍ بتْنَ طوع الرّيح ... بـين الشـمال والشرقـي
وابتسام البـدرِ المطلِّ إذا ما بات ... يجلـو الـدُّجى بوجـهٍ وَضي
وزمـانٍ حلـوٍ كطـلٍّ نـدّي ... لم يَشُـبْهُ صـفوُ السَّـماء بشي
لو تحولْتَ عن مجاريك أو حُلت ... لمـا جئـتَ بـالنكير الفـري
يـا فُـراتي وهـل يُحاكيـك نهـرٌ ... في جمـالِ الضُّحى وبـردِ الـعَشِي
ملكـتْ جانبيـك عُـرْبٌ أضـاعوا ... إذ أضـاعوا حِمـاكَ عهـدَ قُصي
نضـجتْ بالصَّـغار منهم جلـودٌ ... ولقـد تنضـج الجلـودُ بِكَـي
إي ومجـرى الجيـادِ يـومَ التنَّـادي ... ومجـرِّ الرمـاح حـول النـدى
دنَّسَـتْ طُهْـرَكَ المطـامعُ حتَّـى ... لم تَعُـدْ تَنْقَـعُ الغليـلَ بـرِي
الخَنـى.. أيـن عنـه نفـسُ أبيّ ... و الحِمـىَ أيـن عنـه طَـرْفُ الحَمِـي
لا القنـا يـومَ تنثنـي لِمـذَبِ ... عـن حـريم .. ولا الظبـى لكمـي
آه .. لولا خِصبُ العراق وريفٌ ... هـو لـولاه لم يكـن بمـرِي
ما استجاشتْ له المطامعُ والتفَّتْ ... عليـه مـن المَحَـلِّ الـقَصِي
واستخفَّتْ به الشعوبُ.. وباتَـتْ ... وهـي ترنـو لـه بلحـظٍ خفـيّ

قـد نطقنـا حتَّـى رُمينـا بهُجْـرِ وسكتنا حتَّـى اتُهِمنـا بِعـي

ورضِينا حُكْمَ الزَّمان.. وما كانَ احتكـامُ الزمـانِ بـالمَرْضي

فـإذا كـلُّ يومِنـا مثـلُ أمسِ وإذا كـلُّ رُشـدنا مثـلُ غَـي

وعلمنـا أن لـيس نملـك أمـراً فصـبرناعلى احتكـام « الـوصي »

❊❊❊

النجوى

يقولـون : ليـلٌ علينـا أنـاخ نهارٌ على الغربِ يُعشي العيونا

وأنّـا نسـينا عنـاءَ القلـوب لأنّـا بهـذى الـدُّجى هادئونـا

وأنْ لـيس في الكـون مـن رحمـةٍ يـواسي بهـا مـعشراً آخرونـا

فليـتَ عيونـاً سُـهاداً درتْ بأنـا – كعادتنـا – راقـدونا

سـألناكمُ عـن مَثـار السَّـديم فَعَـنْ حُـرَقِ الهـمِّ لا تسـألونا

فـإنَّ معـاملَكمْ والبخـار وقلبـي وزفرَتـهُ مسـتوونا

أرى أُممـاً هـي والمـالكين متـاعٌ أعـدَّ لِمَـنْ يأكلونـا

نظـنَّهُمُ خُلقـوا للغـلاب وأنّـا خُلِقْنـا لأنْ يغلبونـا

وعصرٌ تَنـاهضَ فيـه الجـمادُ عجيـبٌ بـه يجمُـدُ النّاهضـونا

ألا هِـزّةٌ تسـتثيرُ الشّـعوب فقـد يُـدْرِكُ النَّهْـزَةَ الثائرونـا

ألا قبسـاً مـن شُـعاع الكلـيم تُعيدُ على الشَّرق يا « طُورَ سينا »

خلـيليَّ أيـن نبـوغُ العـراق وأيـن ذوو حُكْمـهِ النابغونـا

أذاكَ الـذّي خَلَّـفَ الـذّاهبون كهـذا الـذّي تـرك الوارثونـا ؟

أغـيرَ المطـامع لا تعرفـون وغـيرَ الهياكـلِ لا تعبـدونا ؟

زفيفــاً وقـــد حلَّـــقَ المعتلـــون ... وزحفـاً وقـد أبْعَـدَ الرّاكضـونا ؟
ولســـنا وقـــد أعجزتنـــا الحيـــاة ... عـن المـوتِ في نيلهـا عاجزينـا
وإن أنسَ لا أنس حـول «الفـرات» ... منـاظر تُصـبي الحلـيمَ الرزينـا
نسـيماً يلاطـف رِخـوَ النمـير ... كـما حـرَّكَ الـوَرَقَ اللاعبونـا
وسـاكن جـوٍ يعيـدُ الأثـير ... كـما الحـبُّ شـاء شـجيّاً حزينـا
ونـوراً كسـا سُـدُفاتِ الأثـير ... جمـالاً يـردُّ التَّصـابي جنونـا
يـدلُّك يـا بـدر هـذا الجمالَ ... على الخَلق لـو أنصفَ الشـاكرونا
كفتنـيْ الكـرى واجبـاتُ المحـاق ... فجئـتُ تَماسَـحُ منـي الجفونـا
تَجَـلىَّ علينـا إلـهُ الشـعور ... سـجوداً معـي أيُّهـا الشـاعرونا
عـلى مَهَـلٍ بعـضَ هـذا الخـداع ... فنُـورك قـد أوهـمَ اللاقطينـا
إذا مـا اعـتلى البـدرُ خـيطَ الرمـال ... تخيَّلهـا الطـرفُ عِقْـداً ثمينـا
بـأمركَ تحريـكُ درع الفضـاء ... وإن رَجَـمَ الخلـق فيـك الظنونـا
سـلامٌ عـلى أنفُـسٍ رفرفـتْ ... مـن الحـبِّ هـام بهـا المغرمونـا
خلـيليَّ حتـى وعـورُ الجبـال ... تَهـيجُ الصـبَّابةَ لي والحنينـا
ولي مضـغةٌ بـينَ عُـوج الضـلوع ... تحاولُ أنْ تجعـلَ الفَـوْقَ دونـا
فـديتُ المُنـى أنَّهـا رَوحـةٌ ... وروحٌ يعـيشُ بهـا الشـاعرونا
ولـولا قلـوب تحـس الأذى ... لمـا عـرف اللـذة العاشـقونا
رقـاقٌ تـرى أنَّ مَيْـل الغصـون ... إذا ما الصبا جالَ في الروضِ هُونا
وإنَّ مـنَ الشّـعْر وهـو الخيـالُ ... عروشـاً وأنهـمُ المالكونـا
خلـيليَّ إنَّ ادكـارَ الصـبّا ... يُهَـيّجُ مـن عيشـنا مـا نَسـينا

هَلُمّـــوا رفـــاقي فهـــذا الضـــياء ســـينشرُ أعمالَنـــا إنْ طُوينـــا
ابـــن أيُّهـــا البـــدرُ كيـــفَ النَّجـــاة وأيـــن اقتنْصـــنا.. وأني رُمينـــا
وكيـــفَ اســـتحالَ صـــفاءُ الربيـــع همومـــاً تصـــاحِبنا مـــا بَقينـــا
وكيـــفَ اختفـــائيَ تحـــتَ الظـــلال زمـــانَ صِـــبايَ مـــع اللاعبينـــا
وكيـــف إذا البـــدرُ حتـــى الوِهـــاد نَخِـــفُّ لطلعتـــهِ أجمعـــونا
نســـير عـــلى خُطُـــواتِ الشّـــعاع كأنـــا إلى غايـــةٍ ســـائرونا
وكيـــف السَّـــلامُ عَقيـــبَ الصِـــدّام .. وكيـــفَ الـــتمازجُ مـــاء وطينـــا
أعيـــدوا الطفولـــةَ لي إنّهـــا تُعيـــدُ النزاهـــةَ لي والقيِنـــا
وليـــلِ أراني دبيـــبُ السَّـــنا بـــهِ كيـــف تحيـــا أمـــانٍ بَلينـــا
وقـــد ذهـــب اللّيـــلُ إلاّ ذَمـــاً كـــما ردَّدَ الـــنَّفَسَ الجارضـــونا
وآذنَ بالصـــبح صـــوتُ الهَـــزار كـــما هـــيَّجَ الـــنَّغَمَ العازفونـــا
صُـــداحٌ هـــو الشّـــعر زاهـــي البيـــان يُكـــذِّبُ مـــا زخـــرفَ المُـــدَّعونا
وكـــم هـــاجَ في شـــدوهِ الأعجمـــي خـــواطرَ أعجـــزتِ المُفصـــحينا
يهـــبُّ عـــلى نَسَـــماتَ الصْـــباح إذا مـــا اســـتهانَ بهـــا الرّاقـــدونا
خلـــيليَّ روح الحيـــاة النَّســـيم فلـــولا انتشـــاقُ الصَّـــبا مـــا حيينـــا
ويـــومٌ تضـــاحكَ فيـــه الرَّبيـــع وحيَّـــتْ ورودُ الرُّبـــى المجتلينـــا
تمشّـــى عـــلى الـــروض روحُ الإلـــه فـــمالَ ومِلْنـــا لـــه ســـاجدينا
حـــدائقُ خَـــطَّ عليهـــا الجـــمال قصـــائدَ أعْجَـــزَتِ النَّاظمينـــا
كـــأن جـــلالَ الهـــوى شَـــفها ففاضـــتْ دموعـــاً وســـالتْ عيونـــا
وســـاقيةٍ بـــاتَ قلـــبُ الـــدُّجى يُعيـــد عليهـــا الصَّـــدى والأنينـــا
جـــرتْ وأجـــرَّتْ دمـــوع الغـــرام فـــلا عَـــذُبَ الـــوِرْدُ للشـــاربينا

عليهــا ريــاضٌ كســاها الرّبيــع مَطــارفَ يَعيــا بهــا المُبــدعونا
أُحِــبُّ الحقــولَ لأنَّ الجمــال تجمَّــعَ فيهــا فنونــاً فنونــا
فيــا ســاكني فَجَــواتِ البطــاح هنيئــاً لكــمْ أيُّهــا الخالــدونا
نعــيماً فــلا الــريحُ خــاوي المهــبّ ولا الــرُّوحُ ذلَّلهــا الطّامعونــا
خلــيليَّ أُفٍ لهــذي المــروج إذا مــا اســتبدَّ بهــا المالكونــا
وليــتَ الفــداء لكــوخ الفقــير قصــورٌ أنــافَ بهــا المُترَفونــا
إذا مــا اســتدارتْ خطــوبُ الزَّمــان ســتعلمُ أيُّهُــمُ الخاسرونــا
فــإن الهبــوطَ بَقــدْرِ الصعــود فــإنْ شئتَ فَوْقــاً وإنْ شئتَ دونــا
وَمــنْ في البســيطةِ يَفــدي البســيط ويفــدي ذَوُو الجَشــع القانعينــا
ألا هَــلْ أتــى نوَّمــاً في العــراقِ أنَّــا لأجلِهِــمُ ســاهرونا
أحبَّتنَــا إنَّ همــسَ البحــار زفــيرُ الأحَّبــةِ لــو تعلمونــا
أصــيخوا ولَــوْ لاهْتــزازِ القلــوب فلــيسِ مــن العــدلِ أنْ تُوحــدونا
إذا مــا وردتــمْ نمــيرَ الحيــاة وراقَ لكــمْ وِرْدُه فاذكرونــا
وإن لاحَ صــبحٌ لكــمْ فــاذكُروا بأنَّــا بليــلِ العمــى خابطونــا
وإنَّ عُضــالاتِ هــذا المحــيط نقــائصُ أعوزهــا المصــلحونا
هياكــلُ أخنــى عليهــا الجمــود فغــيرَ الــذي وجــدوا لــن يكونــا

***

عاطفات الحب

عاطفــاتُ الحــبِّ مــا أبْــدَعَها هــذّبتْ طبعــي وصــفّتْ خُلُقــي
حُــرَقٌ تمــلأ روحــي رقــةً أنــا لا أُنكِــرُ فضــلِ الحُــرَق

أنــــا باهَيْـــــتُ في الهـــوى لا بشــوقي أيــن مــن لم يَشْــتَق
ثـــق بـــأن القلـــبَ لا تشـــغَلُهُ ذكريـــاتٌ غـــيرُ ذكـــراك ثـــق
لســـتَ تـــدري بالـــذي قاسـيتُهُ كيـف تـدري طعـمَ مـا لا تَـذُق
لم تـــدعْ مِنّـــيَ إلا رَمَقـــاً وفـــداءٌ لـــك حتـــى رمقـــي
مُصـــبحي في الحـــزن لاأكرهُـــهُ إنـــما أطيـــبُ منـــه مَغْبَقـــي
إن هـــذا الشـــعر يشـــجي نقلُـــهُ كيـف لـو تسـمعُه مـن منطقـي
ربّ بيـــتٍ كسرت نبرتـــه زفـــرات أخـــذت في مخنقـــي
أنـا مـا عشـت عـلى ديـن الهـوى فهـــواكم بَيْعـــةٌ في عنقـــي

***

في بغداد

يـا نسـمة الـريح مِـن بـين الرياحينِ حيـي الرُصـافة عنـي ثـم حَيّينـي
إن لم تمـــري عـــلى أرجـاءِ شـاطِئها فلَيـــتَ لم تحمـــلي نشراً لـــدارين
لا تَعبَقـــي أبـــداً إلاّ مُعطّـــرةً ريانـــةً بشَـــذَى وردٍ ونسريـــن
أهـديت لي ذكـرَ عَصرٍ قـد حَيِيت بـه مـن عَلَّـم الـريحَ أن الـذكرَ يُحيينـي
حيـثُ الزمـانُ وَريـقُ العـودِ رَيّقـه والـدهرُ دَهـرُ صـباباتٍ تـواتيني
معي من الصحب يسعى كـلُّ مُقتبِلٍ نَضْرِ الشـباب طليـقِ الوجـهِ ميمـون
خـالٍ مـن الهَـمّ لـو لامَسْـتَ غُرَّتـه أعـداكَ واضـحُ تَهليـلٍ وتَحسـين
ولي إلى الكـرخ مـن غربيِّهـا طَـرَب يكـادُ مـن هِـزَّةٍ للكـرخ يرمينـي
حيث الضفافُ عليها النخلُ متِّسقٌ تنظـيمَ أبيـات شـعرٍ جـدِّ مـوزون
وللنســـيم اســـتراقٌ في مرابعهـــا للخطـو مَشْيٌ ثقيـلُ القيـد موهـون

يـا ربـةَ الحسـن لا يُحصَى لـنَحصِره وصـفٌ فكـلُ معانينـا كتخمـين
والله لـولا ربـوعٌ قـد أَلِفـتُ بهـا عيشَ الأليفـينِ أرجوهـا وترجـوني
وأن لي مـن هـوى أبنائهـا نَسَـباً دونَ العشـيرة للأصـحاب يَنميـني
لاخترتُهـا منـزلاً لي أسـتظلُّ بـه عـن الجنـان ومـا فـيهن يُغنيـني
لخـبَّرت كيـفَ شـوقُ الهـائمين بهـا وكيفَ صَفْقُ عـذولي كـفَ معبون
إخوانُنا حيث راقَ الجَسرُ وانتظَمَتْ بروجـه بوجـوه الخـرد عـين
واعتل نشر الصبا من طول ما حملت إلى مغـانيكم أنفـاسُ مَحـزون
فالشمس كل بروج الأفق تصحبها سـيراً وتسري إلى بـرج بتعيـين
سـقاكُمُ ريِّـقٌ مـن صَـوب غاديـةٍ ينهلُّ عـن عـارض بـالبشرِ مقـرون
لا تحسـبوا أن بعُـد الـدارِ يُـذهلني عـنكم ولا قِصرَ الأيـام يُنسـيني
ضِـقتُمْ قلوبـاً لمـا ضـمَّتْ جوانحُنـا لـو كـانَ يسـمَحُ في نشر الـدواوين
ذاوي النبـات هشـيماً لسـتُ آمـنَ من ريح الصَّبا أنها جاءت لتذروني
خـلِّ الملامـةَ في بغـدادَ عـاذلتي عـلامَ في شـم رَوح الخُلـد تَلحيـني
هـل غـيرُ نَفسٍ هَفَـت شـوقاً لمـا لئهـا شـوقاً يصـعِّد بـين الحـين والحـين
أمـا النسـيمُ فقـد حَملتـهُ خَـبَراً غـيرُ النسـيم عليـه غـيرُ مـأمون
مـا سرَّني وفنـونُ العلـم ذوايـةٌ أنَّ الأفـانينَ لُفَّـتْ بـالأفـانين
ولا الربـوع وإن رقَّ النسـيم بهـا إن كـان مـن خَلفهـا أنفـاسُ تِنّـين
هيهـاتَ بعـد رشـيدٍ مـا رأت رَشـداً كـلا ولا أمِنَـت مـن بعـد مَـأمون
أمـا اللسـانُ فقـد أعيـا الضِرابُ بـه وكـان جِـدَّ رهيـفِ الحـدِّ مَسـنون

***

عدِّ عنك الكؤوس

عَدِّ عنك الكؤوسَ قد طِبتُ نَفساً ... واسقينها مراشفاً لك لُعْسا
إن يُحسَّ الغرامَ قلبي فحقٌّ ... خلق اللهُ عَبده لُيحِسّا
لست أنسى عيشي.. وخيرُ زَمانٍ ... زَمَنٌ طِيبُ عيشهِ ليسَ يُنسَى
حبذا دجلةٌ وعيشيَ رَهْوٌ ... طيب الرَوحتين مغدىً وُممْسى
حينَ أيامُنا من الدهر يومٌ ... فيه تُستَفرغ الكؤوس وتُحسى
يَحسَب الشَربُ أنهم علموا الغيب ... وهم يخطئون ظَنّاً وَحدْسا
طاف وهناً بها علينا إلى أن ... لم يكد أن يعي من القوم حِسا
عيَّ منا اللسانُ فالكل خُرْسٌ ... ينقُلون الحديثَ رَمزاً وهَمْسا
رمتُ كأساً ومذ تلجلجتُ أوميت ... بكفي فظنّنت رُمتُ خَمسا
فأتاني بها فلمْ اعتراضها ... حذراً أن يكونَ مثليَ جبسا
إن ردَّ الكريم عارٌ على النفس ... وحاشاي أنني صُنتُ نَفْسا
أُفرغَت كالنُضار بل هي أبهى ... فعليها لم يوجب الشرعُ خُمسا
ولها في العُروقِ نبضٌ خفيٌّ ... مثلما يُمسك الطبيبُ المِجَسا
وكأن النديمَ لما جلاها ... أفقٌ يُطلِعُ المَسرَّةَ شمسا
يا نديمي أمري إليكَ فزدْني ... أو فدَعني فلستُ أنطقُ نَبسا
لا تقطِّبْ إني أرى الإنس جِناً ... وتبسَّمْ لأحسَبَ الجنَّ إنسا
ما ترى الفجرَ والدجى في امتزاح ... مثل خيطَي ثوب خِلاطاً وَمسّا
كم أرادَ الصبحُ المُتاحُ انطلاقاً ... وأرادت له دَياجيه حَبْسا
ما شربنا الكؤوس إلا لأنّا ... قد رأينا فيها لخديكَ عَكْسا

أنـتَ تـدري حرمـانَ ذي العقـل ... في النـاسِ فـزدني منهـا جُنونـاً ومَسـا

لا تُمِلهـا عنـي وفيَّ حَـراكٌ ... واسـقِنِها حتـى تـرانيَ يَبسـا

إن عُمْـراً مسـتلطَفاً باعـه المـرء ... بغـير الكـؤوس قـد بيـعَ بَخْسـا

أنـا حِلـس الطِـلا ولسـت كشـيخ ... خلـسَ الـدينَ وهـو يُحسَـب حِلسـا

لـو يبيـع الخَـمّار دَينـاً بـدينِ ... لاشـتراها وبـاع أخـراه وكسْـا

إن أحـلى مـا يسـبح هـذا البحـرُ ... قـرْعُ النـديم بالكـأس جَرْسـا

لا تلُـم في الطِـلا ولا في انتهـاكي ... مـا أبـى الله .. إذ نهـى أن تُحسّـا

إن نيـل الحـرام أشـهى مـن الحِـلِّ ... وأحـلى نـيلاً وأعـذبُ كأسـا

قـد طويـتُ الحديثَ خوفَ رقيـب ... يبتغـي فيـه مطعنـاً ليَدُسّـا

وهجرنـا الكـؤوسَ لكـن لعُـرسِ ... هـو أصـفى كأسـاً وأطيـبُ أُنسـا

وانتقلنـا لكـن لـبُرج سُـعود ... قَـرنَ الله فيـه بـدرْاً وشَمسـا

هـي جَلَّـت عُرسـاً فزيـدت بهـاءً ... دارةُ المجـدِ إنـهُ جـلَّ عُرسـا

طـاب مُمسـى سروره فليبكِّـرْ ... أبـدَ الـدهر مُصـبِحاً حيـث أمسـى

لـك عـمٌّ أحيـا مزايـا ذويـه ... وأرانـا الجـدودَ تـنفُضُ رمْسـا

لا تلمـه إن هـزَّ للشـعر عِطفـاً ... إنّ فيه مـن دوحـة المجـدِ رِسّـا

هـو أصـفَى مـن اللُجـينِ وأوفى ... في المعـالي مـن الهضـاب وأرسَـى

وهـو إن ينتسِـبْ فمـن أهـل بيـت ... أذهـبَ الله عنـه عـاراً ورِجسـا

بيـت مجـدٍ كـالبحر طـام ولكـن ... أنـت فيـه أبـا الضـائعينِ مَرْسـى

يـا بـنَ بنـتِ البيـت الـذي كـان نَجـماً ... لـكَ سـعداً وفي أعاديـك نَحسـا

لستُ أنسـى مـدحَ الجـواد ومـن كـان ... مـن المـدح فرضُـه كيـف يُنسـى

مستفيضُ الندى وكم من يَمينٍ ... صخرةٌ زلقَةُ الجوانب مَلسا
حَيَّرت مادحيكَ رقةُ طبع ... تَحلِفُ الخمرُ أنها منه أقسى
قد بلونا سجليكَ قبضاً وبسطا ... وخَبَرنا دَهرَيك نُعمى وبُؤسى
فوجدناكَ في الجميع رضيّاً ... وحميداً مصَّبحاً ومُمَسَّى
وهززنا في الأريحية غُصناً ... ورأينا في الدست رضوى وقُدْسا
وكأن اللغات بتن يفرقن ... كلما تشتهيه نِعمَ وبئسا
فكسونَ الصديقَ شهماً ونَدْبا ... واعدن العَدُوَّ نذلاً ونِكسا
وارتديتَ العلى لباساً وتاجاً ... وسواك ارتدى الحريرَ الدِمَقسا
لك كفٌّ كالركن فينا فأقصى ... منيةِ النفَس عندنا أن تُمَسّا
وبليدٍ لا يكتفي من سَنا النار ... بومضٍ.. حتى يجرِّبَ لمسا
قال هل الحقنَة قلتُ : تَعْيَا ... قال : حتى غباره قلتُ : نَحسْا
رُوِّضت كُفّه فلولا رجامُ ... الناس أقرى بها الطيور وعسا
رِدْ نداه وبطشَه وتُقسه ... وارتكُنْ حاتِماً وعمراً وقُسّا
وذكرنا في اليوم عُرسَ عليٍّ ... فكأنَّ السرورَ قد كان أمسى
حيث مُدّاحه تجول وثوب النحس ... يُنضى ومِطرفَ السعد يُكسي
طاب غَرْساً مُصدّقاً لا كمن يُحسَبُ ... نُكراً أن قيل قد طاب غَرْسا
هو قاسٍ أن أغضَبُوه ولكن ... لو يَهُزّ الصَفَا نَداهُ لَحَسّا
لو تكون النجوم بُرداً وتاجاً ... لكسيناكَهُنّ عِطفاً ورأسا
أن علوتم فحقكم أو لستم ... قد رَفَعتم لكعبةِ الله أسسا
هزني مدحُكم فقلتُ ولا يصلُح ... عودُ الغناء حتى يُجَسّا
أيها المقتفُونَ شأْوي هَلمّوا ... وخذوا عَنيَ البلاغةَ دَرْسا

أنـــا آليـــت أن أُعيـــد رســـوماً
منه أضحت بعد ابن حبوبَ دُرسا

أنـــا لا أدَّعـــي النبـــوةَ إلاّ
أننـــي أرجـــعُ المقاويـــلَ خُرسْـــا

أنـا في الشـعر فـارسٌ إن أغالَـب
يكـــنِ الطبـــعُ لي مِجَنّـــاً وتُرســـا

كـل محبوكـةٍ فـلا تُـبصرُ المعنـى
مُعّمىً ولا تـــرى اللفـــظ لَبْســـا

وإذا مـــا ارتمـــت عـــليَّ القـــوافي
نلـــتُ مختارَهـــا وعِفـــتُ الأخســـا

إن أكـن أصـغرَ المجيـدين سِـناً
فأنـــا أكـــبرُ المجيـــدين نَفْســـا

طبقّـت شـهرتي الـبلادَ ومـا
جـاوز عمـري عشراً وسبعاً وخمساً

***

على مجلسي

عـلى مجلِسي مادمت حيـاً أخطُّهـا
وفي مرقدي إن مِتُّ خطواً نصائحي

فهـل غـيرَ أن أقضي وعنـدي بَثّـةٌ
نعم سوفَ أشكوها لأهل الضرائح

بعـين الهـوى لي بـالفراتين وَقفـة
أهاجَت كمينَ الشوقِ بين الجوانح

وقـد خَفَـت الليـل البَهـيمُ فـما بـه
سوى هاجساتِ الفكرِ لي من مَطارح

أأبَهَـجُ مـن هـذا جمـالاً ومنظـراً
فـما بالُهـا سَـدَّت عـليّ قرائحـي

أتعِـرفُ أمـواجَ الفُـراتين مُهجتـي
إذا استنشـدُوها عـن قلُـوبٍ طـوائح

أبحتُ لكِ الشَكوى فهل تسمعينها
وإلا فبَعـدَ اليـوم لسـتُ ببـائح

أقمنـا بجـوٍّ كـلُّ مـا عنـد أهلـه
مجـالسُ ألهاهـا صـفير المـدائح

ألا هـل يعـودُ الشـعر فينـا كأنـه
من الظهر يملى عن غيُوث رواشِح

فأحســنُ ممـا رَدَّدت نـبراتكم
مـن الكلـم العـاري غنـاءَ المراسِـح !

قطعتُ.. ولم يبلـغ بيَ العمرُ شوطه
مـن الشـعر أشـواطاً بِعـادَ المطـارح

فقـل لسـنَيح الطـير إن لم تَـرُق لـه أهـازيجُ شعرٍ أين عنه « سـوانحي »

***

الشاعر

لا أريـــــدُ « النـــــاي » إني حامـــلٌ في الصـــدرِ نايـــا
عازفـــاً آنـــاً فآنـــاً بالأمـــاني والشَّـــكايا
البلايـــا أنطَقَتْـــهُ ســـامحَ اللهُ البلايـــا
حافظـــاً كـــلَّ الـــذي مـــرَّ عليـــه كالمرايـــا
سَـــيئ الحـــالِ ولكـــنْ حَسُـــنَت منـــه النَّوايـــا
حجـــزَ الهـــمُّ عـــلى أنفاسِـــه إلاَّ بقايـــا
أفلتـــت في نَـــبراتٍ شـــائعاتٍ في البرايـــا
تـــرقصُ الفتيـــانُ إذ غَنَّيـــتُ فيـــه والفتايـــا
هـــو وِردي في صـــباحي وصَـــلاتي في مســـايا
مُعجِـــزٌ تهييجُـــهُ كـــلَّ المُغَنّـــينَ سِـــوايا
أدركـــتْ ظـــاهره النّـــاَسُ وأدركـــتُ الخفايـــا
رنَّـــةُ المِعَـــولِ في الحفـــرةِ صـــوتٌ لِلمنايـــا
كومـــةٌ للرمـــلِ أم جُمجمـــةٌ طـــارتْ شـــظايا
حمـــلَ النـــاسُ ســـكوناً وجَـــلالاً في الحنايـــا
شـــاعراً أدركـــهُ المـــوتُ غريبـــاً في الزوايـــا
ســـبرَ الأفـــق بعـــينٍ أدركـــتْ منـــه الخبايـــا
فـــانبرى يُـــوحي إلى النَّـــاس مـــنَ الأسرارِ آيـــا

ثـــــمَّ أغفاهـــــــا وفي ... الـــنَّفْسِ ميـــولٌ ونوايـــا
قـــالَ لَمَّـــا لَقَّنـــوهُ ... أنَـــا لا أملـــكُ رايـــا..
لســـتُ أدري مـــا أمـــامي .. ... لســـتُ أدري مـــا ورايـــا
لا أرى مَـــن شـــيَّعوني ... مـــنكمُ إلاَّ مطايـــا!
رجعـــتْ.. إذ لم يجـــدْ ... ســـائقها للســـيرِ غايـــا
حَـــزِنَ « الشـــيخُ » ولكـــنْ ... ضـــحِكتْ منـــه الصـــبَّايا

***

كذب الخائفون

رمـــق الأُفـــقَ طرفُـــه فترامـــى ... ورأى الحـــق فوقـــه فتعـــامى
كـلَّ يـوم للحـاكمين كـؤوس ... جرَّعوهـا الشـعوب جامـاً فجامـا
كَـذَب الخـائفون مـا الضـيمُ منـا ... أيُّ شـعب يُرضـيه أن يُستضـاما!؟
إن حفِظتمْ على الصُّدور وساماً ... فمـن الشـعب قـد أضـعتم وساما
آيتـا العـرب في نـدىً وزِحـام ... طيِّبـوا ذكـركم.. وموتـوا كرامـا
أنـــا ذاك الحرالعراقـــي إمّـــا ... حَـنَّ يسـتنهضُ العـراقُ الشـاما

***

سبحان من خلق الرجال

يـا للرفـاقِ لمـوطن لَجّـوا بـه ... حتـى ازدرى أخلاقـه فتخلقـا
فـإذا نـزت همـجٌ إلى طمـع نـزا ... أو صَـفّقَتْ فيـه قـرودٌ صـفقا
تـرك القريـبَ مـن الصـلاح ففاتـه ... ورجـا البعيـدَ مـن الظنـون فأخفقـا

دبّــت عقاربــه إلى جيرانــه ... أوما ترى بغداد أعدت جِلّقا
أهل الخورنق والسدير ولو سعوا ... رفعوا سديراً ثانياً وخورنقا
سبحان من خلق الرجالَ فلم يجدْ ... رجلاً يحق لموطن أن يُخلقا
ما إن يزالُ مرَّشحاً لأُموره ... متجبراً أو طامعاً أو أحمقا
وطني وداؤك أنفسٌ مملوءة ... جَشَعاً فمن لي أن تُبلَّ وُتفرقِا
بلوى الشعوب مخادعون إذا ادَّعوا ... للنصح كذَّبتِ الفِعالُ المنطقا
الآن يلتمسون فكَّ وَثاقه ... من بعد ما نزل البلاء وأحدقا
وطني ومن لك أن تعود فترتقى ... من بعد ما أعيا وعزّ المرتقى
ما إن ترى عينٌ لصبْحِك مَصْبحاً ... للعاشقين ولا كليلِك مَغْبقا
زَهَرْت رياضك واجَتليتَ محّلئاً ... وصفت مياهك واحْتسيْتَ مرنقا
أفتلك دجلةُ بالنعيم مرفرفاً ... تجري وبالعذب الزلال مصَّفقا
باتت تدفقها الرياح وإنما ... ضاقت مسايلُ مائها فتدفقا
وبكت لواردها أسىً وكأنها ... أمست تصعِّد منه صدراً ضيِّقاً
أقصى مرامِك أن تَفيضَ فتشتكى ... ظمأ ربوعُك أو تفيض فتغرقا
لو يعلم الشجرُ الذي أنبتَّهُ ... ما حل فيك مِنَ الأذى ما أورقا
رَجَعت خلاءً كفُّهم بك ثروةً ... وَرَجعت أنت أبا الخزائن مُملِقا
أشفقت مما قد مُلكت قساوةً ... أن لا ترِقَّ إذا ملكتَ فتُشفقا
مالي وطارقةُ الخطوب إذا دهت ... فلكم سألت الله أن لا تُطرقا
عزم الرجال إذا تناهى حدهُ ... مثلُ الكِمام إذا ستوى فتفتقا
مَثَلٌ جرى فيما مضى لمحنكٍ ... من « يعرب » رام السداد فَوُفِّقا
أعيا به جمع العِصي فلم يُطِق ... تحطيمَ وحدتهنَّ حتى فرَّقا

أهـدى لكـم.. لـو تقتفـون سـبيله.. مَـثَلاً بـه كـان السـبيلَ إلى البقـا

***

بم استهل

بـم أسـتَهِلُّ بِموتـه ورثائِـهِ ؟ أم قبـل ذاك بعُرسـه وهنائِـهِ

عـيَّ اللسـانُ فـإن سـمِعتَ بِمِقـول فـاعلم بـأني لسـتُ مـن أكفائـه

هـو موقـفٌ مـا بـين قلبـي والأسـى جَـلّى.. فكـان الصـبرُ مـن شـهدائه

سكن الثرى من كـان لا يطِأ الثرى وهـوى إليـه وكـان في جوزائـه

ولقد خشِيتُ عليه من نَفسَ الصَّبا أسـفاً لـواهُ المـوت في نكبائـه

نجـم هـوى مـن أُفقـه فتناقصـت ولتشـهدنَّ عليـه شُـهْبُ سمائه

مـن كـان يفـترش الجُفُـون وطـاؤه قـد وسـدته الـترب غـيرَ وِطائـه

بشرى أبيكَ وبورك العُرسُ الـذي زفـوك فيـه إلى ثـرى بَوغْائِـه

مـا المـوت أطبـقَ ناظريـكَ وإنـما رق الصَّـبا فكَرغـتَ مـن صـهبائه

أجانبـاً عـرض البسـيط أعيـذه مـن أن يَضيقَ عليـك رحـبٌ فضـائه

لكـن رأى زمـراً تمـور وعالمـاً خلـط الظـلال هـديره بِرُغائـه

فطـواك في أحشـائه متخوفـاً مـن أن يضـيع الـدُّر في حصـبائه

هـذا الربيع وأنـت مـن أزهـاره - يَبكيـك طيـبَ أريجـه وهوائـه

أسـفاً فـلا روضُ الحمـى زاهٍ ولا نُـواره متفـتحٌ بشـذائه

مـا اهتز نعشـك يـوم صـفف عـوده إلا لأنـك كنـت مـن خطبائـه

يَبكيـك مِنْـبَرُكَ الرفيـعُ وإنـما يبكـى لفقـد وقـاره وعلائـه

قـد كـان يأمُـل أن يبلـغ مُنيـةٍ حتـى يـراك وأنـت مـن بلغائـه

لا توقظوه بالدموع فربّما ... أغفى لطول سُهاده وعنائه
ولقد خشِيتُ عليه قبلَ حِمامه ... أن سوف يُحرِقُه لهيبُ ذكائه
غصْن لوته الحادثات فلم يُطِق ... دفعاً لها فذوى بخضرة مائه
جاذبنه فضل الحياة فقصّرت ... منه وما قصُرت فضول ردائه
قالوا أأعوزه الدواء جهالةً ... ولربما مات الفتى بدوائه
يا أيها « السلك » المبلغ نعيَهُ ... هلاّ حملتَ لنا حديث لقائه
ركب تحمل والحِمامُ يسوقه ... عَجِلاً ووقعُ البرق صوتُ حُدائه
قلت : البشارةُ بالقدوم.. فهذه ... أوتارهُ هزِجت بلحن غنائه
فإذا على أسلاكه مهزوزةً ... نبأ يرِن الحزن في أثنائه
عجباً له خِلو الحشا من لوعة ... وجليلُ رزء الموت في أحشائه
قاسِ تحمل وقع كل عظيمة ... جللِ تحطُ البدر في عليائه
كالعود في أهزاجه..والسهم في ... إصمائه.. والطَرفِ في إيمائه
متملكٌ سمعَ الملُوك وإنما ... يروي فصيح القول في فأفائه
لا يستكنُّ السرُّ بين ضلوعه ... وتراه محموداً على إفشائه
تتراجع الأفكار رزاحةَ الخطى ... ما بين عودته إلى إبدائه
ما كنت أعلم « والغريُّ » مَحِلّةٌ ... لك أن ستقضي في ربى « فيحائه »
كنت الهلال تنقلاً وقد ارتدى ... ثوب المِحاق رعايةً لإخائه
لفُّوهُ في شَطَن الردى ءمضى فلم ... يحلُلْ لغير الله عقد قَبائه
أفديه مصدورَ الفؤاد تقاطرت ... أفلاذُه بالنار من صُعَدائه
أبكيه ريانَ الشباب.. رداؤه ... نَضِرُ الصبِّا.. شَرِقٌ بحسن روائه
أبكيه منطوياً على نارين من ... داء النَّوى وهو الأمضّ.. ودائه

أبكيه مذعوراً تقسَّمَ طرفُهُ ... ما بين أهليه.. إلى رفقائه
أو بعدَما بَرَقَتْ أسِرَّتُه لنا ... وبدت مخايلُ حسنِه وبهائه
تنتاشُه كفُّ المنية صارماً ... عَضْباً يفُلُ العضبَ حدُّ مضائه
ما بعدَ يومك غيرُ عينٍ ثَرّة ... ومدامع سُحٍّ وحِلْم تائه
لا تسألنّي عن « أبيكَ » فبعض ما ... لاقاه أن بكاءَنا لبكائه
عين تسيل دماً لفقد سوادها ... وحشي يذوب أسى على سودائه
والمرء سلوة والدٍ متصبرٍّ ... فإذا استقلَّ فصبره بإزائه
ولقد عهِدْ ـِ الشمائلُ غضةٌ ... غنيَ النديم بهن عن نُدمَائه
قالوا : « الوباءُ » فقلت من أدوائنا ... وهو القتيل بهن لا بوبائه
رُحْ سالماً.. ودع الحياة لجاهل ... وغروره.. أو عالم وريائه
والدين.. كلُّ الـ ـ تعرف حَمْلَهُ ... والفرق كلُّ الفرق عند أدائه
هل كنت لو نُجِّيتَ إلا ساخراً ... من حكم دهرك.. سادراً بشقائه
صبراً أباهُ وإن دهاك برزئه ... دهر يذوب الصبر في أرزائه
أخذ الإله وأخذُه أجرٌ كما ... أعطى وكان الفضل في إعطائه
ولربما جزِع الفتى من علّة ... كانت سبيلَ الشكر عند شِفائه
صبراً وشافع من تسمّى « محسنا » ... أملٌ بحسن الصبر عند بلائه
بالخلد عن هذي الحياة تصبراً ... يُغني وعن أكدارها بصفائه
إني نظمت الدمع فيه قصيدة ... لما وجدت القول دون رثائه
وعلمت أن الخلد ملك « محمد » ... فعسى أكون هناك من شعرائه
صبراً وإن ذهب « العليُ » وأنتم ... « بسعيد » هذا الجيل من سعدائه

وبعد عام على الوفاة نُقِلَ جُثمان الفقيد من البصرة إلى النجف.. فأقام والده مجلس الفاتحة.. فنظم الجواهري قصيدة أخرى منها:

أُعِيـدَ لأهلـه نعـشُ الفقيـد فعـدنا للصـبابة مـن جديـد
أُعِيـدَ لأهلـه صـعدا ولكـن أُعيـدَ مـن الصـعبد إلى الصـعيد

***

على حدود فارس

أحبابنـا بـين مَحـاني العـراقْ كلفـتُمُ قلبـيَ مـا لايُطـاق
العـيشُ مـرٌّ طعمـهُ بعَـدكم وكيـف لا والبُعْـدُ مـرُّ المـذاق
أمنيَّـةٌ تَسـتاقُها شـقوة آهِ عـلى أمنيَّـةٍ لا تُعـاق
كـلُّ ليـاليكُمْ هنيئـاً لكـم بـيضٌ ودَهـري كلُّـه في مِحـاق
لي نَفَـسٌ كيـف بتَصـعيده والشـوقُ منـي آخِـذٌ بالخِنـاق
الله يَرعَـى «حَمَـداً» أنـه غـادرني ذكـراه رهـنَ السـياق
هـل جـاءه أن أخـاه متـى يَـذكرْه يَشْرقْ بـدموع المـآق
يكفـيكُمُ مـن لـوعتي أننـي في فـارس اشتاقُ قُطـرَ العـراق
لا سـوحُها وهـي جِنـان زَهَـتْ بكـلِّ مـا رقَّ جمـالاً وراق
ولا الربـى مخضّرة تزدهـي حسناً حواشيها اللطافُ الرِقـاق
خُطَّـتْ عـلى أوسـاطها خضرةٌ سـبحان مـن قـدّر هـذا النِطـاق
تنـال مـن شـوقي وهـل سـلوةٌ لمـن قضى اللهُ لـه أن يُشـاق
صـبَّ الشـتاء الـثلج فـوق الرُبـى يرفعُـه فيهـا طباقـاً طبـاق
حتـى إذا الصـيفُ انـبرى واغتـدتْ تُصَـبِّحُ الأرض بكـأسٍ دهِـاق

هـبَّ علـيلاً ريحُهـا لا صَـحَا ... ومـاسَ سُـكراً روضُـها لا أفـاق
أحسـن مـا في وجـهِ هـذا الثـرى ... عيونُـه لا رمُيـتْ بانطبـاق
تجـري وتجـري أدمعـي ثـرةً ... وأدمُعـي أولى بشـأو السـباق
لمُ يحيِي هـذا المـاءُ مَيْـتَ الثَـرى ... لـو لم يكـنْ مـاءُ حيـاةٍ يُـراق
ذكـرتكُمْ والـنفسُ مسـحورةٌ ... وللخُطـى بـين المـروج اسـتراق
لـيس يقـي الـنفْسَ امـرؤ مـن هَـوى ... إلا إذا كـانَ مـن المـوت واق

❊❊❊

الذكرى المؤلمة

أقـول وقـد شـاقتنيَ الـريحُ سـحرةً ... ومَنْ يـذكرِ الأوطـانَ والأهـلَ يَشْـتَقِ
ألا هـل تعـودُ الـ[illegible] بعـد تشـتُّتٍ ... ويُجْمَـعُ هـذا الشـملُ بعـدَ تفـرُّق
وهـل ننتشي ريـحَ العـراقِ وهـل لنـا ... سـبيلٌ إلى مـاء الفـرات المصـفَّق
حبيـبٌ إلى سـمعي مقالـةُ « أحمـدٍ ... أأحبابَنـا بـين الفـراتِ وجِلَّـق »
فـو الله مـا روحُ الجنـان بطيِّـبٍ ... سـواكم ولا مـاءُ الغـوادي بريـق
ووالله مـا هـذي الغصـونُ وإن هَفَـتْ ... بـأخْفقَ مـن قلبـي إلـيكم وأشـوق
شربنا عـلى حكـم الزمـانِ من الأذى ... كؤوسـاً أضرت بـالشراب المعتـق
فـما كـان يَهنيـه صَـبوحٌ ومغبـقٌ ... فـإن مـن البلـوى صَبوحي ومغبقي
خليلَيَ لا تُلْحـى سـهامُ مصـائبٍ ... أُتيحت فلـولا حكمـة لم تُفَّـوق
تعنـف أحكـام القضـاء حماقـة ... كـأن القضـاءَ الحـتمَ لـيس بـأحمق
كفـى مخـبراً بالحـال أنْ لـيس مُنيـةٌ ... لـنفسيَ إلا أن نعـودَ فنلتقـي
ومـا فـارسٌ إلا جنـانٌ مُضـاعةٌ ... ويـا رُبَّ خمْـرٍ لم تجـد مـن مُصـفق

هنيئاً فلا مسرى الرياح بخافتٍ وبيٍّ ولا مجرى المياهِ بضيّق
أتى الحسنُ توحيه إليها من السما يدُ الغيث في شكل الكمام المفتَّق
مضى الصيفُ مقتاداً من لحسن فيلقاً وجاء الشتا زحفاً إليها بفيلق
كأن الثلوجَ النازلاتِ على الرّبى عمائمُ بيضٌ كُوِّرتْ فوق مَفْرِق

***

على كرند

خليليَّ أحسنُ ما شاقني بفارس هذا الجمال الطبيعي
إلى الآن تجري مُتون الجبال علينا بمثل مذاب الدُّموع
هَلُما معي نحو هذي الرياض نجددْ عهوداً بفصل الربيع
فقد أضحتِ الأرض مخضرةً تَضاحكُ عن شمل حسن جميع
ومهلاً فظلمٌ لهذا الجمال نمر عليه بلحظٍ سريع
خليليَّ إن جيوش الغَمام عرفن لفارسَ حسنَ الصنيع
ألم تريا كيف ضَرْعُ الغمام يرِق لهذا النبات الرضيع ؟
ولِمْ لا تريع بأريافها بلاد تسيل بماء مريع؟
خليليَّ ما في بِقاع الوجود أبهجُ من وشي هذا البقيع
بني الفرس فارسُكُمْ لا العراق وزاهي رُبوعكمُ لا ربوعي
وما أبهج الشمسَ عند الغروب يحيي رُباها وعند الطُّلوع
خليليَّ ما غيرت فارسٌ محل البصير بكم والسميع
ولو شئت حملت برقية تُزَفُّ لكم من رجيف الضُّلوع

***

الريف الضاحك

كلُّ أقطارِكِ يا « فارسُ » رِيفُ طابَ فصلاك ربيعٌ وخريفٌ
لا عرَتْ أرضكِ من لطفٍ فقد ضَمِنَ الحسنَ لها جوٌّ لطيف
يا رِياضاً زهَرَتْ في فارسٍ شكرَتْكنَّ عُيونٌ وأُنوف
مثلَّما للقلبِ من حرِّ الجوي رفَّةٌ للطيرِ فيكنَّ رفيف
ألشيءٍ غيرَ أنْ نقطِفَه ثمراً غضّاً دنتْ منكِ القُطوف
نزلتْ ضيفاً بها أرواحُنا فقَرَتْها خيرَ ما تُقرى الضُّيوف
مِن جمالٍ خُط معناهُ على فارسٍ واختصَّتِ الأرض حروف
وخيالٍ تُطربُ النفسَ به هِزَّةُ الروضِ ويشجوها الحفيف
صَنعةٌ للفرسِ في الوشي ولا مثلَ ما وشَّى بها الروضُ المفوف
لذَّ مشتاها فأنسانا بما هزَّ منّا أنَّه لذَّ المصيف
ما لأكنافِ الرُّبى مبيضَّةً أتُراها بُدِّلت منها الشُّفوف
أمْ هو الشيبُ دَهاها عَجباً شيَّبت حتى الرُّبى هذى الصُّروف
إنما جلَّلها الثلجُ الذي غُمِرتْ منه جبالٌ وكهوف
فارِسٌ أينَ وأُلافُ الصِّبا أوَ هلْ يبقى على النأيِ أليف ؟
أمِن الناسِ تُرجِّي صفوةً عنكَ يا ناشدُ فالحيُّ خَلوف
لا تعُدْ تسلُكُ فيها قفرةً فطريقُ الودِّ في الناسِ مَخوف
كلُّ هذا وهو يومٌ واحدٌ كيف لو مرَّتْ مئاتٌ وألوف
قد تَناوَمنا على رغم الكرى لنراكمْ .. أفلا طيفٌ يطوف
سِمةٌ للشوقِ كانتْ سبباً لسؤالِ الناسِ : مَنْ هذا النحيف؟

لا تقولـــوا وَحــــدةٌ تُوحِشُــــه ... كيـف يسـتوحشُ والشـوقُ رديـف
أيهـــــا الحَضْرُ وفي أبيـــــاتكم ... أوجـه تُفـدى بـما ضـم النصـيف
لم يفتهـــــا تـــــرف الظـــــل ولا ... نـال مـن أوراكهـا السـير الوجيـف
حبـــذا حـــبُّكُمُ مـــن معهـــدٍ ... كـــم نـــما فيـــه أديـــب وظريـــف

❊❊❊

بين قطرين

سقى تُربَهـا مـن ريِّـقِ المزن هطّالُ ... ديـاراً بعـثْنَ الشـوقَ.. والشـوقُ قتـالُ
خليـليَّ أشـجَى مـا يـنغِّص لـذتي ... مَنـــاخٌ أقامتـــه عيـــالٌ وأطفـــال
وأيـــد وأجيـــادٌ تُمَـــدّ وتلتـــوي ... ومـــنهن حـــال بالـــدموع ومعطـــال
خليليَّ لـو لم يَنطـق الوجـدُ لم أقـل ... فقـد كـذَّبت قـبلي لـذي الحـبّ أقـوال
وحيداً فلو رُمتم على الوجد شاهداً ... لمـــا شَـــهِدت إلا بُكـــورٌ وآصـــال
وما برِحت أيدي الخطوب تنوشُني ... بفــارسَ حتــى بغَّــضَ الحــلَّ ترحــال
ومـا سرني في البُعـد حـال تحسَّـنَتْ ... بــلاديَ أشــهى لي وإن ســاءتِ الحــال
فمـن شـاقه بَـردُ النعـيم بفـارسٍ ... فـــإني إلى حَـــرِّ العـــراقين ميّـــال
أُحـب حصـاها وهـو جمـر مـؤجَّج ... وأهـــوى ثراهـــا وهـــو شَـــوكٌ وأدغـــال
وإني عــــلى أنَّ الــــبلادَ جميلـــــةٌ ... تـروق كـما ازدادت مـن الـدلِّ مِكسـال
منعَّمـــة أمـــا هواهـــا فطيّـــب ... نسـيم وأمـــا المـــاءُ فيهـــا فسَلســـال
يســيل عــلى أجبالهـــا وهـــو لجّـــةٌ ... ويجـرى عـلى حَصـبائها وهـو أوشـال
تحـيط بـه خُضرُ الريـاضِ أنيقـةً ... كـما رُقِمـت فـوق الصـحائف أشـكال
أحـــنُّ إلى أرض العـــراق ويعـــتلي ... فـــؤادي خُفـــوقٌ مـــثلَما يَخفُـــق الآل

وماالهول غِشيانَ الدروبِ وضيقُها عراكُ الهوى والوجدُ والذكرُ أهوال
خليليَّ أدنى للبيب رُقيُّهُ إلى النجم من أن يَسلَم العزُ والمال
ألا مُبلغٌ عني « المعرِّيَ » أحمداً ليسمَعَه والشعر كالريح جوّال
بأني وإيّاه قرينا مصائبٍ وإن فَرَّقت بين الشعورينِ أحوال
وإني وإياه كما قال شعره «مغاني اللوي من شخصكَ اليوم أطلال
« تمنيت أن الخمر حلَّت لنشوة تُجَهِّلُني كيف استقرَّت بيَ الحال »
أحباي بين الرافدين تيقَّنوا بأني وإن أُبعِدتُ عنكم لسّآل
لئن راقكم ماءُ الفرات وظلَّلتْ عليكم من الصَفصاف والنخل أظلال
فإنيَ من دمع عليكم أُذيله شَروبٌ ومن سَوداءِ قلبي أكّال
لقد كان هذا القلب في القُرب مضغة وها هو من بعد الأحبَّة أوصال

***

الأحاديث شجون

جَدِّدي ريحَ الصبَا عهد الصِبا وأعيدي فالأحاديثُ شُجونُ
إن أباحتْ لكِ أربابُ الهَوى سِرَّه فالحكمُ عندي أن يصونوا
جدِّدي عهدَ أمانيه التي قُرِنَ العيشُ بِها نِعمَ القرين
يومَ كنّا والهوى غضٌّ وما فُتِحَتْ إلاّ على الطُهْر العُيون
ما عَلِمنا كيفَ كُنّا.. وكذا دينُ أهلِ الحبِّ والحبُّ جُنون
أشرقَ البدرُ على هذي الرُبى أفلا يُخسِفُه منكُمْ جَبين
جَلَّ هذا الجِرمْ قدراً فلقد كادَ يهتزُّ له الصخرُ الرزين
كل أوقاتيَ رهنٌ عندَه الدجُى.. الفجرُ.. الصبحُ المبين

سَـألونا كيـف كنـتم ؟ إن مَـنْ دأبُــه ذكــرُكمُ كيــفِ يكــون !
هــوَّن الحــبَّ عــلى أهــل الهَـوى أن تَــركَ الحــبِّ خطــبٌ لا يهــون
مــا لُهــمْ فيــه مُعينــونَ ومــا لــذَّةُ الحــب إذا كــان مُعــين
ميَّــزَت مــا بــين أربــاب الهــوى ودَعــاويهم : وجــوهٌ وجُفــون
وهــواكُمْ لا نَقَضْــنا عهــدكُمْ وَضــمينٌ لكُــمُ هــذا اليمــين
أيفــى الــنجمَ فيبقــى ســاهراً مُحيــاً ســودَ الليــالي ونخــون
شَرَعٌ في النــاس والــدينُ وعــودٌ عــم فيهــا الخُلْــفُ والوعــدُ ديــون
أيــن مــن يُرضــيكَ منــه حــاضِرٌ وهــو في عِرضِــكَ إن غبــتَ ضَــنين
فعــلى الخــير يقــينٌ ظَنُّــهُ وعــلى الشرِّ فكــالظنِ اليقــين
جــدِّدي كيــف اطِّراحــي فارســاً ولمــرأى وَطَنــي كيــفَ الحنــين
وَســلي قلبــيَ لِمْ ضــاقتْ بــه فــارسٌ وهــي ريــاضٌ لا سُــجون
ضَحِكَت فيها من الـروضِ وجـوه وجَــرَت بالسَلْسَــلِ العَــذبِ عُيــون
واكتَسَــتْ بالحسـنِ هامـاتُ الرُبـى كــيفَما شــاءَ لهــا الغيــثُ الهَتــون
حبــذا فــارسُ مــن مُســتوطَنِ عافَــه الأهــل وخــلاّه القَطــين
أفَهــذا قصرُ « فَرهــادِ » الــذي جمعتــه مــع « شــيرينَ» المَنــون
مــثَّلا للحــبِّ دوراً طــاهراً لم يَشُــبْ أثوابَــه البــيضَ مُجــون
لــيس منــه غــيرُ رســم دارسِ مُخــبِرٌ أنَّ رَحــى الــدهرِ طَحــون
أولا كسرى ولا أجنــــادهُ خُلِّيَــتْ مــنهم قِــلاعٌ وحُصــون
ســلَفَت فــيهم ســنونٌ تَرفــاً.. واتَــتهم بالبَلِّيــات ســنون
وكــذا الــدهرُ عــلى عاداتِــه إن صَــفَا حيــنَ نبــا والتــاث حيــن
جــدِّدي ذكــرَ بِــلادي إنَّنــي بهواهــا أبــدَ الــدهرِ رَهــين

أنــا لي دينــان : ديــنٌ جــامع وعراقــي وغَرامــي فيــه دِيــن
القــوافي أدْمُــعٌ منظومــةٌ والأناشــيدُ بُكــاءٌ وحَنــين
كيــف لا تُحــزنكُم أُهزوجــةٌ كــانَ مــن أوتارهــا القلــبُ الحزين
اكــسُ يــا ربِ بــلادي رحمــة وحنانــاً.. مــثلما يُكسَــى الجنــين
امــحُ عنهــا ذُلَّ إرهــاقِ العِــدى أنهــا مــا عُــوِّدَت عــاراً يَشــين
يــا مُــدانينَ أضــاعُوا وطنــاً هــو للــحشرِ بمــن فيــه مــدين
أيــن كــانَ الــوطنُ المحبــوبُ إذْ قَلَّــتِ الزينــةُ مــالٌ وبَنــون
لــيسَ يخفَــى أمــركُم مــن بعِــدما قَلَّبَــت منــه ظُهــور وبُطــون
كــم يُــروى منفوخــةً أوداجُــهُ مــن نِعــاج هُزِلَــتْ.. ذئــبٌ سمين
تَــبخَس الأوطــان ظلــماً حقهَــا ثــم لا يُســترخَصُ العمــرُ الثمــين
هــذه بغــدادُ.. هــذا كرخُهــا ..هــذه دجلــةُ والمــاءُ المَعــين
هــذه الــدورُ التــي شــيَّدها للسَــما « مســتنصرٌ » أو « مســتعين »
كلهــا تُصــبحُ إرثــاً ضــائعاً ليَــنُح « هــارونُ » وليبــكِ « الأمــين »
لــيس تنفــكُّ بــلادي كلُّهــا يَــبَسٌ أو كلُّهــا مــاءٌ وطــين
دجلــةٌ والنيــلُ والشــامُ معــاً و«الصَّفا» تندُبُ شجواً و« الحَجون»
قُطِّعَــتْ أوصــالهُا.. وافترقــتْ فشِــمالٌ لــيس تــدري ويَمــين

❊❊❊

وفى الربيع

غَــدرَ الصِبــا وَوَفى الربيــعُ لريفِــه شــتانَ بــين أليفنــا وأليفِــه
عــادت لتفويــفِ الصبــا أزهــارهُ أتــرى صبــايَ يعــود في تفويفــه

سقياً لشرقيِّ الرُصافة إذ صَفَا عيشٌ بمرتَبَع الهَوى ومَصيفه
من سفح دجلةَ حين رق نسيمهُ سَحَراً وراقت دانيات قُطوفه
أحبابَنا في الكرخ هل من زورةٍ لنَحيل جسم بالفراق نحيفه
أهوَى لأجلكُمُ العراقَ فمُنيتي في قُربكم لاخصبِه أو ريفه
لي فيكُمُ قَمرٌ يُهيِّجني له إن البِعادَ يَروعُني بخُسوفه
ومسجفٌ لو لم يُحَجَّبْ كانَ مِن زفراتِ أنفاسي بمثل سُجوفه
متنقلُ الأفياء شْيَّعَ ركبَه نَفسَي يُناطُ بسَيره ووُقوفه
يَلوي الوعودَ فلا تُزَرُّ جيوبهُ إلاّ على نزْرِ الوفاء ضعيفه
ما الطيرُ حامَ على الغدير فراعَه وحشٌ فظَّل يحوطهُ برفيفه
ظمآنَ لاوِردٌ سواه فَينثني عنه ولا يسطيع خوض مخوفه
يوماً بأولعَ من فؤادي إذ نأوا عنه بمجدولِ القَوام رهيفه
لا تُنكروا قلبي الخَفوقَ فإنما هي مهجةٌ قد عُلِّقت بشُفوفه
ما هاجَ قلبَ الصبِّ إلا الصدغُ في تشويشَه والشَعرُ في تصفيفه
أرَّقْتَ طَرْفاً لم تَرِقَّ لقَرحه وأخَفْتَ قلباً لم تُرَع لحفيفه
الله يشهدُ أنني ألقىَ الهوى بلسانِ فاسقِه وقلبِ عفيفه
إني وإن كانَ التصابي هفوةً مني وكم ساع لجلبِ حُتوفه
لأحِنُّ للعهد القديم صبابةً كحنين إلفٍ نازح لأليفه
ولئن سلوتُ ففي التهاني سلوةٌ « بمحمد » صَفْوِ الندى وحليفه
يا بن « الحسينِ» وأنت تخلُف ذكرَه أكرمْ بمخلوف مضى وخليفه
سرَّت ثراه بروقُ عرسِك فاغتدت عنه وذكر هناكَ أُنسُ مخوفه
بك في «العلي» عن «الحسينِ» تصبرٌ بممجدٍّ ثبتِ الجَنان رؤوفه

لا تُجهِدنَّ الشعر يا نَظّامَه ... فصفاتُه تُغنيك عن تَوصيفه
جَمَّ النَدى أنساه عن عثراتهِ ... في الجودِ بذلُ مئاتهِ وألوفه
طَرِبٌ يُغَنّيه سَميرُ ضيوفه ... لا « معبدٌ » بثقيلِه وخفيفه
شَيِمٌ أناف تليدُها لطريفها ... فسما بها بتليده وطريفه
يا ابنَ النبيِّ وتلك أشرفُ نسبةً ... ومُضافُ مجدٍ ينتمي لمُضيفه
لم يُرغَم الحسّادُ إلا مفخراً ... أغناهُم التنزيلُ عن تحريفه
شَرَفٌ محلّ الشهب دونَ محَلِّه ... ومُنيفُ بُرجِ الشمسِ دون مُنيفه
بيت به طاف العُفاةُ ففضلُهُ ... باد كفضل البيت في تَطويفه
يَغديكَ من ضربَت به المثلَ الورى ... نُجلاً فقُرصُ الشمس قُرصُ رغيفه
سَحَّت عطاياه فما من ناظرٍ ... ألا تمنّى الطيفَ من مَعروفه
لو رام يمحو البخل عنه مُدافعٌ ... عكفت طبيعتُه على تعنيفه
ويقولُ إن قالوا تصرف درهمٌ ... ليت الجمودَ عَداهُ عن تصريفه
ولقد أراكَ وللبراعةِ مَسرحٌ ... في القول بين غريبه ولطيفه
قَلَمٌ سقاهُ فيضُ كفِّك فالتقت ... بيضُ الأماني بين سودِ حُروفه
لدنٌ إذا ما الدهرُ جّد فهزَّة ... في طِرسه تكفيكَ ردَّ صُروفه
ما جال في جَلبَات طِرسِكَ سابقاً ... إلا وجاءَ من النَدى برديفه
كم مُشكلٍ مُستَنبَط بدقيقهِ ... وسمينِ خطبٍ مُذعنٍ لعجيفه
كالسيلِ في تحديرهِ.. والسيفِ في ... تطبيقِه.. والرُمح في تثقيفه
وكأنه بين السُطور مدَبِّرٌ ... للجيش أعجَبه انتظامُ صُفوفه
معروفُ شعري في مديح محمدٍ ... أزرَت بدائعُه على « معروفه »

نَفَسٌ شأى نَفَسَ الكهول وإنما ظَرْفُ الشباب يلوحُ في تفويفه
وقصائدٍ رَّقتْ فكان مدبُّها كالخمر من ثَمِلِ القَوام نزيفه
أسِفَ الحسودُ بما علون وإن أعِشْ لأطَولنَّ بهن حزنَ أسيفه
إن زينَ قومٌ بالقصيد فإنني باسمي يزانُ الشعرُ في تعريفه
دمتُم ودام المجد في تشريفه جُوداً.. ودامَ الفضلُ في تأليفه

***

تحت الرسم

أأحمدُ ما أَبْثَثْتُكَ الهمَّ والجوى مكاشفةً إلا لأنك « عارفُ »
ألا لا تَنَلْ شكوايَ منكَ فإنها تُؤلِمُ حتى الصخرَ هذي القذائف
يقولون « مطبوعُ القريض لطيفُه » فهل قوبلت باللطف تلك اللطائف
ألا لو يبوحُ الشعر مني بما انطوى لَهبَّتْ على هذي الطُروس العواطف
سيُغنيك رسمي عن أمور كثيرة فظاهرُهُ عن باطن الأمر كاشف

***

على الخالصي

صدقْتَ يا برق بهذا النبا ومن لِيَ اليوم بأن تكذبا
من هِزة الحزن غدا خافقاً سلكك أم من هِزة الكهرُبا ؟
طارت بيوم النَّحس برقيةٌ آه على الآمال طارت هبا
شقّت على الأسماع أصداؤها وهز فيها المشرقُ المغربا
موجزةُ اللفظ وداعي الأسى بالحزن في أثنائها أطنبا

تكـــاد أن تَمـــزُقَ مـــن ســـلكها   لـــو وجـــدت مـــن بينـــه مهربـــا
علـــماً بـــما تحمـــل مـــن خطـــرة   بـــالرغم أن تقـــرأ أو تكتبـــا
لســـانُها الأخـــرسُ مـــن حَلِّـــه ؟   ولفظُهـــا المعجـــمُ مـــن أعربـــا؟
قُـــومي ألـــبسي بغـــدادُ ثـــوب الأســـى   إن الـــذي ترجينـــه غُيِّبـــا
إن الـــذي كـــان سراج الحمـــى   يشـــع في غيهبـــه كوكبـــا
بـــات عـــلى نهضـــة أوطانـــه   ملتهـــب الجمـــرة حتـــى خبـــا
قصرَّ مـــن أيامـــه همُّـــهُ   أن يُنقِـــذ المـــوطن والمـــذهبا
قـــومي افتحـــي صـــدرك قـــبراً لـــه   وطرزيـــه بـــوُرود الرُّبـــى
خُطـــي عـــلى صـــفحته« هكـــذا   يُرفـــع مـــن مـــات شـــهيدَ الأبـــا»
ودرِّسي نشـــأك تاريخَـــه   فـــإن فيـــه المـــنهج الأصـــوبا
رُدي إلى أوطانـــه نَعشَـــه   لا تـــدفني في فـــارس « يعربـــا »
لا تـــدعي فـــارس تختصـــه   فالولـــد الـــبَرْز لمـــن أنجبـــا
شـــمس أضـــاءت ههنـــا حقبـــة   وهـــي هنـــا أجـــدر أن تغرُبـــا
كـــان يهـــزُ الصُـــلب مـــن غالـــبٍ   ويـــدفع المغلـــوب أن يغلبـــا
يُهيب بالطالب أن يركـــب الأخطارَ   حتـــى يبلُـــغَ المطلبـــا
لا يـــأتلي ينشُـــد حقـــاً ولا   ينفـــك أن يُغضـــب أو يغضـــبا
كـــان صـــليب العـــود في دينـــه   وكـــان في آرائـــه أصـــلبا
يمنعـــه المبـــدأ أن ينثنـــي   والـــدين والجَـــرأةُ أن يكـــذِبا
عـــفٌّ عـــن الـــدنيا ســـوى خُطـــةٍ   يـــذبُ عنهـــا وكفـــى مأربـــا
ورابـــط الجـــأش متـــى مـــا يشـــأ   جهَّـــز مـــن آرائـــه مقنبـــا

يبغضـــه المعجـــب إذ أنـــه ... أخـــو اتضـــاع يـــبغض المعجَبَـــا
محّـــص بالتجريـــب أيامـــه ... وكـــيِّسُ الأقـــوام مـــن جربـــا
يكـــاد أن يُشرب مـــن رقـــة ... ومـــن جمـــال الـــروح أن يُنهبـــا
شـــاء العـــلى والمجـــد أن يجـــتلى ... وشـــاءت الأقـــدار أن يُحجبـــا
تنـــازع للكـــون في أهلـــه ... صـــير منـــا الحـــوَّلَ القُلبـــا
مـــا الجـــود في أعمارنـــا طولهـــا ... وإنـــما الجـــود بـــأن توهبـــا
ســـيان طـــال العمـــر أو لم يطُـــلْ ... مـــا دامـــت الغايـــة أن يســـلبا
ســـمعاً زعـــيم الـــدين مـــن نـــادب ... عـــزَّ عليـــه ليـــوم أن تنُـــدْبَا
اليـــومَ يَرثيـــك وفي أمســـه ... كـــان يُغنيـــك لكـــي تَطْرَبـــا
كـــان ومـــا زال بأنفاســـه ... ينفُـــث كـــالجمر وقـــد ألهبـــا
مـــا دأبـــه العجـــب ولكـــن كفـــى ... أنـــك قـــد كنـــت بـــه معجَبـــا
بكـــل غـــراءَ إذا أنشِـــدت ... تلهـــي العطـــاش الهـــيم أن تشربـــا
تـــزري عـــلى الشـــمس إدا أشرقـــت ... وتغـــرُب الشـــمس ولـــن تغربـــا
مـــن أيـــن ســـارت وجـــدت قـــائلاً ... أهـــلاً وســـهلاً مرحبـــا مرحبـــا
إيـــهٍ بـــلادي هـــل يَقيـــك الأذى ... أني انتضـــيت المقـــول المِقْضـــبا
تعيـــا القـــوافي أن تصُـــدَّ الجـــوى ... يغـــلي.. ويعيـــا الـــدمعُ أن ينضُـــبا
شـــيئانِ مـــا مـــثلهما لـــذةٌ ... في الســـمع ذكـــراك وذكـــرُ الصِّـــبا
مـــن فلَـــذِ القلـــب وأنياطـــه ... حـــقٌّ لتمثالـــكَ أن يُنصـــبا

***

بعد الفراق

خليليَ سلِّ القلبَ عن هذه البلوى ... وناج فإنّ الهمّ تدفَعَه النَّجوى
ألا لو وجدنا عن أذانا محامياً ... أقمنا على الدهر الذي ضامنا الدعوى
سل الفَلَكَ الدوارَ يرفقْ بسيره ... فإنا بَلَغْنا للأذى الغايةَ القصوى
نأت دجلةٌ عني وبانت ضفافُها ... وأبعدَ ذاك الروضُ ذو المنبتِ الأحْوى
فوالله لا أقْوى على ما تَهيجُهُ ... لقلبي من الذكرى وياليتني أقوى

***

سيصدني وأصده

شرٌ تمادى حَدُّهُ ... سيصُدني وأصُدُّهُ
أما العراقُ فجُرحُهُ ... مني وعندي ضَمْده
سيف يُسلُّ على بلادي ... ليت قلبي غِمده
ماج الفراتُ فلم يُطِق ... صبراً عليه سدّه
مهتاجُ عزم عكسُهُ ... يُوهي الجليدَ وطرده
هذي حماسة ثائر ... عَزْمُ الإله يَمُدُّه
يا بانياً مُلكاً تعالى ... فوق مجدي مجده
وطني وعندي شوكُهُ ... أسفاً .. وعندك ورده
هذا الربيع لكم.. ولي ... حرُّ العراق وبرده
آليت أني حربُ من ... ناوى البلاد وضده
هذا اليراع ذبابه ... للذَّب عنه أُعده

وخـــــذوا لســـــاني إن   تبـــدَّل أو تحـــوَّل عهـــده

❊❊❊

سجين قبرص

هـــي الحيـــاة بـــإحلاءٍ وإمـــراءِ   تمضي شـعاعاً كزَنـد القـادح الـواري
ســجيَّةُ الـدهر والبلـوى سـجيتُه   تَقَلُّــبٌ بــين إقبــال وإدبــار
لم يدر مـن أحسـنوا صُنْعاً لغيرِهُمْ   بـأنَّ عقبـاهُمُ عُقْبـىَ سِـنِمّار
ود الأبـاة وقـد سـيموا مناقصـةً   في الـرُوح لـو أبـدلوهم نقـصَ أعمار
مَـن ضـامِنٌ لـك والأيـام غـادرةٌ   أن لـيس ينشُـب فيـك السَـهم يـا بـاري
مـا للتمـدُّن لا ينفـكُّ ذا بِـدَع   في الكـون يـأنَفُ منهـا وحشـةُ الضـاري
كم ذا يُسمُّون أحراراً وقد شَـهِدَت   فِعـالهم أنهـا مـن غـير أحـرار
مـا للجزيـرة لم تـأنسْ مرابعُهـا   بعـدَ الحُسـينِ ولم تحفِـلْ بسُـمّار
مُغـبرَّةٌ خلَّـفَ الليـلِ السـوادُ بهـا   أو جلَّلتْهـا سـماءُ اهـمٍّ بالقـار
لِمْ لا تشَـبُّ بهـا نـارٌ أكلُّهـم   ألهـاهُمُ الحـزنُ حتـى موقـدو النـار
يـا مهـبطَ الـوحي للتـاريخ معجـزةٌ   سَـلي تحـدِّثْكِ عنهـا فُوهـةُ الغـار
لله عنـدَكَ بيـت سـوف يكلـؤهُ   مـن أن يُبـاح لأشرار وكُفّـار
تلـك السُـنونَ بآثـارٍ مضـت وأتـت   هـذي السـنونَ تُبَغْـي محـوَ آثـار
أمـا بنـوكَ فهـم جـيرانُ ربهِـمُ   ورَبُّهـم خـيرُ مـن يَحمـي حِمـى الجـار
دارٌ بـدَّيارها مـن طـارق حُفِظَـت   وطالمـا حُفِظَـت دار بـدّيار
شـيخ الجزيـرة أنـت اليـوم مُـرتَهَنٌ   بحسـنِ فِعلـك مـن صِـدقٍ وإيثـار
لتحمـدَنَّ مـن الـدنيا عواقبَهـا   نقـد أرَينَـكَ عُقبـى هـذه الـدار

خُودعت عنها وليستْ لو علمتَ مراســح همُّهــا تمثيــلُ أدوار
تغشىَ العيونَ بتدليس محاسنُها وتستكنُّ المساوي خلف أستار
يا حاملين على الأمواج عزمتَه قــابلتُمُ البحــرَ تيّــاراً بتيّــار
هل بلَّغتْ قبرصٌ عن ضَيف بُقعتِها بأنّــه أيُّ نَفّــاع وَضرّار
كمثل ثـائرٍ ذاك الموج ثورتَه يوم استنشاط وهاجَتْ سورة الثار
يامن يُجِلُّ شعارَ الدين مستمعاً لله آيــاتُ إجــلالٍ وإكبــار
حتى على البحر للتكبير مأذنةٌ تقــامُ كــلَّ عشــيات وإبكــار
الله أكــبر ردَّدهــا فــإن بهــا خــواطراً ورمــوزاً ذات أسرار
مما يعيد إلى التاريخ روعتَه تخليــدهُ ملكــاً في زيّ أحبــار
من سيئاتِ ليالٍ جلَّ ما صنَعَت ســوءاً بليــةُ وفّــاء بغــدّار
يا ناهضاً بأباةِ الضيم منتفضاً عــن أن يَمُــدَّ يــداً للــذُل والعــار
في ذمة الله والتاريخ ما تَرَكَت أيامُــك الغُــرُّ مــن محسود آثــار
إن لم يقيموا لك الذكرى مخلدَّةً فحســنُ فعلــك فينا خيرُ تَــذكار
لو تبتغي بغنى عن عزةٍ بدلاً لكنــتَ ذا نَشَــبٍ جَــم وإكثــار
نهضاً بني العَرَب العَرْباء أنكُمُ فــرائسٌ بــين أنيــاب وأظفــار
أرقــدةٌ وهوانــا أن بعضَــها ممــا يَفُــتُّ بأصــفادٍ وأحجــار

***

تحت ظل النخيل

مَــرَّ النَّســيمُ بريّــاكم فأحيانــا فهــل كــذكراكُمُ في القلــب ذكرانــا
من مُبلغُ الجاعلين اللهَو مركبَهُمْ أمــا ركبنــا بحــارَ الهــمِّ طوفانــا

إنـا سرينـا عـلى الأمـواج تحملنـا وباسْـمِكم بعـد اسـم الله مسرانـا
مـا للـدجى هادئـاً تـزري كواكبـه بنـا وقـد هاجَـتِ الأمـواجُ شـكوانا
لا تسـألوا عـن جمـال البـدر يَبْعَثُـهُ فـذاك إلا عــن الأحبـاب ألهانـا
هـذي النجـومُ ومـا خلـق سـدى.. أنـسُ المحبـين نرعاهـا وترعانـا
يـا حبـذا هـذيانُ العاشـقين بكـم لا شيءَ أفصـحُ عنـدي منـه تبيانـا
وحبـذا تحـت النخـل مُصْـبَحُنـ بدجلـةٍ وعـلى الأجـرافِ مُمْسـانا
وليـت مـن دجلـةٍ كأسـاً تصـفقه أمواجُهـا بـالرحيق لصـفْوِ ملآنـا
يـا مـن ذكرنـاه والألبـابُ طائشـةٌ ظلـم عـلى خطـرات الأنـس تنسـانا
مـا مَـسَّ إلاعـلى طُهْـرِ غـرامُكُم قلبـي لأني أعــد الحـب قرآنـا
آنسـت في غربتـي حبّـاً يُبـدِلُني بالأهـل أهـلاً.. وبـالجيران جيرانـا
سِيّانِ فيما جنى صحبي ودهرُهُمُ كـلٌّ أرانـا مـن التعـذيب ألوانـاً
لا تحسبوا العـدَّ بالأرقام يُسعدكم تحصى النجـومُ ومـا تُحصى بلايانـا
الـروحُ جـارت علينـا في محبـتِكم وطالمـا أشـقَتِ الأرواحُ أبـدانا
والحـب أرخـص مـن أقـدارنا بكـم لـولا هوانـا بنـا مـا كـان أغلانـا
نَعِمْـتُمُ وشَـقِينا في الهُيـام بكـم شـتانَ مـا بـينَ عُقبـاكُمْ وعقبانـا

***

الساقي

لا تَعـدُكم سُـننُ الهـوى وفُروضُـهُ فـالروضُ يضـحك للغـمام أريضُـهُ
ما أبهجَ الزهـرَ المرقـرقَ في الضـحى يجلـو العيـونَ شـعاعهُ ووميضـه
والـروض شـعَارٌ لـه مـن وَردِه نَفَسٌ ومـن سجع الطيـور قريضـه

والجـو محتشـد الغيـوم رُواقـه — بيـد الريـاح متـى تشـأ – تقويضـه
وكـأنّما جـاء الربيـعُ إلى الثـرى — بالحسـن عـن سَمج الشـتاء يَعيضـه
والكـأسُ يجلوهـا أغـنٌّ يكـاد مـن — فـرْطِ النُعـاس يـؤوده تغميضـه
راضـت محاسـنُه النفـوسَ فأدركـت — ثـأراً فهـاهي بـالكؤوس تروضـه
لـو كنـتَ تُـبصره رثيـتَ لـه وقـد — أعيـا عليـه مـن الخُـمار نُهوضـه
لا تـأسَ إنْ غفـل النـديمُ فلـم يُـدرِ — كأسـاً فعنـد جفونـه تَعويضـه
إيـهٍ نـديمي قـد جمعـتَ لنـاظري — أمـرين كـلٌّ لا يَبيـن غموضـه
أمـواجَ خـدّك والتوقّـدُ ضـدُّها — ومُـذابَ خمـرك واللهيـبُ نقيضـه
طـولُ الجمـال وعَرضـه لـك والهـوى — وقـفٌ عليـك طويلُـه وعريضـه
وقِّـعْ كـما تهـوىَ عـلى وتـر الهـوى — فلأنـت « مَعْبـدُ » لحنـه و« غريضـه»
أمـا الغـرامُ بكـم فـإنّ قصـيدَه — وَقْـفٌ عليكم بحـره وعَروضـه

❊❊❊

على ذكرى الربيع

مَـواطرُ الغيـثِ حَيـيٍّ جانـبَ الـوادي — وهدَّديـهِ بـإبراقٍ وإرعـادِ
مُـديٍّ بـه بُسُـطَ الأعشـاب زاهـرةٍ — وطرِّزيهـا بأزهـارٍ وأوراد
ورواحيـهِ رَذاذاً منـكِ يبعثـهُ — حَيّـاً كـما تبعـثُ المـوتى بميعـاد
مـالي وللهـمِّ تَصـليني لوافحُـهُ — ألسـتِ يـا نسـمةَ الـوادي بمِرصـاد
مُـرِّي بنفحتِـكِ الريّـا عـلى كبـدٍ — أقـلُّ مـا تشـتكيهِ غُلـةَ الصـادي
فـما لشيءٍ سـوى أن تبعثـي نَفَسـاً — فاضَ الغمامُ وصـابَ الرائحُ الغـادي
وليسـت الـريحُ يُهـدي الله نفحتهَـا — لنـا بـل الـرُوحُ يُوحيهـا لأجسـاد

ردّ الربيع صنوفَ الحسن يقسمُها شطرينِ ما بين أنشازٍ وأوهاد
يهدي به اللهُ إشفاءً لذي سَقَم من النفوس وإشفاقاً بمُرتاد
هو الربيعُ وأبهى ما يُزهِّدني عن الحضارة فيه نجمةُ البادي
أنا الحنيف وهذي الأرض مُعشبة سَجَّادتي ورقيقُ الشعر أورادي
يمضي الزمانُ علينا نصفهُ جُمَعٌ ترى تُقفَّى بأسباتٍ وآحاد
ما كان لله أديانٌ مضاعفةٌ لولا تعصبُ أحفادٍ لأجداد
أين الذين أماتَ الحبُّ أنفسَهم حتى قَضوا فيه عُشّاقاً كزُهّاد
الضاربينَ خيام الحب طاهرة والداعميها من التقوى بأوتاد
والمُطربين لشكوى الحبِّ مُعلَنةً مستبدلين بها عن جَسِّ أعواد
مواظبين على الآدابِ ما انتقدوا لحبِّهِمْ غيرَ أكفاءٍ وأنداد
لم يُبلَ قيسٌ وفرهادٌ كما بُلِيتْ ليلى بقيسٍ وشيرينٌ بفرهاد
جيل من الناس عدواهم لإخوتِهم من الخبائثِ عَدوى السُم في الزاد
يستظهرون لساني أن يجازفَهم ويعلمُ الله أن الصدقَ معتادي
كلَّفتمُوني من الأقوال أصعبَها نطقاً كما كُلِّفَ الأعجامُ بالضاد
أضرّ بي من سجاياكم توقُّعكم أن لا تفُتَّ سجاياكم بأعضادي
ما ضّرني غضَب الدنيا بأجمعها أن كان يُرضي ضميري صدقُ إنشادي
حُسن اختباري لأشباهي ونيّتِهم في الصنع حَسَّنَ في عينيَّ أضدادي
ما إن تحطون شعرى قيد أنملةٍ إن لم تصوغوه أطوافاً لأجياد
هذا الزمان كفيل أن يكيل هم صاعاً بصاع وأمداداً بأمداد
كم تعلنون لجهال تموت بكم مآتماً هي رغم الناس أعيادى
كل وما سن فيه الله من خلقٍ هذا أنا يوم تكويني.. وميلادى

أذل قـدر القـوافى أنهـا تركـت حظـاً مشـاعاً لنظـام ونشـادِ
كـم أنشـدتكم فى آذانكـم صـمم حـوضى مبـاحٌ وقـومى غـير ذوادِ

***

بغداد

خـذي نفـسَ الصبا « بغـداد » إني بعثـتُ لـكِ الهـوى عرضـاً وطـولاً
يـذكّرُني أريـجٌ بـات يُهـدي إليَّ لطيمُـه الـريحَ البلـيلا
هـواءك إذ نهـشُّ لـه شَـمالاً ومـاءك إذ نصّـفِقه شَـمولا
ودجلـةَ حـين تَصـقُلها النُعـامى كـما مَسَـحتْ يـدٌ خـداً صـقيلا
ومـا أحـلى الغصـونَ إذا تهـادت عليهـا نُكِّـسَ الأطـراف مِـيلا
يُلاعبهـا الصِّـبا فتخـال كفّـاً هنـاك تـرقِّصُ الظـلَّ الظليـلا
ربـوعُ مسرَّةٍ طابـت مُناخـاً وراقـت مَربعـاً.. وحلَـتْ مَقـيلا
ذكـرتُ نميرهـا فـذكرتُ شـعراً « لأحمـدَ» كـاد لطفـاً أن يسـيلا
« وردنـا مـاءَ دجلـةَ خـيرَ مـاءٍ وزرنـا أشرفَ الشـجر النخـيلا»
« أبغـدادُ » اذكـري كـم مـن دموع أزارتـكِ الصـبابةَ والغلـيلا
جـرينَ ودجلـةً لكـن أجاجـاً أعـدن بهـا الفـراتَ السلسـبيلا
ولـولا كثـرةُ الواشـينَ حـولي أثـرتُ بشـعريَ الـداءَ الـدخيلا
إذن لرأيـتِ كيـف النـار تـذكو وكيـف السـيل إنْ ركـب المسـيلا
وكيـف القلـبُ تملكـه القـوافي كـما يسـتملك الغيـثُ المحـولا
أدجلـةُ إنَّ في العـبرات نطقـاً يحّـير في بلاغتـه العقـولا
فـإنْ منعـوا لسـاني عـن مقـالٍ فـما منعـوا ضـميري أن يقـولا

خـذي سـجعَ الحَـمام فـذاك شعرٌ　　نظمنـــــاه فرتِّلـــــه هـــــديلا

***

شوقي وحافظ

يـا لَلرفـاق ومثـلُ مـا كابدتُـه　　ممـا أُلاقـي كابَدَتْـهُ رفـاقي
وطنـي نقـيض شُـكوله فرجالـهُ　　شـابوا ومـا شَبوا عـن الأطـواق
عِتْـقُ النِجـار يَبِـين بـين خُيولـه　　أمـا الرجـال بـه فغـير عِتـاق
ضرب الأسى سُوْراً عليه وأحدقت　　سـودُ الحـوادث أيّـما إحـداق
إيـهٍ خليلـيَ لا تَـذرْني طامِعـاً　　في منطقـي فيَريبَـكَ اسـتنطاقي
فلقـد أكـون ومـا غُلقـن مقـاولي　　واليـوم وهـي كثـيرة الإغـلاق
إن أطوِ يلتهبِ الضميرُ.. وإن أَبُحْ　　يومـاً ففـوق يـدي يـد الإرهـاق
مـمَّ التعجـبُّ صـاحِبيَّ وإنـما　　قَسَـمَ الحظـوظ مقسِّـم الأرزاق
والحَذق في سبك القريض وصوغه　　متفـاوت كتفـاوت الحُـذاق
وأجـلُّ مـا تـرك الفتـى مـن بعده　　أثـرٌ عـلى مـر الليـالي بـاق
لا يفخـرنْ أحـد عـليَّ بشـعره　　الفخـرُ مـدَّخرٌ ليـوم سـباق
« شوقي وحافظ » لا يُجَسُّ سواكما　　نَـبْضَ القـريض ومـا لـه مـن واق
لكـما الخِيـارُ إذا الرجـال تنافسـوا　　أو حـرّروا دعـوى بـلا مِصـداق
أن تَقْـتُلا أو تُحرِقـا متشـاعراً　　أو تقطعـا يـد شـاعر سرّاق
هـل تحكـمانِ اليـومَ حكـماً عـادلاً　　خِلـواً مـن الإرهـاب والإشـفاق
في شـاعر لـزِم البُيـوتَ وأخفقـت　　منـه المـآرب أيّـما إخفـاق
لكـما شـكا ظلـم العـراقِ وذِلـةٌ　　أن يشـتكي ظلـمَ العـراق عراقـي

أهدى سوايَ نفيسَه وأنا الذي ... أُهدي إليه نفائسَ الأعلاق
« شوقي وحافظ » أوضِحا في أيِّنا ... لُطْفُ الخيال والشعورُ الراقي
أأنا الذي اتخذ البلاد شعاره ... أم هم وقد لبسوا ثياب نفاق
في كل يوم في رداءٍ وَفْقَ ما ... تقضي بذلك عملةُ « الأوراق »
وأنا وأخلاقى كما علم الورى ... أم هم وفيهم سوءة الأخلاق
وأنا الذى أعطى القوافيَ حقها ... مِن ناصعاتٍ في البيان رِقاق
ومهذَّباتٍ جمةٍ عشاقُها ... « أن المليحة جمة العشاق »
تُجلى على قُرَّائها فتُميلُهُمْ ... سكراً كما يجلو السُّلافَ الساقي
أم هم وكم بيتٍ لهم مستهجنٍ ... ناب عن الأسماع والأذواق
وأنا الذي صان القريض عن الذي ... يُزري به من فُرقةٍ وشِقاق
ومدائح كانت لفرط غُلُوِّها ... تشكو من المخلوق للخلاق
أم هم وقد باعوا الضمائر واشتروا ... عيشَ الذليل وبُلغةَ الأرماق
غَنَّوا سواهم يطلُبون عَتاده ... فكأنهم « جَوْق » من الأجواق
أبياتُكمْ تبقى لهمْ وهباتُهُمْ ... ليست بباقية على الإنفاق
وأجلُّ من هبةٍ يُذِلُّ بها الفتى ... أشعارَهُ صبرٌ على الإملاق
عاراً أرى وأنا « الأديب » بضاعتي ... معروضةً كبضائع الأسواق
كيف التجددُ في القريض وأهلُه ... شدَّتْهُمُ أطماعهم بوثَاق
أخذوا على الآداب من عاداتهم ... وجمودِهم فيها بكل خناق
إني لأصبو للقريض تهذَّبت ... منه الحواشي.. صبوةَ المشتاق
وأُريدُ شعراً ليس في أبياته ... غيرُ القلوب تَبِين للأحداق

وأجــل مــا خلــق الإلــه لخلقــه ... وحســابُ فضــلِ الله غــير مطــاق
الشــعرُ في تــأثيره والغيــثُ في ... آثــاره والشــمسُ في الإشراق

***

بعد المطر

عــاطى نبــاتُ الأرض مــاءَ السـما ... مــالا تعاطيــه كــؤوسُ الرحيــقْ
وبــات إذ حــطَّ بهــا ثِقْلَــه ... يكلِّــف الأرض بــما لا تُطيــق
أوشــكتِ القِيعــانُ إذ فُتّحــت ... لهــا الســما ممــا عراهــا تَضــيق
واهتــدت الشــمس لتجفيفهــا ... فابتعثــتْ شــكرَ النبــات الغريــق
الجــوُّ زاهٍ والثــرى فــائحٌ ... ومنظــر الأرض لضَيــفٌ أنيــق
والعُــود يهتــزّ لمــرِّ الصَّــبا ... والــروضُ مــن سَــكرته لا يُفيــق
والغيــثُ يَهمــي أيــن مــن صَفوهِ ... وهــو جديــدٌ خمــرُ دنٍّ عتيــق
تفتَّحــي خُضْرَ الرُّبــى للنَّــدى ... في مَبسِم الفجر – متى شئتِ – ريق
وعطّــري ريــحَ الصَّــبا بالشَّــذى ... وانفتقــي عــن فــار مســك فتيــق
كــلُّ فصــولِ الــدهر لا تُشــترى ... بــالنزْر مــن نَشْرِ شــذاك العبيــق
جــاء الربيــعُ الطلــق فاســتبشري ... غريمُــكِ الــبردُ طَريــدٌ طليــق
مثــل الــذي لاقيــت مــن ذا وذا ... يصــدف في الــدهر انفــراجٌ وضــيق
صــوبَ الحيــا رفقــاً فكــم لطمــة ... أنزلتهــا قسراً بخــدِّ الشــقيق
كــأن نَضْــحَ القَطْــرِ مــن فوقــه ... ذائــبُ دُرٍّ في أواني عقيــق
إني تخالفــت وزهــرَ الرُّبــى ... والكــلُّ منــا ذو مــزاج رقيــق
أنفاســها نشرُ شــذيّ نــافح ... وحــرّ أنفــاسي شــواظُ الحريــق

كــلُّ وجــوه الأرض مكســوَّةٌ لفــائفَ الأزهــار حتــى الطريــق

***

ليت الذى بك فى وقع النوائب بي

ليتَ الـذي بـكَ في وَقْـع النوائـبِ بِي ولا أُشـاهد ثُكْـلَ الفَضْـلِ والأدبِ
صـابتْ حشـاك وأخْطَتْني نوافـذُها ليـت النوائـبَ لمْ تُخطـئْ ولم تُصـب
هـلاّ تعّـدى الـردى منـه ببطشـته لغـيره أو تعـدى النبـعَ للغَـربِ
هيهـاتَ كـفُّ الـردى نقـادةٌ أبـداً للأكـرمينَ تُفـدي الـرأس للـذنب
يـا غائبـا لم يَـؤُبْ بـل غـائِبَينِ معـاً إن العـلى معـه غابـت ولم تـؤب
لِيَهْنِـكَ الخلـدُ في الأخـرى وجنتُـه يـا خـير منقلـبٍ في خـير منقَلـب
نعم الشـفيعانِ مـا قـدَّمتَ من عملِ لله سراً ومـا فرَّجـتَ عـن كَـرَب
ومـا رأيـتُ كمعـروفٍ يُجـاد بـه بـين الرجـال وبـين الله مـن سـبب
قـدمتَ لله أعـمالاً اتَخِـذتَ لهـا من التقـى مسرحـاً في مرتـع خصِـب
قـالوا : الزيـارةُ فاتـه فقلـتُ لهـم : مـا فاتــه أن يــزورَ اللهَ في رجــب
كـأن نعشَــك والأجـواءُ غائمــةٌ تُقِلُّـه النـاس للسُّـقيا مـن السُّـحب
لو كان في جند « طـالوت » لما طلبـوا « سكينة وسْط تابوتٍ » من الخشـب
كـم ذا يصـعّرُ أقـوام خـدودَهم كفـاهم عِـبرةٌ في خـدك الـتَّرِب
كـم يَعْجَـبُ المرءُ من أمرٍ يفاجئـه ومـا درى أن فيـه أعجـبَ العجـب
بَيْنا يُـرى وهـو بـينَ النـاس محتشمٌ إذا بـه وهـو منبـوذٌ عـلى الـتُّرُب
لا يُعجِـبَنَّ ملـوكَ الأرض همـتُهم فـإن أعظـم منهـا همـةُ النُّـوَب
لا شـملَ يبقـى عـلى الأيـام مجتمعـاً يبـددُ المـوتُ حتـى دارةَ الشـهب

أودى الـذي كـان تِيْـهُ المكرُمـات بـه عـلى سـواهن تِيـه الخُـرَّدِ العُـرُب
فتُـم وعـزٍّ عُيـونَ المجـد في حَـوَرٍ فَقْدَنـهُ..وثغـورَ الفضـل في شَـنَبَ
صـبراً محبيـهِ إن المـوت راحـة مَـنْ قـد كـان في هـذه الأيـام في تعـب
تسـليمةُ المـرءِ فـيها خُـطَّ مـن قَـدَرٍ أجـدى لـه مـن داء الويـل والحـرَب
والمـوتُ إن لم يـزدْهُ حـزنُ مكتئـبِ بـه فأحســنُ منـه صـبرُ محتسـب
وغضبةُ المرء في حيثُ الرضـا حَسَنٌ قبيحـةٌ كالرضـا في موقـع الغضـب
ذابت عليك قلوب الشـاعرينَ أسىً فـما اعتـذارةُ شـعرٍ فيـك لم يـذبُ
شـيئانِ.. يُرْفَـع قـدرُ المرء مـا ارتفعـ نظمٌ لـدى الشـعر أو مـأثورة الخطـب
مـاذا يقـول لسـان الشـعر في رجـل خـير البنـينَ بنـوه وهـو خـيرُ أب
إن غــاب عنــا ففـي أولاده عَقِـبُ يحييك ذكراً.. وذكرِ المرء في العقب
أودى بحسّــاده غيظــاً كــأنّ بــه « محمـــد » وبشــانيه « أباهــب »
لا عيـبَ فيـه سـوى إسرافِـهِ كرمـاً يـومَ النَّـوال ولـولا ذاك لم يُعَـب
وفي « الرضا » مسرح للقـول منفسـح كـلُّ القصـائد فيـه دَرَّةُ السـحب
أنـسُ الجلـيس وإن نبتـه نائبـةٌ كأنه – وهو دامي القلب – في طرب
أخـو النـدى وأبـو العليـا إذا انتسبـ « كنايـة بهـما عـن أشرف النسـب »
كـلُّ الخصـال التـي جمَّعتها حسُـنَت وقعـاً وأحسـنُ منهـا طبعـك العـربي
لا تَحْسَــبنَّ تمــادي العمــر أدبَّــه كذاك كان على العلات وهو صبي
إن لم يـؤدِّ بيــاني حَقَّكــم فلقــد سـعيتُ جَهْـدي ولكـن خـانني أدبي
تلجلجتْ بـدخيل القـول « ألسنة » للعـرب كانـت قـديماً زِينـةَ الكتـب
إن أنكرتنـي أُنـاس ضـاع بيـنهم قدري فمن عَرَّف « لحجار» بالذهب
كـم حاسـدٍ لم يجـرِّبْ مِقـولي سَـفَهاً حتى دَسْستُ إليـه السم في الرُّطب

طعنتُــه بــالقوافي فــانثنى فَرَقــاً ... يشـكو إلى الله وقـع المقْـولِ الّـذَرب
فـإن جهلـت فتـى قـد بـذ مشـيخةٍ ... في الشعر فاستقص عنه «حلبة الأدب»

***

درس الشباب
أو (بلدتي والانقلاب)

انزِعـــي يابلـــدتي مـــا ... رثَّ مـــن هـــذي الثيـــابِ
وإذا خِفـــتِ عَـــراءً ... فسيكســـوك صـــحابي
أمَـــلٌ لي فيـــكِ.. بعـــد الله ... ينمـــو في الشـــباب
يـــا بنـــي العشريـــن في ... أعمالكـــم فصـــلُ الخِطـــاب
رهـــنُ مـــا عنـــدكم مـــن ... همـــة عُقبـــى المـــآب
يـــا شـــباباً نَهَضـــوا ... والنـــاس مـــن هـــاوٍ وكـــابي
أيُّ بـــاب ولَجوهـــا ... وولجـــتم أيَّ بـــاب
كتـــب الله لـــك الـــنُّصرةَ ... في هـــذا الغِـــلاب
إن في أعيـــنكم رمـــزاً ... لأسرارِ عُجـــاب
الزمـــوا خـــيرَ صِـــحابٍ .. ... اقـــرؤوا خيرَ كتـــاب
أطِلعـــوا للشـــعر شمســـاً ... لا تُبقِّـــي مـــن ضـــباب
اتركـــوا كـــلَّ قـــديم ... منـــه يســـعى في تَبـــاب
شـــمّروا واعتصـــبوا ... نُجحُكُـــمُ في الاعتصـــاب
انبُـــذوا منـــه قُشـــوراً ... وَتَغـــذَّوا باللُّبـــاب

هُــزِلَ الشــعرُ وأنــتمْ ... مــن مراعِيــه الخِصــاب
لا تقولــوا حســبُنا منــه ... وزِيــدوا في الطِّــلاب
قــد رأيــتم مــا تجشَّــمنا ... عليــه مــن صِــعاب
لــيس بــالهيِّن أن ... نــأتيْ بأبيــاتِ عِــذاب
خاليــاتٍ مــن نُفــورٍ ... وغلــوٍّ واضــطراب
إنهــا ذوبُ قُلــوبٍ ... صِــيغَ في لفــظٍ مُــذاب
لــو سُئلنا كيـف نظـمُ الشعر ... حِرنــا في الجــواب
لســت أدري غــيرَ أني.. ... كــان حــبُ الشــعر دابي
يكــاد يُلهينــيَ حتــى ... عــن طعــامي وشرابي
قـد قـرأتُ الشـعرَ في القـرآن ... مــن عهــدِ التصــابي
« بقُــدورٍ راســياتٍ ... وجِفــانٍ كــالجوابي»
ولكَــمْ هَــيَّجَ طَبْعِــي ... نَغْــمُ عُــودٍ أو رَبــاب
كــانَ لحــنُ الشــعرِ فيــه ... بارتفــاع وانصــباب
وإذا مــا عــدَّدوا ... أهــل نبُــوغ واكتســاب
لم يكـنْ عنـدي سـوى الشـاعرِ ... مــن خُلــق عُجــابِ
هكــذا كنــتُ ومــا زادَ ... عــلى الــعشر نِصــابي
حبــذا الشــعرُ ربيعيــاً ... طبيعــيَّ الإهــاب
مُظِهــراً قــدرةَ ربي ... في وِهــادٍ أو رَوابي
وصــفَ نهــر في الثــرى ... أو وردة بــين الشــعاب
يــوم تُضــحي الدمنــةُ ... الغــبراءُ خضراءَ الجَنَــاب
أو حماســياً يثــير الــنفس ... عــن عــارٍ وعــابِ

كاشـــفاً عـــن عينهــا ... كـــلَّ غطـــاء وحِجـــاب
فـــإذا كـــان مـــديحاً ... فليقـــرِّب للصـــواب
أوَلا يـــأنفُ حُـــرٌّ ... أن يُحـــابَى أو يُحـــابي
وإذا كـــان رِثـــاء ... فلـــيكن رجـــعَ المصـــاب
وإذا كـــان هجـــاء ... فليُنَـــزَّهْ عـــن سِـــباب
لـيس شـأنُ المـرء نهش المـرء ... بـــل شـــأنُ الكـــلاب
امزِجُـــوا الطعـــنَ بـــه ... مـــزجَكُمُ شُـــهداً بصـــاب
لـــيِّنَ اللفـــظ وفي ... طيّاتـــه وخـــزُ الحـــراب
قـــد سـئِمت الشـــعرَ مـــا ... فيـــه سِـــوى معنـــى كِـــذابِ
كـــلَّ يـــوم شـــاعرٌ ... كـــالبوم ينعَـــى في خـــرابِ
وقـــوافٍ لا يَلحِـــنَ ... الســـمعَ إلا باغتصـــاب
لهجـــةُ الصـــدق بهـــا ... مثـــلُ بيـــاضٍ في غُـــراب
أنـــا يـــا شـــعر وإيـــاك ... ســـواءٌ في العـــذاب
أنـــا ممـــا بـــكَ أبكيـــكَ ... وتَبكينـــي لِمـــا بي
شـــكَتِ القـــومُ حُضـــوري ... وسيشـــكون غِيـــابي
بِـــزَّةُ الشـــاعر قـــد تُعـــرَف ... مـــن بعـــدِ اســـتلاب
إن يكـــن للمـــرء أجـــرٌ ... فهـــو لي يـــوم الحســـاب
إن في إيقـــاظِ قـــوم ... رَقَـــدوا خـــيرَ الثـــواب
وبِعِتـــق النـــاسِ مـــن ... أوهـــامِهِمْ عِتـــقُ الرِقـــاب

***

في الثورة السورية

مِثلَ الذي بكِ يا دمشق ... من الأسى والحزنِ مابي
دمعي يَبين لك الجوى ... والدمعُ عنوانُ الكتاب
زاهي الحمى نهبُ الخطوب ... ومهجتي نهبُ المصاب
أرأيت مرتبعَ الشِّعاب ... بها ومُصطافَ الهضاب
والنبتُ مخضلُّ الثَّرى ... والرُّوضُ مخضرُّ الجْنَاب
والحسنُ تبسُطه الطبيعةُ ... في السهولِ وفي الروابي
والشمسُ تبدو من خلال ... الغيم خَوْداً في نقاب
فإذا انجلى هزَّتك روعةُ ... نورها فوق القباب
والروضُ نشوانٌ سقاه ... الماءُ كأساً من شراب
بَرَدَى كأنَّ بروده ... رشفات معسولِ الرُّضاب
تلك النَّضارةُ كُلُّها ... كُسِيتْ جلابيبَ الخراب
ثوري دمشقُ فإنَّما ... نَيلُ الأماني في الطِّلاب
وخذي الوِفاق فإنما ... عُقبى الخلاف إلى تَباب
إنْ تغضَبي لتليدِ مجدٍ ... آذنوه باستلاب
ومنيع غابٍ طوقوهُ ... بالبنادق والحِراب
ومعطاسٍ شُمٍّ أرادوا ... عَرْكها بالاغتصاب
فلا أنتِ رغم خلوٍّ كفِّك ... من مُعَدّات الضراب
بالعاطفات الحانيات ... عليك وافرةُ النصاب
ولأنتِ أمنعُ بالنُّفوس ... المستميتة مِن عُقاب

فتماســـــكي أو تُكرَهـــــي بـالرغم منـك عـلى انسحاب
فَـلَشرُّ مـا عمِـلَ امـرؤ عمـلٌ يُهَـدَّدُ باقتضـاب
سـدّي علـيهم ألـف بـابٍ إن أطـاقوا فـتحَ بـاب
إن لم يكـن حجـرٌ يضرّ بهـم فكُـومٌ مـن تـراب
لا نُكـرَ في الـدنيا ولا معـروفَ إلا في الغـلاب
شُـبَّان سـوريَّا الـذين تناوشـوا قِمَـمَ السَّـحاب
والمبـدلين بـرأيهم في الليـل عـن قـبس الشـهاب
المـالكي الأدب الصـميم ووارثـي الشرفِ اللُبـاب
لكـمُ العتـابُ وإنَّـما عَتْـب الشباب عـلى الشّباب
سـورّياً أم الضراغـم أصـبحت مرعـى الـذِّئاب
مثـلَ الوديـع مـن الطيـور تعاورتـهُ يـدُ الكـلاب
باتـت بليلـةِ ذي جـروح مستفيضـاتٍ رغـاب
وسـهِرتُم متضـاربي النزعـات مختلفـي الثيـاب
مَـن كـانَ حـابى أن يقـول الحـقَّ إني لاأُحـابي
لا بُـدَّ أن يـأتي الزمـانُ عـلى بـلادي بـانقلاب
ويـرى الـذين توطَّنـوا أنَّ الغنيمـةَ في الإيـاب
مـاذا يقـول المـالئو الأكـراش مـن هـذي النهـاب
إنْ دال تصريـفُ الزمـان وآنَ تصـفية الحسـاب
جـاؤوا لنـا صُـفْرَ العِيـاب وقـد مضَـوا بُجْـرَ العيـاب

***

عند الوداع

الله يصـــحب بالســـلام مـــودِّعي ... عجِـــلاً وإن أخنـــى عـــليَّ بِعـــادهُ
شُـدَّتْ عـلى شَـعْبِ القلـوب رحالُـهُ ... وَجْـداً..وفاضـت بالـدُّموع مَـزاده
ومـــيمٍّ « بغـــدادَ» كـــادت حسرة ... منهـــا عليـــه تؤمـــه بغـــداده
حسبُ « الفرات » شجيِ فراقكُمُ لـه ... وكفـــى بدجلـــةَ أنكـــم وُرّاده
قولـوا لمـن هـذا القـريض ؟ يسّرني ... مـــا قلـــتمُ إن راقَكـــم إنشـــاده
وإذا قسـت تلـك القلـوبُ فـردّدوا ... أبياتَـــــه ليلينَهـــــا تَـــــرداده
وإذا جـرى ذكـري فقولـوا شـاعرٌ ... يجـري عـلى طـرف اللسـان فـؤاده
مـــاذا علـــيكم أن يُسَـــيِّرَ باســـمكم ... شـــعري..وتهفـو نحـوكم نُشَّـاده
شـــعرٌ يَجِـــيء بـــه الجـــهالُ مكـــرِّراً ... منـــه الجميـــلَ متـــى يكـــون نَفـــاده
لا أشـتهي هـزجَ المغنّـي في الهـوى ... مـــا لم تجـــس بـــذكركم أعـــواده

***

ويلي لأمة يعرب

جِـــدُّوا فـــإن الـــدهرَ جَـــدَّا ... وتراكضُـــوا شِـــيباً ومُـــرْدا
وتحاشَـــدوا خَـــيرُ التســـابق ... للعُـــلى مـــا كـــانَ حَشْـــدا
صـــولوا بعـــزم لـــيس يصـــدأُ ... حـــدُّه والســـيفُ يصـــدأ
لا تَقعُـــدوا عـــن شـــحنِها ... هِمَـــماً تَئِـــنُّ الـــدهرَ أدّا
أوَلســـتُمُ خـــيرَ المـــواطنِ ... موطنـــاً وأعـــزَّ جُنْـــدا
فـــاز امـــرؤٌ عـــرف التقلُّـــبَ ... في الليـــالي فاســـتعَدّا

في لَـــوحِ ربِّـــك «آيـــةٌ» خُطَّـت عـلى مـن كـانَ جلْـدا
لا ييأسَـنْ مـن خـاب ممسـىً أن ينـالَ الأمـر مَغـدى
ذَلَّ امـرؤٌ قعَـدَت بـه آمالـهُ قَيْـداً وَشـدّا
بَيْنـا يُمَنِّـي المـرء خـيراً نفسَـه إذ قيـلَ أودَى
أيـنَ الـذين إذا انتحـتْهم شِـدَّةٌ كـانوا الأشَـدّا
وإذا الخطـوبُ عَـرَتْهُمُ لم يضْرَعـوا للخطـب خَـدّا
اتَخـذِوا الثبـاتَ سـلاحَهُمْ وتـدَّرعوا حَزْمـاً وجِـدّا
أبنـي مَعـدَّ بلادُكـم لا تُغضِـبوا فيهـا مَعَـدا
وطـنٌ مُفَـدىً خـيرُ مـا حَضَـن الفَتـى وطـنٌ مُفـدَّى
« الرافـدان » بجانبيـه تجارَيـا خمـراً وشُـهْدا
والزاهـراتُ مـن الريـاض تضـوَّعت أرَجـاً ونَـدّا
وكِسَـتْ رُبـاه يـد الطبيعـة مـن بـديع الحُسْـن بُـردا
فَـرْدُ الجـمال وفي الغُلُّـوِ بحبِّـه أصـبحتُ فَـرْدا
صـبّاً نشـأتُ وكلَّـما زادتْ سـنيني زدتُ وَجْـدا
وَطَـنٌ إذا ذكـروه لي وبيَ الغليـلُ وَجَـدت بَـرْدا
ولـو استَفَفتُ ترابـه لوجـدْتُ عـيشي فيـه رَغْـدا
أعـزِزْ بـأني لا أطيـقُ لمـا دَهَـى وطنـي مَـرَدّا
الله يَشـهَد أنـنـي لم آلُـهُ في النصـح جُهْـدا
لا تأسـفَنْ وطنـي وكُـنْ ثَبْتـاً عـلى الأيـام صَـلْدا
ظُلـمْ تَعـدَّى حـدَّه والظلـم يُـردى إن تَعَـدّى

« الله » يَجْــــزي خـــيرَ مـــا ... جـــازَى بـــه مـــولىً وَعبْـــدا
صِـــيداً « ليعــــرب » شَـــيَّدوا ... عـــــزاً وللأوطـــان مجـــدا
في ذمـــةِ الـــوطنِ الـــذي ... بَـــذلوا لـــه نَفْســـاً وَوُلْـــدا
رُوح بظلـــم أُزهِقَـــت ... وَدمٌ جَـــرَى ظُلْـــماً وَعَمـــدا
أفكـــان عُقْبـــى مـــالَقوا ... أن زادتِ النفقـــاتُ عَـــدّا
ويـــلي لغلِمـــة « يَعـــرُبِ » ... هـــدَّتْهم الأيـــام هَـــدّا
الجَـــور الحَمـــمَ بُـــردَة البَلـــوى ... لَهـــم والضَـــيمُ سَـــدًّى
وَيـــلي لكّـــفٍ لم تجِـــدْ ... عَضـــداً تصـــولُ بـــه وزَنْـــدا
وَيـــلي لمـــن كانَـــتْ لهـــم ... أيّـــامُهم خَضْـــماً أَلَـــدّا
مـــن أيـــن دارُوا واجهـــوا ... نكبِاتهـــا سُـــودا ورُبْـــدا
هَـــوَتِ العـــروشُ كـــأنها ... بعـــضٌ بسَر الـــبعضِ يُعـــدَى
فَقَـــدَتْ «دِمشـــقٌ» زَهوهَـــا ... وجمـــالُ «بغـــدادٍ» تَـــرَدَّى
وجزيـــرةُ العُـــرب ازدرَتْ ... نُـــورَ «النبـــوة » فاســـتُرِدَّا
باتـــت بهـــا أحقادُهـــا ... يوسِـــعْنَ خَرقـــاً لـــن يُسَـــدّا

***

من النجف إلى العمارة

أنـا مـذ همـتُ فـيكمْ كـانَ دأبي ... أنَّ مـا ترتَضـون يحملـه قلبـي
إن تزيـدوا الجـوى فـأهلاً ... وإلا حَسبُكُم ما لقيتُ منكم وحسبي
وبحسـبي مـن الأحبـةِ ظُلـماً ... أن يُعَـدَّ الغُلُـوُّ في الحـبِّ ذنبـي
يعلـم النـاسُ مـا أكابـدُ مـنكمْ ... في سـبيل الهَـوى ويعلَـمُ ربي

يـــا أبـــا صـــادقٍ أُحبُّــك حُبــاً ... لـــيس يبقـــي عـــلى اصـــطبار المُحِّـــب
إن عتَبنْـــا فلـــم يكـــن عـــن مَـــلال ... أحسَـــنُ الـــوُدِّ مـــا يشـــاب بعَتْـــب
لســـتُ أدري عَقَقْـــتُ صَـــحبيَ لـــا ... هِمـــتُ أم عقَّنـــي لأجلـــك صَـــحْبي
غـــير إني أراكَ وافقـــتَ طَبْعـــي ... دونَ هـــذا الـــوَرَى وجانَسْـــتَ لُبـــي
وأراني صَـــبّاً بأخلاقـــك الغُـــرِّ ... ومـــا كنـــتُ قبـــل ذاك بصَـــب
ولعَمـــري لقـــد تربيَّـــتُ حتـــى ... عَـــرَفَ النـــاسُ فيـــكَ فضـــل المـــربي
أيُّ عـــيشٍ لي في العـــمارة رَغْـــدٌ ... وزَمَـــانٌ مَضىَ هنالِـــك عَـــذْب
وأحاديـــثُ لا تُمَـــل مـــن الوجـــدِ ... بلَفـــظٍ كـــاللؤلؤ الرَطَـــبِ رَطْـــب
حبـــذا دجلـــةٌ وعـــن جانبيهـــا ... تَتَمشّـــى الظـــلالُ جَنبـــاً لجنـــب
أن تَسَـــلْني عـــن الزَّمـــان وأهليـــهِ ... فـــإني طِـــبٌّ بهـــم أيَّ طِـــب
عِـــش كـــما تشـــتهه [illegible] كنـــت خِبّـــاً ... والـــزَم البيـــتَ إن تكـــنْ غـــيرَ خِـــب
ليـــت مـــولى «حَمـــدان» يُـــنشَرُ حيـــاً ... لـــيرى كيـــفَ حالـــهُ «المتنبـــي»

***

في ذكرى الخالصي

سَـلْمُ الزمـانِ.. وإن حرصـت.. قَليـلُ ... لا بـدّ أنْ سـيغول شـملَك غـولُ
بـــالرغم ممـــا رجفـــت أوهامُنـــا ... يـــأتي المخـــوف ويُمنـــع المـــأمول
كـــم ذا يسرُّك أن تفوتَـــك ســـاعةٌ ... طالـــت أأنـــت إلى المـــمات عجـــول
حقـــاً أقـــولُ.. ومـــا الحِـــمامُ بتـــاركي.. ... إني عـــلى كُـــرْه الـــرَّدَى مجبـــول
يكفـــي العقـــولَ جهالـــةً تعريفُهـــا ... للمـــوت أنَّ ســـبيلَه مجهـــول
الليـــلُ مغـــبرُّ النجـــوم حزينُهـــا ... والصـــبحُ في حبـــلِ الـــدُّجى موصـــول

والشمسُ كاسفةُ الجبينِ مُشيحةٌ ... والبدرُ حيرانُ السُّرى مذهول
حزناً ليومَ أبي محمدَ إنّهُ ... يومٌ على يومِ الحسابِ يطول
الله يَجْزيكَ الجميلَ فكلُّ ما ... خلّفتَه في المسلمينَ جميل
المُعولاتُ عليك غُرُّ مكارم ... قامت عليها رنّةٌ وعويل
وطَنْتَ نفسَك للصِعاب فذُللت ... إنّ الصعابَ يروضُها التذليل
وبذرتَ للأوطانِ أشرفَ بذرةٍ ... ستطول أفراعٌ لها وأصول
أعمالُك الغُرُّ الحسانُ خوالدٌ ... والمرءُ عن أعمالِه مسؤول
كن آمناً أن لا تضيع مَتاعبٌ ... سيُقيمُها التِمثالُ والتَّمثيل
مهّدْتَ للنَشْء الجديدِ سبيلَه ... فليشكرنَّك بعد جيلِكَ جيل
وملكتَ لم تَقُدِ الرعيلَ وإنما ... يُغنيك رأيُك أنْ يُقادَ رعيل
حَمَلَتْ لنا الأسلاكُ نعيَك موجزاً ... حتى كأنْ لم يوحَشِ التنزيل
أو أنَّ دينَ محمدٍ لم ينصدعْ ... حتى بكى قرآنه الإنجيل
أعيت بما حملت فجاءت عَيَّةٌ ... لا تستبينُ النطقَ حين تقول
منهوكة لم يبق فيها من ذما ... نبأٌ على سَمْعِ الزمانِ ثقيل
الله ما هذا الجلال حياتُهُ ... ترنيمةٌ ومماتُه تبجيل
هل مدَ روحُ الله عيسى روحَه.. ... أم كان يَنْفُثُها به جبريل
قم وانعَ للبيتِ الحرام شعارَهُ ... وقلِ انطوى التكبيرُ والتهليل
وتعطلتْ سُبُلُ المحامدِ والتقى ... والمكرماتِ فما هناك سبيل
قد قلتُ فيك وقلتُ ثانيَ مَرَّةٍ ... ولسوف أرجِع كرّتي فأقول
أما العراق.. وقد قضيتَ.. فكفُّهُ ... مشلولةٌ.. وحسامُهُ مفلول
إنْ ينتفضْ فَبِقوةٍ مستغلبٌ ... أو ينتهضْ فَبِذِلَّةٍ مغلول

الله.. والأوطــــان تعــــرِفُ نيّتــــي | وعــــليَّ فــــيما أدعيــــهِ.. وكيــــل
إني إذا شَــــغَلَ الغــــرامُ متَــــبَّلاً | فأنــــا الــــذي بــــبلادِه مشــــغول
وطــــنٌ جميــــلٌ.. وجهُــــهُ بغــــدادُه | ورُضــــابَهَ مــــن دجلــــةٍ معســــول
كيــــف السُّــــلُوُّ ولــــيس تــــبرحُ بُكْــــرَةٌ | فيــــه تَهِــــيجُ صــــبابتي وأصــــيل
إني لأشــــتاقُ الفــــراتَ وأهلَــــهُ | ويَروقُنــــي ظِــــلٌّ عليــــه ظليــــل
وأُحــــبُّ شــــاطئَهُ وروعــــةَ سَــــفْحِهِ | تحنــــو عــــلى الأمــــواج فيــــه نخيــــل
أشــــفى عــــلى جُــــرف المهالــــك مــــوطنٌ | بيديــــهِ لا يــــدِ غــــيره مقتــــول
آلامُــــه صــــدعُ الشــــقاق بأهلــــه | وبــــلاؤهُ الأوهــــامُ والتضــــليل
في كــــل يــــوم ضــــجة ملعونــــة | أنْ يحــــدثَ التغيــــيرُ والتبــــديل
يــــا شرقُ يــــا مهــــدَ السَّــــلام ألمْ يَــــئن | أنْ يســــتطيرَ إلى الســــلام رســــول
إن يُسْرِج المســــتعمرون خيــــولَهم | فلهــــم تِــــراتٌ جمّــــةٌ وذُحــــول
أو تــــنس «عمــــور» ومــــا دفعــــوا بهــــا | لم تُــــنس « قرطبــــةٌ» ولا « إشــــبيل »
مَخَــــرَتْ بأشــــباهِ البُحــــور ســــفائنٌ | وعــــدت بأمثــــال الصُّــــقورِ خُيــــول

***

ذكرى دمشق الجميلة

كــــؤوسُ الــــدمع مُتْرَعــــةٌ دِهــــاقُ | وللحــــزنِ اصــــطباحٌ واغتبــــاقُ
مضى « فِرْعَــــوْنُ » لم تَفتقِــــدْهُ مصرٌ | ولا « هــــارونُ » حــــنَّ لــــه العــــراق
أُديــــف « الرافــــدان » فلــــن يــــرادا | ولا « بــــردى» مــــن البلــــوى يُــــذاق
وكيــــف يَلَــــذُّ للــــوُرّادِ مــــاءٌ | عليــــهِ مــــن بنيــــهِ دمٌ يُــــراق
ثباتــــاً يــــا دِمَشْــــقُ عــــلى الرزايــــا | وتوطينــــاً وإن ضــــاق الخنــــاق

وفوزاً بالسِّباق وليس أمراً غريباً أن يكونَ لكِ السباق
دمشقُ وأنتِ غانيةٌ عروسٌ أمشتبكُ الحرابِ لكِ الصَّداق؟
أذنباً تحسبون على البرايا إذا ما ضويقوا يوماً فضاقوا
بعين الله ما لقيتْ شعوب لحدِ السيف مكرهةً تُساق
عجافاً أُطلقت ترعى ولكن معاهدة القويِّ لها وَثاق
وعيقَتْ مُذْ بَغَتْ حقاً مضاعاً وساموها الدمار فلمْ يُعاقوا
ذروا هذي الشعوبَ وما اشتهته مذاقُهُمُ لهمُ ولكم مذاق
تحررتِ البلادُ سوى بلادٍ ذُيولِ شأنهن الالتحاق
أبابُ الله يُفتح للبرايا وعن هذي البلاد به انغلاق
وكيف تسير مطلقةً بلادٌ عليها من أحابيلٍ نطاق
فيا وطني ومن ذكراك روحي إذا ما الروحُ أحرجها السياق
أُشاق إلى رُباكَ وأيُّ حرٍّ أقَلَّتهُ رُباك ولا يُشاق
ويا جوَّ العراقِ وكنت قبلاً مداواةُ المراض بك انتشاق
لقد خَبُثَتْ بك الأنفاسُ حتى لروحي منك بالروح اختناق
على « مدنية » زهرت وفاقت سلامٌ كلما ذُكرَ الوفاق
تولى أسَّها الباني اعتناءً وشيد ذِكْرَها الحَسَنَ اتفاق
أُشاق لها إذا عنَّت خيامٌ وأذكرها إذا حنَّت نِياق
تغشتها النزاهةُ لم تَشُبْهُ أساليبٌ كِذابٌ واختلاق
كما شيّدتُمُ شِدْنا وزدنا ولكن ما لقينا لم تلاقوا
وما سِيانِ بالرفق امتلاكٌ لمملكة وبالسيف امتشاق
سلوا التاريخَ عن شمس أُديلت وعن قمر تَعاوَرَهُ المحاق

هـل الأيـام غـيّرتِ السـجايا ؟ وهـل خَشُـنَتْ طبـاعُهُمُ الرِقـاق
وهـل إفريقيـا شـهِدت سَراةً بهـا كـالعرب مـذ عُـبِرَ الزُّقـاق
غـداةَ البحـر تمِلكـه سـفينٌ لنـا والـبر تحْرُسُـهُ عتـاق
و « طـارقٌ » ملـؤُهُ نـارٌ تَلَظّـى وحشـوُ دروعِـه سـمٌّ ذُعـاق
بأنـدَلُسٍ لنـا عـرشٌ وتـاجٌ هـوى بهـا التخـاذلُ والنفـاق
همـا شـيئان مـا اجتمعـا لشـعبٍ فإمـا الملـكُ فيـهِ أو الشـقاق
أولئـك مَـعشرٌ سَـكِروا زمانـاً ونـاحُوا ملكَهُـم لمـا أفـاقوا
فـإنْ كُتِـبَ الفـراقُ لنـا فصـبراً عـلى كـل الـورى كُتِـبَ الفـراق
لنـا شـوق إذا ذكـروا رباهـا وإنْ نُـذكَرْ لهـا فلهـا اشـتياق
يُطـاق تقلـبُ الأيـام فينـا وأمـا أنْ نَـذلَّ فـلا يُطـاق

***

إلى روح العلامة الجواهري

حـذِرتُ ومـاذا يُفيـد الحـذرْ وفـوقَ يمينـي يمـينُ القَـدَرْ
ومـا يهـوِّن وقْـع الحِـمام أن لـيس للمـرء منـه مفـر
يُوَقِّـعُ مـا شـاء عُـودُ الزمـان ويبكـي ويضـحك منـه الـوتر
« فيـومٌ علينـا ويـوم لنـا ويـوم نسـاء ويـوم نُسر »
تعشـقتُ مـن « عمـرٍ » قَولَـهُ وكـم حكمـة في معـاني عمـر
أرى دهرنـا مسرحـاً كلُّنـا نـروح ونغـدو بـه كالصُّـور
أقـول وقـد قيـل جـاء البريـد ينـث إليـك بهـذا الخـبر
عجيـب لـه كيـف لم يوهِـه فقـالوا صـدقتَ لهـذا عثـر

عُرَفت الكتاب بمضمونه ... يُحَدّث :أن اليراع انكسر
خليليَّ ما أنتما صانعان ... بدمع ترقرق ثم انحدر
تحير بين النُّهى والهوى ... فهذا نَهاهُ وهذا أمر
هلُّما ننوح على دوحةٍ ... ذوى الأصل منها وجفَّ الثمر
ولا ترغبا في اعتذار الزمان ... متى زلَّ دهرُكُما فاعتذر
وهِّونَ من حُرقتي أن أرى ... دَمَ الناس عند الليالي هدر
حَلَفْتُ لقد كنتَ عفَّ اللسان ... وعف اليدين وعف النظر
جَنانُك لا تعتليه الشكوك ... ونفسُك لا يزدهيها البَطَر
شباب مضى كنَتَ برّاً به ... وشيخوخةٌ كنت فيها أبر
فلم تدر في صِغَر ما الصَّغار ... ولم تدر ما الكِبْرُ عند الكِبَر
ونفسُك للنفع مخلوقة ... فلو رُمت..لم تدر كيف الضرر
لقد جلَّ خطبك عن أن يقاس ... بما خلَّفته خُطوب أُخر
فتلك يُلامُ بها جازع ... وهذا يلام به من صبر
بكيتُكَ للعلم مُخَصَّتَهُ ... وأبرزته نافعاً مختصر
كتاب أبيك ومن ذا يعيد ... عليه.. وقد رحت عنه.. النظر
وللنفس تزهَد في عاجل ... وترغب في الآجل المدخر
لفقد صيامك يبكي النهار ... ويبكي لفقد القيام السحر
بكيتك للبيت عالي العماد ... فخاراً نُعيت إليه فَخَر
تعطَّل من حَلْيهِ جيدهُ ... وعِقدُ الجواهر منه انتثر
رأيت من الناس ما دونه ... يُفَلُ الحديد يُفَتُ الحجر
نُسيتَ لأنكَ رُمت الآله ... وغيرُك رام الورى فاشتَهر

وعافتــــك دنيـــاكَ إذ عِفتهـــا وما بـك لـو رُمتها مـن قِصَر
وأعظـمُ مـا جـرّ خطـب الزمـان ملائكــةٌ تُبــتلى بــالبشر
ثمانـــينَ في الله قضـــيْتَها ستُظْهر مـن فـاز ممـن خسر
عـلى قـدر مـا اختلـف الـواردون يكـونَ اختلافهُمُ في الصَّـدَر
ولـو نَفَعـتْ عِـبرةٌ في الـورى لكانــت حياتــك أمَّ العــبر
لقــد كلمتــك خطــوب دهــت لـو الصـخرُ كابـدهنَّ انفطـر
شــبابان كنــا بلطفــيهما نبــاهي الخميلــة أُمَّ الزهــر
فقــدتَها لم يكــن بــين ذا وذلــك إلا كلمــح الــبصر
أتعلــم إذ شــيعت نعشَــه لمـن ذا تُشـيِّع هـذي الزمـر
وهــل عَـرَف المـوت إذ غالــه بـما أيِّ عِلْـقٍ نفـيس ظفِـر
ولـو كنـتَ تُرثـى كـما ينبغـي لكنـت الجـدير بـأم السُّـور
ولكـن عـلى قـدْر مـا أسـتطيعُ أتيـت أقابـل طـوداً بِـذر
ومـا أنـا إلا مُسـيء أقـر ومـا أنـت إلا كـريمٌ عـذر
هـو الحـزن نَـمَّ عليـه البيـان أو الجمـرُ نـمَّ عليـه الشرر
رأيـت الهمـوم نَتـاجَ الشـعور فـلا يَفْـرَحنَّ امـرؤٌ إن شـعر
ودونَ القصـيد الـذي تقـرؤون إذا جاشـت أنفـس وخـزُ الإبـر
ومـا المـرءُ إلا بآثـاره وذكـرك بـالخير نعـم الأثـر
أبـا حسـنٍ يـا جـواد النَّـدى إذا المَحْـلُ عـمَّ.. وصِـنوَّ المطـر
ويـا نابغـاً حـينَ جَـفَّ النُّبـوغ وضـلت عـن الفكـر أهـلُ الفكـر
يَهـشُّ لـك السـمع قبـل العِيـان وتشـتاقك البـدو قبـل الحضر

فلا تجزَعنْ.. نِعم عُقبى الفتى تَحَمُّلُ ما لم يُطِقْ فاصطبر

***

البادية في إيران

بهجة القلب جلاء البصرِ هذه الأرياف غِب المَطَرِ
يا أصيلاً هاجَتْ الذكرى به نسمةٌ أنسَتْ نسيمَ السحر
أنت هيَّجتَ شُعوري طَرَباً أنا لو لم تحلُ لي لم أشعرُ
لطفُك اللهُمَّ ما أعظمَه أفهذا كلُّه للبشَر
أبساطُ الورد ممدوُد على هذه الأقطارِ مَدَّ البصر
وبأنفاسِ حِرارٍ خَبُثَتْ تتلاشى نفحاتُ الزَهَر
يا خليليَّ أجيلا نَظَراً تَريا الآفاقَ كُحلَ النظر
تريا «البقعةَ» من بعد العرا تَكتسي نورَ بساطٍ أخضر
عَمِيت عيني أن أشغلَها منظرٌ عن حُسن هذا المنظر
ألشيءٍ غيرَ أنَ تؤنسَني تظهرُ الأرضُ بهذا المظهر
لستُ بالشاعر إن لم يُصْبنِي أينما كان.. جمالُ الصُورَ
في الثرى.في الروضِ. في أفق السما في شآبيبِ الحيا.. في الحَجَر
واشكري يا أرضُ ألطافَ السّما تُسلَبُ النعمةُ إن لم تشكري
واذكري الشدةَ في فرحِتها واعرفي حُسنَ صنيع المطر
حَسُنَت باديةٌ فارهةٌ هي أنستْنيَ حُسنَ الحضَر
كم على أُمواهها تعريسةٌ ومَقيلٌ تحت ظلِّ الشجر
ونهارٌ مشمِشٌ نَقْطَعُهُ بالأحاديثِ كليلٍ مقمر

راقــت الوحــدةُ لي في غربتــي أنــا لا أهــوى ضــجيج الزُمِــر
شُـــغِل النـــاسُ بسُـــمّارِهُمُ وأنــا وحــدي هــواكم سَــمَري
أنــا والــروضُ وأشــباحُكُمُ نتنــاجى تحــتَ نُــور القمــر
هيَّجــوا أوتــارَهم وانبعثــت هِــزّةُ الحــب فهاجــت وَتَــري
نَفَــسَ للشــعر في تقطيعــه أثــرٌ مــن نَفَــسِ المحــتضَر
يــا أحبــايَ ومــا أصــبرَكم أحسَــنُ الأحبــاب مــن لم يَصــبِر
طــال إســهابي ومــا أشــوقَني لكتــابٍ مــنكُمُ مختــصَر
كــم أرى منتظــراً وعــدَكمُ ثَقُــلَ الوعــدُ عــلى المنتظِــر
أنــا إنْ عَــدُّوا علــيكم عثــرة قلــت :أيُ النــاس مــن لم يعثُــر
وإذا مــا قيــل : ظلــمٌ هجــرهُم قلــتُ: لا لــو زلــةٌ لم أهجُــر
يطمــع القلــب بسُــلوانِكُمُ فــإذا حاوَلَــه لم يقــدِر
تعتريــهِ هــزّةُ الشــوقِ لكــم ومــن القســوة أن لا تَعــتري
أتُــرى ريــحَ الصــبا يُثقلهــا خــبرٌ تحملــه عــن جَعفَــر
عــن أديــبٍ جَمّعَــتْ أنفاسُــه صــنعةَ « الفــنِ » وطبــعَ « العبقــري »
أنــا خــاطرت بــنفسي في الهــوى والهــوى لذّتــهُ في الخَطَــر
قــد سَــهِرْنا فوجــدنا أنــه فــوق طعــم النــوم طعــمُ السَــهَر
حســب قلبــي ذكــركم تعويــدةً وأمانــاً مــن صروف القــدر

***

على دربند

أحبَّتنــا لــو أُنــزل الشــوقُ والهــوى عــلى قلــب صــخرٍ جامــدٍ لتصــدَّعا

خليليَّ ما أدنى المماتِ إلى الفتى … وأقربَ حبلَ العمرِ أنْ يتقطَّعا
ولمْ تطلُعِ الأقمارُ إلاَّ لتختفي … ولا عقربُ الساعاتِ إلا لتُلسعا
فإنْ لم يكن إلاَّ نهارٌ وليلةٌ … فما أجدرَ الإنسانَ أنْ يتمتَّعا
ولمَّا أبتْ أيَّامُنا غيرَ فُرقةٍ … ولم تُبْقِ في قوسِ التصبرُّ منزعا
وكنَّا وفي كأسِ الرزايا صُبابةٌ … فما برِحتْ حتى شربناه أجمعا
نوينا فأزمعنا رحيلاً وما التوت … بنا نُوبُ الأيامِ إلاَّ لنُزمعا
نزلنا ففرَّقنا هموماً تجمَّعتْ … أبى صفو « شمرانات » أن تتجمَّعا
أحتىَّ لدى الجنَّاتِ أهفو إليكمُ … ويسمعني داعي الصبابةِ أنْ دعا
رعى اللهُ أُمَّ الحُسنِ « دَرْبندَ » إنَّنا … وجدنا بها روضاً من الصفو مُمرِعا
لقد سرَّنا منها صفاها وطيبَها … ولكن بكيناه جمالاً مضيَّعا
مَريعاً من الحُسنِ الطبيعيِّ لو سَعتْ … بنوه إلى إنعاشهِ كان أمرعا
قُري نظِّمتْ نظمَ الجُمانِ قلائداً … أو الدُّرِّ مُزداناً.. أو الماسِ رُصِّعا
صفوفٌ من الأشجار قابلْنَ مثلَها … كما مَصرعٌ في الشعرِ قابلَ مصرعا
نَظَمنا فأهدَينا القوافي بديعةً … وكانَ جمالُ اللهِ فيهنَّ أبدَعا
وقفتُ على النهرِ الذي من خريرِه … فرْعتُ من الشعرِ الإلهيِّ مطلعا
لقد وقَّعتْ كفُّ الطبيعةِ لحنَه … وشابهه في الشعرِ طبعي فوَّقعا

***

بريد الغربة

هبَّ النسيمُ فهبتِ الأشواقُ … وهفا إليكمْ قلبُه الخفّاقُ
وتوافَقا فتحالفا هو والأسى … وحَمامُ هذا الأيكِ والأطواقُ

عــارٌ عــلى أهــل الهــوى أن تُــزدرى ... هــذي النفــوسُ وتُشــترى الأعــلاق
ذَم الفـــراقَ معـــاشرٌ جهلـــوكُمُ ... مــن أجلكــم حتــى الفــراقُ يُطــاق
ما شوقُ أهل الشوق في عُرفِ الهوى ... نُكــرٌ فقــد خُلِقــوا لكــي يشــتاقوا
أمــا الرفــاقُ فلــم يَسُــؤْني هجـرهمْ ... إذ لــيس في شرع الغــرام رفــاق
لــو أُبــرم الميثــاقُ مــا كَمَــلَ الهــوى ... شرطُ الهــوى أن يُــنقَض الميثــاق
كُتُــبُ الإلــه تشرفــت في ذكــره ... وبـــذكركمْ تـــتشرفُ الأوراق
هــذا القــريض تكــبَّرت بُرُآتــهُ ... إذ ضــاق مــن ألم الفــراق خنــاق
عَمَــرت بــذكركمُ اللذيــذِ مجــالسٌ ... وازَّيَّنَـــتْ بهـــواكُمُ أســـواق
مــاذا أذُم مــن الهــوى وبفضــله ... قــد رق لي طبــعٌ وصــحَّ مَــذاق
هي « فارسٌ » وهواؤهـا ريـح الصَّبا ... وســـماؤها الأغصـــانُ والأوراق
وَلِعَــتْ بهــا عُشّــاقها وبليــةٌ ... في الشرق إنْ وَلِعَــتْ بهــا العشــاق
ســالت بــدفاق النُّضــار بقاعُهــا ... وعـــلى بنيهـــا شـــحتِ الأرزاق
يــا بنــتَ « كــومرثٍ » أقــلَّي فكــرةً ... فلقـــد أضرَّ برأســـك الإخفـــاق
وتطلّعـــي تَتَبَيَّنـــي الفجــرَ الــذي ... تتـــوقعينَ وتـــنجلي الآفـــاق
لي في العـــراق عصـــابةٌ لـــولاهمُ ... مـــا كـــان محبوبـــاً إليّ عـــراقُ
لا دجلــةٌ لــولاهمُ.. وهــي التــي ... عــذُبت..تــروق ولا الفــراتُ يــذاق
« شمرانُ » تُعجِبُني.. وزهرةُ روضها ... وهواؤهـــا.. ونميرُهـــا الرَّقـــراق
مــتكسراً بــين الصــخور تمُــدّهُ ... فــوقَ الجبــال مــن الثُّلــوج طِيــاق
وعليــه مــن وَرَقِ الغُصــونِ سُرادقٌ ... ممـــدودةٌ ومـــن الظِـــلالِ رُواق
في كــل غصْــنٍ للبلابــل نــدوةٌ ... وبكـــل عـــودٍ للغنـــا «إســـحاق»

كانـت منـايَ فلـم تُعَـقْ وعجيبـةٌ ... أني أُحـب منـىً فـلا تُعتـاق
سرُّ الحيـاة نجـاحُ آمـلِ الفتـى ... أمـا المـهاتُ فسرُّه الإخفـاق

❊❊❊

في طهران

مـا انتفـاعي بغـيض هـذي الـدُّموع ... والجْـوى مِـلْءُ مهجتـي وضُـلوعي
لا أُحب العِنـاقَ مـن أجـل ذكـرى ... خَلّفتهـا عناقـةُ التوديـع
لم أكُـنْ قبـل أن يَحِـينَ نـواكُمْ ... عارفـاً قَـدْرَ شـمليَ المجمـوع
قـد رأيـتمْ تجلُّـدي لسـواكمْ ... فاسـألوا: كيف كـان فيكم وُلـوعي
هَـيِّنٌ كـلُّ مـا أُلاقيـهِ منكمْ ... في الهـوى غَـيْرَ ذِلّتـي وخضـوعي
عتـب النـاسُ قبلنـا فأسـاءوا ... رُبّ عتـبٍ يجـرُّ للتقريـع
أيـن فضـلُ الشـباب إن لم يكـن لي ... حـين أرجـو وصـالَكُمْ بشـفيع
نَفَـسُ الشـعر شـاهدٌ لذويـهِ ... لـيس يخفـى المصنوعُ بالتصنيع
إن أُضـيِّعْ فسـوف يُنْشَـدُ شـعرٌ ... بـدويٌّ برقـةِ المطبـوع
قـد سـمِعْنا بفـارسٍ وكفانـا ... حُسْـنُ مرئيّهـا عـن المسـموع
جـاء فصـلُ الربيـع يَفْـتَرُّ حسـناً ... وهنـا.. هاهنـا رُواءُ الربيـع
رَجَـع الحسـنُ بعـدما فـات منهـا ... قـلَّ مـا بـينَ فَوْتِـهِ والرُّجـوع
وإذا مـا الشـتاءُ جـاء وردت ... قطعـاتُ الثلـوج كَـفَّ الصـقيع
وأتـى الصيفُ فاستفاضـت شِعابٌ ... غمرتهـا الرّبـى بـماءٍ مَريـع
وتـولى الأشـجارَ زِيٌّ غريـبٌ ... فهـي خضرُ الأصـولِ بيض الفروع
فهنـاك الجـمالُ وهـو بسـيطٌ ... تجتليـه والحسـن وهـو طبيعـي

الخريف في فارس

يــا هــائجينَ لخريــفِ فــارسٍ ... مــا تصــنعونَ لــو أتــى ربيعُــهُ
ورافعــــينَ طُنُبــــاً تدعَمــــه ... قــدودُهم دامَ لكـــم رفيعـــه
أبيــاتُ حُســنٍ.. نُظِّمــتْ بيُــوتُكم ... جميعهـــا وحُـــبكم جميعـــه
كــأنها الجْــمالُ شِــعرٌ بحــرُه ... بــــرٌّ وأطنــــابُكمُ تقطيعـــه
تشــكر كُمْ عُيــونُ أربــاب الهــوى ... وصــاحبُ الإحســانِ مــن يُشــيعه
هــذا جمــالٌ زانــهُ نــورُ الفضــا ... لا كجمـــالٍ حِفظُـــه يُضـــيعه
لله دَرُّ دَرِّه مـــــــن مُرضِـــــع ... كــلُّ الثــرى ومــن بــه رضــيعه
أُفٌّ لخَلْــقٍ رشَّــةٌ مــن السَّــما ... تُشــبعه وَمنْعُهـــا يُجيعـــه
الحــيُّ بــادٍ عُجْبُــه وعنــدَه ... عجيــبُ أمــرٍ مضــحكٍ بديعــه
مــا الحــيُّ يقتــادُ القطيــعَ للكــلا ... وإنـــما يقـــوده قطيعـــه

***

الربيع

خليــليَّ مــن ظلــم الليــالي بأنهــا ... تَجيء على رَغمي وتُحسَب من عُمري
هَلُــمّا نَبِــعْ عُمــراً ونَشْرِ مَسَرَّةً ... فلــيس بعــدلٍ أن نَبيــعَ ولا نَشرى
ألم تَرَيــا حُســنَ الربيــعَ ومــا ضَــفَا ... علـى هـذه الأشـجارِ مـن حُلَلٍ خُضر
فلــو أنَ مَيْتــاً يُكتَفــى عــن نُشــوره ... إذنْ لاكتفى مَيْتُ النباتِ عن النَشْر
تَرَى الوَرْقَةَ الصفراءَ تنمو على الحَيا ... رُوَيداً كما ينمـو الرضيعُ عـلى الـدَرّ
خلــيليَّ مــا شُــكْرُ ابــنِ آدم ربَّــه ... بأفصـحَ مِـن شُـكر الخمائـلِ للقَطْـر

سقاها الحَياَ الغادي فنَمَّ على الثَنا   شذاها كما نمَّ الحَبَب على الخَمر

❊❊❊

من كنوز الفرس

هي بعض ترجمات من شعر حافظ الشيرازي.. الشاعر والأديب الفارسي المعروف.. ولفصل هذه المجموعة عن باقي قصائد الديوان اخترنا ترقيمها بهذا الشكل من رقم (١) إلى رقم (٢٥).. وقد نُشرت بالتتابع في جريدتى النجف ابتداء من العدد ٦١ في تشرين الثاني ١٩٢٦ وانتهاء بالعدد ٦٩ في ٧ كانون الأول ١٩٢٦ . ولم يحوها ديوان من قبل هذه المجموعة.. ويقول الجواهري عنها في العدد ٦٤ من جريدة النجف الصادر في ٣ كانون الأول : كان لوجودي في «طهران » عاصمة الفرس الفضل الأدبي الذي لا ينسى.. فقد لطفت أوضاع هذه المملكة الروحية وأذواقها النفسية من روحي وذوقي.. ويستطرد الجواهري في نهاية مقاله المطول ليقول أن بعض أشعاره التى كتبها هناك هي أعز ما ضمنته مذكرته الشعرية..

❊❊❊

١ – مجموعة الورد

لغة الأملاك لا يعرفها كل من طالع أوراق الصحاح
لأزاهير الربى مجموعةٌ شرحها يعرفه طير الصباح

❊❊❊

٢– بين العالمين

ملكاً كنت وفي الفردوس لى كان صحاب
آدم أخرجني منه إلى هذا الخراب

ظــل طــوبى وصــفاء الحــور غيــداً والشراب
كلــه مُــذ همــت في حبــك عــن ذهنــي غــاب

❊❊❊

٣- جلوة المعشوق

بلبـــل يحمِـــلُ في منقـــاره وَرْقَـــةً مـــن وردةٍ ذاتِ جمـــالِ
وهـــو لا ينفـــك في استعراضـــها ذا زفـــيرٍ ونُبـــاح متعـــالي
قلـــت : مـــا أوجـــب ذا الحـــزنَ ومـــا نسـبةُ الوصـلِ مـن الـدمع المُـذال
قـــال : هـــذا ســـنةٌ توجبهـــا جلـوةُ المعشـوقِ في يـوم الوصـال

❊❊❊

٤- فتوى في الخمر

مـــن شـــيخ دَيْـــرِيَ فَتْـــوى عنـــدي وعهـــدٌ قـــديمُ
أن لا تَحِـــلَّ مُـــدامٌ حتـــى يَحِـــلَّ النـــديم

❊❊❊

٥- الأمل

إن يكـــنْ أُغْلِـــقَ يـــومٌ لـــك فـــارجُ الانفِتـــاحْ
مـــثلما تنقـــبض الـــوردةُ بعـــدَ الأنْشراح
فيُحيّهـــا الصَّـــبا الطَّلْـــقُ وأنفـــاسُ الصـــباح

❊❊❊

٦- رشحة القلم

أيَّ لُطـــفٍ قـــد أرتنـــا رشـــحةٌ مـــن قلمـــكْ

كرمــــاً كـــــان عظـــــيماً	منـــــك ذكـــــرى خَـــدَمِك

***

٧- أينا أحسن..

ذهـــب النـــاس مـــن الـــدنيا	بِمُلْـــــــكٍ ونعـــــــيم

وذهبنـــــا نحـــــن بالأشـــعارِ	والـــــــذوقِ الســـــليم

***

٨- ختم الشفتين

مثـــلُ دنِّ الخمـــرِ نـــفسي	أبـــــــداً في غليــــــانْ

وأنـــا آكـــل مـــن قلبـــي	ولا يـــــدري اللســـــان

كيـــف بعـــد الخـــتم تقـــوى	أن تبـــــوحَ الشــــفتان

***

٩- في العيد

وعـــظ الشـــيخُ ولكـــنْ	أذني فيهـــــا انصـــــامْ

كـــلُّ شـــغْلي يـــومَ عيـــد	الفِطْـــرِ كـــأس ومُـــدام

لِتنـــالَ الخمـــرُ منـــي	ثـــأرَ أيـــام الصِـــيّام

مـــدة غبـــت بهـــا عـــن	وجـــه خمـــار وجـــام

وبحســـبي بعـــض مـــا فرطّـــتُ	في ذيـــــن أثـــــام

***

١٠- أدب الساقي ..

خـــذِ الكـــأس بتـــوقيرٍ	وقبّلْهـــــا بإذعــــانِ

فقد رُكِّبَ من قِحْفَةِ ... جبّارٍ وسلطان
بقايا رأسِ جَمْشيدَ ... وبهرام وبهمان

***

١١- النسيم العاشق

من أجل أن يحظى بوردِ ... مثل وجهك في الجمال
صبحاً يجوس خلال كل ... خميلةٍ ريح الشمال

***

١٢- بلا عمر

أنا قد عشت بلا عمرٍ لتوديعي رفاقي
أين من يحسب من دنياه أيام الفراق

***

١٣- نسيم الحياة..

جهراً أقول ولوثُ الخُمارِ يدوي برأسي
إني وجدتُ نسيمَ الحياةِ يملأُ كاسي

***

١٤- أمر الأستاذ

لا بأمري خلق الصاحي ولا النبّاذْ
كلنا يأتي كما قد أمر الأستاذْ

***

١٥ - البلبل الشاعر

في الصبح أوحى بلبل الرّوضِ إلى ريح الصَّبا
أرأيت ما جرّ لنا عشقُ أزاهيرِ الرُّبى

***

١٦ - هذا وذاك

ينوح البلبل المسكين ما بين البساتين
وأنفاس الصبا تحظى بتقبيل الرياحين

***

١٧ - من هنا إلى هناك

سماع الوعظ لا نقبله من غير أخيار
فمن مجلسنا هذا إلى حانة خمار

***

١٨ - أمران عجيبان

طبعك القاسي وحظى منك أمران عجاب
لعدوى مجلس الأنس ولى مر العتاب

***

١٩ - إلا أنا

كل سكير قضى عن نفسه دين الشراب
وأنا ثوبي رهن ،لخمر من دون الثياب

***

٢٠- ألف شكوى

أمــــن الــــدهر تعجبــــت ومــــن صرف الهــــوان
ألــــف شــــكوى مثــــل هــــذي ســــمعت أذن الزمــــان

***

٢١- أم لماذا

هــــل صــــحا «حــــافظ» مــــن ســــكر ريــــاء وارتيــــاب
أم لمــــــاذا تــــرك الــــدير إلى حــــان الشراب

***

٢٢- أنت أعرف

أنــــت يــــا ســــاقي الطــــلا أعــــرف منــــي بالصــــنيع
أنــــت مــــن أهــــل الشــــعور الحــــي والــــذوق البــــديع
ضــــفة النهــــر وظــــل الغــــيم والفصــــل ربيــــع

***

٢٣- في الكأس

زف لي الخــــمار كأســــاً هــــي مــــرآة الزمــــان
دلنــــى فيهــــا عــــلى مــــا فيــــك مــــن لطــــف المعــــاني

***

٢٤- الوردة والشوكة والبلبل

ســــحراً إذ جئــــت للبســــتان أبغــــي منــــه وردا
راعنــــي صــــوت هــــزازٍ يتشــــكى الحــــب فــــردا

شــاعرٌ قــد هــده عشــق ورد الــروض هــدا
فــتراه يمــلأ البســتان بالآهــات وجــدا

***

٢٥- كثر الورد .. ولكن

كثــر الــورد ولكــن منــع الشــوك اقتطافــا
عشــق البلبــل ورداً هــو والشــوك تصــافى
لا ســلا هــذا ولا ذاك عــن الإلــف تجــافى

***

اعترافات

يقــول : لِمَ اعتزلــتَ؟ فقلــتُ لِمْ لا | وخــيرٌ مــن تظــاهُريَ اعتــزالي؟
نظمــتُ فلــم يُفــد شــيئاً نظــامي | وقلــت فلــم يَجِــد أثــراً مقــالي
وهــل تجــدي الشَّــجاعةُ في كــلام | جبانــاً عــن مقارعــة الرجــال
أقـــول وذاك بهتـــانٌ وزورُ | ظهـــوريَ لا لجـــاهٍ أو لمـــال
ألا فليشـــهَدَ الـــثقلانِ أني | مــع الأيــام ! تــرخُص ..أو تغــالي
أذُم النــاس إن غــابوا.. ولكــن | إذا حضروا فعُنــوانُ الجــلال
أبــالي بامتــداح النــاس فعــلي | وإن أظهـــرت أني لا أُبـــالي
وأزجُــرهُم إذا نطقــوا بعيبــي | كــأني بــالغٌ حــدَّ الكــمال
وأُظهــر عِفّــةً عــن نيــل شيءٍ | إذا ألفيتُــه صــعب المنــال
وأُســأل عــن أمــور لا أعيهــا | فــأظْهِر أن نقصــاً في الســؤال
وكــم ســليت بالأوهــام نــفسي | وغطَّيــت الحقيقــةَ بالخيــال

خططتُ على الرمالِ منىً فلما ... تطامى السيلُ سِلْن مع الرمال
وكم من منطقٍ حُرٍّ نزيهٍ ... أُزيِّفُهُ عِناداً بالجدال
مخافةَ أن أُرى فيه أخيذاً ... ومغلوباً.. كأني في قتال
على عهدي.. فلا الأيام حالت ... ظواهرُها..ولم تشِبِ الليالي
ولكنْ.. ضيقُ نفسي باعترافي ... يريني أن ضيقاً في المجال
وكم وعدٍ حلفتُ بأنْ يوفّى ... كأني قد حلفت على المِطال
أقول.. ولا أخاف الناسَ.. إني ... مزجت حرامَ دهري بالحلال
وقد حَسُنتْ خِصالٌ لي ولكن ... رأيت القبحَ أكثرَ في خِصالي

***

شدة لندن

يا خليليَّ والبلاءُ كثيرٌ ... في بلادي.. ولا كهذي البليهْ
أزْمنَ الداء في العراق ولن ... يَشفيه إلا الجرّاح والعمليه
أفَتِيٌّ عراقنا ؟ فلماذا ... خدعوه ؟ وذاك شأن الفتيه
سَحَرْتنا ظواهرُ الأمر حتى ... أوهمتنا أن البلاد قويه
نتغنى وعصْرنا من نُحاس ... بأغاني عصورنا الذهبيه
نَخر الجهل أُمّتي نخرة السوس ... فأينَ المجامعُ العلميه
كلُّنا في الجْمود والجهل ... وحشيون لكنْ حقوقنا مدنيه
كلُّنا في النفاقِ والختلِ نُبدي ... كلَّ يوم مهارة فنيه
وطني كلُّ من عليه وزيرٌ ... واضعٌ نُصبَ عينه كرسيَّه
قد لففنا كل المساوي فينا ... بـرداء من نهضة وطنيه

مـــا شَـــقِينا إلاّ لأنـــا حسِـــبْنا أن في الكـــذب جــرأة أدبيــه
كثــر المــدَّعونَ.. لمــا اختلفنــا في البــديهي.. فكــرةٌ فلســفيه
لــو يقــول الأديــب في الشرق « إن الأرض تحتي » لسُميت نظريه!
كلُّنــا بالــذي تمنــى ســعيد لا نبــالي أن الــبلاد شــقيه
أسـمعتم مـا قيـل عـن « برلمـاني » وعـرفتم مهــارة الحزبيــه؟
لسـت أدري لكـن يقـول خبـير في البضـاعات.. شـدة « لندنيـه »

❊❊❊

بغداد على الغرق

بـدت خَـوداً لهـا الأغصـان شَـعرُ ودجلــةُ ريقُهــا والسَـفْحُ ثَغْـرُ
عـلى « بغـداد » مـا بَقِيـتْ سَـلامٌ يَضُــوعُ كــما ذَكَــا للــوَردِ نَشْر
سمتْ تَزْهـو عـلى السَـمحَينِ منهـا قصــورٌ ملؤهــا زَهْــوٌ وكِبْــرْ
يُظلَّــلُ دجلــةً منهــا جَنــاحٌ كــما بَــاهى بقادِمتَيــه نَسْر
نزلــتُ فــما رأيــتُ أبــرَّ منهــا وضــيفُ كريمــةٍ بــرّ يُـبَرَ
قرتْنـي الـريحُ.. لم يَفْسُـد.. مَهَـبٌّ لــه والمــاءُ.. لم يسْــدُدْ.. مَمَــرُّ
سـكِرتُ ومـا سُـقِيتُ بغـيرِ مـاءٍ ودجلــةُ ماؤُهــا عَسَــلٌ وخَمــر
كريمــةُ ســادةٍ عَــرَّقْنَ فيهــا عــروقٌ مــن بنـي « عـدنان » نُضْر
كفـى « العبـاسَ » مـا أبقَـتْ بنـوه فــما تَربــو عــلى « بغــدادَ» مِصْر
مَضَــوا غُــرَّ الوجــوهِ وخلَّــدتْهم نِقابــاتٌ مــن الآثــار غُــرّ
فمــن يــكُ ذكــرهُ حَسَــناً جمـيلاً فحسْــبُ القَــوم في بغــدادَ ذِكْــر
فيــا بغــدادُ لا ينفــكُّ سِرٌّ لُحسْــنِكِ يــنجلي فيــدِقُّ سِر

أكنـت و «بـابلاً» بلـداً سـواء فللملكَـينِ بـاقٍ فيـك سـحر
سـقى الْجِسرَ المَطـيرَ مـن الغـوادي فَملْقـى اللهـو واللـذاتِ جسر
هـو الـبرجُ الـذي كـادَتْ عليـه نجـومُ الأفـقِ سـاجدةٌ تَخِـرّ
رأيـتُ بأفقـه شمسْـاً وبَـدراً كأحسـنِ مـا تُـرَى شَـمسٌ وبَـدر
نهـاراً كلُّـه أُصُـلٌ لِـذاذٌ ولـيلاً كلـهُ سـحرٌ وفجـر
وقفـتُ عليـه وِقفـةَ مسـتطيرٍ مـن الأحـزانِ مـلْء حَشـاه ذُعـر
وللأمـواج مـن حَنَـقٍ نَشـيشٌ كـما يَغـلي عـلى النـيرانِ قِـدر
ودجلـةُ كالسـجينِ بغَـى فـراراً وأزْبَـدَ حيـثُ أعـوزَه المَقـرُّ
وذاكَ الثابـتُ الأركـانِ أمسـى عليهـا ريشـةً لا تسـتَقِرُّ
فـما أدري غَـداةَ نَـزَا عليـه مـن الأمـواج مُغـتَلِمٌ يـؤر
أتحتَ المـاءِ غاصـوا حين جـازوا عليـه أم فُوَيـقَ المـاءِ مـرّوا
أحقـاً أن « أمَّ الخـير » منهـا بعاصـمة « الرشـيد » أحـاطَ شرّ
وبـات المـاءُ منهـا قِيـدَ شِـبرٍ لقـد أسـدَى لهـا الإحسـانَ شِـبر
ودجلـةُ حُـرَّةٌ ضـيمَت فجاشَـت ويـأبى الضـيمَ والإذلالَ حـرّ
أضـاعُوا ماءهـا هـدراً وأخنَـى عـلى مُسـتودَع البَرَكـات فَقْـر
فـإن تَـكُ دجلـةٌ هَـدَأت وقـرَّت فللغضـبان « شِقْشِـقَةٌ » تَقَـر
وإن تُبْـتُـمْ فـذالكمُ وإلا تُصِرُّ عـلى البليـة إن تُصرّوا
رأوا حسـنَ العـراق فـأعجبتهمْ أبـاطحُ مـن.. ربيـع فيـه.. خُضْر
وقـد حَنُّـوا إليـه كـما تلظـى فطـيمٌ حـول مرضـعة تـدُر
فيـا وطنـاً جَفَـوْهُ وهـو راضٍ وعقَّتـه بنـوه وهـو بَـرّ

برغمـي أن تـروقَ لهـم فتحلـوا مـواردُهم وعـيشي فيـك مـرّ
نصيبي منـك دمـعٌ لـيس يرقـى عـلى البلـوى وجنـبٌ لا يَقِـر
رضيِّ بالحـالتين ضـنىً وبـؤسٌ فضُر مـن بـلادي لا يضر
ولسـتُ ببـائع أرضي بـأرضٍ وإن لم ألـقَ فيهـا مـا يسر
ومـن لم يـرضَ موطنـه مقـراً مـن الـدنيا فلـيس لـه مقـر
تتابعـت الخطـوبُ عـلى بـلادي فواحـدةٌ لواحـدةٍ تجُـر
وقـد مـرت نحـوسٌ واسـتمرت وذلُ القـوم نحـسٌ مسـتمر
فلـو قـالوا تمـنَّ لقلـتُ يومـاً يكـرُّ ومـا بـه خطـبٌ يكـر
إليـك الشـعرَ يـا بغـدادُ عِقـداً تناسـق لؤلـؤٌ فيـه ودُرّ
بيـانٌ جـاش فيـكِ فجـاء عفـواً وحسـنٌ رق منـك فـرقَ شـعر
جـرى بـالوَفق مـن قلبـي لسـاني وأظهـرت القـوافي مـا أُسِر

***

تحية الوزير

حـيِّ الـوزيرَ وحـيّ العلـمَ والأدبـا وحـيِّ مـن أنصـف التـاريخَ والكتبـا
وحيِّهـا ضربـةً للجهـل قاضـيةً مجالسُ العلـم قـد عجّـت لهـا طربـا
وحيّـه سـاخطاً هاجـت حميَّتُـهُ وحيِّـهِ ناهضـاً غَـيرانَ ملتهبـا
أُريـد منـه الـذي لم يهـوَهُ فنبـا وسِـيمَ مـا لم يُطـقْ وجدانـهُ فـأبى
لـولاك أعـدى بُـراءً داءُ دعـوتهم وربّ عضـةِ كلـبٍ أورثـت كَلَبـا
لم يحفظـوا لأمـاني الشـعب حرمَتَهـا من أجل أن يبلُغوا من مطمع أرَبا
يـا صـاحب الهمّـةِ الشـماء حسـبُكَهُ يومـاً رَعَيْـتَ بـه الأجـدادَ والنسـبا

اللهُ يجزيـــك والآبـــاء مـــأثرةً في الله صُـنتَ بهـا آبـاءَكَ النُجبـا
ما زلـت « حباً بـها شـيدت في رجـب » من فـوق كـل شـهوري رافعـاً رجبا
بصّرت بعــدك مــن يــأتي بواجبــه نحـو البـلاد كـما أخجلـتَ مَـنْ ذهبـا
لـو كــان للشــعبِ رأي في مصــائرِه حقـاً أقـام لـك التمثـالَ والنُصُـبا
هــم حاولوهــا لأغــراض مُذمَّمَــةٍ حتـى إذا سُـعِّرَتْ كـانوا لهـا حطبـا
جــزاء مــا قــد أظلتــه الــبلادُ ومــا أضـفت علـيهم بـه أثوابَهـا القُشُـبا
عــارٌ عــلى صــفحة التــاريخ قيلتُــه ولطخـةٌ في جبـين المجـدِ مـا كتبـا
حسـب «الحسـين» الـذي لاقـاه مغتربـاً مــن الشــام ومــا لاقــاه محتربــا
هــذا نتــاجُ شــعورٍ جــاش جائِشُــهُ راعوا عواطف هـذا الشـعب ياغُرَبـا
أمـا العـراقُ فقـد غصـت «مطاعِمُـهُ» فاسـتطعموا بعـده بـيروتَ أو حلبـا
ضــاقت بــها لَقيــتْ مــنهم مــواطِنُهُمْ لكــنّما مــوطني مــن ذلــةٍ رَحُبــا
وقيعــة بــين شــعب هــادئ وجــدوا كفـواً لهـا سـاقطَ الأخـلاق فانتـدبا
مــا كــان يعلــم لمــا أن أهــاب بــه شـيطانُه أنْ يَجُـرَّ الويـلَ والحربـا
حتــى إذا صَــوَّحَتْ آمالــهُ ورأى أن الأمـاني التـي غرّتـه عُـذْنَ هبـا
عـضَّ النواجـذَ مـن غـيظٍ فـما نفعـت شيئاً وأهْـونْ بـه مـن واجـد غضـبا
كسرتَ من شوكة الطاغوتِ ماعسرت ورُضْـت مـن خُلُـقِ الجبّـارِ مـا صُـعبا
لا رحمــة لغَــويٍّ في الضــلال هــوى ولا لعــاً لُمجِــدٍّ في الشــقاق كبــا
مشــى يظنُّــك كالماضــين ذا خَــوَرٍ حتـى إذا مـا رأى مـا لم يـرَ انسـحبا
هيهـاتَ في أيّ مرعـى شـائكٍ سـفهاً رعـى ومـن أيِّ كـاسٍ عَلْقَـم شَـرِبـا
وطعمـه جهمـة الأحسـاب مـا عرفـت مـن الكتـاب إلا السـب والصـخبا

لكــل مــا شــان أمجـادا وشـوهها	أعـدت الحـبر والأوراق والقصـبا
مـن كـل منتبـذ الأخـلاق مطـرح	لو كـان عضـواً لكـان الـذيل والـذنبا

❊❊❊

الوطن والشباب

أتـــت زمـــراً فهـــدّدت الـــبلادا	خطـوبٌ هـزّت الحجـرَ الجـمادا
فيـــا وطنـــاً تناهبـــتِ الرزايـــا	حُشاشـــتَه وأقلقـــتِ المهـــادا
برغمـــــــي أنَّ داءك لاأقيـــــــه	وجرَحـــكَ لاأطيـــق لـــه ضـماد
وأنْ يِـــردوا مياهَـــكَ صـــافياتٍ	مرقرقـــــةً وأنْ أرِدَ الـــــثمادا
وأن تصـــفو مـــواردُهم فتحلـــو	لهـــمْ وبنـــوكَ لا يَجِـــدونَ زادا
تـــدفقْ مـــاءَ دجلـــة فاخترقْهـــا	ســـهولاً طـــبنَ مرعـــىً أو وهـــادا
وجلّلْهـــا عمـــيمَ النبـــت واخلـــعْ	عليهـــا الحُسْـــنَ وافرُشْـــه وســـادا
وقُـــلْ للـــزارع المسـكين يـــزرعْ	ويتركـــــه إذا بلـــــغ الحصـــــادا
أراد الســـوطُ أن نشـــقى ليهنـــوا	ومـــاضِ حكـــم «ســـوطٍ» إنْ أرادا
وســـيّدُ نفســـه شـــعبٌ ولكـــنْ	قضى الفـــردُ المســـلَّطُ أن يُســـادا
ألا ســـاعٍ ولـــو بخيـــال طيـــفٍ	يـــبشّر أنَّ عصرَ الظلـــم بـــادا
أخُـــلانَ العبـــادِ عـــلى اســـتواءٍ	لِمَـــن وعـــلى مَـــا ســـلَمْتِ العِبـــادا
رأوا في الرافـــدين ثـــرىً خصـــيباً	يـــروقُ العـــين فـــانتشروا جـــرادا
ســـل الـــنشءَ الجديـــدَ حمـــاه ربي	أيقـــدِر أنْ يُبلّغنَـــا المـــرادا؟
أيقـــدر أن يُـــري التـــاريخ ســـعياً	متـــى نمـــرُرْ عليـــه نقـــلْ أجـــادا
وأن يســـعى ليصـــلحها شـــعوباً	بنوهـــا أوســـعت فيهـــا فســـادا

فــإنَّ عــلى الوجــوه ســماتِ خــيرٍ حســاناً تكشــف الكُــرَبَ الشــدادا
مدارسَــــنا احفظـــي الأولاد إنـــا وضــــعنا بــين أضــلعك الفــؤادا
أريهـــم واجـــبَ الـــوطنِ المفــدَّى لكـــيما يُحســـنوا عنـــه الجهـــادا
أريهــــمْ أننـــا بـــالعلم ننمـــو كـــما ينمـــو الثـرى سُـقِي العهـادا
أريهـــم أننـــا نبغـــي رجـــالاً نســـود بهـــا الممالـــك لا ســـوادا
أشـــبَّانَ العـــراق لكـــم نـــدائي ومـــثلُكُمُ جـــديرٌ أن يُنـــادى
ألســـتم إنْ نبـــا بالشـــعب خطـــبٌ نضـــيناكمْ لـــه قضـــباً حـــدادا
وحســب الشــعبِ بــالفكرِ اعتقــاداً وبعـــــد الله بـــــالنشء اعتضـــــادا
لســـاني نافـــثٌ ســـماً وطبعـــي يلطفُـــــه فتحســـــبُه شِـــــهادا
لـــئنْ غطـــى عـــلى كَبـــدي أديـــمٌ فكـــم مـــن جمـــرةٍ كُسِـــيَتْ رَمـــادا

***

نزوات

كـــم مـــن ســـؤالٍ عميـــقٍ لــــه الــــدموع جــــوابُ
أمــــا الفــــؤاد ففيـــــه مــــن الهمــــوم كتــــاب
عـــــلى اللســـــان تَبَـــــدَّى لمّــــا اســــتفاض الوِطــــاب
طَفْحـــــاً كـــــما يتنـــــزّى عــــــلى الشراب حبــــــاب
مــــا للثقــــاب ومــــالي مــــلءُ الضــــلوع ثقــــاب
شــــعابُ قلبــــي أطاقــــت مــــا لا تُطيــــقُ الشّــــعاب
ولّي شــــباب ومــــاذا رأى فيبقـــــى الشـــــباب
ضـــــيف عزيـــــز قـــــراه الهـــــمّ والاكتئـــــاب

حقيقـــةُ الأمـــر عنـــدي الشـــكُّ والارْتيـــاب
جنـــى عـــليَّ شـــعوري إنّ الشـــعورَ عـــذاب
أمـــا القـــوافي فجمـــرٌ طـــوراً وشـــهدٌ مُـــذاب
تـــرضى وتغضـــب لكـــن أرَقُهُـــنَّ الغِضـــاب
لا يَحْسُـــنُ الشـــعرُ حتـــى تُـــراضَ منـــه الصِّـــعاب
أَوْحـــدهُنَّ فيلغـــى عـــن النســـاءِ الحِجـــاب
كـــل المســـائل غطـــى وجـــوهَهُنَّ نِقـــاب
إصـــلاُحكُم لـــيس يجـــدي كـــلُّ الأمـــورِ خـــراب
قلبـــي وبيتـــي وشـــعبي في كُلِّهـــنَّ اضطـــراب
مـــا انســـدّ للبـــؤس بـــابٌ إلا تفـــتَّحَ بـــاب
البرلمـــانُ صـــحيح يعـــوزه الانتخـــاب
وفيـــه قـــام دويّ تجهلـــه الأحـــزاب
الجـــوعُ يُنْـــذِرُ قـــومي أن يأكـــل الظُفُـــرَ نـــاب
ســـل دجلـــةً كيـــف باتـــت قصـــورُها والقِبـــاب
مـــا ضر لوكـــان يومـــاً غطّـــى عليهـــا العُبـــاب
غنـــىّ عليهـــا هَـــزارٌ ونـــاح عنـــدي غـــراب
مـــن دم قلـــب كســـيرِ ســـمنَّ هـــذي الرقـــاب
ومـــن دمـــوعٍ حِـــرارِ مُلِـــئنَ تلـــك العِيـــاب
قـــد بـــان مـــن نقـــص قـــومي مـــا لا تغطّـــي الثيـــاب
رَقـــتْ لمـــا هـــي فيـــه حتـــى الصـــخورُ الصِـــلاب
هـــل في ســـوى الـــزيّ منـــا تجـــدُّدٌ وانقـــلاب
قـــالوا: حـــروبٌ فقلنـــا لهُـــمْ : وأيـــن الحِـــراب؟

هلموا وانظروا

ألا : لا تسـألاني مـا دهَـاني؟ فعـن أيِّ الحـوادثِ تسـألانِ
بكَيـت ومـا عـلى نـفسي ولكـنْ عـلى وَطَـنٍ مُضـام مُسـتَهان
عـلى وَطـن عجيـفٍ لـيس يقـوَى عـلى نُـوَبٍ مُسلْسـلةٍ سـمان
تظُـنُّ زعـانفٌ والظـنُ إثـم بـأني لا أُرامـي مـن رَمـاني
أأتـركُهم وقـد أغـرَوا بأخـذي وأنسـاهُم وقـد غَصَـبوا مَكـاني
أمـا والله لـولا خـوفُ واشٍ يحـرِّفُ عـن مقاصِـده بَيـاني
إذنْ لمـلأتُ محفِلَكـم شُـجوناً دمـاً يبكـي عليهـا الرافـدان
ولكنـي أطمَّـنُ مـن هِيـاجي وأمنـع أن يغـالبَني جَنـاني
لحِاظـاً للعواقـب وانتظـاراً ليـوم ضـامنٍ نيـلَ الأمـاني
أمـثلي تمَنَعـون عـن القـوافي ومـثلي تحبِسـون عـن البيـان ؟
سـيمنعُ مـن طلاقتـه لسـاني متـى مُنِـعَ الظهـورَ الفرقـدان
دعـوه أنـه بـالرغم مـنكم جـوادٌ سـابقٌ مـلءَ العِنـان
عريـقٌ لـيسَ بـالمجهول أصـلاً ولا يَنمـي لآبـاء هِجـان
أنـا الصَـبُّ الـذي مَلَـك القـوافي ولم يبلُـغْ سـوى عشرِ زمـاني
حيـاتي للعـراق فِـدىً ووقـفٌ عـلى وطنـي ومُصـلِحُه كيـاني
ولـو سُـئِل الجهـادُ لمـن قـريضٌ تَهَـشُّ لـه إذا يُـروَى عَنـاني
« ولـو أني بُلِيـتُ بهاشـميٍّ خُؤولتـه بنـو عبدِالمَـدان
لهـان علـيّ مـا ألقـى ولكـنْ هلُمّـوا وانظـروا بمـن ابـتلاني »

***

الخطوب

عَـــدتني أن أزوركـــمُ عـــوادي   فـــلا تُشَـــجو بكتـــبكُم فـــؤادي
عجيـــبٌ مـــا أرتنيـــه الليـــالي   وأعجـــب منـــه أن ســـلم اعتقـــادي
بـــأيسر مـــن أذاي ومـــن شَـــكاتي   رمـــى النـــاسُ « المعـــرّي » بارتـــداد
ومـــا في هِمَّتـــي قِصرٌ.. ولكـــن   قـــدحتُ مطـــالبي فكبـــا زنـــادي
ســـلِ الأيـــام مـــا أنكـــرنَ منـــي   كـــريمَ الخِـــيم أم شرفَ الـــوِلاد
أرقُّ مـــن النســـيم الغـــضّ طبعـــي   وأحمـــل مـــا يشـــقُّ عـــلى الجـــماد
فيـــا نـــفسي عـــلى الحسرات قَـــرّي   فـــأين مُـــراد دهـــركِ مـــن مـــرادي
ولا تـــرِدي مـــوارد صـــافيات   إذا مـــا كـــان حـــتماً أن تـــذادي
أينكـــر الفتـــي حتـــى صـــحابي   وتنبـــو الأرض بي حتـــى بـــلادي
ومـــن عجـــب تضـــيعني وذكـــري   تـــردّده المحافـــل والنـــوادي
أيـــدري مـــن يردِّدهـــا حســـاناً   خـــلاءً مـــن زِحـــاف أو ســـناد
تناقَلُهـــا الـــرُّواة بكـــلّ فـــجّ   وتُهـــديها الحـــواضر للبـــوادي
بـــأن الشـــعرَ تشرب مـــن عيـــوني   قوافيـــه..وتأكـــل مـــن فـــؤادي

***

شهيد العرب

وطنـــي الغضـــيضُ إهابُـــهُ   أصـــبو لـــه وأهابُـــهُ
خُضر الحقـــولِ طَعامُـــه   ءِالرافـــدان شَرابـــه
حَـــبُّ القلـــوبِ رِمالـــهُ   كُحْـــلُ العيـــون تُرابـــه

إن ســـاءَ مبـــدأ مـــوطني فعَســـــى يَسَرُّ مآبـــــه
لم يبـــقَ فيـــه بقيِّـــةٌ ظُفْـــرُ الزمـــان ونابـــه
بيـــد الظـــروفِ دَنيَّـــةٌ ألعوبـــــةٌ أحزابـــــه
وعـــلى رَحَـــى تفريقـــه مطحونـــــةٌ أقطابـــــه
«شـــعراؤهُ متكـــالبونَ ومـــــثلهم كُتّابـــــه
هيهـــاتَ يـــنهضُ مـــوطنٌ حُـــبُّ التقســـمُّ دابـــه
سَـــحقَ الزمـــانُ رؤوسَـــه فترأسَّـــتْ أذنابـــــه
فـــإذا نَبَـــا دهـــرٌ بـــه فحُماتـــهُ نُهّابـــــه
تبغـــى الســـفورَ نســـاؤهُ وعـــلى الرجـــال حِجابـــه
ضـــجَّت جُيـــوبُ الأجنبـــي بـــه وضـــجَّ « وطابـــه »
مـــن طـــول مـــتلأتْ بـــه أكراشُـــــه وعِيابـــــه
وابـــنُ الـــبلادِ عـــلى الكفـــاف يطـــولُ فيـــه حِســـابه
تبكـــي لـــنقص الســـاكنينَ قصـــــورهُ وقِبابـــــه
ومـــن المذلّـــةِ حُمِّلـــتْ مـــالا تُطيـــقُ رقابـــــه
مـــضَّ العتـــابُ بـــه وذو الشـــكوى يُمِـــضُّ عِتابـــه
والشـــاعرُ الغَضـــبانُ أعـــذرُ مـــا تكـــونُ غِضـــابه
الموجعـــــاتُ حســـــانُهُ والمُبكيـــــاتُ عِذابـــــه
لـــو لم يُنفـــه بـــالقريض أودِت بـــــهِ أوصـــــابه
قلبـــي وشِـــعري ســـالَ مـــن هـــــذا وذاكَ مُذابـــــه
حـــي الشـــبابَ تناهضُـــوا فخـــر العـــراق شَـــبابه

بِهُـمُ ازدهـتْ نهضاته وبهِـمْ سَـمَتْ آدابـهُ
صُـونوا القضيةَ إنهـا سِرٌّ وأنـتُمْ بابـه
أما السـؤالُ « فقبرِصٌ » « وأبو عَـلِيَ » جَوابـه
الـبَرُّ ضـاقَ فسـيحهُ والبحـرُ جـاشَ عُبابـه
يـومَ اسـتقَلتْ بالمليـكِ أبي الملـوك رِكابـه
يـا نازحـاً عَـودُ الكرامـة عـودُهُ وإيابـهُ
هـذا كتابـكَ والفتـى تاريخُـهُ وكتابـه
اللهُ يعـرِفُ مـا أتيـتَ وبيتـهُ وشِـعابه
وأخـو المتاعـبِ لا يَضيـع سُـدىً ولا أتعابـه
سـيّانِ شُـهدُ الـدهر عنـد العـاملين وصَـابه
ولعـزة الأوطـان هـان علـى « الشـهيد » مُصـابه
أمـر جليـل بالتقـاعس لا تُـراضُ صـعابهُ
وبقـدر مَسـعى الطـالبينَ لـه يكـونُ طِلابـه
مـا للفـؤادِ وُعـودهُ طالَـتْ فطـالَ عَذابـه
وإذا تغالَـبَ والرَجـاءُ فيأسُـه غِلابـه
والـدهرُ يُنبـئ أنَّ أحـزانَ الـوَرَى أطرابُـه
ظمآنـةٌ لا تمـتَلي مـن عَـبرةٍ أكوابـهُ
وطنـي وفـوق الـذَنبِ كـان جـزاؤه وعِقابـه
بشَّرتُهـم بعِمـاره إذ قيـلَ تـمَّ خَرابـه
مُلْـك أريـدَ « دَمـارُه» فتعجَّلـتْ أسـبابه
قَلـبُ السياسـةِ لا تـرِقُّ علـى الضـعيفِ صِلابه

النفثة

السَّــلم لا يُجـدي بيــوم الكفــاحْ فاســتقبلِ الأيــام شــاكي الســلاحْ
واغتــــنم العمـــرَ وســـاعاتِه فإنهــــا تمــــر مــــرَّ الريــــاح
حســبُك فــيما قــد بقــي عِــبرةٌ لا يَطــرُح اليــومُ إذا الأمــسُ راح
آهٍ عـــلى الفُرصـــةِ ضـــيعتَها والآن إذ تطلُبهـــــا لا تُتـــــاح
بــالعزم نِــلْ يــا شرق مــا لم يُنَــلْ فــالغرب قــد طــار بِهــذا الجَنــاح
لا تــك مهــما اســطعت رِخــو الجماح واســتنزلِ الــدهرَّ عــلى الاقــتراح
يكفيــك مــا كابــدتَ مــن ذِلّــة الملــكُ قــد فُــرِّق والعــرش طــاح
هــــلاّ إلى مَكْرُمــــةٍ خُطــــوةٌ يــا شرق يــا ذا الخُطُــوات الفِســاح
يـــا أمـــةً أعبأُـــا طفـــرةٌ بُشراك قــد انتجــت قبــل اللِّقــاح
ســائمةُ الحــيِّ اطمأنــتْ بــه مرعــىً خصــيبٌ ونمــيرٌ قــراح!
أَلجِــد مــا تُضــمر مــن طيّــةٍ وكــل مــا نُعلــن عنــه مــزاح
نُحْـــتُ وغنّيـــتُ ولا مِيـــزةٌ قَــبْلِيَ كــم غنّــى هــزارٌ ونــاح
لا غــرو أنْ ســال قصــيدي دمــاً فــإنَّ قلبــيْ مــثخنٌ بــالجِراح
يــا ظلمــةً قــد طبقّــتْ مــوطني دومــي فشــعبي لا يُريــد الصّباح
الشــؤم قــد أوهــم أوطاننــا أن لــيس يُجــدي المــرء إلا النِّيــاح
مــا لــبلادي فظّــةٌ روحُهــا بعيــدة عــن هــزةِ الارتيــاح
مــن لي بشــعبٍ واثــقٍ آمــنٍ غُــدُوُّهُ لغايـــةٍ والـــرَّواح
قــد فَــوَّضَ الأمــرَ لشُــبانِهِ فكُلِّلــتْ أعمالــه بالنجــاح
تَوَّجَـــهُ الـــوعيُ بألطافـــه بِشراً كــما تُــوِّجَ زهــرُ البِطــاح

غازي

سـهولُ العـراق وكثبانُـهُ ... وروحُ العـراقِ وريحانُـه
ودجلـةُ خمـراً وشُـهداً تسـيلُ ... وزهـوُ الفُـراتِ وطُغيانـه
وصَفصـافهُ وظِـلالُ النخيـلِ ... عـلى ضَـفَّتَيه ورُمانـه
تحييـكَ جذلانـهُ طلقـةً ... وخـيرُ الهـوى الصِـدقِ جذلانـه
يحييـك جَـوٌّ وطيّـارةٌ ... وبحـرٌ ركبـت وربانـه
تكـاد لـ« لنـدن» شـوقاً تطـيرُ ... لترجـعَ بالضـيف «بَغـداده »
ولـو تسـتطيعُ نُهُوضـاً سَـعَت ... قُـراه اللِطـافُ وبُلدانـه
يحييـك « فخـر شـباب العـراق » ... شِـيبُ العـراق وشُـبّانه
قـدومُك « غـازي » يَـزين الأوانَ ... وكـم قـادم زانَـه آنـه
عـلى حـينَ عَجَّـت لنـأي المليـكِ ... حُـداة البيـانِ ورُكبْانـه
سـلمت فهـذا أوانُ القَـريض ... ويـومُ الشُـعور ومَيدانـه
ومـا أنـا مَـن سِـيمَ في شـعرِه ... ولا أنـا مَـن ضـيمَ وجدانـه
ولكنـه نَفَـسٌ طـاهرٌ ... قـديمُ القصـائد بُرهانـه
«حسـين» و« قبرصُـه» يعرفـانِ ... و«عبـد الإلـه» و«عمّانـه »
مَـن الشـاعرُ المسـتثيرُ الشـجونَ ... إذا هـزَّت الصـدرَ أشـجانه
إذا مـا « دواويننـا » نُشِّرت ... فكـلٌّ ومـا ضَـمَّ « ديوانـه »
فـديتُك خَـلِّ الأسـى راقـداً ... فقـد يَقتُـلُ المـرءَ يَقظانـه
ولا تَسـتَثرْ شـاعراً إنـه ... مَخـوفٌ إذا جـاشَ بُركانـه
فلـو كـلُّ مـا الحـرُّ يـدري يقـول ... لضـاقَتْ عـلى الحـرِّ أوطانـه

لقــد فَقَــدَ العُــرْبُ حريـــةً كـما الـــروحُ خـــلاه جثمانّـــه
زمـــانُ الوفـــود مضَى وانـــقضَى ومـــا قـــال كِسرى ونُعمانـــه
وإذ ســـيِّدُ العَـــرَبِ الأولـــينَ يـــتمَّمُ بالســـيف نُقصـــانه
وهـــذا زمـــانٌ يُلـــينُ اللســـانَ عـــلى وَغَـــر القلـــبِ إنســـانه
أريـــدُ سرورَك والقلـــبُ فيـــه مـــــا لا يَسُّرك إعلانـــــه
مليـــكٌ وتكفيـــهِ أتعابـــهُ وشَـــعبٌ وتكفيـــه أحزانـــه
فحـــدِّثْ فقـــد أذنـــت بالسَـــماع لحلـــو حـــديثِك آذانـــه
عـــن العلـــم في الغـــرب مـــا بالـــهُ وعـــن رجـــلِ الغـــرب مـــا شـــانه
وهـــل في الشـــدائد أحقـــادهُ تُعـــينُ عليـــه وأضـــعانه
وهـــل للدسيســـةِ بـــين الصـــفوف تَلاقَـــت تُســـخِّرُ أديانـــه
تبـــاهي بمثلِـــك أكفـــاؤهُ ولاةُ العهـــودِ و« أقرانـــه»
وحســـبُك مُنطلقـــاً منشـــأً نشـــأتَ وضـــمَّتْكَ أحضـــانه
رعايـــة جـــدّك نـــور النَّبـــي وبيـــتُ الإلـــهِ وأركانـــه
ولا خـــيرَ في المُلـــك مـــا لم يُشَـــدْ عـــلى أُسُـــسِ العلـــم بُنيانـــه

***

في الطيارة أو
على أبواب المفاوضات

حيّـــاك ربُـــك غاديـــاً أو رائحـــاً مستســـهلاً نَهْـــجَ الهدايـــةِ واضـــحا
أمـــواجُ دجلـــةَ والفـــراتِ تـــدفَّقا عَـــذباً فراتـــاً عـــاد بعـــدك مالحـــا

أيّامُنـــا بـــك كلهـــن ســـوانحٌ ... ومتى تشأْ – حوشيت – كُنَّ بوارحا
لــولاك مــا كــان العــراقُ وأهلُــهُ ... إلا قطيعـــاً في فـــلاةٍ ســـارحا
سُسْـتَ الحـوادثَ بالرويـة جاهـداً ... وحملـتَ أعبـاءَ الخطـوبِ فوادحـا
وأذبـتَ نَفْسـكَ في رياضـةِ مـوطنٍ ... لـولا جهـودُك كـان صـعباً جامحـا
لُقيِّـتَ أصلَح غايـةٍ يـامن سـعى ... لله والأوطـــانِ ســـعياً صـــالحا
في ذمـة الـوطن المفـدّى أن تُـرى ... مُتغرِّبـــاً وعـــن المـــواطن نازحـــاً
عَرَفتْـك أقطـاب السياسـةِ سـاهراً ... بهمومــه ولخــير شــعبك كادحــا
«باريسُ» تعرِفُ ثـم « لنـدنُ» موقفـاً ... خُضْـت السياسـة فيـه لجُـاً طافحـا
و« التـاج» إذ نَقَمـت عليـه عصـابةٌ ... قــامرتهُمْ فيــهِ فكنــت الرابحــا
مــولايَ ثــقْ إن الجْــوانحَ ثــرّةٌ ... بــولاء عرشِـكَ مَـا بقـينَ جوانحـا
سر واثقــاً بجهــاد شــعبٍ طــامح ... ولقـــد يسرُّكَ أن تـــراه طامحـــا
قـل إن أتيـتَ مـن « الحليفـة » دارَهـا ... ولقيِـتَ شـعباً للشـعوب مكافحـا
« شعبي » وفي كفـي نجـاحُ مصـيره ... يرجـــو ويأمـــلُ أن يـــرانيَ ناجحـــا
شـعبي يُريـد الرافـدين لنفسـه ... لا أن يكـــونَ « الرافـــدان » منائحـــا
يشـنا عـلى العـذب الفـرات منافقـاً ... ويحب في السم الذعاف « مصـارحا»
« كـوني » لـه الخـلَّ النصـيحَ سريـرةً ... وَجهـــارة تجدِيـــهِ خـــلا ناصـــحا
كـيما تصـانَ مصـالحٌ لـك عنـده ... صـــوني لأبنـــاء العـــراق مصـــالحا
مـولايَ : عاطفـةُ الأديـب وشـعرُهُ ... كالزَّنـد يـوري إنْ يصـادفْ قادحـا
عاشـت بـرغم « الظـالمين » قريحتـي ... ولكـــم أمـــات « الظـــالمون »قرائحـــا
مـدح الملـوكَ « الشـاعرون » وإنـما ... أفرغـتُ « قلبـي » للمليـك مـدائحا
في ظـل مغنـاك الكـريم ولطفِـه ... أبداً أُجيد «خـواطراً» ..و« سـوانحا»

على سعد

قم والتمسْ أثرَ الضريح الزاكي ... وسلِ «الكِنانةَ» كيف مات فتاكِ
وسلِ « الكِنانةَ » من أصابك غِرةٌ ... واستلَّ سهمَك غيلةٌ فرماك
أهرامَ مصرَ وقد بناكِ لغاية ... « فرعونُ » ذو الأوتاد حين بناك
علموا بأن سَتداسُ مصرُ وما بها ... حتى قبورُ المالكين سواك
فاستوطنوكِ وَحسْبُ أرضِكِ ميزةٍ ... أن لم يَرَوْا ثقةً بغير ثَراك
تاريخُ مصرَ على يديك يعيده ... من جانبيك صدى السنينَ الحاكي
« زغلول » ضميّه إلى آبائه ... «وفؤاد مصرَ ضعيه في أحشاك »
لا تُهمليه واذكري أتعابَهُ ... وثقي بسعدٍ فهو لا ينساك
روح على الفردوسِ رفَّتْ حرةً ... وتقمصتْ ملكاً من الأملاك
حَمَلَتْ وما حَمَلَتْ إلى أوطاننا ... غيرَ المناحةِ هزةُ الأسلاك
يا روحَ سعْدٍ قد خبرتِ بلادَهُ ... بالله قصيها لمن سوّاك
وإذا رأيتِ النيلَ يَزْفُرُ موجُهُ ... قولي بعينك شجو هذا الباكي
قولي بعينك وردةٌ ما تنقضي ... آلامُها من وخزةِ الأشواك
مصرٌ يداكِ على « العراقِ » عزيزةٌ ... أبمنظر منه تشلّ يداك ؟
يُسراك من طولِ الملاكمة انبرتْ ... وبموت سعدٍ تنبري يُمناك
عاشت بلُحْمَتِكِ السنينُ ولم تُطِقْ ... - لله درّك - عيشةً بسَداك
هزوا لتجربَة قُواك وساءهم ... بعد العنا ألاّ تخورَ قُواك
روح المفاداةِ الكريمةِ علمت ... أبناءَكِ الأغيارَ صَوْنَ حماك
شيع تموج تزاحماً حتى إذا ... نزل البلاءُ تضامَنَتْ لبقاك

وهَبي بَنُوكِ قَضوا لأجلكِ كلُّهم ... عاشت بناتُك حاملات لواك
يا موجةَ النيلِ احملي تيّارَهُ ... علّ « العراقَ » تهزُّهُ عدواك
ماشي العراق بيومه فلطالما ... تاريخُه بسِنينه ماشاك
وطنٌ مريضٌ زاد في آلامه ... ألاّ يكونَ على يديه شفاك
وتسمَعِّي إن القلوب تفطرت ... من أَنَّةِ الزُّراع والمُلاّك
عربُ الجزيرةِ هامدون كأنّهم ... لم يُبْتلوا أبداً بيوم عراك
لا يطلبون سوى ارتخاءِ قُيودِهِم ... أتُراهُمُ لم يطعموا بفكاك
هذي الطيورُ البيضُ أين مَفَرُّها ... ستُّ الجهاتِ رصدْنَ بالأشراك
يا سعد أمّا موطني فمهدَّدٌ ... - إن لم يُعَدْ بنيانه - بهلاك
يا سعدُ أبلغْ من قصيدةِ شاعرٍ ... يبني القوافي فيك دمعة شاكي
يا سعدُ ما قدري وقدرُ نياحتي ... كلُّ البلادِ نوائحٌ وبواكي

***

جائزة الشعور

نادمتُ خلان الأسى ... وسُقِيتُ من كأسٍ دِهاق
مثلَ اصطباحي من كؤوس ... الهم والألَمَ اغتباقي
هذي النفوسُ الشاعراتُ ... تلذَّذت بالاحتراق
غنَّيت نفسي إذ رأيت ... نفوسها غنَّت رفاقي
كّلٌ يقول أنا أحوز السبقَ ... في يوم السباق
مالي أنوح على سواي ... وميِّتي رهنُ السياق
ساقي المدام إذا قَضَت ... هذي البلاد فأنتَ باقي

روحي وروحُ الشعر والأوطانِ كل في التراقي
كل البلاد سَعت لتُصلِحَ شأنها إلا عراقي
صَدْعَ الزجاج تصدَّعَ استقلالُنا بيد النِفاقِ
شتانَ فيما أرتئيه مَذاقُ صحبي من مَذاقي
حَلَبات آدابِ العراق بَكَت على الخيل العِتاق
لم يبقَ لي غيرُ المخُاتِل والمُنافقِ والمُتاقي
أفٍّ لها من أوجهٍ قابلْنَنّي سودٍ صِفاق
أما غِنايَ فظاهرٌ محضٌ كأغنية السَواقي
تتكسُر النَبرَاتُ في الأشعارِ من ضيقِ الخِناق
نَزَفت دموعُ العين ثم تحجرَّت هذي المآقي
ولكثرة الباكين ضاعت حرمةُ الدّمع المُراق
هذا بياني تعرِفون الروحَ فيه من السِياق
يا رقةٍ في الطبع بانَتْ بين أبياتٍ رِقاق
أنت التي هوَّنتِ من هذي الشدائِدِ ما أُلاقي
وأنا المدينُ لمهجةٍ حَمَّلتُها غيرَ المُطاق
آلامَ أيام مَضَينَ وخوفَ أيام بواقي
أما التمردُ في شعوري فهو من أثَر الوَثاق
أحييتُمُ نَفْساً أردتُمْ مَوتَها بالاختناق
لا تقتضي تلك الخشونةَ بعضُ أبياتٍ رِقاق
ماذا تُرجِّي « فارك » من بعد حادثهة الطَلاق

مــــا سرهـــــا لقيــــاكُمُ		فيســـــوؤُها وقــــعُ الفِــــراق
قـــم يـــا « جميـــل » فحــامِني		يـــا حــــاميَ الأدبِ العراقـــي
يـــا مـــن بشــعرِكَ ظنَّـــتْ		الأقـــوامُ أنَّ الشَـــعبَ راقـــي
قـــبلي بأحجـــارٍ رُشِـــقتَ		لقــــاءَ هاتيـــك الرِشــــاق
تلــك العـــرائسُ كـــم لَقَـــت		ضـــيماً وهُـــنَّ بـــلا صَـــداق
أو بعــــــدَ ذا يتشـــــدَّقونَ		بقُــــرب دورِ الانعتــــاق

***

من لندن إلى بغداد

حيـــاكَ ربُّـــكَ مـــن ســـاعٍ بسراءِ		يلقـى الوفـودَ بوجـهٍ منهُ وضّـاءِ
فاضـت أسـاريرهُ بشراً فـما وَقَعَـتْ		منـهُ العيـونُ عـلى كَـدٍّ وإعيـاء
لله يومُـــك مشــــهوداً بِروَعْتـــه		تهـــزّ داني بـــلادِ الله والنـــائي
في محفـلٍ حجَـبَ الأبصـارَ موكبُـهُ		فلـيس يحسُـدُ إلا النـاظرَ الرائي
هذي الوفـودُ وفـودُ الشعبِ حاملةً		إليـك إخـلاصَ آبـاءٍ وأبنـاء
هـابُوا جلالتَـك العُليـا فـما نَطَقُـوا		حَرْفـاً ولا سَـلَّموا إلا بـإيماء
للـنصرِ فوقَـك أقـواسٌ نوافـذُها		ترمـي سـويداءَ حُسـادٍ وأعـداء
بغداد مثل قلوب المخلصين لكم		تُزهَـى بشُـعلة أنـوارٍ وأضـواء
أنـت الطبيـبُ لشعبي والـدواءُ لـه		وأنت شَخَّصت منه موضعَ الداء
يـدٌ مـن اللطـف غـراءٌ ولا عجـبٌ		كـم من يـدٍ لـكَ قـد أسلفتَ غراء
كم موقفٍ مثلِ حدِّ السيف ذي زلق		فَرَجْتَـهُ بـين إصـباح وإمسـاء
أذيّـــةٌ في جهـــاد نِلتَهـــا طربـــاً		وهـل جهـادٌ بـلا مـسٍّ وإيـذاء

في ذمـةِ الله مـا لاقيـتَ مـن نَفَـرِ   مـن الأجانـب عُبّـادٍ لأهـواء
الله يُجـزي مهـازيلاً ضـمائرهُم   مـأجورة بـين إطـراء وإزراء
يسـوؤهم أن تُـرى في زِيٍّ مضطلع   بثِقـل شـعب لمـا يُصـميه أبّـاء
لـو يقـدرون أدالـوا كـلَّ ظـاهرةٍ   وبّـدلوا كـلَّ نعـماءٍ بغـماء
هزُّوا العراق بما استطاعوا فما أخذت   منـه تَضـارب أنبـاءٍ بأنبـاء
كانوا وما أمّلوا من زُخْرُفٍ سفهاً   كمـن يَخُـطّ الـذي يهـوي على المـاء
مـررتَ بـاللغو مـرّ الهـازئين بـه   بـأُذْنٍ حُـرٍّ عـن الفحشـاء صـمّاء
حراجـة بـالكريم الحـر موقفُـه   حـيران مـا بـين قـوم غـيرِ أكْفـاء
إنْ يهزمـوك بإرجـافٍ فقـد بُليتْ   كـلُّ الشـعوبِ بهـمّازٍ ومشّـاء
هـوِّن فـما قـام هـدّامٌ بمعولـه   إلّا وقـام عليـه ألْـفُ بنّـاء
يـأبى شعوريَ أن يلقـاك عـن كثب   إلّا بقافيـةٍ تأتيـك غـراء
ومَرْحَبـاً بـك في طياتهـا نَفَـسٌ   كنسـمةِ الفجـرِ قـد طُلّـت بإنـداء

***

ثورة الوجدان

سَـكَتُّ حتّـى شَـكَتْني غُـرُّ أشـعاري   واليـومَ أنطِـقُ حُـرّاً غـيرَ مهـذارِ
سلَّطتُ عقـلي عـلى مَـيلي وعـاطفتي   صَـبْراً كـما سَـلَّطُوا مـاءً عـلى نـار
ثُـرْ يـا شُـعورُ عـلى ضَـيْم تُكابـدُهُ   أوْلا فلسـتَ عـلى شيءٍ بِثـوَّار
وقَّعْـتُ أُنشـودتي والحـزنُ يملؤهـا   مَهابَـةً ونيـاطُ القلـبِ أوتـاري
في ذمّـةِ الشِّـعرِ مـا ألقـى وأعظَمُـهُ   أنّي أُغنّـي لأصْـنام وأحجـار
الشـعبُ شـعبي وإنْ لم يـرضَ منتبـذٌ   والـدارُ رغـمَ « دخيـلٍ » عـابَني داري

لَوْ في يدي لَحَبَسْتُ الغيثَ عن وطَنٍ ... مُسْتَسْلِمٍ وقَطعتُ السلسلَ الجاري
ما عابَني غيرَ أنّي لا أمُدُّ يداً ... إلى دنيءٍ وأنّي غيرُ خوّار
العُذْرُ يا وطناً أغليتُ قِيمَتَهُ ... عَنْ أنْ يُرى سِلعةً للبائع الشّاري
الكُلُّ لاهونَ عن شكوى وموجدَةٍ ... بما لَهُمْ مِن لُباناتٍ وأوطار
وكيفَ يُسْمَعُ صوتُ احقٍّ في بلدٍ ... للإفكِ والزُّورِ فيه ألفُ مِزمار
يا أيُّها السائحُ المُجتازُ أوديةً ... مشى الربيعُ عليها مشيَ جبَّار
مَرَّ النسيمُ على أكنافها فَذكَتْ ... كأنما جُرَّ فيها ذَيْلُ مِعطار
مَحِّصْ بِعينَيْ نزيهٍ غير ذي غَرَضٍ ... حالَ العراقِ وخلِّدهُ بأسفار
إن القصورَ التي شاهَدْتَ قائمةٌ ... على أساسٍ من الإجحافِ مُنهار
خَلِّ الخُوانَ وإنْ راقَتْ مَطاعمُهُ ... وبتْ بليلةِ ذاكَ الجائع العاري
وانظُر إلى الكوخ قد بِيعتْ دعائمُهُ ... وحَوَّلُوها لأقراطٍ وأسوار
واخشَ الدخيلَ فلا تَمْدُدْ إليه يَداً ... فإنَّه أيُّ نَفّاع وضَرّار
صرف الدراهم باعوا واشتَرَوا وطني ... فكلُّ عشرةِ أميال بدينار
وطغمةٍ من دُعاةِ السُوء ساقطةٍ ... ليسَتْ بِشَوكٍ إذا عُدَّتْ ولا غار
تروي ونظْمأُ لا تَلوي على نَصَفٍ ... ولم تُوَكِّلْ بإيرادٍ وإصدار
في كُلِّ يوم بأشكالٍ وأنمطةٍ ... وكُلِّ آنٍ بهيئاتٍ وأطوار
مأجورةٍ لم تَقُمْ يوماً ولا قعَدَتْ ... إلاّ على هَتْكِ أعراضٍ وأستار
عَوَتْ فجاوَبَها أمثالُها هَمَجٌ ... مِنْ كلِّ مستصرَخ لِلغَيِّ نَعَّار
يُحصونَ تاريخَ أقوام وعندهمُ ... صحائفٌ مُلِئَتْ بالخزي والعار
لَجّوا على أنْ يزيدوا كلَّ ثائرةٍ ... تسعيرةً وأصرُّوا كلَّ إصرار
أينَ المساميحُ بالأرواح إنْ عَصَفَتْ ... هوجاءُ تُنْذِرُ أوطاناً بإعصار

يــا للرِّجــال لأوطــانٍ مُوَزَّعــةٍ | في كـفِّ كـلِ مُهـانِ الـنفسِ دَعَّـار
شَـلَّتْ يـدٌ عبثـتْ في أُختِهـا وكَبَـتْ | رِجـلٌ إلى نفسِـها تسـعى بـإضرار
مـا ذا السُّـكونُ إلا تَهتـاجُ نخـوتكُمْ | أنَّ العُروبـةَ قـد خُفَّـتْ بأخطـار

***

لولا...

الـروح أشْـقَتني وجُـلُّ صَـحابتي | مـا أشـقتِ الشـعراءِ إلا الـروحُ
توسي الجروحُ وليس يوسي شاعرٌ | بصـميم إحساسـاته مجـروح
في القلب من أثرِ الهُموم ووَسْمِها | سِـمةٌ عـلى الـنَّفسَ الحـزين تلـوح
فَنِيَـتْ قـواف مـا قـرحن وإنـما | خلدت بذكرى «ذى القروح» قـروح
ولَكَمْ طَرِبتُ فما أجَدتُ وحسبكم | أني أُجيـد الشـعر حـين أنـوح
أمـا التبـاريحُ الحِـرارُ فإنهـا | للـنَّفْس ممـا تشـتكي تـرويح
يا موطناً عَـزّت بـه « خرطوشـةٌ » | ذُلاًّ وهـانَ دمٌ لـه مسـفوح
لـولا اتقـاءُ رواصـدٍ مبثوثـةٍ | هتكـتْ مُتـونَ المجمـلات شروح
ولقـد يَحُـسُ الشـاعرون بـأنهم | عـبءٌ عـلى أوطـانِهم مطـروح

***

ضحايا الانتداب

سـل الأخـوين معتنقـين غابـا | لأيـةِ غايـةٍ طَويَـا الشـبابا
وعـن أي المبـاديءِ ضـيَّعوهُ | دمـاً لم يألُـهِ النـاسُ اطِّلابـا
أللأوطـان وهـي تَعِـجُّ شـكوى | كعهـدهما وتصـطخبُ اصـطخابا

ولــو كَــدَمَيهما ســالت دمــاء ... محرّمــة لمــا رأت انقلابــا
عـلى الأخــوين معتنقــين صـفا ... كــما صـــفَّفتَ أعــواداً رِطابــا
عَتَبــتُ وغايـــة في الظلـــم أني ... أحمِّــلُ فــوق مــا لقيــا عتابــا
أدالَ الله مـــن بيـــتٍ مُشـــادٍ ... عـــلى بيـــتٍ يخلِّفـــهُ خرابــا
ولاَ هنــأتَ بــما لَقِيــت أنــاسٌ ... عـــلى قـــبريكما رَفَعـــوا القِبابــا
مشـــى نعـــش يجـــرُّ وراه نعشـــاً ... ســـحابٌ مُقلـــع قَفّـــى ســـحابا
وناحـــتْ خلفـــه أشـــباحُ حـــزنٍ ... يُخفِّـــي نطقَهـــم الألمَ اكتئابـــا
بعـــين الله منتظـــرينَ أوبـــاً ... بـــما يُبكـــي الصـــخورَ الصـــمَّ آبـــا
دم الأخـــوين في الكفنـــين يغـــلي ... خطــاب لــو وَعــىَ قــومٌ خطابــا
ســيعلمُ مــن يخــال الجَــوَّ صـفواً ... بـــأنَّ الجَـــوَّ مملـــوء ضـــبابا
ومــن ظــن المجــالسَ عــامراتٍ ... بمـــدح أنهـــا شُـــحِنَتْ سِـــبابا
ويعــرفُ مــن أراد صــميمَ شــعبي ... رَميِّـــاً أيَّ شـــاكلةٍ أصـــابا
ويُــدرِكَ أيــنَ صــفوُ المــاء عنــه ... وريِّقُــــهُ إذا وَرَدَ اللصـــــابا
ولــو عَرَفــت بــلادي مــا أرادَت ... بهـــا النُـــواب لم تـــرد انتخابـــا
فــلا وأبيــكَ مــا ونَــتَ الليــالي ... تُـــديف لمـــوطني سُـــمّاً وصـــابا
حَــدَدْنَ لقلبــه ظُفــراً فلــما ... وَجَـــدْنَ بقيـــةً أنشـــبْنَ نابـــا
فيالــكَ موطنــاً واليــأسُ يـــمشي ... فلـــو رام الرَجـــا حُلُـــماً لَخابـــا
أرادَ الـــرأسَ لم يحصــلْ عليـــه ... مكـــابرةً ولا لـــزمَ الـــذُنابى
لمـــن وإلى نَمِـــن ألم يُنـــادي ... كَفـــاَه مذَلـــةً أن لا يجابـــا
وهـل طَرَقــتْ يمـينُ الحـق بابـا ... ولم تســدد شِــمال 'لظلــم بابــا
فواأســـفاً لمطّلـــبٍ طلابـــا ... يخـــال المـــوتَ أقـــربَ منـــه قابـــا

وقــد اتخــذوا لحــومَ بنيــهِ زاداً　　وقــد لبِســوا جلــوَدهُمُ ثيابــا
رضُوا من صُبحِهم فجراً كِذاباً　　ومــن أنــوار شمســهِمُ اللعابــا
وقــرَّت لــلأذى مــنهم صُــدورٌ　　فسَــمَّوهُنَ أفئــدةً رِحابــا
ووقــر مــن أتــاحَ ألعــابَ فــيهم　　وقــالوا إنهــم يــأبَون عابــا
لقــد طــاف الخيــالُ علــيَّ طيفــاً　　رأيــتُ بــه الحمامــةَ والغُرابــا
فكــان العــدلُ ممتلئــاً سَــقاماً　　وكــان الظلــمُ ممتلئــاً شــبابا
فيــا وطنــي مــن النكبــات فَــأمَنْ　　فقــد وَفَّتــكَ حظَّــك والنصــابا
وإن خَشُــنَتْ عليــك مكاشــفاتٌ　　فحســبُك أن تُجامَــلَ أو تحــابَى
وإن طُويــت علــى دَغَــلٍ قلــوبٌ　　فقــد أُعطِيــتَ ألســنةً رطابــا

***

أيها المتمردون !

أســاتذتي أهــلَ الشــعورِ الــذينَ هُــمْ　　منــاريَ في تــدريبتي وعــمادي
أروني انبلاجــاً في حيــاتي فــإنَّني　　ســئمتُ حيــاةً جُلّلــتْ بســواد
ومــا الشــاعرُ الحسَّــاسُ صِنوٌ لِعيشــةٍ　　مكــرَّرةٍ مخلوقــةٍ لجــماد
خــذوا بِيــدَيْ هــذا « الغريــب » فإنَّــه　　لكــلِّ يــدٍ مُــدَّتْ إليــه مُعــادي
لــئن جئــتُ عــن أزمــانِكمْ متــأخراً　　فــإنّي قريــبٌ مــنكمُ بفــؤادي
لغــيرِ زمــانٍ كَــوَّنَ الــدهرُ نزعتــي　　وكــوَّنَ أعصــابي لغــير بــلاد
وعنــديَ مــنكمْ كــلَّ يــوم مجــالسٌ　　تــرفُّ بهــا أرواحُكــم ونــوادي
معــي روحُ «بشَّــارٍ» وحَســبْي بروحــه　　تقرّبنــي مــن حكمــةٍ وسَــداد
تعَلِمنــي سُــخفَ القــوانينِ في الــورى　　وســوءَ نظــام لم يجــئ برشــاد

وطوراً مع الشَّهم الظريف «ابن هانئ» … يـراوح خمَّـاراً لـه ويغـادي
يسجّل ما أحصْت يـداه بدقَّـةٍ … ويمزُج منه صالحاً بفساد
ومن قبلُ « للحاناتِ» كانت ولم تزلْ … لدى الشعراء الناابهينَ أيادي
تعوِّضهمْ عن وحشةٍ بانطلاقةٍ … وعن يقظةٍ مذمومةٍ برقاد
أساتذتي لا تُوحِدوني فإنَّني … بوادٍ وكلُّ الشاعرين بوادي
ولا تعجبوا أنَّ القوافي حزينةٌ … فكلُّ بلادي في ثياب حِداد
وما الشعر إلاَّ صفحة من شَقائها … وما أنا إلاَّ صورة لبلادي
فلا تذكروا عيشي فإنَّ يراعتي … تَرفَّعُ عن تدوينه ومدادي
أمرُّ مَن المِلح الأُجاج مواردي … وأوجعُ من شوكِ القتادةِ زادي
تقدَّمني مَن لستُ أرضى اصطحابه … وطاولني من لم يكنْ بعدادي
وضُويقتُ حتى في شعوري وإنَّما … شعوري بُقيا عُدَّتي وعتادي
وما لذَّةُ الدُّنيا إذا لم أكن بها … أُمتَّع في تفكيرتي ومرادي
وما أنا بالحُرِّ الذي ينعتونه … إذا لم يكن في راحَتيَّ قيادي
أُصرِّفُه فيما أروم وأشتهي … وأبذلُ فيه طارفي وتلادي
وماذا يريدُ الناسُ مني وإنَّما … «لنفسي صلاحي أو عليَّ فسادي»
فلا تَنشُدوا حُريّةَ الفكر إنَّها … «ببغدادَ» معنى نكبةٍ وصفاد
فما كان بشَّارٌ بأوَّلِ ذاهبٍ … ضحيَّةَ جهلِ شائنٍ وعناد
إلى اليوم في« بغداد » خنقُ صراحةٍ … وتعذيبُ آلافٍ لأجل أحاد
مداخلةٌ في مجلسٍ ومساربٍ … وتضييقةٌ في جيئةٍ ومَعاد
وخلّوا اهتضامَ الشعر إنَّ حديثَه … شجونٌ أقضَّتْ مضجعي وَوِسادي
خلَتْ حَلبةُ الآداب إلّا هجائنٌ … ملفَّقةٌ سدَّتْ طريق جياد

تشـكّى القـريضُ العـابثين بَحقلـه ... كـما يتشـكّى الـروضُ وقـعَ جـراد

***

الأدب الصارخ

ونَفسٍ لاقتِ الصدماتِ عزلى ... وكانـت وهـي شـاكيةُ السـلاح
وقـد كانـتْ سـباخاً فاسـتثيرت ... وفـلَّ صـميمَها وقـعُ المسـاحي
وأفـراح شـحيحاتٍ أديفـت ... بـأتراح جُـبِلْنَ عـلى السَّـماح
أأقـرَبُ مـا أكـونُ إلى انقبـاض ... وأبعَـدُ مـا أكـون عـن انشراح
وَشـتّان اقتراحـات الليـالي ... ومـا تَبغيـه منـي واقتراحـي
فليـتَ حوادثـا مـا رفّهَـتْ لي ... نطاقَ العيشِ لم تحصُـصْ جناحي
وليـتَ مخـابراً قَبُحَـت دَهَتنـي ... مجـرَّدةً عـن الصُـورِ القِبـاح
إلى ألَمٍ وعـن ألَمٍ مسـيري ... فـما أدري غُـدويَّ مـن رَواحـي
ومـا أختـارُ ناحيـةً لأنّي ... رَمـاني الـدهرُ مـن كـل النـواحي
وملء القلبِ إذ حبست لِساني ... ظـروفٌ مغرمـاتٌ باجتيـاحي
جـراحٌ لم تَفِـضْ فملـئن قَيحـاً ... وبعـضُ الشر لـو فاضت جِراحي
رأيـتُ معـاشرَ الشـعراء قـبلي ... تعـدُّ الخمـر مَجلبـةَ ارتيـاح
وقـد أُغرِقْتُ في الأحـزان حتى ... سـئمتُ مَنـادمي وَذَممـتُ راحـي
ومـا سـكرانُ يقـتحِمُ البلايـا ... كمُقـتحِمِ البليـةِ وهـو صـاحي
بعـينِ الشـعرِ والشـعراءِ بيـتٌ ... هَتَفْـتُ بـه فطـارَ مـع الريـاح
يَهُـبُّ مـع الصَـبا نفَسـاً رقيقـا ... ومؤتلقـاً يطـيرُ مـع الصَـباح
لـه مـن وقعـهِ نَسَـبٌ صريـح ... يمـتُّ بـه إلى المـاءِ القـراح

ولـو في غـيرِ أوطـاني لجالـتْ بــه نظــم القلائــد والوِشــاح
وقائلـةٍ تـرى الآدابَ سَـفَّت وقـد غطّى النُعـابُ على الصُـداح
وما نفعُ السكوتِ وقد أُضيعتْ حقـوقُ ذوي الجـدارة بالصـياح
تقـدَّمْ للقـوافي واقتَحِمْهـا فقـد يُرجـى التقـدُّمُ بالكفـاح
أقـول لهـا : دعـي زَنـدي فـإني أخـافُ عليـك بـادرةَ اقتـداحي
وكـلُّ حقيقـةٍ سـتَبِينُ يومـاً وكـل تصـنّع فـإلى افتضـاح
ومـــا بغـــدادُ والآدابُ إلّا كـما انتفخـت طبـولٌ مـن ريـاح
تُـوفّي الحُـرَّ مـن حـقٍ مُضـاع ومـن عِـرضٍ تمزِّقُـه مُبـاح
ولـمـا أنْ رأيـتُ الشـعرَ فيهـا أداةً للتشـــاحن والتلاحـــي
أنـرتُ ذُبـالَ مسرجتـي بكفـي أفـتشُ عـن أديـبٍ في الضـواحي
فكـان هنـاك تحتَ سـتارِ بُـؤسٍ يجلِّلــه وفي ثــوب أطــراح
أقـول لـه : ألا وجـهٌ حيـيٌ يقيـكَ طـوارقَ النُـوَبِ الوِقـاح؟
أمـا في الحـيِّ معـترفٌ بفضـلٍ يناشِـد عـن غـدوِّكَ والـرواح؟
فقـال وأرعشـتْ شـفتهُ : دعنـي أقابـلْ جِـدَّ دهـرِكَ بـالمُزاح
ومـثلي ضـحَّت الـدنيا كِثـاراً فهبنـي بعـضَ هاتيـك الأضـاحي

***

الشاعر والعود

مـا سَـمِع السـامعونَ آسـى مـن شـاعرٍ ضَـيمَ في العـراقِ
ألـوى عـلى عـوده شَـجياً يبُثُـه فَـرْطَ مـا يُلاقـي
إذا بكـى ارتـدَّ يبكـي شَـجْواً لألحانــه الرِقــاق

في ذمـــةِ الله مــــا تُلاقـــي — يــا عـــودُ منّـــي ومــا أُلاقـــي
روحــانِ منـــي ومنــكَ باتــا — مــن وَطــأة الهــمِّ في التَراقـــي
مـا ضـاق منـك الخِنـاقُ يومـاً — لـو نفَّـسَ الـدهرُ عـن خِنـاقي
يـا دهـرُ خُـذني واحلُـلْ وَثاقـاً — أرهَـقَ عُـودي واحلُـلْ وَثـاقي
أولا فحّـــولْ أنّـــةَ أسري — عنــــه إلى نغمــــةِ انطـــلاق
فَغَمْغَـمَ العـودُ واستجاشَـت — أشـــجانُهُ خطـــرةَ الفِـــراق
اِسْـلَمْ رفيـقَ الصِّـبا ألـوفٌ — تفـدِّيك مـثلي وأنـتَ بـاق
قبلـكَ واسـيتَ ألـفَ شـاكٍ — وألــفَ حــاسٍ وألــفَ ســاق
مـن فضـلِ مـا أوحـت الرزايـا — إليَّ مُيِّـــزت عـــن رفـــاقي
أقـــول لمـــا انـبرتْ غُصـونٌ — أعوادَهــــا تبتَغــــي لَحــــاقي
احْمِلْـنَ مثـل الـذي أُلاقـي — مــن اصــطباحي أو اغتبــاقي
طـارِحنَ مـثلي أخـا شـجونٍ — شــاركنَ مــثلي أخــا اشــتياق
ربَّ نهــارٍ كنـــتُنَّ فيــــه — جنبــاً إلى جنــب في اعتنـــاق
قضـيته جنـبَ ذي شـجونٍ — أخــافُ مــن بثِّــه احتراقــي
وربَّ ليــلٍ ســهِرتُ فيــه — أشــدو حزينــاً مــع الســواقي
اصــبْر قلــيلاً يــا عــودُ إنّــا — عـــما قريــــبٍ إلى افـــتراق
حملـتَ عنـي مـاضي همُـومي — فاحمـــل قلـــيلاً مـــن البـــواقي
وَلّى شـــبابي إلّا بقايـــــا — ضـــحيةَ القلـــب والمـــآقي
والـــنفسُ تـــأبى إلّا انطلاقـــاً — والـــدهرُ يـــأبى إلّا ارتهـــاقي
والحـــزنُ لم يـــدخر صُـــباباً — يُبقيـــه في كأسِـــه الـــدِهاق

ألا نِطفائي كان اشتعالي ... الاحتراقي كانَ ائتلاقي
وحين جاء الظلامُ يُرخي ... سِتراً على الأوجه الصِّفاق
ورفَّ روحُ السلامِ يُخفي ... غريزةَ الحِقْدِ والنِفاق
باتَ بطيّاته فؤادٌ ... يشكُرُ لُطفَ الموت الذعاق
وجنبَه عودُهُ يُناغي ... حَشرجةَ الصدرِ في السياق
إلى التلاقي «عودي» وداعاً ... وكيف بعدَ الموتِ التلاقي
اقرأْ سلامي على الرزايا ... أعني سلامي على الرفاق
ذاك أديبٌ مات اضطهاداً ... ذاك هو الشاعرُ العراقي

***

صفحة من الحياة الشعبية أو
بيت يتهدم

سالَ شِعري بالرَغم عَنيَّ حزناً ... أبتغي فَرحةً فما تَتَسَنَّى
كلُّ صَحْبي يشكون شكوايَ لكنْ ... ربّما يضحكونِ خُسْراً وغَبْنا
لو لـ«جوتٍ» تبدو تعاسةُ هذا الشعبِ ... يوماً لكانَ أجملَ فنّا
لتناسَى «آلامَ فَرتَرّ» طرّاً ... رُبَّ حزنٍ يُنسِيِ أخا البؤسِ حزنا
من شبابِ العراقِ تعلو الكآباتُ ... وُجوهاً تفيضُ طُهراً وُحسْنا
لو تَراها عجبتَ أن لا يَهُزَّ الشرخُ ... قلباً أو يُضحِكَ الزهوُ سِنا
أعلى هذه النُّفوسِ – من اليأس ... استهانت – مستقبلُ الشعب يُبنى
يَتَغَذَّى دمَ القُلوب شبابٌ ... لا يُريدُ الحياةَ ذُلاًّ ووَهْنا
خُدْعةٌ هذه المظاهرُ ما في ... القوم فردٌ يعيشُ عَيشاً مُهَنْا

الثيـــاب الفَرْهـــاء رفَّـــتْ علـــيهم كضـــمادٍ غطّـــى جِراحـــاً وضَعْنـــا
والأحاديثُ كلُّها تشتكي « البؤسَ » وفصـــلُ الخطـــاب أنّـــا « يَئِسْـــنا »
إيـهِ أُمّـاهُ مـا أرابَ شـقيقَ الـنفسِ منّـــــا حتـــــى تَبعَّـــــدَ عنّـــــا
منــذ يــومينِ لــيسَ يَعـرِف عـمّا نحـــنُ فيـــه شـــيئاً ولا كيـــفَ بِتْنـــا
جائيـا ذاهبـا يقسِّـم في الأوجـه لحظَيـــــهِ مـــــن هُنـــــاكَ وهَنْـــــا
إيـــه أُمّـــاهُ إن نـــفسي أحسَّـــت مـــا يُقـــذّي عينـــا ويُـــوقِرُ أُذْنـــا
فـــانبرت دمعـــةٌ تُـــترجم عـــما في ضـــمير الأمِّ الحنـــونِ اســـتكَنّا
اِســمَعي يــا عزيــزَتي أنــا أوفى منـــكِ خُـــبْراً إذْ كنـــتُ أكـــبر سِـــنا
ولــدي مُــذْ عَرَفتُــه يمــلأ البيــتَ بتفكـــيرِهِ ارتهابـــاً وحُزنـــاً
ولــدي طــامحٌ تُعنَيــه آمــالٌ كِثـــارٌ إن الطَّمـــوحَ مُعَنَّـــى
يَتمنَّــى كــلَّ السُرور ولا يســطيعُ نـــيلاً لـــبعض مـــا يَتمنّـــى
لــو بكفّــي مَنعــتُ جُــلَّ القــوانينِ عـــلى الحـــقِ نِقمـــةً أن تُسَـــنّا
لا نظــامٌ حــرٌّ فيرْعــى الكفــاءاتِ ولا مَـــن يُقـــيمُ للحـــر وزْنـــا
عُكِسَــتْ آيــةُ الفضــائلِ فــالأعلى مَقامــاً مــن كــانَ في الـنفس أدْنـى
ســاكنُ الــقصر لــو إلى ذِمـة الحـقِ احتكمنـــا لكـــانَ يسـكُنُ سِـجنا
ولكـــانَ الحـــريَّ أن تتحاشـــاهُ الـبرايـا لا أن يُــبَرَّ ويُــدْنى
إنَّ مـا يجتنيـه مـن مُنكَـرات العيشِ مـــن شَـــقْوةِ البريئـــينَ يُجْنَـــى
وقنــاني الخمــرِ التــي عَصَروهــا مــن دُمــوعي ومــن دُموعِــكِ تُقْنَـى
ولــدي اختَشي عليــه مــن المــوتِ انتحـــاراً واختـــشِي أنْ يُجَنّـــا
أسمعتيه بـالأمس إذ يَتحـدّى النـاسَ إني عَرَفـــتُ مَرْمَـــاهُ ضِـــمنا

هـوَ يشـكوُ مـن النَّذالـةِ خَصْـماً وهـو يشـكو مـن الخيانـةِ خِدنْا
ولـدي لم يكـنْ ليحمـلَ - لـولا أن يُلِحُّوا بـه - على النـاسِ ضِغْنا
مـا لزَوجـي إذا ذَكَـرتُ لـه الأنـسَ ومـا أرتجـي مـن العيشِ أنـا
أَنَـةٌ سرُّهـا عميـقٌ وفيهـا ألـف معنًى مـن القُنـوط ومعنى
كـاسراً جفنَـه يخالِسُـني اللحـظَ لأمـرٍ في النفسِ يـكسِرُ جَفْنـا
أتُـرى مـن إشـفاقةٍ هـذه النظـرةُ أم سـاءَ بي وحاشـايَ ظنّـا
خَلَـتِ الغُرفـةُ الصـغيرةُ مـن توقيـع زوجي فلسـتُ أسْـمعُ لَحنـا
أنـا واللهِ كنـتُ أستشـعرُ معنَـى الحيـاةِ إذْ يَتَغَنـى
في سـوادِ الـدُجى وعاصـفةِ الأقـدارِ هبَّـت تجتَـثُّ بـالعُنفِ غُصـنا
مـن على دجلـةٍ تكَشَّـفُ للضـيف عزيـزاً عـلى الطبيعـة - حِضـنا
شَـبَحٌ لاح مـن بعيـدٍ يُحُـثُّ الخطـوَ طـوراً وتـارة يتـأنّى
يـا لَـه موقفـاً يمثِّـلُ مـذهولاً يُعـاني حـالَين: خَوفـاً وأمْنـا
زوجتـي سـوفَ تسـتفيقُ مـن النـومَ صَـباحاً فـما تَـرانيَ وَهْنـا
سـوف تجتاحُهـا الظُنـونُ وهفـي إذ تُنبِّـي عـن صـدق مـا تَتَظَنّـى
زوجتـي مـا اقترفـتُ إثـماً ولكـنْ كـيفما شـاءتِ النـواميسُ كُنّـا
زوجتي أوسِعي النزاهةَ ما اسطعتِ سِـباباً وأوسـعى الحـقَ لَعْنـا
اقـتلي بنْتَـكِ الصـغيرةَ لُبنـى لا تكابـدْ مـا كابـدت أمُّ لبنـى
وعجـوزٌ هنا لِكُمْ حسبُها من رحمـةِ الـدهرِ أنْ سـتفقِد ابْنـا
لـو تخـيرتُ لي إلهـاً لمـا أهـتُ إلاّ مـن هيكـلِ الأم بطنـا
و«ربـابٌ» شـقيقتي بعـد مـوتي أبـداً بالحيـاة لا تَتَهنّـا
وسـأقِضي فيوسـع النـاسُ تـاريخي بعـد المـماتِ سَـباً وطَعنـا

يـا لهـا مـن نذالـةٍ في أحاديـثَ … تُسـمّي شـجاعةَ المـوتِ جُبنـا
اشـهَدي دجلـةٌ بـأني – كـما كنـتُ – … قويـاً جسـماً وعزمـاً وذِهنـا
شـاعرٌ بـالوجود أُغمِـضُ عـما … فيـه مـن هـذه المنـاظِرِ جَفنـا
كـلَّ هـذا وسـوف أنتحـرُ اليـوم … لأنيّ أرى المعيشـةَ غَبنـا!
احمـلي « دجلـةٌ » سـلامي إلى الأهـل … وقـولي :قـد اسـتراحَ المعنّـى
حَمَلـوا – بعـد أربـع – جُثـةً لم … تتميـز منهـا النـواظرُ رُكنـا
وانحنَـتْ فوقهـا الأمومـةُ خرسـاءَ … تُزجّـى يُسرى وتَرفـع يُمنَـى
لم تُطِـق أنـةٍ فماتـت – وقـد يـدفع – … موتـاً عـن ثاكـلٍ أن تئنّـا
واسـتخفَّ الشـقيقةَ « الصَرعُ » فهـي … اليـومَ نِضـوٌ يعـالج المـوتَ مُضنـى
وحـديثُ الأخـرى اتركـوهُ فقـد … يُغنـيكُمُ عـن صراحـةٍ أن يُكَنّـى

***

أمان الله

وَداعـا مـا أردت لـكَ الوَداعـا … ولكـنْ كـانَ لي أمـلٌ فضـاعا
وكـمْ في الشرقِ مـثلي مـن مُـرَجٍّ … أرادَ لـكَ النجـاحَ فـما اسـتطاعا
وإنَّ يـداً طوتـكَ طـوتْ قلوبـاً … مرفرفِـةً وأحلامـاً وِسـاعا
وقـد كانـت متـى تـذكَرْكَ نـفسي … تَطِـرْ – إذْ تمـتلي فرحـاً – شَـعاعاً
فهـا هـيَ بـينَ تأميـلٍ ويـأسٍ … تُصـبِّرُ سـاعةً وتجـيشُ سـاعا
أمـان الله والـدُّنيا «هَلـوكٌ» … أبـتْ إلا التحـوُّلَ والخِـداعا
بغـيرِ رويّـةٍ حُبّـاً وكُرهـاً … إذا كالـتْ تُـوفّي المـرءَ صـاعا
تثَبَّـتْ لا ترعُـكَ فلـيس عـدلاً … ولا عَـودتَ نفسـكَ أنْ تُراعـا

إلـــهُ الشرِّ جبـــارٌ عنيـــدٌ | يحـبُّ مـعَ الجبـابرةِ الصراعـا
وأحكـــامُ القضـــاءِ مغفَّـــلاتٌ | يُســئنَ إذا انتخــبنَ الاقتراعــا
أرى رأسَ « ابـنَ سـقاءٍ » محـالاً | يُطيـق بتاجـكَ الألِـقِ اضـطلاعا
بـلى وأظنّــه عــمّا قريــب | سيشـكو مـن تحمّلـه الصـداعـا
لقــد أودى بعــاطفتي ركــودٌ | فهـا أنـا سـوفَ أنـدفعُ انـدفاعا
تقــدَّمْ أيهــا الشرقــيُّ وامــددْ | يـديكَ وصـارع الـدُّنيا صِراعـا
فقـد حلَفـوا بأنَّـك مـا اسـتطاعوا | سـتبقى أقصرَ الأقــوام باعـا
وأنَّــك مــا تُشــيِّدْ مــن بنــاءٍ | تجِـدْ فيـه انثلامـاً وانصـداعا
ولـيس بـأوَّلِ التيجـانِ تـاجٌ | أرْدنَ لــه مطــامعُهم ضـياعا
فيــا لِشــقاء شــعبٍ مَشرقــيٍّ | إذا وجــدوا بــه مِلكــاً مُطاعـا
وهــبْ أوفى ب « أنقـرة » وأنعـمْ | رُواءُ المُلـك يَزدهـرُ التماعـا
فلـمْ تكـنِ « البَنيَّـةُ » وهـيَ فـردٌ | لتعـدِلَ ألـفَ بنيـانٍ تـداعى
سـأقذِفُها وإنْ حُسِـبَتْ شـذوذاً | وإن ثقُلـتْ عـلى الأذنِ اسـتماعا
فـما للحـرِّ بـدٌّ مـن مَقـالٍ | بـرى لضـميرِهِ فيـه اقتناعـا
إذا لم يشـمَلِ الإصـلاحُ دِينـاً | فـلا رُشْـداً أفـادَ ولا انتفاعـا
وأوفـقُ منـه أنظمـةٌ تُماشـى | حيـاةَ النـاسِ تُبتـدَعُ ابتـداعا
أتـتْ « مدنيَّـةُ الإسـلام » لمّـاً | لشـعثٍ لا انشـقاقاً وانصـداعا
ولا لُـترى مواطِنُهـا خرابـاً | ولا ليبيـتَ أهلوهـا جياعـاً
ولا لتكـونَ للغـربيِّ عونـاً | يهـدِّدُ فيـه لـلشرقِ اجتماعـا
وإلا مـا يُريـدُ القـومُ منّـا | إذا ألقـتْ محجَّبـةٌ قِناعـا
أعنـدَ نسـائنا منهمْ عهـودٌ | بـأنّهُمُ يجيـدونَ الـدِّفاعا

أإنْ حُلِقتْ لحىً مُلئتْ نِفاقاً | اتَّخذْتُمْ شَعرها دِرْعاً مَناعا
رفعتمْ رايةً سوداءَ منها | وثوَّرتمْ بها ناساً وِداعا
عَفتْ مدنيَّةٌ لدمارِ شعبٍ | وديع تخدُمُ الهمجَ الرَّعاعا
همُ نفخوا التمرُّدَ في خِرافٍ | وأغرَوهنَّ فانقلبتْ سِباعا
ومن خُططِ السياسةِ إنْ أرادتْ | فساد المُلك أفسدَتَ الطِّباعا
على أني وإنْ أدمى فؤادي | ليومك ما أضيقُ به ذراعا
أُحمِّلكَ الملامةَ في أمورٍ | بِطاءٍ قد مشيتَ بها سِراعا
وقد كانت أناةٌ منكَ أولى | وإنْ كنتَ المجرِّبَ والشجاعا
« وخيرُ الأمرِ ما استقبلتَ منه | وليسَ بأنْ تتبَعهُ اتباعا»
« ولكنَّ الأديمَ إذا تفرَّى | بلىً وتعيُّباً غلبَ الصَّناعا»

***

علموها

علِّموها فقد كفاكُمْ شَنارا | وكفاها أنّ تحسَبَ العلمَ عارا
وكفانا من التّقهقُرِ أنّا | لم نعالج حتى الأمورَ الصغارا
هذه حالُنا على حينَ كادتْ | أممُ الغربِ تسبِقُ الأقدارا
أنجبَ الشرقُ جامداً يحسبُ | المرأةَ عاراً وأنجبتْ طيارا
تحكمِ البرلمانَ من أممِ الدنيا | نساءٌ تمثلُ الأقطارا
ونساء العراقِ تُمنعُ أن ترسمَ خطّاً | أَوْ تَقْرأَ الأسفارا
علِّموها وأوْسِعوها من التّهذيب | ما يجعلُ النّفوسَ كبارا
ولكي تُحسنوا سياسةَ شعبٍ | بَرهنوا أنّكم تسوسون دارا

أَنَكُمْ باحتقاركُمْ للنساء اليومَ ... أوسعتُمُ الرّجالَ احتقارا
أفَمِنْ أجلِ أنْ تعيشوا تُريدونَ ... لثلثَيْ أهلِ البلادِ الدّمارا
إنَّ خيراً من أن تعيشَ فتاةٌ ... قبضةَ الجهلِ أن تموتَ انتحارا
أيُّ نفع من عيشةٍ بين زوجينِ ... بعيدين نزعةً واختبارا
وخلال البيوتِ لا تجدون اليومَ ... إلاّ خصومةً وشِجارا
اختياراً بالبنت سيروا إلى ... صالحها قبل أن تسيروا اضطرارا
فعلى قدر ما تزيدون في الضغط ... عليها ستُوجدونَ انفجارا
وَهَبوا مرةً نجحتم فلا تنخدعوا ... سوف تُخْذلون مرارا
ولدى الأمرِ لا محالةَ مغلوبٌ ... ضعيفٌ يقاومُ التّيارا
وأرى جامداً يصارعُ تجديداً ... كَقَزم مصارع جبّارا
أينَ عن حرمة الأمومةِ داستْها ... وحوشٌ المصلحونَ الغَيارى
قادة للجمودِ والجهلِ في الشرق ... على الشعب تنصُرُ استعمارا
لو بكفي ملأت دور المحامين ... عن المرأة الْجهولةِ نارا
ازدراءً بالدينِ أن يُحسَبَ الدّينُ ... بجهلٍ وخزيةٍ أمّارا
وبلاءُ الأديانِ في الشرق هُوجٌ ... باسمه ساموا النفوسَ احتكارا
تُزدَرى رغبةُ الجماهيرِ في الشرقِ ... وتُنْسى إنْ خالفت أنفارا
أسلَموا أمرهم إلى «الشيخ» عُمياناً ... وساروا يقفونه حيثُ سارا
وامتطاهم حتى إذا نالَ بغياً ... خلَعَ اللُّجْمَ عنهُمُ والعِذارا
نَبذَ القِشْرَ نحوهم باحتقار ... وَحوَى اللبَّ وحدَهُ والخِيارا
دفعوا غُنْمَهمُ إليه وراحوا ... يحمِلون الأثقالَ والأوزارا
عاطلاتٍ نساؤهم ونساء« الشيخ » ... حُلِّينَ لؤلؤاً ونُضارا

وإذا جـاءت الشـدائدُ تَـترى قــدَّموهم وولَّــوا الأدبــارا
حالـةٌ تُلهب الغيَارى وتستصرخ غُلــبَ الرجــالِ والأحــرارا
إن بـينَ الضُّـلوع ممـا اسـتغلوه بتضــليلهم قلوبــاً حِــرارا
يُعـوزُ الشـعبَ كـي يسـيرَ إلى المجـد حثيثـاً وكـي يُـوَقَّى العِثـارا
حــاكمٌ مطلَــقٌ يكــون بــما يعـرف مــن خـير شـعبه مختـارا
يتحـرَّى هـذى الشـنائعَ في الشرق بــنفس لا تَرهَــب الأخطــارا
إن يُطَــعْ كــان مشــفقاً وإذا مــا أحوجــوا كــان فاتكــا جــزارا
أو فــلا يُرتجـى نهـوضٌ لشـعبٍ أن يُقــدِّمْ شــبراً يُعيَــقْ أشــبارا

****

الرجعيون

ســتَبقى طــويلاً هــذه الأزمــاتُ إذا لم تُــقصِّرْ عُمرَهــا الصــدَّمَاتُ
إذا لم يَنَلْهــا مُصــلحونَ بواســلٌ جريئــونَ فــيما يَــدَّعونَ كُفــاة
سَيبقى طويلاً يَحمِلُ الشعبُ مُكْرَهاً مَســاوئَ مَــنْ قــد أبْقَــتِ الفَــتَرات
قُيوداً من الإرهاقِ في الشرقِ أُحكِمَتْ لتســخير أهليــه لهــا حَلَقــات
ألمْ تــرَ أنَّ الشْــعبَ جُــلُّ حقوقــهِ هــي اليــومَ للأفــرادِ مُتلَكــات؟
مشتْ كلُّ جاراتِ العراقِ طموحةٍ سِراعــاً.. وقامــتْ دونــهُ العَقَبــات
ومِــنْ عَجَــبٍ أن الــذينَ تكفَّلــوا بإنقــاذِ أهليــهِ هــمُ العَثَــرات
غــداً يُمْنَــعُ الفتيــانَ أنْ يتعلَّمــوا كــما اليــومَ ظُلــماً تُمنَـعُ الفتيـات
أقــولُ لقــوم يَحْمَــدونَ أنــاتهم ومــا حُمِــدتْ في الواجبــاتِ أنــاة
بأسرعَ مِن هذي الخُطَى تُدرَكُ المُنى بِطــاءٌ لَعَمْــري مِــنكمُ الخُطُــوات

وما أدَّعي أنَّ التهوُّرَ صالحٌ ... متى صَلُحَتْ للناهضِ النزوات؟!
ولكنْ أُرَجّي أنَّ تقوم جريئةً ... لصدِّ أكُفِّ الهادمين بُناة
أُريدُ أكُفّاً مُوجِعاتٍ خفيفةً ... عليها – متى ما شاءتِ – اللَّطمات
فإنْ ينعَ أقوامٌ عليَّ مقالتي ... وما هي إلاّ لوعةٌ وشَكاة
فقد أيقَنتْ نفسي.. وليسَ بضائري ... بأنّيَ في تلكَ العُيونِ قَذاة
وما النقدُ بالمُرضي نفوساً ضعيفةً ... تهدُّ قُواها هذهِ الحَمَلات
وَهَبْني ما صلَّتْ عليَّ معاشرٌ ... تُباعُ وتُشرى منهمُ الصَّلَوات
فلو كنتُ مِمَّنْ يطعمونَ بمالِهِ ... لعادَتْ قِداساً تلكمُ اللعنات
دَعُوها لغيري عَلَّكُمْ تحلُبونها ... ستُغنيكمُ عن مِثليَ البَقَرات
وما هيَ إلاّ جمرةٌ تُنكرونَها ... ستأتيكُمُ من بَعدِها جَمَرات
قوارصُ قولٍ تقتضيها فِعالُكُمْ ... وتدعو الهَناتِ القارصاتِ هَنات
وإنْ يُغضِبِ الغاوينَ فضحٌ معاشرٍ ... همُ اليومَ فيه قادةٌ وهُداة
فما كان هذا الدينُ لولا ادّعاؤهم ... لِتمتازَ في أحكامهِ الطَّبَقات
أتُجبى ملايينٌ لفردٍ وحولَهُ ... أُلوفٌ عليهمْ حَلَّتِ الصَّدقات؟!
وأعجبُ منها أنَّهم يُنكرونَها ... عليهم وهمْ لو يُنصِفونَ جُباة
قذىً في عيونِ المصلحينَ شواهقٌ ... بدتْ حولَها مغمورةً خَرِبات
وفي تلكَ مِبطانونَ صُغْرٌ نُفوسُهم ... وفي هذه غرثى البطونِ أُباة
ولو كانَ حُكْمٌ عادلٌ لتهدَّمتْ ... على أهلِها هاتيكمُ الشُرُفات
على باب « شيخ المسلمين » تكدَّسَتْ ... جِياعٌ عَلَتْهم ذِلَّةٌ وعُراة
همُ القومُ أحياءٌ تقولُ كأنَّهم ... على بابِ « شيخ المسلمين» موات
يُلَمُّ فتاتُ الخُبزِ في التربِ ضائعاً ... هُناك.. وأحياناً تُمَصُّ نواة

بيوتٌ على أبوابها البؤسُ طافحٌ ... وداخِلَهُنَّ الأنسُ والشَّهَوات
تحكَّمَ باسمِ الدِّينِ كلُّ مذَمَّمٍ ... ومُرتكِبٍ حفَّتْ به الشُّبُهات
وما الدينُ إلا آلةٌ يَشهَرونها ... إلى غرضٍ يقضُونه وأداة
وخلفَهُمُ الأسباطُ تترى ومِنهُمُ ... لُصوصٌ ومنهمْ لاطةٌ وزُناة
فهَلْ قَضتِ الأديانُ أن لا تُذيعَها ... على الناسِ إلا هذه النَّكِرات
يدي بيدِ المستضعَفِينَ أُريهمُ ... من الظُّلْمِ ما تعيا به الكَلِمات
أُريهمْ على قلبِ «الفُراتِ» شواهقاً ... ثِقالاً تَشَكَّى وطأُهنَّ «فُرات»
بنتْهُنَّ أموالُ اليتامى وحولَها ... يكادُ يَبِينُ الدمعُ والحسَرات
بقايا أُناسٍ خلَّفوها مَوارداً ... تسدُّ لهوَ الوارِثِينَ وماتوا

***

فلسطين الدامية

لو استطعتُ نشرتُ الحزنَ والألما ... على فِلسْطينَ مسوداً لها علما
ساءت نهاريَّ يقظاناً فجائعُها ... وسئن ليليَ إذ صُوِّرْنَ لي حلما
رمتُ السكوتَ حداداً يوم مَصْرَعِها ... فلو تُرِكتُ وشاني ما فتحت فما
أكلما عصفت بالشعب عاصفةٌ ... هوجاءُ نستصرخُ القرطاسَ والقلما ؟
هل أنقذ الشام كُتابٌ بما كتبوا ... أو شاعر صانَ بغداداً بما نظما
فما لقلبيَ جياشاً بعاطفةٍ ... لو كان يصدقُ فيها لاستفاضَ دما
حسب العواطف تعبيراً ومنقصةً ... أنْ ليس تضمنُ لا بُرءاً ولا سقما
ما سرني ومَضاءُ السيفِ يُعوزني ... أني ملكتُ لساناً نافثاً ضَرِما
دم يفور على الأعقاب فائرُهُ ... مهانةٌ ارتضي كفواً له الكلما

فاضت جروحُ فِلَسْطينٍ مذكرةً ... جرحاً بأنْدَلُسٍ للآن ما التأما
وما يقصِّر عن حزن به جدة ... حزن تجدده الذكرى إذا قَدُما
يا أُمةً غرها الإِقبالُ ناسيةً ... أن الزمانَ طوى من قبلها أمما
ماشت عواطفَها في الحكم فارتطمت ... مثلَ الزجاج بحد الصخرة ارتطما
وأسرعت في خطاها فوق طاقتها ... فأصبحت وهي تشكو الأيْنَ والسأما
وغرَّها رونقٌ الزهراء مكبرة ... أن الليالي عليها تخلع الظُّلَما
كانت كحالمةٍ حتى إذا انتبهتْ ... عضّتْ نواجذَها من حرقةٍ ندما
سيُلحقون فلسطيناً بأندلسٍ ... ويَعْطفون عليها البيتَ والحرما
ويسلبونَك بغداداً وجلقةً ... ويتركونِك لا لحماً ولا وضما
جزاء ما اصطنعت كفاك من نعم ... بيضاء عند أناسٍ تجحد النعما
يا أمةً لخصوم ضدها احتكمت ... كيف ارتضيتِ خصيماً ظالماً حكما
بالمِدفع استشهدي إن كنت ناطقةً ... أو رُمْتِ أن تسمعي من يشتكي الصمما
وبالمظالم رُدي عنك مظلمةً ... أولا فأحقر ما في الكون مَنْ ظُلِما
سلِي الحوادثَ والتاريخَ هل عرفا ... حقاً ورأياً بغير القوةِ احتُرما
لا تطلُبي من يد الجبار مرحمةً ... ضعي على هامةٍ جبارةٍ قدما
باسم النظامات لاقت حتفَها أممٌ ... للفوضوية تشكو تلْكم النظما
لا تجمع العدلَ والتسليحَ أنظمةٌ ... إلا كما جمعوا الجزارَ والغنما
من حيث دارتْ قلوبُ الثائرين رأتْ ... من السياسةِ قلباً بارداً شبما
أقسمتُ بالقوة المعتزِّ جانبُها ... ولست أعظمَ منها واجداً قسماً
إن التسامح في الإسلام ما حصدت ... منه العروبة إلا الشوكَ والألما
حلتْ لها نجدة الأغيار فاندفعت ... لهم تزجي حقوقاً جمةً ودما

في حـين لم تعـرف الأقـوامُ قاطبـةً عنـد التـزاحم إلا الصـارمَ الخـذما
أعطـت يـداً لغريـبٍ بـات يقطعُهـا وكـان يلثمُهـا لـو أنـه لُطِـما
أفنيتِ نفسَكِ فيما ازددتِ مِن كرم ألا تكفّين عن أعـدائك الكرمـا
لابّـد مـن شـيم غُـرٍّ فـإن جلبت هلكـاً فلابـد أن تستأصلي الشيما
فيـا فِلَسْـطينُ إن نَعْـدمْكِ زاهـرةً فلسـتِ أولَّ حـقٍ غيلـةً هُضِـما
سُـورٌ مـن الوَحْـدةِ العصماءِ راعَهُـمُ فاسـتحدثوا ثُغْـرَةً جوفـاءَ فـانثلما
هـزّت رزايـاكِ أوتـاراً لناهضـةٍ في الشرق فاهتَجْنَ منها الشجوَ لا النغما
ثـار الشبابُ ومـن مثلُ الشباب إذا ريـعَ الحمـى وشُـواظُ الغَيْرَةِ احتـدما
يـأبى دمٌ عـربيٌ في عـروقِهِمُ أنْ يُصـبِحَ العـربيُّ الحـرُّ مهتضـما
في كـل ضـاحيةٍ مـنهم مظـاهرةٌ موحـدين بهـا الأعـلامَ والكلـما
أفـدي الـذينَ إذا مـا أزمـةٌ أزَمَـتْ في الشرق حُزنـاً عليهـا قصَّروا اللِمَـما
ووحـدَّتْ مـنهُمُ الأديـانَ فارقـةً والأمـرَ مختلفـاً والـرأيَ مُقتَسَـمَا
لا يـأبهون بإرهـابٍ إذا احتـدَموا ولا بِمَصْرَعِهِـمْ إن شـعبُهم سَـلِما

***

النزغة

أو ليلة من ليالي الشباب

كـم نفـوسٍ شريفـةٍ حسَّاسـة سـحقوهنَّ عـن طريـقِ الخساسـه
وطبـاع رقيقـةٍ قـابَلتهنَّ الليـالي بغِلْظَـةٍ وشراسـه
مـا لضـعفٍ شـكوايَ دهـري فـما أنكـرُ بـأسي وإن تحاميـتُ باسـه

غـيرَ أني أردتُ للـنجح مقياساً صحيحاً فلم أجدْ مقياسه!
وقديماً مسَّتْ شكوكٌ عقولاً وأطالتْ من نابهٍ وَسواسه
استغلَّتْ شعورَها شعراءٌ لم تُنشني ظرافةٌ وكيَاسه
وارتمتْ بيْ إلى المَطاوح نفسٌ غمرتها انقباضةٌ واحتراسه
عدَّتِ النُبلَ رابحاً واستهانتْ من نعيم ولذَّةٍ إفلاسه
كلَّما أوشكتْ تبلُّ من الإخلاصِ والصدقِ عاودتْها انتكاسه
تَعِسَ المرءُ حارِماً نفسَه كلَّ اللذاذاتِ قانعاً بالقداسه
استفيقي لا بدَّ أنْ تُشبهي الدَّهرَ انقلاباً وأنْ تُحاكي أُناسه
لكِ في هذه الحياةِ نصيبٌ اِغنميهِ انتهازةً وافتراسه
فالليالي بلهاءُ فيها لمن يُحسن إبساسةً لها إسلاسه
مُخلَفاتِ حلبتِها وأُناسٌ حلَبوها درّارةً بسّاسه
كلُّ هذا ولستُ أُنكرُ أنّي من لذاذاتها اختلستُ اختلاسه
ألفُ إيحاشةٍ من الدَّهر قد غطَّتْ عليها في ليلةٍ إناسه
ليلةٌ تُغضبُ التقاليدَ في الناس وتُرضي مشاعراً حسَّاسه
من ليالي الشبابِ بسَّامةٌ إنَّ ليالِيَّ جُلّها عبَّاسه
ومعي صاحبٌ تفرَّستُ فيه كلَّ خيرٍ فلمْ تخني الفَراسه
أريحيٌّ ملء الطبيعةِ منه عزَّةٌ وانتباهةٌ وسلاسه
خِدْنُ لهوٍ إني أُحبّ من الشاعر في هذه الحياةِ انغماسه
عرَّقتْ فيه طيّباتٌ ويأبى المرءُ إلاَّ عروقَه الدسَّاسه
ولقد رُزْتُه على كلّ حالاتِ الليالي فما ذممتُ مَساسه
كان مقهى «رشيد» موعدنا عصراً وكنَّا من سابقِي أحلاسه

مجلسٌ زانَهُ الشبابُ وأخلو   « للزهاويِّ» صدرَه والرياسه
هو إنْ شئتَ مجمعٌ للدُّعاباتِ   وإن شئتَ معهدٌ للدراسه
ثمَّ كان العِشاءُ فانصرف الشيخُ   كسيحاً مودِّعاً جُلاّسه
وافترقنا نُريد« مَهَرانَ» نبغي   وَرطةً في لذاذةٍ وارتكاسه
تارةً صاحبي يُصفِّقُ كأسي   وأنا تارةً أُصفِّق كاسه
وجديرٌ أنْ يُمتِعَ المرءُ بالخمرةِ   نفساً وأنْ يُثقِّلَ راسه
قبلَ أن تَهجُمَ الليالي عليه   فتُعري من الصِّبا أفراسه
أتُراه عـ ' حياةٍ قديراً   بعدَ ما يُودِعونه أرماسه
فاحتسينا كأساً وأُخرى فدبَّتْ   سَورةٌ لم تدعْ بنا إحساسه
وهَذينا بها استكنَّت به النفسُ   وجاشتْ غريزةٌ خنَّاسه
لا « الحسينُ الخا ـ . يبلغُ شأونا   ولا « مسلمٌ »ولا ذو « النُواسه»
قال لي صاحبي الظريفُ وفي الكفِ   ارتعاشٌ وفي اللسانِ انحباسه
أين غادرتَ « عِمَّةً » واحتفاظاً   قلتُ إني طرحتُها في الكُناسه
ثم عُجنا لمسرح أسرجته   كلُّ رَودٍ وضَّاءةٍ كالماسه
جدَّدوه بكلِّ فينانةٍ خضراءَ   بالزهرِ عطرتْ أنفاسه
ولقد زادتِ الوجوهَ به حُسناً   ولُطفاً للكهرباء انعكاسه
ثمَّ جَسُّوا أوتارَهم فأثرنَ   اللهو أيدٍ قديرةٌ جسَّاسه
وتنادَوا بالرقصِ فيه فأهوى   كلُّ لدنٍ للدنةٍ ميَّاسه
خُطةٌ للعواطف الهُوج فاقَتْ   خُطّةَ الحربَ جذوةً وحماسه
أُغرمَ الجمعُ واستجاب نفوساً   تتقاضاهُ حاجةً مسَّاسة

نـاقِلاً خطـوَه عـلى نغمـةِ العـودِ ... وطـــوراً مرَّجفـــاً أعجاســـه
وتلاقـى الصــدرانِ واصــطكَّتِ ... الأفخـاذ حتـى لم تبـقَ إلا لُماسـه!!
حرَّكـوا سـاكناً فهـبَّ رفيقـي ... لامســاً باليـــدينِ منــه لباســه!!
ثــمَّ نــادى مُعربــداً لُيحيــيِّ ... الله مغنـــاكَ وليُـــدِمْ أعراســـه
وخرَجْنـا منـه وقـد نصـلَ الليـلُ ... وهــــدَّتْ إغفـــاءَةٌ حُرّاســـه
مـا لبغـدادَ بعـدَ هـاتيكمُ الضـجَّةِ ... تشـــكو أحياؤهـــا إخراســـه
واقتحمنـا بيتـاً تعـوَّد أنْ نطـرق ... في الليــلِ خُلســـةً أحلاســـه
وأخــذنا بكــفِّ كــلِّ مَهــاةٍ ... رنَّقَــتْ في الجفـونِ منهـا نُعاسـه
لم أُطِــلْ ســومَها وكنــتُ متــى ... يعجبنـي الشيءُ لا أُطيـلُ مِكاسـه!
قلــتُ إذ عيَّرتنــيَ الضــعفَ لَّمــا ... خــذلتني عنهــا يــدٌ فرّاســه؟
لستُ أعيـا إنْ فـاتني أخـذيَ الشيء ... بعنــفٍ عــن أخــذهِ بالسياســه
ثــمَّ كانــتْ دعابــةٌ فَمُجــونٌ ... فارتخـــاءٌ فلـــذةٌ فانغماســـه
وعلى اسم الشيطانِ دُستُ عَضوضاً ... نــاتئَ الجنبتَــينِ حلــوَ المداســه!
لبَــداً تنهــلُ اللُبانـــةُ منــه ... لا بحـــزْنٍ ضَرسٍ ولاذي دَهاســه!
وكــأنّ العبــيرَ في ضرَم اللــذَّةِ ... يُــــذكي بنفحــــةٍ أنفاســــه!
وكــأنّ الثِقْــلَ المــرجّحَ بــين ... الصـدرِ والصـدرِ يسـتطيبُ مراسـه
وكأنّ « البديعَ » في روعة الأسلوب ... يُمـــلي « طِباقـــه ! » و« جِناســـه»
واستجدَّتْ مـن بعـدِ تلـك أمـورٌ ... كلّهـــنَّ ارتيابـــةٌ والتباســـه
عرَّفتنـــا معنـــى الســـعادةِ لّمـــا ... أنْ وضـــعنا حـــدّاً بهـــا للتعاســه
بسَـــمَ الـــدهرُ برهـــةً وتجـــافى ... بعـــدَها كـــاشِراً لنـــا أضراســـه
صـــاحبي لا ترُعـــكَ خِسَّـــةُ دهـــر ... «كـــم نفـــوسٍ شريفـــةٌ حسَّاســـه»

ساعة مع البحتري
في سامراء

أسْـدَى إليَّ بـكَ الزَّمـانُ صـنيعا ... فحمِـدْتُ صـيفاً طَيِّبـاً وربيعـا
أجللـتُ منظـرَكِ البـديع ومنظـرٌ ... أجللتـه لِمْ لا يكـونُ بـديعا
دَرَجَ الزمـانُ بهـا سريعـاً بعـد مـا ... ناشـدتُه ألا يمـرَّ سريعـا
قـرَّتْ بمرآهـا العُيـونُ وقرحـةٌ ... للعـينِ ألا تُـبصرَ المسـموعا
ونعمـتُ أُسـبوعاً بهـا وسـعيدةٌ ... سَـنَةٌ نعمـتُ خلالَهـا أسـبوعا
ألفيـتُ حسـن الشـاطئَيْنِ مرقرقـاً ... غضّـاً وخِصْـبَ الشـاطئينِ مَريعـا
وأضـعتُ أحلامـي وشرخَ شـبيبتي ... وطَلاقتـي فوجـدتُهُنَّ جميعـا
صـبحٌ أغـرٌّ وليلـةٌ جذلانـةٌ ... بيضـاءُ تهـزأُ بالصـباح سُـطوعا
والبـدرُ بـالأنوارِ يمـلأُ دجلـةً ... زَهْـواً ويبعـثُ في النفـوسِ خُشـوعا
وتـرى ارتياحـاً في الضِّـفافِ وهِـزَّةً ... تعلـو الرّمـالَ إذا أجـدَّ طُلوعـا
وجـرتْ عـلى الحصـباءِ دجلـةُ فِضَّـةً ... صُـهِرَتْ هنـاكَ فمُوِّعـتْ تمويعـا
وكـأنَّها سـبكوا قـواريراً بهـا ... مـضَّ السَّـنا فتصـدَّعتْ تصـديعا
وتـرى الصـخورَ عـلى الجبـالِ كـأنَّها ... لَبِسَـتْ بهـنَّ مـن الهجـير دُروعـا
دُورُ الخلائـفِ عافهـا سُـمّارُها ... وتقطَّعَـتْ أسـبابُها تقطيعـا
درجـتْ بسـاحتها الحـوادثُ وانـبرى ... خَطْـبُ الزمـانِ لهـا فكـان فظيعـا
حتـى شـواطئُ دجلـةٍ منسـابةً ... تـأبى تُشـاهد منظـراً مفجوعـا
أبَنْتُهـا مرثيَّـةً ولطالمـا ... غازلـتُ منهـا حسـنَها المسـموعا
ولقـد تُـذَمُّ جـلادةٌ في موقـفٍ ... للـنفس أجمـلُ أن تكـونَ جزوعـا

قصرُ الخليفةِ جعفرٍ كيف اغتذى ... بيد الحوادثِ فضّةً مصفوعا
وكَم استقرَّ على احتقار طبيعةٍ ... لم تألُه التحطيمَ والتصديعا
ولقد بَكَيْتُ وما البكاءُ بِمُرجِعٍ ... مُلكاً بشهوةِ مالكيهِ بيعا
زُرْ ساحةَ السجنِ الفظيع تجدْ بهِ ... ما يستثيرُ اللومَ والتقريعا
إن الّذينَ على حساب سواهُمُ ... حلبوا ملّذاتِ الحياةِ ضروعا
رفعوا القصورَ على كواهلِ شعبهِمْ ... وتجاهلوا حقّاً له مشروعا
ساسوا الرعيةَ بالغرورِ سياسةً ... لا يرتضيها من يسوسُ قطيعا
حتى إذا ما الشعبُ حرَّكَ باعه ... فإذا همُ أدنى وأقصرُ بوعا
ووقفتُ حيثُ البحتريُّ ترقرقت ... أنفاسُه فشفعتُهُنَّ دُموعا
أكبرتُ شاعرَ جعفرٍ.. وشعورُهُ ... يستوجبُ الإكبارَ والترفيعا
ولَمستُ في أبياتِه دَعةَ الصِّبا ... ولداتهِ وا [illegible] ـاطرَ المجموعا
ولئن تشابهتِ المَناسبُ أو حكى ... مطبوعُ شعري شعرَهُ المطبوعا
فلكَمْ تخالَفُ في المسيلِ جداولٌ ... فاضَتْ معاً وتفجرَّتْ ينبوعا
عَبثَ «الوليد» بشرخ دهرٍ عابثٍ ... وصَبا فنالَ من الصِّبا ما اسطيعا
ونما رفيعاً في ظلالِ خلائفٍ ... في ظلِّهمْ عاش القريضُ رفيعا
لا عن بيوت المال كان إذا انتمى ... يُقصَى ولا عن بابهم مدفوعا
قَدَرُوا له قَدْرَ الشعورِ وأسرجوا ... أبياتَهُ وسْطَ البيوتِ شموعا
ضيفَ العراق نعمتَ من خيراتهِ ... وحَمِدْتَ فيه قرارةً وهجوعا
إنْ تُعْقَدِ الحَفلاتُ كنتَ مقدَّماً ... أو تُنبرِ الأمْراءُ كنتَ قريعا
وأظُنُ أنَّكَ لو نمتْكَ ربوعُهُ ... لشكوتَ منه فؤادَكَ المصدوعا
ولكنتَ كالشعراءِ من أبنائه ... ممَّنْ تُجوهلَ قدرُهُمْ فأُضيعا

لك في « الّتي » راشَتْ جناحك رِفقةٌ ... لـولا جلادتُهـم لمـاتوا جوعـا

❊❊❊

جربيني..

جرّبينـي مـنْ قبـلِ أنْ تزدَرينـي ... وإذا مـا ذممْتِنـي فـاهجرِيني

ويَقينـاً سـتندمينَ عـلى أنَّـكِ ... مـن قبـلُ كنـتِ لمْ تعرفينـي

لا تقيـسي عـلى ملامـح وجهـي ... وتقاطيعِـه جميـعَ شـؤوني

أنـا لي في الحيـاةِ طبـعٌ رقيـقٌ ... يتنـافى ولـونَ وجهـي الحـزين

قبلـكِ اغـترَّ مـعشرٌ فـرأوني ... مـن جبـينٍ مكَّلـلِ بالغُضـونِ

وفريـقٌ مـن وجنتـينِ شَـحوبين ... وقـدْ فاتـتِ الجميـعَ عُيـوني

أقرئيني منهـا ففيها مطاوي النفسِ ... طُـراً وكـلُّ سرٍّ دَفـين

فـيهما رغبـةٌ تفـيضُ وإخـلاصٌ ... وشـكٌّ مخـامرٌ لليقـين

فـيهما شـهوةٌ تثـورُ وعقـلٌ ... خـاذِلي تـارةً وطـوراً مُعينـي

فـيهما دافـعُ الغريـزةِ يُغرينـي ... وعـدوى وراثـةٍ تَزوينـي

أنـا ضـدُّ الجمهـور في العـيشِ ... والتفكـيرِ طُـرّاً . وضـدُّه في الـدِّين

كـلُّ مـا في الحيـاةِ مـن مُتَـع العيشِ ... ومـن لـذَّةٍ بهـا يزدهينـي

التقاليـدُ والمـداجاةُ في النـاسِ ... عـدوٌّ لكـلِّ حُـرٍّ فطـين

أنجِـديني في عـالم تَنهشُ « الـذُّبانُ » ... لحمـي فيـه ولا تُسـلِمينى

وأنـا ابـن العشريـن مَـنْ مرجِـعٌ لي ... إنْ تقضَّـتْ لـذاذةَ العشريـن

ابسِـمي لي تَبسِـمْ حيـاتي وإنْ ... كانـتْ حيـاةً مليئـةً بالشُّـجون

أنصِـفيني تُكفِّـري عـن ذُنـوبِ ... النـاسِ طُـرّاً فـإنهمْ ظلمـوني

اعطِفـي سـاعةً عـلى شـاعرٍ حـرٍ رقيـقٍ يعـيشُ عـيشَ السـجين
أخـذتني الهمـومُ إلا قلـيلاً أدركينـي ومـن يـديها خـذيني
سـاعةً ثـم انطـوى عنـكِ محمـولاً بكُـرهٍ لظُلمـةٍ وسـكون
حيـث لا رونـقُ الصـباح يُحيِّنـي ولا الفجـرُ باسـماً يُغرينـي
حيثُ لا « دجلةٌ » تلاعـبُ جنبيها ظِـلالُ النخيـلِ والزيّتـون
حيثُ صَحبي لا يملكـونَ مُواساتي بشيءٍ إلا بـأنْ يبكـوني
مَتِّعينـي قبـلَ المـماتِ فـما يُـدريكِ مـا بعـدَه ومـا يُـدريني
وَهبـي أنَّ بعـدَ يـوميَ يومـاً يقتضـيني مُخلَّفـاتِ الـدُّيون
فمَـنِ الضـامنونَ أنَّـكِ في الحشرِ إذا مـا طلَبتِنـي تجـديني
فسـتُغرينَ بالمحاسـنِ رُضـواناً فيُلقيـكِ بـين حُـورٍ وعِـين
وأنـا في جهـنَّم مـعَ أشـياخ غـواةٍ بِغـيِّهمْ غمـروني
أحرَجتنـي طبيعتـي وبـآرائِهم ازدَدْتُ بَلـةً في الطـين
بالشـفيع «العُريـان» اسـتملكي خـيرَ مكـانٍ.. وأنـتِ خـيرُ مكـين
ودعينـي مُستعرضـاً في جحيمـي كـلَّ وجـهٍ مُـذمَّم ملعـون
وستُشـجينَ إذ تـرينَ مـعَ البُـزلِ القنـاعيسِ حـيرةَ ابـن اللبـون
عـن يسـاري أعمـى المعـرَّةِ و«الشيخُ» الزهاويُّ مُقعداً عن يميني
ائـذَني لي أنـزِلْ خفيفـاً عـلى صـدركِ عـذْباً كقطـرةٍ مـن مَعـين
وافتحـي لي الحـديثَ تسـتملحي خفَّـةَ رُوحـي وتسـتطيبي مُجـوني
تعـرِفي أننـي ظريـفٌ جـديرٌ فـوقَ هـذي « النهـود» أنْ ترفعينـي
مـؤنِسٌ كابتسـامةٍ حـولَ ثغريـكِ جـذوبٌ كسـحرِ تلـكَ العيـون
اسـمحي لي بقُبلـةٍ تملِكينـي ودعـي لي الخَيـارَ في التعيـين

قرِّبيني من اللذاذةِ ألَمْسها ... أريني بداعةَ التكوين
أنزليني إلى « الحضيضِ » إذا ما ... شئتِ أو فوقَ ربوةٍ فضعيني
كلُّ مافي الوجودِ من عقباتٍ ... عن وصولي إليكِ لا يَثنيني
احمليني كالطفلِ بين ذِراعيكِ ... احتضاناً ومثلَه دَّلليني
وإذا ما سُئلتِ عني فقولي ... ليسَ بِدعاً إغاثةُ المسكين
لستُ أُمّاً لكنْ بأمثالِ « هذا » ... شاءتِ الأُمهاتُ أنْ تبتليني
أشتهي أنْ أراكِ يوماً على ... ما ينبغي مَن تكشُّفٍ للمصُون
غيرَ أني أرجو إذا ازدهتِ النفسُ ... وفاضَ الغرامُ أنْ تعذُريني
« اِلطمِيني »إذا جُننتُ فعمداً ... أتحرَّى المجونَ كي تَلْطِميني
وإذا ما يدي استطالتْ ... فمِنْ شَعركِ لُطفاً بخُصلةٍ قيِّديني
ما أشدَّ احتياجةِ الشاعر ... الحسَّاسِ يوماً لساعةٍ مِن جنون

***

إلى السعدون

فيم الوجومُ؟ وجومُكم لا ينفعُ ... نَفَذَ القضاءُ وُحمَّ ما لا يُدفَعُ
فيم الوجومُ؟ أبو عليٍّ قد مضَى ... وقد انقضىَ الخيرُ الذي يُتوقَّع
وقد اختفى رمزُ البطولة وانطوتْ ... تلكَ المحاسنُ والشمائلُ أجمَع
الشعبُ محتشِدٌ هنا يتسمَّعُ ... ماذا يقولُ الشاعرُ المتفجِّع
احذرْ لساني أن تكونَ مقالةٌ ... ليست تَليقُ به فإنكَ تُقطَع
يا سادتي أما اللسانُ فواهنٌ ... متلجلجٌ فَلْتُلْهِبَنْكُمْ أدمُع
يعتاقُ إبدعي ارتباكُ عواطفي ... فإذا مَلكتُ عواطفي فسأُبدِع

وستَحمَدون قصائداً مهما عَلَتْ ... قَدْراً فَقَدْر أبي عليٍّ أرفَعَ

أُمُّوا ضريحَ أبي عليٍّ واكشِفوا ... فيه الرؤوسَ وفي الشدائد فافزَعوا

وإذا أَلَمَّتْ بالبلاد مُصيبةٌ ... فتوَّسلوا بزعيمها وتضرَّعوا

قولوا له يا مَن لأجل بلادِهِ ... هَذْراً مضى إن البلادَ تُروَّع

هذا الضريحُ ضريحُ أمةِ يَعرُبِ ... فيه خِيار خِصالِها مُتجَمِّع

إن كنتُ لم أسْجُدْ ولم أركَع فما ... قَدْري ركعتُ عليكَ أولا أركَع

فَسَيركعُ التاريخُ فوقَك كلُّه ... وسيركَعُ الوَطنُ الذي بك يُمنَع

وسَيركعُ الجيلُ الذي شرَّفتَه ... وتمرُّ أجيالٌ عليكَ وتَركَع

ولسوف تركَع نخوةٌ ورويَّةٌ ... وشهامةٌ وصراحةٌ وتَمنُّع

للموتِ فلسفةٌ وَقفتُ إزاءَها ... مُتخشِّعا وبرغم أنفي أخشَع

أيموتُ شَهْمٌ تستظل بخيره ... دنيا ويبقى خاملٌ لا ينفع

ناشدتُهُمْ وقد اعْتَلَيتُ حَفيره ... أأبو علي وَسْطَ هذا مُودَع

أو تهزأون بقدرِه ما هذه الأحجارُ ... ما هذي الصخورُ الأربَع؟

أهُنا ينامُ فتىً يُهابُ ويرتَجى ... أهُنا يعاف فَتىً يَضرُّ وينفَع

انهضْ فُدِيتَ « أبا عليٍّ » وارتجِلْ ... بين الجمُوع قد استَتَمَّ المَجْمَع

واسمعْ تُشَرِّفْ باستماعِكَ قِيلَتي ... أسفاً وأنكَ مَيِّتٌ لا تَسمع

ماذا فَعَلتَ لقد أتَيتَ عظيمةً ... ينبو الأريبُ بها ويَعيَا المِصقَع

وافتْ مروِّعةٌ فهوَّنَ خطبَها ... وأتت أناساً هادئينَ فرُوِّعوا

أعلِمتَ إذ أطلقتَها ناريةً ... ما أنتَ بالوطن المفدَّى تصنَع

وإذ انتزَعْتَ زنادَهُ مُستوريا ... عن أي ثُكلٍ للمُواطِنِ تُنزَع

يا مِدفعَ الأبطالِ أنَّك حاملٌ ... من كانَ ينهضُ حينَ يعجَزُ مِدفَع

مـن خـاضَ أمـواجَ السياسـةِ رافعـاً ... رأســاً ورُبَّ مخاضـــةٍ لا تُرفَــع

يــمشي إليهــا بالرويــةِ مــدركاً ... بالشِبــرِ مــا لا تَســتطيعُ الأذرُع

يكفيـك مـن أبنـاء شـعبِك غَـيرَةٌ ... حمـراءُ أن صنَعوا الـذي لم يصنَعوا

نِصفانِ بَغـدادٌ فنِصـفٌ مَحشَرٌ ... سـاحاتهُ اكتظَّـتْ ونصـفٌ بَلقـع

متماوجُ الأشـباح حزنـاً مـا بـه ... إلا حشـاً دام ووجـهٌ أسـفَع

مَرصـودةٌ سـتُّ الجهـات لسـاعةٍ ... نكـراءَ محسـودٌ بهـا المتطلِّـع

وتوجَّـعَ الملـكُ الهمامُ ولم يكُـنْ ... إلا لأعظـم حـادثٍ يَتَوَجَّـع

وانقـضَّ فوقَـك كالعُقـابِ وأنَّـه ... لسـواكَ عـن إلمامـةٍ يترَفَّـع

وهفـا فـؤادٌ كالحديـدِ وأسـبَلَت ... عـينٌ تُفـاخر أنهـا لا تـدمَع

ولقـد يَعِـزُّ علـى المليـك وشـعبِهِ ... والمشرقـينِ نجيعُـك المتـدَفِّع

لا يـرتضي الـوطنَ الـذي فَدَّيتـهَ ... بـالنفس أن تَـدمَى لكفـك إصبَع

هِبَـةَ العروبـة للـبلادِ أهكـذا ... مُسـتدمياً مـتظلِّماً تُسـتَرجع

تـاريخُ شَـعبٍ سُـوِّدَت صـفحاتُهُ ... فـأتى فبيَّضَـهنَّ هـذا المَصرعَ

هـذي الرجولـةُ ضُـيِّعَتْ ممنوحـةً ... واليـوم يُعـرَفُ قـدرُها إذ تُرفَـع

حصَدَت خصومُك حسرةً وخجالـةً ... حتـى لـودّوا أنهـم لم يزْرَعـوا

كانـت حياتُـك للـبلاد منافعـاً ... جُـلَّى وأنـك في مماتـك أنفَـع

غـيرتَّ راهنـةَ الأمـور بطلقـةٍ ... مسـتقبلُ الأوطـان منهـا يَلمَـع

يُنسـى دويُّ مـدافع وعواصـفٍ ... وأزيزُهـا حتـى القيامـةِ يُسـمَع

ووقَفـتَ أقطـابَ السياسـة موقفـاً ... يرتـدُّ حيرانـاً بـه المتضـلِّع

يتسـاءلون بـأي عُـذرٍ نختفـي ... عـن شـعبنا وبـأي وجـهٍ نَطلُـع

واسترجعوا أحكامَهم مرفوضَةً ... ناسٌ بحكمهمُ عليكَ تسرَّعوا
غَطَّى على المتبرعينَ مُبجِّل ... بحياتِه لبلادِه يتبرَع
قولوا لأشباه الرجالِ تصنعاً ... إلا تكونوا مثلهُ فتقنَّعوا
لا تُزعجونا بالتشدُّقِ إننا ... بسوى التخلص منكمُ لا نقنع
قد يدفع الدمُ ما يحيق بأهله ... فإذا صدقتُم بادعاءٍ فادفَعوا
أما كتابُك فهو أفضلُ ما وَعى ... واعٍ وخزيُ معاشرٍ إن لم يَعُوا
طِرْسٌ على التاريخ يَفخَر أنه ... من كلّ ما يحوي أجلُّ وأرفَع
دستورُ شَعبٍ لا يُمَسُّ وشِرعةٌ ... هي فوقَ ما سنَّ الرجال وشرَّعوا
هذي الوصيةُ ذخرُهُ إن أعوزَتْ ... طيارةٌ وبنادقٌ ومُدرَّع
مَشَتِ الأناملُ هادئاتٍ فوقَها ... والموتُ يمشي بينَهنَّ ويُسْرِع
قرَّعت شعبَك أن يَعُقَّك مرحباً ... بأبي البلاد على العُقوق يُقرِّع
وشكوتَه أن ليسَ يسمعَ ناصحاً ... نَمْ هادئاً إن البلادَ ستسمَع

***

المجلس المفجوع

يبكي عليكَ وكلُّهُ أوصابُ ... شَعبٌ يمثِّلُ حزنَه النُواب
غطَّت على سُود الليالي ليلةٌ ... وعلى المصائبِ كلِّهِنَّ مُصاب
المجلِسُ المفجوعُ رُوِّع أهلُهُ ... وبكتْكَ أروقةٌ له وقِباب
قد جلَّلتْه وجلَّلتهُمْ رَهبةٌ ... فهل البلادُ يسودُها إرهاب
كادت تحِنُّ لفقدِ وجهك ساحةٌ ... فيه ويُسألُ عن دخولِك باب
عبءٌ على الأوطانِ ذكرى ليلةٍ ... عن مثلِ مَصرع «مُحسنٍ» تَنجاب

عـــن مصرع في المجلِسَـــين لأجلـــهِ وهمـــا الـــبلادُ بأسرِهـــا إضراب
بالـــدمع يَســـأل عـــن غيابـــك ســـائلٌ في المجلسَـــين وبالـــدموع يُجـــاب
هـــذي الثمانـــونَ التـــي هـــي جُـــلُ مـــا ارتضَـــتِ الـــبلادُ وضـــمَّتِ الأحـــزاب
مُتجلبيـــــونَ ســـــكِينةً وكآبـــــة ومـــن الســـواد علـــيهم جِلبـــاب
متشـــنجون يخـــالهم مـــن راءهُـــم للحـــزن - أنَهَـــمُ عليـــه غِضـــاب
نـــاجي لســـانَ النثـــر قـــمْ واخطُـــب بهـــم وأعِـــنْ لســـان الشـــعر يـــا ميرابـــو
هَـــدِّأْ بنطقِـــك رَوعَهـــم قـــد أوشـــكت للحُـــزنِ أن تتمـــزقَ الأعصـــاب
ولقـــد أقـــولُ لـــرافعين أصـــابعاً ليســـت تُحِـــسُّ كأنَّهـــا أحطـــاب
رهـــنَ الإشـــارة تختفـــي أو تعـــتَلي وينـــالُ منهـــا السَـــلْبُ والإيجـــاب
مـــاذا نَـــوَيتمْ ســـادتي : هـــل أنـــتُمُ بعـــد الـــرئيس - كعهـــده - أخشـــاب
هـــل تنهضـــونَ إذا اســـتُثيرتْ نخـــوةٌ أو تجمُـــدون كـــأنكم أنصـــاب
هـــل أنـــتُمُ - إن جـــدَّ أمـــرٌ ينبغـــي توحيـــدَ شـــملِكُمُ بـــه - أحـــزاب
يـــا أيهـــا « النـــوابُ » حســـبُكُمُ عُـــلا قـــولي لكـــم يـــا أيهـــا « النـــواب »
روحُ الـــرئيس تـــرفٌ فـــوقَ رؤوسِـــكم ارَعـــوا لهـــا مـــا تقـــتضي الآداب
ســـترى حضـــوراً غـــائبينَ بفكـــرهم ســـترى الـــذين بـــلا اعتـــذارٍ غـــابوا
ســـترى الـــذين لـــه أســـاؤوا تُهمـــة وإلى الـــبلاد جميعهـــا هـــل تـــابوا
ســـيقولُ إن خَبُثَـــت نوايـــاً مـــنكُمُ اخشَـــوا رفـــاقي أنْ يحِـــلَّ عـــذاب
لـــتكنْ محاكمـــةُ الخصـــوم بريئـــةً في قـــاعِكم وليحسُـــنِ اســـتجواب
تـــأبى المـــروءةُ أن يُقـــدَّسَ خـــائنٌ أو أن يطـــولَ عـــلى الـــبريءِ حســـاب
مـــن أجـــل أن ترعَـــوا مبـــادئَ « محُســـنٍ » لـــتكنْ أمـــامَكُمُ لـــه أثـــواب

متضرّجـاتٌ بالـدماء زكيـةٌ فـيهنَّ للجـرح البليـغ خطـاب
فيهنَّ مـن تلـك « الرَّصاصة » فَتحْةٌ هـي للتفـادِي إن وَعَيـتُمْ بـاب
لـيكُنْ أمـامَكُمُ كتـابٌ صـارخٌ فيـه ثـوابٌ يُرتَجـى وعِقـاب
فيـه الوصـيةُ سـوف تحنـو رأسَـها عَجَبـاً بهـا الأجيـالُ والأحقـاب
أوحـى « الـزعيمُ » إلى الجزيـرةِ كلِّهـا أنْ لـيسَ يُـدركُ بـالكلام طِـلاب
يـا هـذهِ الأمـمُ الضِـعافُ تَروّيـاً لا تـنهضي صُـعُداً وأنـت زِغـاب
لا تقطعـي سـبباً ولا تتهَّـوري نزقـاً إذا لم تكمُـلِ الأسـباب
لا تقـرَبي ظُفـرَ القـويِّ ونابَـه إن لم يكـنْ ظُفْـرٌ لـديك ونـاب
وإذا عتبـتِ عـلى القـوي فـلا يكـنْ إلا بـأطرافِ الحـرابِ عتـاب
فـإذا تركـتِ لـه الخيـارَ فإنـه أشـهى إليـه أن يكـونَ خـراب
هـذا القصـيدُ « أبـا عـلي » كلُّـه حـزنٌ وكـل سـطوره أوصـاب
ثـق أنَّ أبيـاتي لسـانُ عـواطفي ثـقْ أنَّ قلبـي بيـنَهن مُـذاب
الحـزن يملؤُهـا أسـىً ومهابـةً ويُمـدُّها بـالروح منـه شـباب
منسـابةً لطفـاً وبـين سـطورها حزنـاً عليـك مـدامعي تنسـاب
مـاذا عسـى تَقـوىَ عـلى تمثيلـه بمصـابِك الشـعراءُ والكتـاب
ضُـمّوا القلـوبَ إلى القلـوبِ دواميـاً ستكونُ أحسـنَ مـا يكـونُ كتـاب

❊❊❊

إلى الخاتون المسبل

قـل لِلْمِسِ الموفـورة العـرض التـي لبسـتْ لحكـم النـاس خـيرَ لبـاسِ
لي قيلـةٌ تلقـى عليـك بمسـمع وبمـحضرٍ مـن زمـرةِ السـواس

أن كـانَ سَرَّكِ في العـراق بـأن تـري ... ناسـاً لـه مضروبـةً بأنـاس
فلكِ التعزي عـن سياستكِ التـي ... عـادتْ عليكِ بصفقة الإفـلاس
خُطَط وقفتِ لها حياتَك أصبحت ... شـؤماً عليكِ وأنـت في الأرمـاس
إن تهزئـي مـنهم فعـذركِ واضـح ... فهـم الـذين سَـقوْكِ أوبـأَ كـاس
وهـم الـذين أرَتْكُـمُ وقفـاتُهُمْ ... لَطْـمَ الخـدودِ ونَتْـفَ شَعْرِ الـراس
وهـم الـذين عِظـامُهم وعظـامُكمْ ... معروضـةٌ للنـاس في أكيـاس
لـو كـان فـيهم للخيانـةِ مطمـعٌ ... لعرفـتِ كيـف إقامـةُ « القُـدّاس»
لكـنّهنّ شناشـنٌ معروفـةٌ ... لكُـمُ تليـق بعرقِـكِ الدسـاس
مـلءِ العـراق أماجـدٌ لـولاهمُ ... هـو مثـلُ بنيـان بغـير أسـاس
قـد أصـبحوا وهـم عليـه دخالـة ... باللَظليمـةِ مـن قضـاء قـاسي
للـحشر بـين حلـوقِكم وضـلوعِكم ... من فضـلِ ما صـنعوا كحزِ مواسي
لا بـأس أخـداني فهـذا كلـه ... مـن أجـل أنكُـمُ شـديدو البـاس

❊❊❊

الملك حسين

أرى الشـعبَ في أشـواقه كـالمعلَّقِ ... لَمـا حـدَّثُوه عنـكَ يرجـو ويتَّقـي
يغـالط نفسـاً فيـكَ إن قيـلَ لابـثٌ ... يكـذِّبُ أنْ قـالوا سـيأتي يصـدِّق
صبتْ لـك أنحـاءُ العـراق وفتِّحَـت ... للُقيـاكَ صَـدرَ الوالِـهِ المتشـوِّق
وأجـدرْ بـأن يشـتاق مثلُـك مثلهـا ... وأنعِـمْ بـأن تحنـو عليهـا وأخلِـق
سَرَت بُـردُ الأشـواقِ تحمِـلُ طيَّهـا ... تحيـاتِ خُلصـانٍ شـديدي التعلّـق
رطابـاً كأنفـاس النسـائم سَـحرةً ... عِـذاباً كـماء الرافـدين المصـفقَّ

وقد سَمَتْ الزَوراءُ ترفَعُ رأسَها ... على الأرض تِيهاً مثلَ نَسر مُحلِّق
وتفخَرُ أن نالَتْ بتفضيل أرضِها ... على سائر الجاراتِ حظَّ الموَّفق
فقد نافسَتْ بغداد بطحاء مكّةٍ ... وقد غبرَّت بغدادُ في وجهِ جِلَّق
وقد حَسَدَت بغدادُ شَتى عواصم ... من الشرق لم تنعُمْ بهذا التفوُّق
ولو نَطَقتْ قالتْ هَلمَّ لمَصبح ... جميلٍ على الشطِّنِ مني ومَغْبِق
هلمَّ فعندي مُشتهى كلِّ ماجدٍ ... ومن كلِّ ذوق طيّب فتذَّوق
فحقِّقْ لها أمنيةً فيكَ تَستَعضْ ... بها عن أمانٍ جمةٍ لم تُحقَّق
وأدخلْ عليها فرحةً فهي بَلْدةَ ... بها ثارت الأتراحُ ثورةَ مُحنَق
تمشَّت بها تعتاقُها عن نُهوضِها ... خطوبُ الليالي زَردَقاً بعد زَرْدَق
أبغدادُ وهي القحمةُ السِنِّ خِبرةً ... تَلَهَّى بألعابٍ كطفلٍ مُحمَّق
توقِّعُ باليمنى صكوك انعتاقِها ... وتُومي لها اليسرى بأن لا تصدِق
وتَفشلُ أسبابٌ لترقيع وحدةٍ ... تمزِّقُها الأضغانُ شرَّ مُمزَّق
وشعبٍ تُمشيِّه السياسةُ مُكرهاً ... على زَلَقٍ من حُكمها كيفَ يَرتقي
سلامٌ على شيخ الجزيرة كلِّها ... سلامٌ على تاريخِه المتألِّق
سلامٌ عليه يوم شطَّت رِكابُهُ ... سلامٌ عليه يومَ نحظَى فنلتقي
سلامٌ على عُمرٍ تَقَضَّى بصالح ... سلامٌ على ما فات منه وما بَقي
أبا فيصلٍ بعضَ التعزي فكم رَمَت ... شهامةُ قوم شملَهمْ بالتفرّق
وقبلَك غمّت عزةٌ رَبَّ كندةٍ ... وشرَّد صونُ العرض رَبَّ الخَورَنق
وما قَدْرُ عُمرِ المرءِ إن لم يُرَعْ به ... وما طيبُ عيشِ المرء إن لم يُرَنَّق
أبا فيصلٍ إن الحياةَ ثقيلةٌ ... على غير مذمومينَ وغدٍ وأحمق
سلِ القومَ ما معنى المرونةِ تختبرْ ... تُستِّرهم عن خِسّةٍ وتَمَلُّق

وعــــن ذمِّ محمــــودٍ لفـــرط مَنَاعــــةٍ وعـن حَمـد مـذموم لفـرطِ التحـذلُق
يســـفُّون بـــالأخلاقِ إذ يُطلقونهـــا عـلى كـلِّ مـا يَـزري بحُـرٍ مخلَّـق
أبـا فيصـل أشـجى التحايـا تحيـةٌ تمازجهـا الـذكرى بـدمع مُرقـرٌق
تحيـةُ مشـتاقٍ لـو اسـطاع نُهـزةً تلقّـاكَ مـن غـر القـوافي بفيلَـق
أخـي عاطفـات لم يَشُـنها تكلُّـفٌ وذي خُلُـقٍ لم يُمـتَهنْ بتخلُّـق
لقـد هـزّت الأشـواقُ قلبـاً عهِدتُـهُ إلى غـيرِ أربـابِ العُـلى غـير شـيِّق
ونفســاً عــلى أن لا تــزالَ أمينــةً أخـذتُ عليهـا كـلَّ عهـدٍ وموثَّـق
ولي فيـك قبـل اليـوم غُـرُّ قصـائدٍ كفاهـا سـمواً أنهـا بعـضُ منطقـي
مـن الـلاء غـذّاها «جريـر» بروحـه ولاءَمَ شَـطرَيها نسـيج « الفـرزدق»
شربــنَ بــماء الرافــدين وطارَحَــت بأسـجاعِها سـجعَ الحـمام المطـوَّق
ومـن قبـل كـانوا إن أرادوا انتقاصـةً مـن الشِـعر قـالوا عنـه لم يتعـرَّق
فــإن لا تبــذَّ المفلقــينَ فإنّهــا يـقصِّرُ عنهـا شـاعرٌ غـير مُفلِـق
سـهرتُ لهـا الليـلَ التّمام أجيـدُها أغـوصُ عـلى غُـرِّ المعـاني فـأنتقي
وأحِـبْ بهـا مـن مؤرقـاتٍ عزيـزةٍ عــليّ وبي مــن مُســتهام مــؤرَّق
فجئــتُ بهــا مبغــى أديــبِ مقــدّرٍ ومنعى حسـودٍ موَغرِ الصدرِ أخرق
وجــاءوا بمــرذولِ القــوافي كــأنها « مركبــةٌ أبياتهــا فــوق زِئبــق»
وحسبكَ مـن خمـس وعشريـن حجـةً بها الشيخ ذو السبعين من حَنَقٍ شَقِي
يقـول وقـد غطَّـى شُـعاعي بصيصَـه ترَفـقْ وهـل لي طاقـةٌ بـالترفّق
فيـا أيهـا الشـعرُ الجميـل انحطاطـةً بغـيضٌ إلى قلـب الحسـود تفـوُّقي
مكانَـك قِـفْ بي حيـثُ أنـتَ فحسـبُه وحسبُك من شَـوط تقـدَّمتُ مـا لقـي

إذا قـال شرِّقْ لا تغـرَّبْ إطاعـةً ... وإن قـال غـرّبْ فـاحترس لا تشرّق
وإن قـال رفِّـه عـن حيـاتي فرأفـةٌ ... وإن قـال دع لي فرجـةً لا تضـيّق
وعنـديَ مـن لفـظٍ جزيـلٍ وصنعةٍ ... لبـابٌ وطبـعٌ كالمُـدام المعتّـق
خـوافٍ بشـعري حلّقـت وقـوادمٌ ... ومـا خـيرُ شـعرٍ لم يَطـرِ فيُحلِّـق
إذا مـا تبـارَى والقـوافي بَحلْبَـة ... صَرختُ به إن كنتَ شعري فأسِبق
ولم لا يسـيل الشـعرُ لُطفـاً ورقـةً ... إذا كـان مـن فَـيض القريحة يستقي
يجـيء بـه النسـيجُ الرقيـقُ مُهَلْهَـلاً ... كمُـوشِيِّ روضٍ أو كثـوبٍ منمَّـق
ويُردفـهُ صـوبُ المعـاني فيزدَهـي ... زَها الروضُ عن صوب الحيا المتدِّفق
وإن ضـاعفتَه مسـحةُ الحـزن رَونقـاً ... فمـن فضـلِ أشجان أخذْن بمخنِقي
فمـن يَتنكَّـرْ مـن همـوم فـإنني ... لأنكِـر أن أعتـادَ غـيرَ التحـرُّق
وأنكـرُ نـفسي أن تُـرى في انبسـاطةٍ ... وأُنكـر صـدري أن يُـرى غـيرَ ضـيق
أخِـفُّ إلى المـرآة كـلَّ صـبيحةٍ ... أرى هل أشابَ الهمُّ بـالأمس مفرِقـي

❊❊❊

في الأربعين

زانَ العروبـةَ هـذا المُفـرَدُ العَلَـمْ ... وقـد تُخلَّـدُ في أفرادِهـا الأُمَـمُ
وقـد تَسـيلُ دمـاء جَمَّـة هَـدَراً ... وقـد يُقَـدَّرُ مـن دون الـدماءِ دَم
حَظٌّ من الموتِ محسودٌ خُصِصتَ به ... والموتُ كـالعيش مـابين الـورى قَسَـم
لـولا سـموٌّ مفـاداةٍ لمـا احتَفَلـتْ ... هـذي المحافـلُ نياضـاً بهـا الألم
لـو كـانَ غُنْمٌ لهـا مـا هكـذا ازدَحَمـتْ ... هـذي الجمـوعُ التـي للغُـرْم تَـزدَحِم
إن تَنْتَفِضْ لا تجـد كـفٌّ لهـا سَـعَةً ... أو تَنتقـلْ لا تجِـدْ أرضـاً لهـا قَـدَم

يــا أيُّهــا الســادةُ الأحــرارُ كلُّكــم ... للشَــعب إن أعوزَتْــه خِدمــةٌ خَـدَم
هــذي الضـحيةُ في تبجيلهــا عِظَــةٌ ... إن الــذي خَــدَمَ الأوطــانَ محتشِــم
إن الــبلادَ بمرصــاد ومــن سَــفهٍ ... أن تحسـبوا النـاسَ طـراً لعبـةً لكُـم
إن تنصُروهــا فــإن الشَــعبَ منـتصرٌ ... أو تخــذلوها فــإن الشــعبَ منـتقم
أو تُحتَقَـرْ « وسـيوف الهنـد مُغمَـدةٌ ... فقــد نَظَــرتُم إليهــا والســيوفُ دَم»
حســبُ الظنــينِ بوجــدانٍ محاكمــةٌ ... بهــا تُزيَّــفُ أو تُستَوضَــحُ الــتُهم
حسـب الفتـى بيـد التـاريخ مُحصـيةً ... ماقــد جَنَتــهُ يــدٌ أو مــا ادعــاه فَـم
فاسـتغنِموا اللــذَّةَ العُظمــى مُخلَّــدةً ... في الســعي فاللــذةُ الـدنيا هــيَ الألَمَ
تبقـى مـن الشـهوة العميـاء سـوأتُها ... للمشــتهينَ ويفنَــى الحــرصُ والــنَهَم
هـل ابـنُ سَـعدونَ يُعفينـي ويَعـذِرُني ... وهــو الكــريم نَــماه مَــعشَرٌ كَرُمــوا
لم تــأتِني مــن بليــغ القــولِ قافيــةٌ ... إلا وأبلــغُ منهــا عنــدَه شِــيَمَ
مــن كــل مرهوبــةٍ صَــعْبٌ تَقَحمُّهــا ... كأنهــا البَحْــرُ هَــوْلاً حــين يَقــتَحم
عــبءٌ عـلى الشـعر أن تحصى بسـاحتِه ... عــلى الرجــالِ مَســاعيهم إذا عَظُمــوا
وفي المفُــاداةِ للأوطــان مُعجِــزةٌ ... بهــا البَيــانُ وإن جــوَّدتُ يصــطدم
عســى مُعَلَّقــةٌ غــرّاءُ ثامنــةٌ ... تُحصي مــا آثَرك الغَــرّا وتَنــتظِم
يـا منظـراً يَشـتهِي فيـه العَمـى بَصَرٌ ... ويــا نَعِيّــاً عليــه يُجمَــدُ الصَــمَم
بــات العــراقُ عليــه وهــو مُرتجِـفٌ ... بــأسره لأمــانٍ وهـــي تنهــدِم
في ذمـة الله حـزنُ الشـعب حـينَ رأى ... وديعــةَ الله عنــد الشــعب تُسـتَلم
مألومــةٌ غــيرُ مشــكورٍ لهــا سَــهرٌ ... عــلى الحقــوقِ ولا مَرعيّــةٌ ذِمَــم
هــل رايــةُ الــوطنِ المفجــوع عالمــةٌ ... عــلى مَــن اشــتملتْ والمِـدفَع الضَـخِم

إن الـذي فيـكَ شـعبٌ هـدَّ جانبَـه
وأمـةٌ قـد أُضـيعَتْ أيُّهـا العَلَـم

إن الـذي فيـك مرهـوبٌ إذا احترَبـوا
يـومَ الخصـام ومـرضيٌّ إذا احتكَمُـوا

إن الـذي فيـكَ حتـى خصمهُ شغِفٌ
بـه وحتـى مـن الأعـداء مُحـترم

غُـرُّ الفِعـال إلى العَلْيـا دلائلُـه
حتـى المـماتِ عليـه دلـةُ الكَـرَم

مُسـتأثِر بخِيـار الخَصـلتينِ إذا
خيَّرتَـه بـين مـا يُـردي ومـا يَصِم

زَهـا الوجـودُ بـذاك الوجـهِ مفتخـراً
واليـوم يفخَـر إذ يحظَـى بـه العَـدَم

يـا نبعـةً عوجِـتْ دهـراً فـما انحطَمَـتْ
مـا كنـتَ لـولا يـدُ الأقـدار تَـنحطِم

مـا نـاشَ كفَّـك مـن تيـاره بلَـلٌ
لَمـا تحـدّاك مـوجُ المـوت يلـتَطِم

أبقيتَهـا حُـرَّةً تمشي أناملهـا
يَمـدُّهنَّ النُهـى والنُبْـلُ والهِمَـم

حتى إذا ما انتهت من حَشدِها جُمَلاً
أخـفُّ مـن وقعهـنَّ الصـارمُ الخـذِم

فـيهنَّ يشـكو إلى الأمـلاكِ طـاهرةً
روحٌ مـن البَشَـر الأدنَـينَ مُهتضَـم

رميـتَ نفسَـك في أحضـانِه فَرحـاً
وجلَّـلَ الشـعبَ يـومٌ حزنُـه عَمَـم

بـراءةٌ لـكَ عنـدَ الموسِـعيك أذىً
تُبـينُ مالـك مـن حـقٍّ ومـا لهُـم

نَـمْ هادئـاً غـيرَ مأسـوفٍ عـلى زَمـنٍ
يشـقى بـريءٌ ويَهنَـا فيـه متَّهَـم

قـد أخجـلَ الظـالمينَ النـاسَ مُحتشِـمٌ
مـن نفسِـه في سـبيلِ النـاسِ ينـتقم

أبـا عـلي سـلامٌ كيـف أنـتَ؟
وهلْ علِمتَ من بعدِك الأقوامُ كيفَ هم

تَولَّـتِ الأربعـونَ السـودُ تاركـةً
جَفنـاً قريحـاً.. وقلبـاً شـفَّه الـوَرَم

ولـو تقضَّـتْ علـيهم مثلهـا عَـدَدا
مـن السـنين لمـا مَلّـوُا ومـا سَـئِموا

يُسـلي التقـادمُ عـن ثُكْـلٍ وعنـدهُمُ
ثُكْـل عليـه يُعـينُ الجِـدَّةَ القِـدَم

جُـرْحٌ تَـذُرُّ عليـه غـيرَ راحمـةٍ
كـفُّ السياسـةِ مِلْحـاً كيـفَ يلتـئم

تـأبَى ليومِـكَ أن تنسَـى ظَلامتَـه
مظـالمٌ خَصـمُنا فيهـا هـو الحَكَـم

يُغـري بتهييجـه نقـضٌ يجـدُّ إذا ... مـا كـاد حبـلٌ مـن الآمـال ينـبرِم
باسم ابنِ سَعدونَ فَاضتْ حرقةٌ طُويَتْ ... دَهْـراً وأعلَـنَ شـجوٌ كـانَ يكتَـتِم
بـالحزنِ يَفتـتحُ الأقـوالَ قائلُهـا ... وبالسياسـةِ والأجحـافِ يَختَـتم
للثُكـلِ ثُـمَّ لأسـبابٍ لـه اجتَمَعـتْ ... مـلءَ النـواظر دمـعٌ والقلـوبُ دَم
وحسـبُ أبنـاءِ هـذا الشَـعبِ موجـدةٌ ... أن يَسـتَغِلّوا بـه البَلـوْى ويَغتَنِمـوا
مـاذا أقـولُ فـؤادي ملـؤُه ضَرَمٌ ... وهـل تُـوفِّي شُـعوري حقَّـه ،الكَلِـم
حراجـةٌ بالأديـبِ الحـرِّ موقفُـه ... حيـثُ الصراحـةُ بالإرهـابِ تَصطدم
بـين الشـعورِ وخَنـقٌ مُسـكِتٌ رَجِـمٌ ... في الرافـدين فـلا كُنّـا ولا الـرَحِم
هـذي المناصـبُ إن كانـتْ بهـا نِعَـمٌ ... للنـاس فهْـيَ عـلى آدابِنـا نِقَـم
للشـاعرينَ قُلـوبٌ في تململهـا ... هـي البَراكـينُ إذ تَهتاجُهـا الحِمَـم
لـواعجٌ هـي إنْ أبـديتَها شَرَرٌ ... يُصـلي اللسـانَ وإنْ أخفيتَهـا سَـقَم
رسـائلٌ لي مـع الآهـاتِ أبعثهـا ... إذ لا اللسـانُ يؤدّيهـا ولا القَلَـم
فليشـهَدِ النـاسُ طـراً إنني خَجِـلٌ ... وليشـهَدِ النـاسُ طـراً إنـي بَـرِم
وليسمع الناسُ شكوىَ من له اجتمعتْ ... غضاضـةُ العيشِ والإرهـاقُ والـبكَم

***

في أربعين السعدون

سَـلوا الجماهـيرَ التـي تَـبصرونْ ... مـاذا أتاحـتْ لكُـمُ الأربعـونْ
تخـبركُم حرقـةُ أنفاسِـهم ... كيـف – تقضّـت – وانتفاخُ العيـون
سَـلوهُمُ مـا بـالُكُمْ كلَّـما ... عنَـتْ لكـم خـاطرةٌ تنتحَبـون
أكـلُ شيءٍ موجـبٌ للبكـا ... أكـلُّ شيء باعـثٌ للشـجون

ريعتْ قلوبٌ واستضيمتْ جفون ... واحتقروا أعزَّ ما يملكون

راضونَ ممتَّنون عن حالةٍ ... لا يرتضيها مَن به يحتفون

يبكون للشعرِ ولا يعرفون ... وللخطاباتِ ولا يسمعون

ما رقة الأشعارِ أبكتهُمُ ... لكنهم بالقلب يستعبِرون

مكدودةٌ أنفسهُمْ حسرةً ... وبالبكاء المرِّ يستروَحون

وهكذا الدمع بريئاً يُرى ... وهكذا الحزنُ بليغاً يكون

أبكى وأشجى لوحةً أحكمت ... تصويرَها كفُّ الزمانِ الخؤون

مَغنىً على دجلة مستشرفُ ... دامعة ترتدُّ عنه العيون

احتلَّت الوحشةُ أطرافَه ... ورفرفَ الحزنُ به والسكون

أخلاه فرطُ العزِّ من ربِّه ... والعزُّ بابٌ مُشرَعٌ للمنون

أقولُ للقوم الغَيارى وقد ... أعوزَهُم كيفَ به يحتفون

أحسن من كلِّ اقتراحاتِكم ... مما تشيدون وما تنحِتون

قارورة يُحفَظ فيها دم ... يعرفه الخائنُ والمخلصون

يلقَى بها تشجيعةً مخلصٌ ... وعبرة مخجلة مَن يخون

مِيتةُ هذا الشهم قد بيَّنتْ ... للقوم أنا غيرُ ما يدَّعون

وأننا ناسٌ أباةٌ متى ... نُرهق فمضطرُّون لا مُرتَضون

وأننا بالرُّغم من صبرِنا ... إن حانت الفرصةُ مستغنِمون

انتبهوا لا الحزنُ يُجديكُمُ ... شيئاً ولا استنزافُ هذي الشؤون

هاتوا بما نبني دليلاً على ... أنا على آثاره مقتفون

***

عناد

عِنـادٌ مـن الأيـام هـذا التعَّسـفُ　　تحـاول منّـي أنْ أُضـامَ وآنـفُ
وتتطلـبُ أن يُسـتَّل في غـير طائـلِ　　لسـانٌ فـراقيٌّ المضـاربِ مُرهـف
وللـنفسُ مِـنْ أنْ تـألفَ الـذلَّ خُطـَّةَ　　أجلُّ ومـن أن تُـرخص القـول أشرف
فكـان جزائـي شرَّ مـا جُـوزي امـرؤ　　عـن العـيشِ ملتـاثِ المـواردِ يعـزف
تعـرَّفْ إلى العـيش الـذي أنـا مُرهـقٌ　　بـه وإلى الحـال التـي أتكلَّـف
تجِـد صـورةً لا يشـتهي الحـرُّ مثلَهـا　　يسـوءُ وقـوفٌ عنـدَها وتَعـرُّف
تجـد حَنقـاً كـالأرقم الصـلِّ نافخـاً　　وذا لَبـدٍ غضـبانَ في القيـد يرسـف
أُنغَـض في الـزاد الـذي أنـا آكـلٌ　　وأشْرَق بالمـاءِ الـذي أترَّشـف
كـما قـذفَ المسـلولُ مـن لُبَّـة الحشـا　　دمـاً أسـتثيرُ الشـعرَ جمـر وأقـذف
وإنّي وإنْ مارسـتُ شَّـتى كـوارثٍ　　إذا راحَ منهـا مُتْلِـفٌ جـاء متلـف
فـما حـزٌّ في نـفسي كغـدرةِ غـادرٍ　　لـه ظـاهرٌ بالمُغرِيـات مُغلَّـف
وفرحـةِ أقـوام شـجاهم تفـوُّقي　　بـأني عـنهم في الغنـى متخلِّـف

****

سبيل الجَماهير

لـو أنَّ مقاليـدَ الجَماهـير في يـدي　　َسـلَكتُ بأوطـاني سـبيلَ التمـرُّدِ
إذن عَلِمَـتْ أنْ لاحيـاةَ لأمّـةٍ　　تحـاولُ أن تَحيـا بغـير التجـدُّد
لـوِ الأمـرُ في كَفِّـي لجهَّـزتُ قـوّةً　　تُعـوِّدُ هـذا الشـعبَ مـا لم يُعـوَّد
لـو الأمـرُ في كفِّـي لأعلنـتُ ثـورةً　　عـلى كـلِّ هـدّام بـألفي مشـيِّد

علـى كُـلِّ رجعـيٍّ بـألفَي منُـاهضٍ ... يُـرى اليـوم مستاءً فيبكـي علـى الغـد
ولكننَّـي أسـعَى بِرجـلِ مَؤوفـةٍ ... ويـا ربَّـما أسـطو ولكـنْ بـلا يَـد
وحـولِيَ برّامـونَ مَيْنـاً وكِذْبـةً ... متـى تَخْتَـبرهُم لا تَـرى غـيرَ قُعـدد
لعمرُكَ مالتجديدُ في أن يـرى الفَتـى ... يَـروحُ كـما يَهـوَى خليعـاً ويغتَـذي
ولكنّـه بـالفكر حُـرّاً تزَينـهُ ... تَجاريـبُ مثـل الكوكَـبِ المُتَوقّـد
مشَتْ إذ نضَتْ ثوبَ الجُمود مواطنٌ ... رأت طَرْحَـهُ حَـتماً فلـم تَـتردَّد
وقَـرَّتْ عـلى ضَـيْم بـلادي تسـومُها ... مـن الخَسـف مـا شـاءَتْ يـدُ المتعبِّـد
فيـا لـك مـن شـعبٍ بَطيئـاً لخـيرِهِ ... مَشَـى وحثيثـاً للعَمـى والتبلّـد
متـى يُـدْعَ للإصـلاح يحـرِنْ جِماحُـه ... وأن قيـد في حبـل الدَجالـةِ يَنْقـد
زُرِ السـاحةَ الغَـبراء مـن كـل منـزلٍ ... تجـد مـا يثـير الهَـمَّ مـن كـلِّ مَرقـد
تجـد وَكـرَ أوهـام.. وملقـى خُرافـةٍ ... وشَـتّى شُـجونٍ تَنتهـي حيـثُ تَبتـدي
هـم استسـلموا فاسـتعبَدتْهم عوائـدٌ ... مَشـت بِهـمُ في النـاس مشيَ المقيَّـد
لعمْـركَ في الشـعب افتقـارٌ لنهضـةٍ ... تُهـيِّجُ منـه كـل أشـأمَ أربـد
فإمـا حيـاةٌ حـرّةٌ مسـتقيمةٌ ... تَليـقُ بِشَـعبٍ ذي كيـان وسـؤدُد
وإمـا ممـاتٌ ينتهَـي الجهـدُ عِنـدَهُ ... فتُعـذَرُ فـاختر أيَّ ثَوْبيـك ترتـدي
وإلا فـلا يُرجـى نهـوضٌ لأمّـةٍ ... تقـوم عـلى هـذا الأسـاس المهـدَّد
ومـاذا تُرجّـي مـن بـلاد بشـعرة ... تُقـاد وشَـعب بالمضلِّين يَهتـدي
أقـول لقـوم يجـذبون وراءهُـم ... مسـاكين أمثـالِ البَعـير المعبّـد
أقـاموا عـلى الأنفـاس يحتكرونهـا ... فـأيَّ سـبيلٍ يَسـلُك المـرءُ يُطـرد
وَمـا مـنهمُ إلا الـذي إنْ صَـفَتْ له ... لَياليـه يَبْطَـر.. أو تُكَـدِّرْ يُعربـد
دَعوا الشعبَ للإصلاح يأخذْ طريقَه ... ولا تَقِفـوا للمصـلحينَ بمَرْصَـد

ولا تَزرعـوا أشـواككم في طريقـه	تعوقونـه مَـن يـزرع الشـوكَ يَحصِـد
أكـلَّ الـذي يشـكو النبـيُّ محمـدٌ	تُحلُونـه باسـم النبـيِّ محمـد
ومـا هكـذا كـان الكتـابُ منـزَّلا	ولا هكـذا قالـت شريعـةُ أحمـد
إذا صِحتُ قلتُم لم يَحنِ بعد موعد	تُريـدون إشـباعَ البُطـون لَموعـد
هـدايتَك اللهـمَّ للشـعب حـائراً	أعِـنْ خُطـوات الناهضـين وسـدِّد
نبـا بلسـاني أن يجامـلَ أننـي	أراني وإنْ جاملـتُ غـير مُحَنّـد
وهـب أننـي أخنَتْ علـيَّ صراحتـي	فهل عيشُ من داجَي يكون لسرمَد
فلسـتُ ولـو أنَّ النجـومَ قلائـدي	أطاوع كـالأعمى يمـين متـدي
ولا قائلٌ: أصبحتُ منكم.. وقد أرى	غـوايَتكم أوأنني غـير مهتـدي
ولكننـي إن أبصرِ الرشـد أئتمـرْ	بـه ومتـى مـا أحـرزِ الغـي أبعـد
وهـل أنـا إلا شـاعر يرتجونـه	لـنصرة حـقٍ.. أو للطمـةِ معتـدي
فـمالي عمـداً أستضـيمُ مـواهبِي	وأوردُ نفسـاً حُـرَّةً شرَ مـورد
وعنـدي لسـانٌ لم يُخنِّـي بمحفِـلٍ	كماسَـيْف عمـروٍ لم يَخنُـه بمشْـهَد

***

سلمى على المسرح

العبـي فـالهَوى لَعِـبْ	وابعثـي هِـزَّةَ الطَـرَبْ
مـثِّلي دوَرك الجميـلَ	عـلى شرعـةِ الأدب
أحسـني نُقلـةً وإن	تَعِبَـت هـذه الرُكَـب
فعـلى وَقْـع خَطوِهـا	يتنـزى حشـىً وَجَـب
روِّحـي هـذه النفـوسَ	فقـد شـفَّها التَعَـب

اجـــذبيها إلى الرِضـــا   ادفعيهـــا عـــن الغَضَـــب
لاتغرَّنْـــكِ أوجـــهٌ   كطِـــلاء مـــن الـــذَهَب
ثغـــور تضـــاحَكَت   كانعكاســـةِ اللَهَـــب
فتَّشـــى عـــن دخائـــلٍ   غُيِّبَـــت تشـــهدي العَجَـــب
كـــل هـــذا الهيـــاج مـــن   أجـــل مـــرآكِ والصَـــخَب
ضـــاربُ العـــود مـــا دَرى   أيَّ أوتـــارِه ضَرَب
اعذريـــه فإنّـــه   بَشَرٌ مثلُنـــا اضـــطَرَب
واقـــبَلِي القلـــبَ إنّـــه   لـــك مـــن أضـــلُعي وَثَـــب
نَسَـــبٌ بَينَنـــا الهَـــوَى   احفظـــي حُرمـــةَ النَسَـــب
رب يـــوم جـــذبت فيـــهِ   لي الأنـــسَ فانجـــذَب
ولمســـتُ الشـــبابَ في   رَيعِـــه بعـــد مـــا ذَهَـــب
حـــبُ « ســـلمى » فتـــىً رأى   كـــلَّ مـــا يشـــتهى فحَـــبّ
شـــاعرٌ بالحيـــاة   لا يزدهَيـــه سِـــوى الطَـــرَب
أنـــتِ «ســـلمى» إلى   الحيـــاةِ وأفراحهـــا سَـــبَب
أنـــتِ«ســـلمى» أجَـــلَّ مـــن   ألـــفِ عبـــدٍ لألـــف رَبّ
تـــتخلى الهمـــوم إذ   تتجلـــين والكُـــرَب
ولهـــم باســـم أمـــةٍ   ســـحقت غايـــة الأرب
أثقلـــوا ظهـــرهَ كـــما   عـــضَّ بالغـــارب القَتَـــب
تركـــوا « الجـــذع » للـــبلاد   واختصـــوا بالرطـــب
افتحـــي لي سَـــلْمى يـــديك   يُقبَّـــلْ يـــديكِ صَـــبّ
أبعـــديني عـــن « السياســـة »   والغـــشِ والنَصَـــب

ولكــــي نُحــــرق الجميـــع ‏ ‏ ‏ ‏ هَلُمـــــي إلى الحَطَـــــب
وإذا لم يكـــــن خـــــذي ‏ ‏ ‏ ‏ بعضـــهم إنهـــم خشـــب
أإلى العـــــيش كلُّهـــــمْ ‏ ‏ ‏ ‏ أنــــا وحـــدي إلى العَطَـــب
أنــــا وحــــدي فـــيهم ‏ ‏ ‏ ‏ ترجلـت والكــل قــد ركــب
نهـــبَ الشـــعبُ كلَّـــه ‏ ‏ ‏ ‏ فهنيئـــاً لمـــن نَهَـــبُ
وهنيئـــاً لمـــن غـــزا ‏ ‏ ‏ ‏ وهنيئـــاً لمـــن سَـــلَب
وهنيئـــاً لمـــن « تنَمْــرَ» ‏ ‏ ‏ ‏ أو خــــانَ أو كَـــذَب
إن كُـــل الــــذي تـــرين ‏ ‏ ‏ ‏ مـــن « الجــاه » و « الرُتَـــب»
ومـــن « الــنفخ » بالزعامـــة ‏ ‏ ‏ ‏ والاســـــم واللقَـــــب
واصـــطيادِ بحجـــةِ «الـــوطن» ‏ ‏ ‏ ‏ الجــــائع الخَـــــرِب
هـــوِ عُقبـــى تَقَلُّـــب القـــوم ‏ ‏ ‏ ‏ عـــاش الـــذي انقَلَـــب
خسر الــــدّرةَ البطـــــيء ‏ ‏ ‏ ‏ وفـــاز الـــذي حلـــب

***

تأبين الغراف الميت

عُمِـــرَتْ ديـــارُ شَراذم دُخّـــال ‏ ‏ ‏ ‏ أسـفاً عليـك وأنـتَ قَفـرٌ خـالِ
عُمِرَتْ ديار « الطارئين » ونُكِّستْ ‏ ‏ ‏ ‏ دورٌ شَراهـــا أهلهـــا بالغـــالي
بالروح يُزهقُها الغَيورُ على الحمى ‏ ‏ ‏ ‏ والمـــالُ يبذلـــه عـــدوُ المـــال
بـدت البيـوتُ الخاويـاتُ حزينـةً ‏ ‏ ‏ ‏ محفوفـــةً بالشـــوكِ والأدغـــال
وكـــأنها شُرفاتهـــا مغـــبرَّة ‏ ‏ ‏ ‏ أشــباحُ آلام وَقفْــنَ حيـــالي
يـا عـابرينَ عــلى الطريـقِ تلفتـوا ‏ ‏ ‏ ‏ وتَـــبَصَّرُوا بتقلُّـــبِ الأحـــوال

هـذي البيـوتُ الموحشـاتُ عِراصـها ... كانـت تُحَـطُّ بهـا عصـا التَّرْحـال
نُحـرَتْ هنـا كُـومُ النيـاق وأوقـدَتْ ... نـارُ القِـرى للطـارق المِحـلال
هـذي الـديارُ ديـارُ كـلِّ سَـمَيْذَع ... حـام لحـوزةِ غابـهِ رِئبـال
هـذي الـديارُ ديـارُ كـل مُرَحِّـب ... بالوافـدين مُشَـمِّر السربـال
ولقـد يُـرى في نِعمـةٍ محسـودةٍ ... هـذا الـذي ترثِيـه في الأسـمال
هـذا المشرَّدُ كـان مَأمَـلَ طالـبِ ... ومنـاخَ أطـلاح وخـدنَ عـوالي
أسـفاً يهـدُّ الجـوع منـكَ بطولـةً ... يامعـدِنَ الأشـبالِ والأبطـال
يـا معـدِنَ الشَرِ الـذينَ تقسَّـموا ... لسـماحةٍ ورَجاحـةٍ ونِـزال
ذُخِـرَتْ لأيـام السرورِ فلائـسٌ ... نَزلـتْ عـلى الأوطـانِ شرَّ عِيـال
وبنـوكَ قـد ذُخِـروا ليـوم كريهـةٍ ... وضريبـةٍ و مجاعـةٍ وِقتـال
تلـك السـواعدُ فعمـةٌ مفتولـةٌ ... أرخَـتْ أشـاجعَها يـدُ الإقـلال
ولقـد وَقفـتُ عـلى مَصـبِّك وَقفـةً ... لا ينمَحـي تَـذكارُها مـن بـالي
أمـا مسـيلُ المـاء فيـكَ فإنـه ... يَـبَسٌ تعـاورَهُ مسـيلُ رِمـال
أعيـا لسـانَ القـولِ فـرطُ تَلجْلُـج ... فيـه فسـاعدَهُ لسـانُ الحـال
خالسـتُ موقـفَ صـاحبي فوجدتُـه ... وهـو الـرزينُ مهـيَّج البِلبـال
ولقـد يعـزُّ عـلى الشُـعور وأهلِـهِ ... مـرأى الـبلادِ بمثـل هـذي الحـال
وفحصـتُ أطـرافي فكانـت كلُّهـا ... تـوحي إليَّ معـرّة الإهْمـال
يا ساكني « الغراف » ما قدرُ الذي ... يـأتيكُمُ مـن شـاعرٍ قـوّال
أو أبعـثُ الأمـلَ المـريحَ إلـيكُمُ ... أنـا مـثلكُمْ متصـدِّعُ الآمـال
أنـا مـثلُكم أسـلمتُ كـلَّ عـواطفي ... لليـأسِ يأخـذُها بكـلِّ مجـال
في ذمـة التـاريخ مـا جُـرِّعتُمْ ... مـن غُصَّـةٍ.. في ذمـة الأجيـال

قد قلتُ للنَفَرِ القليلِ خِيارُهم ... لو كانَ ثمةَ سامعٌ لمقالي
هاتوا من الأعمال ما يقوى على ... تصديقِ بعضِ خوادِعِ الأقوال
أولا فإنَّ الشعبَ دوّى يأسُه ... اخشَوا عواقبَ يأسِه القتّال
ما يمنعُ الساداتِ أن يتفكروا ... بمصير أعبِدَةٍ لهُمْ ومَوالي
شعبٌ على شكلٍ تمشّى حكمُهُ ... أبداً برغم تخالُفِ الأشكال
وأمضُّ من قَحْط السنين بأمةٍ ... مشلولةِ الأعمالِ قحطُ رجال
شعبٌ أراد به الوقيعةَ خصمُهُ ... وبنوه فهو ممزَّقُ الأوصال
شُغِل الفراتُ بضيمه عن دجلة ... ونسى جنوبيّ العراق شمالي
وإذا سألتَ الرفقَ كان جوابُهم ... ما للقلوبِ الموجَعاتِ ومالي

***

عتاب مع النفس

عتَبْتُ ومالِيَ مِن مَعتبِ ... على زَمَنٍ حُوَّلٍ قُلَّبِ
أُنلصِقُ بالدهر ما نجتوي ... ونختصُّ نحن بما نجتبي
كأنَّ الذي جاء بالمَخْبثاتِ ... غيرُ الذي جاء بالطَّيب
وما الدهرُ إلا أخو حَيدةٍ ... مُطلٌ على شرَفٍ يرتبي
يُسجّلُ معركةَ الكائناتِ ... مثلِ المُسجّل في مَكتب
فما للزمانِ وكفّي إذا ... قَبضتُ على حُمةَ العقرب
وما للَّيالي ومغرورةٍ ... تُجشِّمُني خَطرَ المركب
بنابيَ.. مِن قبلِ نابِ الزمان ... ومن قبل مِخلبه مِخلبي
تَفَرَّى أديميَ.. لم أحترِس ... عليه احتفاظاً ولم أحدَب

بنـــاءٌ أُقـــيمَ بجَهــد الجُهــود وَســــهرةِ أُمٍّ ورُغيــــا أب
وأضـفَتْ عليـه الـدروسُ الثِقـالُ لونــاً مـــن الأدب المُعْجِــب
عَـــدوتُ عليـــه فهدَّمتُــــه كــأن لــيس لي فيـه مـن مطلـب
يــداي َأعانــت يــدَ الحادثــات فَرُنَّـــقَ طــوع يـــدي مشربي
أجِـــد وأعلـــمُ عِلـــمَ اليقـــين بـــأني مـــن الــدهر في ملعــب
وأنّ الحيـــاةَ حَصـــيدُ المـــات وأن الشروقَ أخـــو المغـــرب
وإني عـــلى قـــدر مـــا كـــان بالفُجـاءاتِ مِـن قَسـوةٍ كـان بي
بَعــثْنَ البَـواعـــثَ يَصْــطَدنَني وأبصرتُ مَنجـــى فلـــم أهـــرب
وثـــارتْ مُخَيلتـــي تَـــدَّعي بـــأنَّ التَنـــزُّلَ مَرعـــى وبي
وأن الخيانـــةَ مـــا لا يجـــوزُ وأنَّ التقلّـــبَ للثعلـــب
وأنْ لـيس في الشرِّ مـن مغـنم يُعـادِلُ مـا فيـه مِـن مَثْلَـب
ولمــا أُخِـذْتُ بهــا وانثنيـتْ نـزولاً عـلى حُكمهـا المُرهِـب
ووَطَّنْـتُ نـفسي.. كـما تشـتهي عـلى مَطْعـم خَشِـنٍ أجْشَـب
مشـــى لِلمثالـــبِ ذو فِطنـــةٍ بقـــوَّةِ ذي لِبـــد أغلـــب
جَســـورٍ رأي أنّ مَـــن يَقــتحمْ يُحكَّـمْ..ومـن يَـنكمشْ يُنْهَـب
وأفرغَهـا مـن صُـنوفِ الخِـداع والغـــشِّ في قالـــبِ مُـــذْهَب
فرفَّـتْ عليـه رَفيـفَ الأقـاح في مَنبِـــت نَضرٍ مُعشِـــب
تُســـمَّى خَلائـــقَ محمـــودةً ويُــدعَى أبـا الخُلُـقِ الأطيـب
وراحَ ســليماً مـــن الموبقـــات ورُحــتُ كــذي عاهــةٍ أجــرب
ولم أدرِهـــا عِظَـــةً مُـــرَّةً بـــأني متـــى أحَـــترِسْ أُغلَـب
ولكــنْ زَعمــتُ بــأن الزمـانَ دانٍ يُســفُّ مــع الهيــدَب

ويـوم لَبِسـتُ عليـه الحيـاةَ ... سـوداء كاللَّيلـة الغَيْهَـب
أرى بَسمةَ الفجرِ مثلَ البُكاء ... وَشـذْوَ البَلابـل كالمَنْعب
وبِـتُّ عكوفـاً عـلى غُمَّتـي ... حريصـاً عـلى المنظـر المُكْـرِب
وَبعثـرتُ هاجعـةَ الـذكريات ... أُفَـتِّشُ عـن شَـبَح مُرعِـب
حَملـتُ همـومي عـلى مَنكِـبٍ ... وهـمَّ سـوايَ عـلى مَنكِـب
ولاشـيتُ نـفسيَ في الأبعـدين ... أُفكّـرُ فـيهمْ.. وفي الأقـرب
ولَّمـا فَطَنـتُ عـلى حالـة ... تَليـقُ بمنتحِـرٍ مُحـرِب..
نسـيتُ بـأني اقترفْـتُ الـذنوبَ ... وانصَـعتُ أبحـثُ عـن مُـذنِب
أخـذتُ بمخنَـق هـذا الزمـان ... لم يفتكِـرْ بي ولم يحسِـب
ويـوم تَنَعَّمْـتُ مِـن لَـذَّةٍ ... متـى لم أُنعَّـمْ بهـا تـذهب
ولَّمـا انطـوتْ مثـلَ أشـباهِها ... وكـلُّ مَسـيلٍ إلى مَنصَـب..
تَخيَّلـتُ حِرصـاً بـأن الزمـان ... عـدوُّ اللُبانـةِ والمـأرَب
وأنَّ الطبيعـةَ والكائنـاتِ ... مـا يَسـتبينُ ومـا يَختبـي
تـألبنَ يَسـلُبْنَني فُرصـةً ... مـن العُمْـرِ إنْ تنـأ لا تَقْـرُب
وأن الزمـانَ مشـى مُسرعـاً ... يُـزاحمُ مَوكُبـهُ مَـوكبي
وأن الكواكـبَ طُـرّاً سـعُدْنَ ... ولم يَشْـقَ منهـا سـوى كـوكبي
وأنيَ لـو كنـت في غَمـرةٍ ... مِـن الفكـر أو خـاطرٍ مُتعِـب
لقَلَّـلَ مـن خَطـوه جاهـداً ... كمشْـيَةِ مُثْقلَـةٍ مُقـرب
ورُحـتُ أُشـبِّهُ مـا فـاتني ... مـن العيـش بالبـارق الخُلَّـب
مُغالَطَـةٌ.. إنّ شرَّ العَـزاءِ ... تعليـلُ نفسـك بالمُكـذَب

وإني عــلى أن هــذا المـزاج رمــاني بــالمُرهِق المُنْصِـب
ورفـت ظـلال تشيع القنـوط عـلى صفحتي وجهـي المتعب
وكنتُ عـلى رُغـم عُقْـم الخليِّ أهـوى حيـاةَ خـليٍّ غبـي
لأحمِـلُ.. للفُـرَص السانحاتِ وللأريحيَّـة.. نفْسَ الصبي
طليقـاً مـن التَبِعـات الكثـارِ حُـرَّ العقيـدة والمـذهب
طَموحـاً وأعـرفُ عُقْبى الطُموح فـلا بالـدَّعِيِّ ولا المُعْجَب
تَمَتَّعْـتُ في رَغـدٍ مُخصِب وهُـذّبتُ في يَـبَسٍ مُجـدِب
وأفضَـلُ مـن رَوَحـاتِ النعيم عـلى النفس مَسغبَةُ المُترِب
فـإنْ جِئـتُ بـالمُوجع المشتكي فقـد جئـتُ بـالمُرقِص المُطـرِب
دَع الـدهرِ يـذهبْ عـلى رِسْلِهِ وسِرْ أنـتَ وحـدكَ في مَـذهب
ولا تَحتفِـل بكتاباتـهِ أرِدْ أنـت مـا تشتهي يُكتـب
فـإنْ وَجَـدَتْ دَرَّةً حُلـوةً يـداك.. فـدُونكَها فاحلِـب
فـإنَّ الحماقـةَ أنْ تَنثنـي مـع الـواردينَ ولم تشرَب
تَسَلَّحْ بـما اسطعتَ مـن حيلـةٍ إلى الـذئبِ تُعـزَى أو الأرنـب
وإنْ تَـرَ مَصلحةً فاصدقنَّ وإنْ لم تَجِـدْ طـائلاً فاكـذب
ولا بـأسَ بـالشرِّ فـاضرِبْ بـه إذا كـان لابُـدَّ عـن مَضرَبَ

***

الشاعَر: ابن الطبيعَة الشَاذ

إذا خانتـكَ مَوهِبـةٌ فحـقٌّ سـبيل العيشِ وَعْـرٌ لا يُشَـقُّ
ومـا سـهلٌ حيـاةُ أخـي شُعورٍ مـن الوجـدان ينـبُضُ فيـه عِرق

أحلَّتْــــهُ وداعتُــــه محيطـــاً ... حَمَتْــه جــوارحٌ للصـيد زُرق

تفـيض وضـاحةً والعـيشُ غِـشٌّ ... سـلاحك فيـه أن يعلـوك رَنْـق

وتحمـل مـا يجِـلّ مـن الرزايـا ... قُـواكَ وقـد تخـورُ لمـا يَـدِقّ

وقـد تقسـو ظـروف محوجـات ... عليـك وأنـت مـن ورقٍ أرق

يظـن النـاسُ أنّـك عُنجهُـيٌّ ... وأنـتَ وَهُـم بـما ظَنّـوا مُحِـقّ

قليـلٌ عـاذروكَ عـلى انقبـاضٍ ... أحـب النـاسِ عند النـاسِ طَلْـق

ووجـهٍ تُقطُـر الأحـزانُ منـه ... عـلى الخُلَطـاء تحمِلُـه يشِـقّ

شريكُـكَ في مِزاجـك مـن تُصـافي ... لـه شِـقٌّ وطـوعُ يـديك شِـق

وقـبلاً قـال ذو أدَب ظريـفٍ ... قِـرى الأضياف قبلَ الـزاد خُلْـق

وعـذرُك أنـت آلامٌ ثِقـالٌ ... لهـنَّ بعيشـةِ الأدبـاء لَصـق

أحـقُّ النـاس بـالتلطيف يغـدو ... وكـل حياتِـه عَنَـتٌ وزَهْـق

تسـير بـك العواطـفُ للمنايـا ... وعاطفـةٌ تسـوءُ الظُفـرَ حُمـق

وحتـى في السـكوت يُـرادُ حـزمٌ ... وحتـى في السـلام يُـرادُ حِـذق

يريـد النـاسُ أوضـاعاً كثـاراً ... وفيـك لمـا يُريـدُ النـاسُ خَـرق

خضـوعُ الفـرد للطبقـاتِ فَـرضٌ ... وقاسـيةٌ عقوبـةُ مـن يَعِـق

نسـيجٌ مـن روابـطَ محكـماتٍ ... شـذوذُ العبقريـةِ فيـه فَتْـق

وعنـدَكَ قـوَّةُ التعبـير عـما ... تُحسُّ.. وميـزةُ الشُعَراء نُطْـق

حياتُـك أن تقـولَ ولـو لماثـاً ... وحُكمٌ بالسكوت عليك شَنْق

فـما تـدري أتطلـق مـن عنـان ... القريحـةِ أم تُسـفُّ فتُسـتَرَق

فـإن لم تُـرضِ أوسـاطاً وناسـاً ... ولم تكـذِبْ وحُسْـنُ الشعرِ صِـدق

ولم تقلِ الشريفُ أبو المعالي ... وتَعلَمُ أنه حَمَقان مَذْق
ولم تمدحْ مؤامرةً وحُكما ... بأنهما لميلِ الشَعب وَفْق
دُفِعتَ إلى الرعاع فكان شتمٌ ... ورحتَ إلى القضاء فكان خَنْق
بقاءُ النوع قال لكلِّ فرد ... « أُحطُّ شمائلي عَدل ورِفق »
قلوب صِحابتي غُلْفٌ ووِرْدي ... لمن لم يعرف التهويش طَرْق
وصارمةٌ نواميسي وعندي ... لمن لا يستحقُ الوجدانَ سَحق
وإني لاحبٌ بالظلم سهلٌ ... ومنحدِرٌ لصافي القلب زَلْق
غريبٌ عالم الشعراء تقسو ... ظروفهم وألسنُهم تَرِق
كبعضِ الناس هُمْ فإذا استُثيروا ... فبينهم وبين الناس فَرْق
شذوذُ الناس مُختَلَق ولكن ... شذوذُ الشاعرِ الفَنّان خَلْق
وإن تعجَبْ فمن لَبِقٍ أريب ... عليه تساويا سَطْحٌ وعُمْق
تضيق به المسالكُ وهو حُرٌّ ... ويُعوِزُهُ التقلُّب وهو ذَلْق
وسرُّ الشاعرية في دِماغ ... ذكي وهو في التدبير خَرْق
تَخبَّط في بسائِطهِ وحَلَّت ... على يَدهِ من الأفكار غُلْق
مشاهيرٌ وما طَلَبوا اشتهاراً ... مَشَتْ بُرُدٌ بهم وأُثير بَرق
ومَرموقونَ من بُعدٍ وقُرب ... لَهُمْ أُفُقٌ وللقمرين أُفْق
ومحسودونَ إن نَطَقوا ووُدُّوا ... بشَدق منهُمُ لو خِيطَ شَدْق
يُعينُ عليهُمُ رَشْقُ البلايا ... من التنقيد والشَتَمات رَشق
فإما جَنْبةُ التكريم منهم ... فبابٌ بعضَ أحيان يُدَقّ
متى تُحسِن مدائحَهُمْ يَجلّوا ... كما اشتُريتَ لُحسن اللحن وُرْق
وإلا غُودِروا هَمَلا ضَياعاً ... كما بَعدَ الشرابِ يُعاف زِقّ

ورب مُضـيَّع مـنهم هبـاءً ... يَشـيدُ بـذكرهِ غَـرب وشَرق
تَـزيَّنُ في النـدى لـه دوَاةٌ ... ويُعـرَض في المتـاحف منـه رَق
فيـا عجبـاً لمنبـوذٍ كحَـق ... يقـدَّر مـن بـديع نَثـاه عِلْـق
وفي شـتى الـبلاد يُـرى ضريـحٌ ... عليـه مـن نِثـار الـوَرد وَسـق
يُجـل رفـات أحمـدِه فـرات ... وتَمسـح قـبرَ أحمـدها دمشـق
ومفـرق ذاك شُـجَّ فلـم يُعقَّـب ... وُروعٌ ذا وسـد عليـه رزق

***

إلى البعثة المصرَية

رُسُـلَ الثقافـةِ مـن مُضَرْ ... وَجْـهُ العـراق بكِـم سَـفَرْ
حَـرَصَ القضـاء علـيكم ... وَرَعـتْكُمُ عـينُ القَـدَر
جئـتُمْ وهاطلـةُ الغَـمام ... معـاً ورُحْـتُم والقمَـر
رشَّ السـماءُ طـريقَكم ... أيُحِـبُّكم حتـى المطـر
في القلـبِ منـزلُكم ... وبـين السَـمع منـا والـبَصر
نحـن الحُجـولُ وأنـتم ... في كـل بـارزةٍ غُـررّ
ليـل الجزيـرة لم يكـنْ ... لـولا كمُـو فيـه سَـحَر
يـا سـادتي إن العـراق ... جميعُـه بكُـمُ ازدَهَـر
والمحتفـونَ بكـم وإنْ ... كـانوا ذوي كَـرٍّ وفَـرّ
وجمـيعُهُم أهـلُ الـبلاد ... ولا يُقـاسُ بِـما نَـذَر
فأجَـلُّ مـن زُمَـرٍ تَلقَّـتْكُمْ ... قـد اختبـأتْ زُمَـر
وأجَـلُّ ممـن قـادَهُمْ ... حـبُّ الظهـورِ مَـن استتَر

خَفِيَت ذواتٌ جَمّةٌ ... وبَدَتْ لكم بعضُ الصُور
وأُزِيحَ من ظَفِروا به ... ومشى إليكم من ظَفِر
ملءَ النوادي معجَبون ... بفضلِكِم ملء الحَجَر
كأنَّهُمْ لم يملِكوا ... حقّ الجلوس على السُرُر
غيرُ المناسِب أن يَمسَّ ... حريرَ سادَتنا الوَبَر
فإذا أرَدْتُم أن يُتاح ... لهم بصُحبْتكم وَطَر
فضَعوا بقارعةِ الطريق ... لهُم بُيوتاً من شَعَر
وسيسُمعونكُمُ من الترحيب ... خاتَمةَ السُوَر
وَضْع العراقِ خذوه من ... عذبَات أقلام أُخر
ولحفظِ حُرِيّاتِهِمْ ... من أن تُداسَ وتُحتَقَر
لَترُحْ لمصرَ سُعاتُكم ... ليَجيئُكُمُ منها خَفَر
هم مُرهقون لأنَّهمْ ... لا يصدَعون بما أُمَر
ومُضايَقون لأنَّهمْ ... ما في عزائِمهم خَوَر
عندي مقالٌ يستَوي ... من لامَ فيه ومن عَذَّر
سقَطَتْ على الأرض الثمار ... وجاءَكم يمشي شَجَر
ماذا أحدِّثُكُمْ حديثَ ... القَلب من جَمْر أحَرّ
كلُّ المسائل مُرَّةٌ ... وسكوتُنا عنها أمَر
أعليكم يَخفَى وفي ... كلِّ الورى ذاعَ الخَبر
لستُمْ من القوم الذينَ ... يُخادَعون بما ظَهَر
حتى نغالِطكم ونزعمُ ... أنَّنا فوقَ البَشر
رُسلَ الثقافة من أجلِّ ... صفاتِكم بُعْدُ النَظر

ولـــدأتنا في كـــلِّ نَفــع — للسياســـــــةِ أو ضَررَ
غَطَّـــى علينـــا ســـادتي — وعلـــيكُمُ جِلـــدُ النَمِـــر
وعـــلى السَـــواء لنـــا كـــما — لكُـــمُ يُكـــادُ ويُـــؤتمَرَ
وعـــلى قيـــاسِ واحـــدٍ — حُفِـــرتْ لكـــم ولنـــا الحُفَـــر
أنـــتُمْ لنـــا عِـــبرٌ وفـــيما — نحـــن فيـــه لكُـــمْ عِـــبَرَ
عـــن أي شيءٍ تَســـألون — فكـــل شيء مُحتكَـــر
لم يخـــلُ دَرْب مـــن — عراقيـــلِ ولم يَسَـــلَم مَمَـــرّ
وسَـــلُوا الخبـــيرَ فـــإنني — ممـــن بواحـــدةٍ عَثَـــر
حتـــى لقـــد أشـــفقت أن — يعتـــاقَ رحلـــتكم حَجَـــر
تهتاجُنـــا النعـــرات طائشـــةً — ويـــنجَحُ مـــن نَعَـــر
في كـــلِّ حَلـــق نغمـــةٌ — ولكـــلِّ أنملـــةٍ وَتَـــر
ويعـــاف مـــن لم يـــرض — أصـــحاب النفـــوذِ وينتهِـــر
تمشـــى ســـموم المُغرِضـــين — بسُـــوحنا مشيَ الخَـــدَر
يتقـــاذَفُون عقولَنـــا — وقلوبَنـــا لَعِـــبَ الأُكـــر
ولقـــد نُصـــفِّق للخطيـــب — ونحـــن منـــه عـــلى حَـــذَر
باســـم الـــبلاد يجـــل مـــن — جـــرَّ الـــبلادَ إلى الخَطَـــر
يـــا ســـادتي : لا ينتَهـــي — فـــيضُ الشـــعور إذا انفَجَـــر
ولكـــي أريحَكُـــمُ أجـــيءُ — لكـــم بشيء مُخـــتصَر
إن السياســـة لَم تبـــقِّ — عـــلى الـــبلادِ ولم تَـــذَر
وبـــرغم مـــا في الرافـــدينِ — مـــن المصـــائبِ والغِـــيَر

وبــرغم أنــا قــد تــزعَّمَ   عنــدنا حتــى البَقَــر
فهنــا شــبابٌ ناهضــونَ   عقــوقُهم إحــدى الكُــبَر
كِتَــلٌ تَحَفَّــزُ للحيــاة   يســوقها حــادٍ أغَــر
تمشي عــلى نُــور الثقافــة   مشيَ موثــوقِ الظَفَــر
فيهــا الشــجاعةُ مــن عــليٍّ   والسياســةُ مــن عُمَــر
وإذا أمَــرتُم أن أسـامرَكم   فقــد لــذَّ السَمَــر
عــن نهضــةٍ أدبيــة   مــا إن لهــا عــنكُمْ مَفَــر
لــولاكُمُ مــا كــان للشــعراء   فينــا مــن أثَــر
قــبر الأديــبِ الألمَعــيِّ هنــا   وفي مصرَ انــتَشَر
الله يُجــزي مــن أفــاد   ومــن أعــانَ ومــن نَشَر
إني أســائلكم وأعلَــم   بــالجواب المُنتَظَــر
هــل تَقبَلــون بــأن يقــالَ   أديــبُ مصرَ قــد افتَقَــر
أو أنَّ «شــوقي» مــن   حَراجــة عيشِــه كــالمُحتَضَر
أو أنَّ «حــافظَ» قــد هــوى   فتجــاوبونَ إلى سَــقَر
حاشــا فتلــكَ خطيئــةٌ   وجَريمــةٌ لا تُغتَفَــر
«شــوقي» يعــيشُ كــما يَليــقُ   بمــن تَفكَّــر أو شَــعَر
وســطَ القصــورِ العــامراتِ   وبــين فائحــةِ الزَهَــر
برعايــةِ الــوطَن الأعَــزِّ   وغــيرةِ المِلــك الأبَــر
وتحــوطُ إبــراهيمَ عاطفــةٌ   الأمــير مــن الصِغَــر
أمــا هُنــا فالشــعر شيءٌ   للــتملُّح يُــدَخَر
وعــلى الســواءِ أغــابَ   شــاعرُنا المجــوِّدُ أم حَضر

سَــقَطُ المتــاع وجــوُده — عنــد الضرورة يُــدَّكَر
في كــل زاويــةٍ أديــبٌ — بــالخمول قــد اســتَتَر
وقريحــة حَسَــدوا عليهــا — مــا تجــودُ فلــم تثــر
وإلى اللقــاءِ وهمُّنــا — أن الضــيوف عــلى سَــفر
جَمَــعَ الإلــهُ مصــيرَنا — ومصــيرَ مصرَ عــلى قَــدَر

***

الأوباش

جهِلنــا مــا يُــراد بنــا فقُلنــا — نــواميسٌ يــدبِّرها الخفــاءُ
فلــما أيقَظَتْنــا مــن سُــباتٍ — مكائــدُ دبَّرتهــا الأقويــاء
ولــيس هنــاكَ شــكٌّ في حيــاةٍ — تــدوسُ العــاجزين ولا مِــراء
لجأنــا للشرائــع باليــاتٍ — لتحمِينــا وقــد عــزَّ احــتماء
فكانــتْ قــوّةٌ أخــرى وداءُ — رَجَونــا أن يكــونَ بــه الــدواء
حثيــثٌ ســيرُهنَّ إلى ضــعيفٍ — تلقَّفُــه وعــنْ أشِرٍ بِطــاء
تســيرُ وشــأنَها حتــى إذا — مــا تصــدَّتْ قــوّةٌ فبهــا التــواء
وقــام الســيفُ يُرهِــب دفَّتيهــا — تؤيِّــدهُ ميــولٌ وارتشــاء
إذا لم تُرضِــه منهــا ســطورٌ — تولَّــتْ محــوَ مــا فيهــا الــدِّماء
فيــا أضــحوكةَ الســيفِ المُــدَّمى — تفــايضَ مِــن جوانبــكِ الغبــاء
أتُصــلِحُ مــا الطبــائعُ أفســدتَه — قــوانينٌ مفسَّــخةٌ هُــراء
ومــاذا غــيَّرتْ نظــمٌ وهــذي — حياتُــكَ جُــلُّ مــا فيهــا شــقاء
ومــا عُــدِم الهنــاءُ بهــا ولكــنْ — تُنــوزِعَ فيــه فــاحتُكِر الهنــاء

ولم تتفـــــاوتِ الطبقــــــاتُ إلاّ لتـسـنحصرَ الرَّفاهــةُ والـنَّماء
وما اختلفت عصورعن عصورٍ نعـم غطَّى عـلى الصُـوَرِ الطِّلاء
فسـوقُ الـرِّق لم يكسُـد ولكـن تبــدَّلَ فيـــه بيــــعٌ أو شِراء
وقـد قامتْ عـلى التشريـع سـوقٌ بهـا احتشـدتْ عبيـدٌ أو إمـاء
ولكــنْ تحـت أغطيــةٍ ومــاذا تـرى عـينٌ لـو انكشـفَ الغِطـاء
تـــرى أبـــداً رعايـــا أذكيـــاءً تسوسُـــهمُ رُعـــاةٌ أغبيـــاء
وأحــــراراً رجــــالاً أو نســـاءً تُســخِّرهم رجــالٌ أو نســاءٌ
فتفتقـــرُ المواهـــبُ والمزايـــا وتنــدَحرُ العزيمـــةُ والفَتـــاء
وتخمُـــد جـذوةٌ لـولا تـردِّي نظامـــاتٍ لألهبهـــا الرَّجـــاء
يُزهِّـــد في المحامـــدِ طالبيهـــا يقـــينٌ أنَّ عُقباهـــا هبـــاء
فقــد تــأتي الفظيــعَ ولا عقــابٌ وقـد تُسـدى الجميـلَ ولا جـزاء
وتَفَّـــقُ المجاعـــةُ والمزايـــا وتلتـــئِم المحاســـنُ والعـــراء
وفي التـــاريخ أتعـــابٌ كِثـــارٌ مضـتْ هـدَراً وطـار بهـا الهـواء
وأعـــمالٌ مشرِّفـــةٌ ذويهـــا تولاَّهـــا فضـــيَّعها الخفـــاء
وأُخـــرى جـــرَّ مغنمَهـــا دنيٌّ فسرَّتـــه.. وصـــاحبُها يُســـاء
تكـــون وقاحـــةٌ فيـــود مـــرءٌ لـــو أنَّ مكانَهـــا كـــانَ الحيـــاء
فـإن وُجِـدَ الحيـاءُ سـطا عليـه فســخَّرهُ أنـــاسٌ أذكيـــاء
مزاحمـــةٌ كـــأنَّ دهـــاءَ مـــرءٍ وطِيبـــةَ نفســـهِ ذئـــبٌ وشـــاء
وكـــلُّ محسِّـــنينَ إذا اســـتتمّا فخيرُهمـــا لشرِّهمـــا الفـــداء
وإن أشرَّ مـــا يلقـــى أريـــبٌ وأوجـعَ مـا يحـار بـه الـدَّهاء
نفـــوسٌ هـــدَّها شرفٌ ونبـــلٌ وأرهقهـــا التمنُّـــعُ والإِبـــاء

وقـد عاشـت إلى الأوبـاشِ تُعـزى ... وماتــتْ وهــي مُعدَمــةٌ خَــلاء
وأُخــرى في المخــازي راكســاتٌ ... كأصــدق مــا يكــونُ الأدنيــاء
مشــتْ في النــاسِ رافعــةً رؤوســاً ... تنصِّــبُها كــما رُفــعَ اللــواء
فـلا الأرضـونَ قـد خُسِـفت بهـذي ... ولا هــذي أغاثتهــا الســماء
أتعرف مـن هـم الأوبـاشُ « زَولا » ... يُــريكهمُ كأحســنِ مــا يُــراء
يُــريكهمُ أُناســاً لم يُلَصَّــقْ ... بهــم غــدرٌ ولم يُنكــر وفــاء
تطـيحُ بيـوتُهم حِفظـاً لبيـتٍ ... يضــمُّهم – وصــاحبَه – الإِخــاء
أتعــرفُ « لانتييــهِ » ومــا أتــاهُ ... مــن الشرفِ الــذي فيــه بــلاء
وهــل شرفٌ بــلا نكَــدٍ وضُرٍّ ... يُــتمِّمُ خِلقــةَ الشرف العنــاء
تولَّــت « لا نتييــهِ » يــدُ الرزايــا ... وأنشــبَ فيــهِ مِخلَبــه « القضــاء »
قضــاء الله قلــتُ وإنْ تُــرِدْه ... قضــاء حكومــةٍ فهــما ســواء
ودَهْــورهَ الوفــاءُ ونعــمَ عقبــى ... الصــداقةِ أنْ يــدهوركَ الوفــاء
ومــنْ يــذهبْ بثروتــهِ ضــمانٌ ... لصــاحبهِ فقــد حسُــنَ الجــزاء
وقامــتْ صــيحةٌ مــن كــلِّ بــابٍ ... تراجَــعْ « لانتييــهِ » فــلا نجــاء
ســتعلمُ أيــنَ أهــلُ المــرءِ عنــه ... وإخوتُــه إذا ذهــبَ الثــراء
وقــد صــدَقوا فــإنَّ يــديكَ تهــزا ... عــلى رجليــكَ إنْ نضــبَ الرخــاء
وقــد كــذِبوا فــ «بايــارٌ » لديــه ... وكــانَ لــه بــ « بايــار » العــزاء
وكــلُّ النــاسِ مــن قــاصٍ ودانٍ ... لمــن واســاكَ في ضــيقٍ فــداء
فجــاءَ يَــزين موقفَــه لســانٌ ... كحــدِّ الســيفِ أرهفــه المُضــاء
محامــاةٌ مشرِّفــةٌ وليســتْ ... محامــاةٌ يُــرادُ بهــا الرِّيــاء

صديقٌ ضامنٌ نجَحتْ صديقاً ... ضمانتُه وقد عزَّ الأداء
وليسَ بمُنكرٍ دفعاً ولكنْ ... مُقاسَطةً يحتِّمها اقتضاء
« فلانتيةٌ » له شرفٌ وجاهٌ ... وأطفالٌ وأهلٌ أبرياء
ومعلمةٌ تعيشُ بهِ مئاتٌ ... سيُعوزهُم – إذا سُدَّ – الغذاء
ولكنَّ « القضاء » أجلُّ مِن أنْ ... يُصدِّقُ ما يقولُ الأصدقاء
فأصبح « لانتييه » وكلُّ ما في ... يديهِ من نَثا الدُّنيا جُفاء
وبينا « لانتييه » يفيضُ بؤساً ... ويطفحُ بالشقاءِ له إناء
إذا «بالعدل» يكبِسهُ.. لماذا ؟ ... لأن العدلَ يكبس من يشاء ..
لأن « العدل » يُشغِلُه أناسٌ ... همُ فوقَ « المنصَّةِ » أنبياء..
وهبْ ذهبت ضحايا « العدل » ظُلماً ... نفوسٌ من تظنِّيه بُراء
فلا لومٌ عليهِ وإنْ تلوَّتْ ... سياطٌ فوقَهم أو فارَ ماء..
سيجلِدُهم إلى أنْ يُقنِعوه ... بأنهم أناسٌ أبرياء..
فإن هلكوا وخلْفَهمُ بيوتٌ ... خوتْ من بعدهم فله البقاء

***

دمعة على صديق

حَمَلَتْ إليك رسالةَ المفجوع ... عينٌ مرقرقةٌ بفيضِ دموعي
لاتبخَسوا قَدْرَ الدموع فإنها ... دفعُ الهموم تَفيضُ من يَنْبوع
للنفس حالاتٌ يَلَذُّ لها الأسى ... وترى البكاءَ كواجبٍ مشروع
وأمضُّها فقدُ الشبابِ مضرَّجاً ... بدمائه من كفِ غيرِ قريع
أأبا فلاح هل سمعتَ مَناحَةً ... وَصَلَتْ إلى أسماعِ كلِّ سميع

قد كنتَ في مندوحةٍ عن مثلِها ... لولا قضاءٌ ليس بالمدفوع

أبكيكَ للطبعِ الرقيقِ وللحِجى ... أبكي لحبلِ شبابِكَ المقطوع

أبكيك لستُ أخُصُّ خلقاً واحداً ... لكنما أبكي على المجموع

جَزَعاً شقيقيه فهذا موقفٌ ... يَشْقَى به من لم يكنْ بجَزوع

إن التجلُّدَ في المصاب تطبُّعٌ ... والحزنُ شيءٌ في النفوس طبيعي

وإذا صدقتُ فإنَّ عينَ أبيكما ... قد خَبَّرَتْ عن قلبِه المصدوع

شيخوخةٌ ما كان أحوجَها إلى ... شملٍ تُسَرُّ بقربِهِ مجموع

وبحَسْبِ « أحمدَ » لوعةً أنَّ ابنهُ ... لبس الغروبَ ولم يَعُدْ لطلوع

لو تأذنون سألتُهُ عن خاطرٍ ... مُبْكٍ يَهُزُّ فؤادَ كلِّ مَروع

أعرفْتَ في ساعاتِ عُمْركَ موقِفاً ... بَعَثَ الشُّجونَ كساعةِ التوديع

إني رأيتُ القولَ غيرَ مرَّفهِ ... لكن رأيتُ الصمتَ غيرَ بديع

فأتتك تُعْرِبُ عن كوامنِ لوعتي ... مقطوعةٌ هي آهةُ الموجوع

***

إلى جنيف..

لُقيتَ عُقبى الجهدِ والأتعابِ ... ونزلتَ خيرَ مَحِلَّةٍ وجَناب

ورَحلْتَ خيرَ مُودَّعٍ عن موطنٍ ... حاميتَ عنه.. وأُبتَ خيرَ إياب

ودفعتَ للدار الحصينةِ أمةً ... وقَفَتْ سياستُها على الأبواب

ولأنتَ خيرُ لسانِ صدقٍ ناطقٍ ... عنها إذا صَمَتَتْ وخيرَ كتاب

غابَ الأسود جِنيفُ سوفَ يَدوسُها ... أسدٌ تقدِّرُه أسودُ الغاب

رحْبُ الفؤادِ غداً تُجِلُّ مكانَهُ ... أربابُ أفئدةٍ هناك رِحاب

وهناك سوفَ تَرى النواظرُ مائلاً ... كرسيَّةُ قُطباً من الأقطاب
ملءَ العيون سماتُ أصيدَ طافحٍ ... عزماً.. وملءَ السمع فصلُ خِطاب
ومَلامحٌ مشبوبة هي وحدَه ... وكَفى.. دليلُ نجابةِ الأعراب
لله درُّك من خبيرٍ بارعٍ ... يَزِنُ الأمورَ بحكِمةٍ وصَواب
يُعنى بما تَلد الليالي حيطةً ... ويُعِدُّ للأيام ألفَ حساب
متمكّنٌ مما يريد يَنالُهُ ... موفورُ جأشٍ هادئُ الأعصاب
يلتفُّ « كالدولاب » حول كوارثٍ ... حَشَدت عليه تدورُ كالدولاب
وإذا الشعوبُ تفاخَرَت بدُهاتها ... في فضِّ مشكلةٍ وحَلِّ صِعاب
جاء العراقَ مباهياً بسَمَيذَعٍ ... بادي المَهابة رائعٍ جَذّاب
يُرضيك طول أناتهِ فإذا التوَى ... فهو القديرُ الفذُّ في الإغضاب
أملاعبَ الأرماح يومَ كريهةٍ ... في السلم أنتِ ملاعبُ الألباب
أعجبتُ منكِ بهمةٍ ورويَّةٍ ... وأقلُّ إعجابٍ امرئٍ إعجابي
إن الذي سوّى دِماغَك خصَّه ... من كل نادرةٍ بخير نِصاب
لبّاسُ أطوار يَرىَ لتقلُّبِ الأيامِ ... مُدَّخِراً سِفاطَ ثياب
يمشي إلى السر العميقِ بحيلةٍ ... أخفى وألطَف من مَدَبِّ شراب
يبدو بجِلبابٍ فإنْ لم تَرضَه ... يَنْزَعْه مُنسلاً إلى جِلباب
قضت الظروفُ بما تُريد وغَلَّبتْ ... آراءُ مجتمِع القُوى غلاّب
وعرفتَ كيف تَرى السياسةَ خطةً ... عربيةَ الأوصاف والألقاب
مشيَّتها عشراً وئيداً مشيها ... باللطفِ آونةً وبالإرهاب
وكشَفتَ كلَّ صحيفة مستورةٍ ... وتركتَها عُرْياً بغير نِقاب
وقتَلتَ أصنافَ الرجال درايةً ... من مستقيم في خطاهُ وكابي

ومُعــارِضٍ خَــدَمَ الــبلادَ لغايــةٍ ... شَرُفــت وآخــرَ خــائنٍ كــذاب
وكــأنني بــك إذ تقابــلُ واحــداً ... مــنهم.. تريــه غفلــةَ المتغــابي
فــإذا ادّعــىَ مــا لــيس فيــه أتيتَــه ... فــيما تُريــد بمَــحضَرٍ وكِتــاب
لم تبــقَ لــولا فــرطُ عزمِــك ريبــةٌ ... أن العــراق يســير نحــو تَبــاب
حتــى وَقفْــتَ بــه يمــدُّ لهاتــهُ ... تَعَبــاً مــن الأثقــال والأوصــاب
لا أدَّعــي أنْ قــد أتــمَّ نمــوَّه ... مــن كــان أمسِ بشكلِ طِفلٍ حاب
فلَتِلــك ليســت بالبعيــد منالُهــا ... عــن كــلِّ شَــعب طــامح وثّــاب
لكــن أقــولُ أريتَــهُ مســتقبَلا ... لا بالعَــديم سَــناً ولا الخــلاّب
كالشُــهد أوّلَ مــا تذوَّقَــه فــمٌ ... مــا زالَ بــين لُهــاه طعــمُ الصاب
فــاليوم هــاهو ذا بظلِّــك يحتَمِــي ... مثــلَ احــتماءِ العَــين بالأهــداب
أن تشــكُ مــا قاسيتَ مــن إجهــادةٍ ... أو تَلــقَ مــا لاقيــت مــن أتعــاب
فلقــد طَلَبْــتَ منــالَ أمــرٍ لم يكُــنْ ... ليُنــالَ إلا مــن رؤوس حِــراب
اليــومُ يــومُ تَفــاهم بــالرَّغم مِــن ... أني أحِــبُّ تَطــاحُنَ الأحــزاب
وسياســةٍ ســلبيةٍ لــو أثمَــرَتْ ... فيهــا نجــاحُ رغائــبٍ وطِــلاب
وخيانــةٌ أن لا يقــدِّرَ مخلِــصٌ ... تــدعو سياســتُهُ إلى الإضراب
لكــن إذا لم تَبــقَ إلا مِيتــة ... أو أختُهــا فسياســةُ الإيجــاب
مــا يأخــذُ المصــنوعُ حبــلَ وريــده ... مــا بــينَ ظُفْــرِ عــدوِّهِ والنــاب
إني هززتُــك بــالقوافي قاصــداً ... بــكَ خدمــةَ التــاريخ والآداب
لــولا محــيطٌ بِــتُّ مــن نَزَعاتــه ... وتضــارب الآراءِ كالمرتــاب
أطنَبْــتُ في غصَــصٍ لــديَّ كثيرةٍ ... تبيانُهــا يــدعو إلى الإطنــاب

لِي حــقُّ تمحـيص الأمــورِ كواحــدٍ   مــن ســائر الشــعراء والكُتــاب
فــإذا أصــبَتُ فخَصْـــلةٌ محمــودةٌ   وإذا زَلِلـــتُ فلســـتُ فاقــدَ عــاب
فلطالمـــا حابَيـــتُ غـــبر مصـــارحٍ   ولطالمـــا صـــارحتُ غـــيرَ مُحـــابي
ولكم سَكَتُ فلا مصارحةٌ ولا تمويهةٌ   وقبَعْــــــــــتُ في أثــــــــــوابي
أبغـــي المســـائلَ محضـــةً ويعـــوقُني   عــن ذلكــم ســببٌ مــن الأســباب
وبـــلاءُ كـــلِّ مفكّـــرٍ حزبيـــةٌ   تُلقــي عــلى الآراء ألــفَ حِجــاب

***

الحزبان المتآخيان

علـيكم وإن طـال الرجـاءُ المُعـوَّلُ   وفي يَـدِكُمْ تحقيـقُ مـا يُتأمَّـلُ
وأنــتم أخــيرٌ في ادعــاءٍ ومَطْمَــعٍ   وأنــتم إذا عُــدّ الميــامينُ أوّل
ومــاذا ترجــي أنفــسٌ لا يَسُرهُّــا   سوى الشعبِ مسروراً وماذا تؤمّل
نفــوسٌ قــويماتُ المبــادئ حــرّةٌ   عــلى رَغْــم مــا تلقــاه لا تتحــول
وألســـنةٌ لُســـدٌ عـــن الحـــقّ ذُوَّدٌ   كأحسنِ مـا حـامى الحقيقةَ مِقْـول
وأقــلام كتــابٍ يُريــد انتقاصَـــها   مـن النَّفَـرِ المأجورِ للسبّ مِغْـزَل
وهـل يسـتوي شـاكي السـلاح مؤيـدٌ   بحــقٍّ ومهتــوكُ الضريبــة أعــزل
وأدمغـــةٌ جبـــارةٌ يُلتجـــى لهـــا   إذا انتاب محذورٌ أو اعتـاضُ مُشْكل
ذخــيرةُ شــعبٍ مستضــام تحُوطُــهُ   وإن لم يكـنْ حِصْـنٌ لديـه ومَعْقِـل
أهابـــتْ ملايـــينٌ تَشُـــدُّ أكفَّهـــا   بأفئــــدةٍ مـــن قرحـــةٍ تتأكـــل
تُناشِـــدُكُمْ أن تأخـــذوا ثـــأرَ أُمّـــةٍ   أُصيبَ لهـا في حبـة القلـبِ مَقْتـل
وعنـــدكُمُ تفويضـــةٌ تعرفونهـــا   وفي يـدكُمْ منهـا كتـابٌ مُسَـجَّل

تــآخى الفراتيــون فيــه وصــافحت يَـدَ الحلَّـةِ الفيحـاءِ بالعهـد مَوْصـلِ
وإنّــا وإنْ جــارت علينــا كــوارثٌ يَقِــلُّ التَّعَــزّي عنــدها والتّعلُــل
مضى العــامُ والثــاني بويــلِ وربــما أتــى ثالــثٌ بالويـل والمـوتِ مقبـل
لَراجـونَ أن تَصــحُو ســماءٌ مغيمـة وينزاحَ عـن أرض الفـراتين قسـطل
ولا بــد أن ينجــابَ ليــلٌ ويـنجلي بأوضـــاحه يــومٌ أغَــرُّ مُحَجَّــل
فــإن تســألِ الأقــوامَ عنــا فإنّنــا عــلى حالــةٍ خرقــاءَ لا تُتَحمَّــل
بــلادٌ تُســامُ الجــورَ حكــماً وأمــةٌ تُضــام ودُســتْورٌ مُهــانٌ مُعَطَّــل
أعيـــذكُمُ أن يَســـتْثيرَ اهـــتمامَكُمْ دنيٌّ يــداري لقمـــةً أو مُغَفَّـــل
وهـلَ يـرتَضي إغضـابَ شَـعْبِ بـأسره وإشـــماتَهُ إلا غـــويٌّ مُضـــلِّل
مســاكين جرتهــا البطــون لهــوة بها كلُّ ما يُصمي الغيَارَى ويُخْجِل
يــدٌ رَكَسَــتْ للزّنــدِ في كــلِ حطّــةٍ وأخرى من السُحْت المُحرَّم تأكل
فــلا تعــذلوهم في اخــتلاقٍ فــإنهُمْ مفــاليسُ مــن كــذْبِ ودّسِ تَمَوَّلُــوا
أرادوا لكــم عيبــاً فــرُدُّوا وخُيِّبــوا ولم يجــدوا قــولاً بكــم فتقوَّلــوا
حــرام علــيهم أن يقولــوا فيصــدقوا وعــار علــيهم أنْ يقولــوا فيفعلــوا
إذا مــا انــبرى مــنكم أديــبٌ محنَّــكٌ تصدى له مستسخَفُ الرأي أخطل
وأُقسِــمُ لــو قــالوا خــذوا ألــفَ واحــدٍ مقابــلَ فــردٍ مــنكُمُ لم تبــدّلوا
فــما اسطعتَم فاسترجعوا الحكمَ منهم فـــإنّهُمُ صـــيدٌ علـــيكُمْ مُحلَّـــل
ومــروا علــيهم واحــداً بعــد واحــد كــما مــر يصــطاد العصــافير أجــذل
رَأوا شرَهــا غــنماً فلــم يتعففــوا ولــذَّ لهــم خــزيٌ فلــم يتسربلــوا
وقــد هــان شرٌّ لــو أطــاقوا تحمــلاً ولكنـــه لم يَبْـــقَ حتـــى التحّمـــل

وظنوا بأن اللهَ والشعبَ غافلٌ ... وهيهاتَ لا هذا ولاذاك يغفل
سيعرفُ قَدْرَ الناسِ من يَستَخِفُّهُ ... ويلمَسُ عُقبى الشرِ مَنْ يتوغل
فقولوا لهم تعساً فقد سُدَّ مَخْرَجٌ ... يَفرُّونَ منه مثلما سُدَّ مَدْخَل
وقد جاشَ صدرُ الشعبِ يَغلي حفيظةً ... عليكم كما يغلي على النار مِرجل
أروني جديداً يَفْضحِ الشعرُ أمرَه ... ففضحُ مساوي القوم شيءٌ مُحصَّل
فقد بدتِ النيّاتُ لا سَتْرَ دَونها ... ولا حاجبٌ إلا الكلامُ المرعبل
زخاريفُ قولٍ تعتليها ركاكةٌ ... ويبدو عليهنّ الخنا والتبذل
إذا مسها القولُ الصحيحُ تطايَحتْ ... كما مرَّ يَمشي في السنابلِ مِنْجَل
وألعاب صبيان تمرّ بمسرح ... يقوم عليه كلَّ يوم مُمثِّل
على أن مرضاة القوافي بذمهم ... وأخذهم حتى بهجو تنزل
فإن كان لابد الهجاءُ وسبةٌ ... يحُطُّ بها قَدْرَ الفرزدقِ جَرْوَل
فبين يديكُمْ شاعرٌ تعرِفونه ... بأشعاره أعداؤهُ تَتَمثَّل
تعاصيه أطرافُ الكلام لغيركم ... وتنصبُّ مثْلَ السيل فيكم وتَسْهُل
يَرى حِطّةً أن يَحْتمي بسواكُمُ ... شعورٌ وشِعرٌ ذو رُواءٍ مُسلْسَل
تَتيهُ بكم رَغمَ الأنوف وتَزْدَهي ... حسانُ القوافي لا النسيجُ المهلهل
معارضةٌ تُزْهي البلادُ وتحفِلُ ... بها وُيَخَّلى مَنْ سواها ويُخْذَل
تُنُضِّمُها صِيدٌ كُماةٌ أشاوسٌ ... يقودُهُمُ شهَمٌ يقول ويفعل
تراهم مُطاطينَ الرؤوسَ بمحفِلٍ ... تَصدَّرَ فيه «الهاشميُّ» المبجل
إذا ما مشى بزّ المفارقَ مَفرِقٌ ... بتاج من النصرِ المبين مُكلَّل
تَرنُّ النوادي من مقالٍ يَقوله ... كما رنَّ في بيتٍ يُهَدَّمُ مِعْوَل
ويَنْقُلُهُ بعضٌ لبعضٍ تَمثُّلاً ... إذا انفَضَّ عنه مَحفِلٌ عاد مَحْفِل

ولم يفضـلِ الآراء إلا لأنـه	يـدبّرهُ رأسٌ حكـيمٌ مُفَضَّـل
وسـيانِ قـالوا خطبـةٌ مضريـةٌ	«لياسـينَ»أو قـالوا تقـدمَ جَحْفـل
لـه فِكـرةٌ أنكـى مـن السـيف وقعـةً	وتـدبيرةٌ مـن فَتْكـةِ المـوتِ أقْتَـل
ورابـطُ جـأشٍ كالحديـد وفوقَـه	مـن الهـمّ والفكْـرِ المبرّح كَلْكـل
وإنـك مـن أن تقبـلَ القـومَ أفضـلُ	وإنّهـمُ مِـنْ أن يُـدانوك أنـزل
تَقَـدمٌ لهـا « ياسينُ » فالوضـعُ محـرجٌ	إذا لم تخفِّـفْ منـه والـداء مُعْضِـل
وإنـك لـو قابلـتَ مـا مُتِّعَـتْ بـه	مـن الحكـم بـالهونِ الـذي تتحمـل
ومـا قدمتـهُ مـن ضـحايا عزيـزةٍ	نتائجُهـا هـذا البـلاءُ الموكـل
أسـالت دمـاً عينيـك عُقبـى كهـذه	وهـيّج منـك الـداءَ هـذا المعـدَّل

****

بشرى جنيف

مرحبـاً بـالمتوج الغِطريـفِ	حـاملاً للعـراق بُشرى جَنيـفِ
ناهضـاً بالثقيـلِ مـن عِـبء هـذا	الـوطن النكـدِ عابِئـاً بـالخفيف
رجـلُ الأمّـة التـي أنجبـت ألـف	مـن بيـت هـذا الشريـف
وأخـو الوقفـة الرهيبـةِ والخطبـة	تـدوي في المحفِـلِ المرصـوف
بلطيـفٍ مـن التعـابير يجـري	في مَـذَبٍ مـن الكـلام لطيـف
لغـة الضـاد في فـم الملِـك الفـذِّ	تبـاهي بحسـنِها الموصـوف
وإذا مـا تفاضـلوا فَضَـلَ الجمـعَ	بـأنقى مخـارج للحـروف
وربـيط الجَنـانِ والميتـةُ الحمـراءُ	ترمـي بهـا أكـفُّ الحتُـوف
ينقـل الخطـوَ فـوقَ شِـلوِ صـديقٍ	أو عـلى مُـخ صـاحبٍ مقـذوف

عالمـــاً أنَّ خــيرَ مـــا ركـــب المــرءُ إلى غايــة متــونَ الســيوف
وطريـقٍ مشى بها في سبيلِ العُـرْبِ بالشـــوكِ والأذى مَحفــــوف
داخـلاً في مـآزق لـيس يخلـو المـرءُ في مثلهـــا مـــن التّعنيـــف
بهـرَ الساســةَ الـدهاةَ حصـيفٌ ذائـع الصيتِ بـين كـلِّ حصيف
لامـعٌ في صـفوفهمْ تقـع العَـينُ عليـه مـن دونِ مِـن في الصـفوف
لَمسـوا منـه في التصـافُح كفـاً لم يَـرَوا مثـلَ وقعِهـا في الكفـوف
خَـبَّرتْ فوقَهـا خطـوطُ السُـلامياتِ عـــن أيِّ مـــاهرٍ عِريّـــف
عـن لطيـفٍ في سـاعَتيه مَهيـبٍ وأديـــبٍ في موقفَيـــه ظريـــف
وجمـــوع للحـــالتين نســـيم في ظـروفٍ وعاصـفٍ في ظُـروف
وأرتْهـم ملامـحَ العَـرب الماضـينَ سِـيـها هــذا الطُـوالِ النحيـف
وجنـةٌ تَنطف السرورَ عليهـا مسحةُ الهــادئ الغيــورِ الأســيف
وجبـينٌ كغُـرّةِ البـدرَ فيـه أثــرٌ للهمــوم مثــلُ الكُســوف
لـو أطاقَـتْ فيـه الغضـونُ لقصَّـتْ عـن عـراكٍ مـع الليـالي عنيـف
فهُــمُ واثقــونَ كــلَّ وثــوقٍ أنهــم واجـدونَ خـيرَ حَليـف
لم يعُقْـــهُ أمــرُ العــراق وبُغيـــا ثمـــرِ للنهـــوض داني القُطـــوف
والرزايـــا تعِـــنُّ بـــين تليـــد مُعجــزِ حلِّــه وبــينَ طَريــف
عـــن أمـــاني ســـوريّةٍ وقلـــوبٍ مـــن بنيهـــا تـــرفُّ أيَّ رَفيـــف
إن في عيبـــة الملـــوك عهـــوداً هـــو في رعــيهنَّ جــدُّ عفيــف
عَبقـــاتٍ بــذكر فيصــلَ أيـــامَ دمَشـــقٍ وعهـــدِه المعـــروف
ويكـــاد اللبيـــبُ يلمُـــسُ حبـــاتِ قلـــوبٍ عـــلى نِقـــاط الحُـــروف
لا تلُـمْ سُـوريا إذا بكـت العهـدَ بجَفـــن المولَّـــهِ الملهـــوف

إنهـــا ذكريـــاتُ أمٍّ رؤوفٍ فَجعوهـــا بواحـــدٍ مخطـــوف
مُتعَـب الـذهنِ بالسياسـة لا ينُسـيه أثقالَهَـــا جمـــالُ المصـــيف
عكفـتْ أنفسٌ هنـاك عـلى الأفـراح والأنـــسِ بـــين خَمْـــرٍ وهيـــف
تاركـــا عـــبءَ الـــبلادِ ثقـــيلاً لغَيـــور عـــلى الـــبلاد عَطـــوف
مـــن دُعـــاة المـــألوفِ مـــا دام فيـــه مظهـــرٌ لائـــقٌ بشَـــعبٍ أنـــوف
فـــإذا كـــانَ حِطـــةً وجمـــوداً فالعـــدوُّ اللـــدودُ للمـــألوف
وهـــو بـــين ذيـــن لا بِعَنـــودٍ في الـــذي يَبتغـــي ولا بعَســـوف
حـافِظٌ حُرمـةَ الأنـوف فـإن هـيجَ تَوَلَّـــتْ يـــداهُ رغـــمَ الأنـــوف
لا برخـوِ اليـدَين في نهـزه الفُرصـةَ إنْ ســـاعَدَتْ ولا المكتـــوف
آخِـذٌ بالـذي يعِـنُّ مـن الأمـرِ ويخشـــى مَغَبَّـــةَ التســـويف
يـــتركُ العُنـــفَ مـــا اســـتطاعَ قديرٌ أنْ يَروضَ النفوس بالتَلطيف
لا أُحابيـــكَ ســـيدي وأُراني لســـتُ في حاجـــةٍ إلى التعريـــف
أنـتَ قَبْـلَ الجميـع تَعـرِفُ أني في شعوري أجـري عـلى المكشـوف
سيدي ليس يُنكِرُ الشعبُ ما قمتَ بـــهِ نحـــوهُ مـــن المعـــروف
والمســاعي التــي تجَشَّــمْتَ فيهــا ألـفَ هـولٍ وألْـفَ أمـرٍ مُخيـف
إن مـــا بـــين حالتَيْـــهِ لَفَرقـــاً مثـلَ مـا بـين مِشِـيةٍ وَوُقـوف
وهـو يجزيْـك بالجميـلِ مـن الفِعْـلِ جمـــيلاً مـــن الثنـــاء المنيـــف
قـدرت سَـعيَك الـبلادُ فجاءتـكَ أُلوفـــاً متلُـــوَّة بـــألوف
ولأســرٍ يَــدوي الفضــاءُ هُتافــاً مـن مُحيِّـك فـوقَ كـلِّ رَصيف
حيث غصَّـت بفُرجـة الناسِ بغدادُ وغصَّـــت بيوتُهـــا بالضـــيوف

وتبـارَى الوفـودُ مـن كـل فَـجٍّ ... كـلُّ فـرد مُشـفَّعٌ برديـف
حـاملاتٍ إليـك تسـليمةَ الأهلـينَ ... مـن كـلّ قريـةٍ أو ريـف
غـيرَ أنَّ الـبلادَ مـازال فيهـا ... أثَـرٌ للشَّـقاءِ غـيرُ طفيـف
زُمْـرَةٌ ضِـدٌّ زمـرةٍ ولفيـفٌ ... تَعِـبُ الـنفسِ في انتقـاصِ لفيـف
وقـويٌ باسـم الضـعافِ مجيـلٌ ... ظُفْـرَهُ في محـزّ ألـفِ ضـعيف
وأكـفٍ شَـتَّى تـدبّرُ شـتّى ... لُعبَـةٍ مـن وراءِ شَـتَّى سُـجوف
ولأنْـتَ القـديرُ بـالرغم ممـا ... عِشْـتَ مـن جَمْعِنـا عـلى التـأليف
لـيس هـذا المـريضُ أوّلَ مـن عُـولِجَ ... مـن دائِـهِ العُضـالِ فَعُـوفي

***

الباجة جي في نظر الخصوم

كـيفما صَـوْرتَها فلـتكُنِ ... أنـا عـن تصـويرةِ النـاسِ غنـي
لا أُبـالي قـادِحي مِـن مـادِحي ... ليَ في الوجـدان مـا يُقنِعُنـي
لسـتُ بالجامـدِ : إني شـاعرٌ ... هـزة الـروح تُـرى في بَـدنَي
ديـدني تصـويرُ مـا في خـاطري ... وأنـا مُغـرىً بهـذا الديـدنَ
أنـا مـن أجـل لِسـاني مُبـتَلى ... رغـمَ إحسـاسي – بعـيش خَشِـن
إنـما يرفَـعُ مـن مقطـوعتي ... كوْنهـا مـن خَصـمِك المضطَغِن
مـن فتـى عَرَّضَـه موقفُـه ... منـك بـالأمس لشـتّى المِحَـن
كونُهـا مـن شـاعر مُطَـرَّح ... وفكـورٍ مُنصِـفٍ مُمـتَحَن
تاركـاً عـما قريـبٍ أهلَـهُ ... مسـتجيراً بإمـام الـيَمَن
فـإذا لم يهـوني كنـت امـرءاً ... عـاملاً في مـنجم في عـدَن

إنهــا أروَح لي مــن مَــوطنِ　　أنــا منــه في عُضــال مُــزْمِن
أنــا أستحسِــن مــا لــيس أرى　　وأرى مــا لــيسَ بالمستحسَــن
يــا أبــا عــدنانَ هــذي فُرصــةٌ　　لفــؤادٍ بــالأذى محــتقِن
لا أُحابيــك ولكنّــي فتــىً　　أطلُــبُ الحــقَّ ولــو في كفَني
يشــهدُ التــأريخُ واللهُ معــاً　　أنَّــك الــذُخرُ لهــذا الــوطن
عــارفٌ أدواءَه مطَّلــعٌ بالخفايــا　　قــاطعٌ للفــتَن
فيــك:لــولا أمــةٌ جاهلــةٌ　　شَــبَةٌ يــدنيك مــن«موســولني»
بَطَــلٌ إنْ محَــنٌ جــارتْ ومــا　　أعــوزَ الأبطــالَ عنــد المحــن
وصريــحٌ لَسِــنٌ في مــأزِقِ　　ذي احتيــاج لصريــح لَسِــن
لُحــتَ وضــاحاً عــلى حــينَ مَشــى　　كلُّهــم تحــتَ قِنــاع أدكــن
بخُطــىً جبّــارةٍ واســعةٍ　　وبعقــلٍ راجــح متَّــزن
يــومَ كــلُّ النــاسِ في تمــويهِهم　　مِثــلُ ضــبٍ جــاحرٍ في مَكمــن
فــرَغَ الدســتُ الــذي كنــتَ بــه　　مــلءَ عــينِ المــرءِ مــلءَ الأذُن
سَــحَقَ الهــوجَ المهازيــلَ فتــىً　　لم يكــن في سَــحقِهم بــالمَرِن
وعــلى الحمقــى ثقيــلٌ وقعُــه　　مَــن بغِــرٍّ أحمــقٍ لا يعتنِــي
وأراهــم قــوة لم يجِــدوا　　مثلَهــا في هيكــل أو وَثَــن
لم يــروا فيــه – كــما في غــيرِه　　خِــذْنَهم مــن مــاجنٍ أو مُــدمِن
لم يكــن بــالرخوِ في أخــذِهُمُ　　أخــذَ جبــارٍ ولا بــالمنثني
أتُراهــا أمِنَــت جرثومــةٌ　　لم تكــنْ مــن بطشــه في مــأمَن
نَقَــم الحسّــادُ إن لم يَلحقــوا　　شــأو مَــاشٍ خَببَــاً في سَــنَن

قـــائم بـــالأمرِ معتـــزٌ بـــه وعـــــلى تـــدبيرِه مُـــؤتَمَن
ولـــو اســـطاعَت مجـــالاً كفُّـــه قـــادَهُم كلَّهُـــمُ في عَطَـــن
اشـــهدي ياربـــةَ الشـــعر ويـــا دولـــةَ الحـــقِّ عليـــه أمنًـــي
إن عُقبـــى ظَفَـــرٍ تَلحَقُنـــي مـــن طريـــق الـــدمِّ لا تُعجبنـــي
ودنيٌّ مـــن يُعـــادي خصـــمَهُ مِـــن طريـــقٍ بـــالحزازات دَني
أشـــتَهي أنّي ولـــو في حُلُـــم أُمســـكُ الأمـــرَ لأدنـــى زَمَـــن
ولقـــد يُلهِـــبُ مـــن عـــاطفتي أنَّ هـــذا زمـــنٌ لم يـــئِن
أودِعـــوني دَفَّـــةَ الحكـــم ولـــو ســـاعةً آتِ بـــها لم يَكُـــن
أُرِكُـــم أيـــنَ يكـــونُ المـــرتشي أُرِكُـــم كيـــفَ مصـــيرُ الأرعَـــن
أُرِكـــم قيمـــةَ ألفـــاظٍ بهـــا يَلـــبس الكـــذّابُ ثـــوبَ الـــوطني
آتيـــاً في السرِّ مـــا لا يَســـتوي والـــذي يـــأتي بـــه في العَلَـــن
أُركـــم أنْ لـــيسَ لي مـــن قيمـــةٍ غـــيرُ مـــا يوجِبُـــه لي مَعـــدِني
أُركـــم أنَّ الـــذي تخشَـــونه لـــيسَ مـــن يَبكـــي عليـــه لـــوفَنى
يـــا أبـــا عـــدنانَ هـــذا واجـــب الأدَبِ المحـــضِ الصريـــح المُـــتقَن
إننـــي ألغيـــتُ في تســـجيله كـــلَّ مـــا في خـــاطري مـــن دَرَن
ولقـــد تَعلَـــمُ مـــا يَلحَقُنـــي مـــن أذىً مـــن بَـــثِّ هـــذا الشَـــجن
غـــيرَ أني واجـــدٌ في مِثلـــهِ لـــــذَّةَ العاشـــق والمفتَـــتن
ومـــن العـــارِ عـــلى الشـــاعر أنْ يحتَمـــي في شـــعرِهِ بـــالإِحَن

***

يدي هذه رهن

يـدي هـذه رهـنٌ بـما يَـدَّعي فمـي   لـئن لم يحكِّـمْ عقلَـه الشـعبُ ينـدم
هتفـتُ ومـا أنفـك أهتِـف صـارخاً   ولـو حرّمـوا مسِّي ولـو حلَّلـوا دمي
ولـو فتّشـوا قلبـي رأوا في صـميمه   خلاصـةَ هـذا العـالم المتـألِّمِ
إذا تُـرك الجُمهـورُ يَـمضي لشـأنه   ويسـلُك مـن أهوائـه كـلَّ مَخْـرِم
وتنتابُـهُ الأهـواء مـن كـلِّ جانـبٍ   وترمـي بـه شـتى المهـاوي فيرتمـي
وتُـنْشَر فيـه كـلَّ يـوم دِعايـةٌ   وينـدسُّ فيهـا كـلُّ فكـر مسـمِّم
وتَـقضي عليـه فُرقـة مـن مسـدّر   وتُنْهكُـه رجعيـةٌ مـن معمَّـم
ولم تلـدِ الـدنيا لـه مـن مـؤدِّب   يهـذب مـن عاداتـه ومقـوِّم
فلا بد من عُقْبى تسوء ذوي النهى   وتَـدمى بهـا سـبابةُ المتنـدِّم
ولا بـد أن يـمشي العـراقُ لعيشـة   يشرِّفُ فيهـا أو لمـوت محـتَّم
أقـول لأوطـانٍ تمشـت جريئـةً   يَمـدُّ خطاهـا كـلُّ أصيدَ ضـيغم
وقرَّبهـا ممـا تحـاول أنهـا   رأت في اكتسـاب العـزِّ أكـبر مغـنم
ألا شـعلةٌ مـن هـذه الـروح تـنجلى   عـلى وطـنٍ ريـانَ بالـذُّل مُفْعَـم
خـذي كـلَّ كـذّاب فَسُـلِّي لسـانه   ومُـرّي عـلى ظُفـر الـدنيِّ فَقَلِّمـي
ومُـرِّي عـلى هـذي الهياكـل أقبلـت   عليهـا الجماهـير الرُّعـاع فحطِّمـي
وإن كـان لا يبقـى عـلى الحـال هـذه   سـوى واحـد مـن كـل ألـف فـأنعم
فأحسـنُ مـن هـذي التماثيـل ثُلّـةٌ   تقـوم عـلى هـذا البنـاء المـرمَّم
فقـد لعِبَـت كـفُّ التذبـذب دورَهـا   بـه واسـتباحت منـه كـلَّ مُحـرَّم
وقـد ظهـرت فيـه المخـازي جليـةً   يضـيق بهـا حتـى مجـالُ الـتكلُّم

وقد صيحَ نهباً بالبلادِ ومُزِّقت — بظفْرِ وداسوها بخُفٍّ و مَنْسِم
وإني وإن لم يبق قول لقائل — ولم يتركِ الأقوامُ من متردمٍ
فلا بدَّ أن أُبكيكَ فيما أقصُّه — عليك من الوضع الغريب المذمَّم
ألا إن هذا الشَعبَ شعبٌ تواثَبَتْ — عليهَ صروفُ الدهر من كل مُجْثِم
متيمٌ على البْلوى لِزاماً إذا انبرت — له نكبةٌ عظمى تَهون بأعظم
يجور عليه الحكمُ من متآمرٍ — وتمشي به الأهواءُ من متزعِّم
مساكينُ أمثالُ المطايا تسخَّرتْ — على غيرِ هذي منهمُ وتَفَهُّم
فلا الحكمُ بالحكم الصحيح المتمَّم — ولا الشعبُ بالشعب الرزين المعلَّم
تَحَدَّتْهُ أصنافُ الرزايا فضيَّقَت — عليه ولا تضييقَ فقر مخيِّم
فقد أُتخمت شمٌّ « البُنوك » وأشرقت — بأموال نَهابٍ فصيح وأعجم
تُنوهِبْنَ من أقوات طاوٍ ضلوعَه — على الجْوع أو من دمع ثكلى وأيِّم
يُباع لتسديد الضرائب مِلْحَفٌ — وباقي رِتاج أو حصير مثلَّم
وما رفع الدُّستورُ حيفاً وإنما — أتونا به للنَّهْب أنطفَ سَلَم
ستارٌ بديعُ النسج حيكَ ليختفي — بها الشعبُ مقتولاً تضرَّجَ بالدم
به وجدت كفُّ المظالم مَكْمَناً — تحوم عليه أنَّةُ المتظلِّم
نلوذ به من صَوْلة الظلم كالذي — يفرِ من الرَّمضاءِ بالنار يحتمي
بضوء الدساتير استنارت ممالكٌ — تخبَّطُ في ليل من الجْهل مظلم
وها نحن في عصر من النور نشتكي — غَوايةَ دُستور من الغِش مبهم
هنالك في قَصْرِ أُعدت قِبابه — لتدخينِ بطّالين هوج ونُوّم
تُصَبُّ على الشعب الرزايا وإنما — يَصُبُّونها فيه بشكل منظَّم
مضت هَدرَاً تلك الدماءُ ونُصِّبَتْ — ضِخامُ الكراسي فوق هَام محطَّم

ولما استَتَمَّ الأمرُ وارتدَّ معشَرٌ ... خلاءَ أكُفٍّ من نِهاب مقسَّم
ورُدَّت على الأعقاب زَحفاً معاشرٌ ... تُحاولُ عَوذاً من حِطام مركَّم
بدا الشر مخلوعَ القِناع وكُشِّفَت ... نوايا صدورٍ قُنِّعت بالتكتُّم
وبان لنا الوضعُ الذي ينعَتُونَه ... مضيئاً بشكل العابس المتجهِّم

***

المحرقة

أَحاوِلُ خرقاً في الحياةِ فما أجرا ... وآسَفُ أن أمضي ولم أُبقِ لي ذكرا
ويُؤلمني فرطُ افتكاري بأنَّني ... سأذهبُ لا نفعاً جلبتُ ولا ضُرّا
مضتْ حِججٌ عَشْرٌ ونفسي كأنها ... من الغيظ سيلٌ سُدَّ في وجهه المجرى
خبَرْتُ بها ما لو تخلَّدتُ بعدَه ... لَما ازدَدْتُ عِلماً بالحياةِ ولا خُبرا
وأبصرتُ ما أهوى على مثلهِ العمى ... وأُسمعتُ ما أهوى على مثلهِ الوَقْرا
وقد أبقتِ البلوى على الوجهِ طابَعاً ... وخلَّفَتِ الشحناءُ في كبِدي نَغرا
تأمَّلْ إلى عيني تجِدْ خَزَراً بها ... ووجهي تُشاهِدْه عن الناس مُزورّا
ألم تَرَني من فرطِ شكٍّ وريبةٍ ... أُري الناسِ حتى صاحبي نظراً شزرا
لبستُ لباسَ الثعلبيِّينَ مُكرهاً ... وغطَّيتُ نفساً إنَّما خُلقت نَسرا
ومسَّحتُ من ذيلِ الحَمام تملّقاً ... وأنزلتُ من عَليا مكانتهِ صقرا
وعُدتُ مليء الصدَّرِ حِقداً وقُرحةً ... وعادت يدي من كلِّ ما أمَّلَتْ صِفرا
أقولُ اضطراراً قد صبَرتُ على الأذى ... على أنني لا أعرِفُ الحُرَّ مُضطرّا
وليس بحُرٍّ مَن إذا رامَ غايةً ... تخوَّفَ أن ترمي به مَسلكاً وعْرا
وما أنتَ بالمُعطي التمرُّدِ حقَّه ... إذا كنت تخشى أن تجوعَ وأن تَعرى

وهل غيرَ هذا ترتجي من مَواطنٍ تُريد على أوضاعها ثورةً كبرى
مشى الدهرُ نحوي مستثيراً خطوبَه كأني بعينِ الدهر قيصرُ أو كسرى
وقد كانَ يكفي واحدٌ من صروفهِ لقد أسرفتْ إذ أقبلتْ زُمراً تترى
مشى لي كعاداتِ المخانيثِ دارعاً يُنازِل قِرْناً مُثخَناً حاسِراً صدرا
خليّاً من الأعوانِ لا ذُخرَ عندَه سوى الصبر أوحشْ بالذي صحبَ الصَّبرا
وما كانَ ذنبي عندَه غيرَ أنني إذا مسَّني بالخيرِ لم أُطِلِ الشكرا
ولم أتكفَّفْ باليسيرِ ولم أكنْ كمستأنِسٍ بالقُلِّ مستكثِرٍ نَزْرا
طموحٌ يريني كلَّ شيءٍ أنالُه وإنْ جلَّ قَدرْاً دونَ ما أبتغي قدرا
حلَبتُ كِلا شطرَيْ زماني تمَعّناً فلم أحمَدِ الشطر الذي فَضَلَ الشطرا
شرِبتُ على الحالينِ بؤسٍ ونعمةٍ وكابدتُ في الحالينِ ما نغَّصَ السكرا
حُبيتُ بنَدمانٍ وخمرٍ فغاظني بأنيَ لا مُلكاً حُبيتُ ولا قصرا
ولو بهما مُتّعتُ ما زلتُ ساخطاً على الدهر إذ لم يَحْبُني حاجةً أُخرى
فما انفكَّ حتّى استرجعَ الدهرُ حُلوَه وحتّى أراني أنني لم أذُق مرّا
وجوزِيتُ شرّاً عن طُموحي فها أنا برغميَ لا خِلاًّ تَخِذتُ ولا خمرا
فإنْ يُشمِتِ الأقوامَ أخذي فلم أكن بأوّلِ مأخوذٍ على غِرَّةٍ غدرا
وإنْ تفترِسْني الآكلاتُ فبعدَ ما وثِقتُ بها فاستلَّتِ النابَ والظُفرا
وإن تُلهبِ الشكوى قوافيَّ حُرقةً وغيظاً فإني قادحٌ كبِداً حرّى
وكنتُ متى أغضبْ على الدّهر أرتجلْ مُحرَّقةَ الأبياتِ قاذفةً جمرا
كشأنِ « زيادٍ » حينَ أُحرِجَ صدرُهُ وضُويقَ حتى قالَ خُطبتَه البترا
أو المتنبّي حينَ قالَ تذمُّراً «أفيقا خُمارُ الهمِّ بغَّضني الخمرا»
وما زلتُ ذاك المرءَ يوسِعُ دهرَه وأوضاعَه.. والناسَ كلَّهمُ كفرا

تحولتُ من طبعٍ لآخرَ ضدِّه ... من الشيمةِ الحسناءِ للشيمةِ النكرا
وكنتُ وَديعاً طيبَ النفسِ هادئاً ... فأصبحتُ وحشاً والِغاً في دم نَمرا
فلَو دَبَّر الباغونَ للكيدِ خطةً ... رأوا أنَّني منهُمْ بَتدبيرِها أحرى
وَلو ملكَ قارونٍ ملكتُ دَفعتُه ... على كرهِ بعض الناسِ بعضَهم أجرا
وِشجَّعتُ ما أقوى يراعةَ كاتبٍ ... يُزيحُ بها عن كلِّ ذي عورةٍ سِترا
وَمجَّدتُ من بَثَّ الدعايةَ ضدَّهم ... ومن قالَ في تَسخيفِ آرائهم شعرا
وِلو حُمَّ لي أنْ أحكمَ الناسَ ساعةً ... وأن أتوَلى فيهُمُ النهيَ والأمرا
لمزَّقتُ وَجهاً بالخديعةِ باسِماً ... ولا شيتُ ثَغراً بالضَغينةِ مُفترا
وَقَطَّعتُ كفَّيْ من يمدُّ يمينَهُ ... يَصافحني في حين تَطعنُني اليسرى
وَعاتَبتُ سراً من يضِلُّ لنفسه ... ومن ضلَّلَ الجمهورَ أخزيتهُ جَهْرا
رأيتُ من الإنسانِ يُطغيه عُجْبُه ... من الخزي ما تأباهُ وحشيَّةٌ تَضرى
إذا أُغرِيتْ هذي بأكلِ فريسةٍ ... فهذا بأنْ يلهو بتعذيبها مُغرى
أتعرفُ كم من أصيَدٍ مُتقٍ قهرًا ... وكم حُرَّةٍ تشكو ومَن حولَها الفقرا
ليَنعُمَ مَن إنْ عاشَ لم يُدرَ نفعُه ... وإنْ ماتَ لم يعرِف له أحدٌ قبرا
أتعرفُ ما يأتيه في السرِّ ناصبٌ ... على العينِ منظاراً على الناسِ مغترا
يُقلِّبُهُ بينَ الجموع دلالةً ... على أنه أذكى من الناس أو أثرى
وما ميَّزتْهُ عن سواه فوارقٌ ... سوى أنه قد أتقنَ الرَّقصَ والزمرا
وهذا الذي إحدى يديهِ بجيبهِ ... وأُخراهما تلهو بشاربه كِبرا
ولو فتَّشوا منه السَّبالينِ شاهدوا ... خلالَهما العاهاتِ محشورةً حشرا
وهذا الذي رغمَ النعيم وشرخهِ ... يُرى حاملاً وجهاً من الحقدِ مُصفرّا

وهذا الذي إنْ أعجبَ الناسَ قولهُ ... مشى ليُريهمْ أنه فاتحٌ مِصرا
وهذا الذي قد فخَّمتْه شهادةٌ ... خلاصتُها أنَّ الفتى قارئٌ سطرا
ويكفيكَ منه ساعةٌ لاختبارهِ ... لتعلمَ منها أنه لم يزل غِرّا
وهَبْ أنه قد أُلهِمَ العلمَ كلَّه ... وحلَّلَ حتى الجوهرَ الفردَ والذرّا
وكانَ « شكسبيرٌ » خويدمَ شعرِه ... وكانت لُغى الأكوانِ تخدمُه نثرا
فهل كانَ حتماً أنني أنحني له ... وتصطكُ مني الركبتانِ إذا مرّا
ألمْ يدرِ هذا « الكوكب » الفذ أنه ... كما كان حُرّاً كان كلُّ امرئٍ حرّا
ذممتُ مُقامي في العراقِ وعلَّني ... متى أعتزمْ مسرايَ أن أحمَدَ المسرى
لَعلي أرى شِبْراً من الغَدر خالياً ... كفاني اضطهاداً أنني طالبٌ شِبْرا

***

شباب يذوي

ذوى شبابيَ لم يَنْعَم بسرّاءِ ... كما ذوى الغصنُ ممنوعاً عن الماءِ
سَدَّتْ عليَّ مجاري العيشِ صافيةً ... كفُّ الليالي وأجرتها بأقذاء
فمِنْ عناءٍ بَلّياتٍ نُهكتُ بها ... إلى عناءٍ.. ومن داءٍ إلى داء
ستٌ وعشرونَ ما كانت خُلاصتُها ... - وهي الشبابُ طريّاً - غيرَ غمّاء
وما الحياةُ سوى حسناءَ فاركةٍ ... مخطوبةٍ من أحبّاء وأعداء
قد تمنعُ النفسَ أكفاءَ ذوي شغفٍ ... وربّما وهبتها غيرَ أكفاء
ولا يزالُ على الحالينِ صاحبُها ... معذَّبَ النفسِ فيها بيِّنَ الداء
فإنْ عجِبتَ لشكوى شاعرٍ طربٍ ... طولَ الليالي يُرى في زيِّ بَكّاء
فلستُ أجهلُ ما في العيش من نِعمٍ ... أنا الخبيرُ بأشياءٍ وأشياء

ولا أحبُّ ظلامَ القبر يغمُرني ... أنا المشبع بآمال وأهواء
وإنَّما أنا والدُّنيا ومحنتُها ... كطالبِ الماء لَمَّا غَصَّ بالماء
أُريدُها لمسرّاتٍ فتعكِسُها ... وللهناءِ فَتثنيهِ لإيذاء
وقد تتبَّعتُ أسلافي فما وقعتْ ... عيني على غير مشغوفٍ بدُنياء
فإنْ أتتكَ أحاديثٌ مُزخرَفةٌ ... عن الذينَ رَوَوْها أو عن اللائي
يُشوِّهونَ بها إبداعَ غانيةٍ ... فتّانة لم تكنْ يوماً بشوهاء
طوراً تُصوّرُ حِرباء وآونةً ... كالأفعوان . وأُخرى كالرُّتَيْلاء
فلا تصدّقْ فما في العيشِ منقصةٌ ... لولا أضاليلُ غوغاءٍ ودهماء
ذَمَّ الحياةَ أُناسٌ لم تُواتِهُمُ ... ولا دَروا غيرَ دَرِّ الإبْل والشاء
وقلَّدَتْهُمْ على العمياء جمهرةٌ ... تمشي على غير قصدٍ خبطَ عشواء
ولو بدَتْ لهمُ الدُّنيا بزينتها ... لقابلوها بتبجيلٍ وإطراء
لم تكفِني نكباتٌ قد أُخذتُ بها ... حَتى نُكبتُ بأفكاري وآرائي
لي في الحياة أمانٍ لو جَهَرتُ بها ... قُوبلتُ من سَفْسطيَّاتٍ بضوضاء
ولو أتاني بِبُرهانٍ يجادلُني ... لقلتُ أهلاً على العينين مولائي
شِيدتْ قصورٌ على الأجراف جاهزةٌ ... بكلِّ ما تشتهيهِ أعينُ الرائي
فيهنَّ من شهواتِ النفس أفظعُها ... فيها غرائبُ أخبارٍ وأنباء
فيها اللَّذاذاتُ والأفراحُ عاصفةٌ ... بنفسِ ذاكَ المُرائي عَصفَ نكباء
حتى إذا قلتَ قولاً تستبينُ به ... لُطفَ الحياةِ بتصريح وإيماء
هاجوا عليكَ بإقذاع ومفحشةٍ ... وآذنوكَ بحربٍ جِدِّ شعواء
حُرِّيةُ الفكر ما زالتْ مهدَّدةً ... في « الرَّافدين » بهمّازٍ ومشَّاء

وبــالنواميسِ مــا كانــتْ مُــفسَّرةً إلا لِصــالح هيئــاتٍ وأســماء

****

الدم يتكلم بعد عشرٍ

قبــلَ أن تبكــيَ النُّبــوغَ المُضــاعا سُــبَّ مــن جــرَّ هــذه الأوضــاعا
سبّ من شاء أن تموت وأمثالُك همّــاً وأن تروحــوا ضَــياعا
سبَّ مــن شــاء أن تعيشَ فلــولٌ حيــث أهــلُ الــبلاد تــقضي جياعــا
داوِني إنَّ بــين جنبــيَّ قلبــاً يشــتكي طــولَ دهــره أوجاعــا
ليــت أني مــع الســوائم في الأرض شرودٌ يرعــى القَتــاد انتجاعــا
لا تــرى عينــيَ الــديارَ ولا تســمعُ أذني مــا لا تُطيــق اســتماعا
جُــلْ معــي جولــةً تُريــك احتقــار الشــعب والجهــلَ والشــقاءَ جِماعــا
تجِــدِ الكــوخَ خاليــاً مــن حُطــام الــدهر والبيــتَ خاويــاً يتــداعى
واستمع لا تجِدْ سوى نَبضاتِ القلب دقَّــت خــوفَ الحســاب ارتياعــا
فلقــد أقبلــت جُبــاةٌ تســومُ الحــيَّ عنفــاً ومهنــةً واتضــاعا
إنَ هــذا الفــلاّحَ لم يبــقَ إلاّ العِــرضُ منــه يُجِلّــه أن يباعــا
بعــد عشر مشــت بِطــاءً ثقــالا مــثلَما عاكســت ريــاحٌ شِراعــا
عرّفَتْنــا الآلامَ لونــاً فلونــا وأرتنــا المــماتَ ســاعاً فســاعا
اختبرنــا.. إنَّــا أســأنا اختبــاراً واقتنعنــا .. إنــا أســأنا اقتناعــا
ونــدِمنا فهــل نكفّــر عــمّا قــد جنينــا اجتراحــةً وابتــداعا
لــو ســألنا تلــك الــدماءَ لقالــتْ وهــي تَغــلي حماســةً وانــدفاعا
مــلأ الله دُورَكــمْ مــن خيــالي شــبحاً مرعبــاً يَهُــزّ النخاعــا

وغـــدوتمْ هَـــول مـــا يعـــتريكمْ تُنكـــرون الأبصـــار والأســـماعا
تحسـبون الـورى عقـاربَ خضراً وتَــرَوْن الــدُّروب مــلأى ضِــباعا
والليـالي كلحـاءَ لا نجـمَ فيهـا وتمــرّ الأيــام ســوداً سِراعــا
ليـتكمْ طِـرتُمُ شَـعاعاً جـزاءً عــن نُفــوس أطرتموهــا شَــعاعا
بالأمـــاني جذّابـــةً قَـــدتموها للمنّيــات فانجــذبنَ انصــياعا
وادعيــتم مســتقبلاً لــو رآتــه هكــذا لم تضــع عليــه ضُــواعاً
ألهـــذا هَرقْتُمـــوني وأضـــحى ألــفُ عــرض وألــف مُلــكُ مُشــاعا
أفوحـدي كنـتُ الشَّـجاعةَ فـيكمْ أولا تملكــــون بعـــدُ شُـــجاعا
كــلُّ هــذا ولم تصــونوا رُبوعــاً سِــلتُ فيهــا ولم تُجيــدوا الــدفاعا
إنّ هــذا المتــاعَ بخســاً ليــأبى الله أن تفصِـــدوا عليـــه ذراعـــا
قــلْ لمــن سِــلتُ قانيــاً تحــت رجليـهِ وأقطعتـه القُـرى والضـيّاعا
خَــبِّروني بــأن عيشـــة قـــومي لا تســـاوي حـــذاءك اللماعـــا
مشــت النــاس للأمــام ارتكاضــاً ومشَـــيْنا إلى الـــوراء ارتجاعـــا
في سـبيل الأفـراد هُوجـاً رِكاكـاً ذهـــب الشـــعب كلُّـــه إقطاعـــا
طعنــوا في الصــميم مــن يــركُن الشــعبُ إليــه ونصــبُّوا القُطّاعــا
شــحنوهم مــن خــائنٍ وبــذيءٍ ومُريـــبٍ شـــحنَ القِطـــارِ المتاعـــا
ثــمّ صبوهمُ عــلى الــوطن المنكــوب ســـوطاً يلتـــاع منـــه التياعـــا
خمَــدت عبقريــةٌ طالمــا احتيجــتْ لتُلقـــي عـــلى الخطـــوب شُـــعاعا
وانـــزوت في بُيوتهـــا أدبـــاءٌ حَطَمــت خِيفــةَ الهــوان اليراعــا
مــلءُ دور العــراق أفئــدةٌ حَــرَّى تَشـــكّى مـــن الأذى أنواعـــا

وجهــــودٌ سُـــحِقن في حـــينَ ... ترجَّـــتْ منهـــا الـــبلاد انتفاعـــا
فكـأنَّ الأحـرار طـرّا عـلى هـذي ... النكايــــات أجمعـــوا إجماعـــا
اثـأري أنفساً حُبسـن عـلى الضيم ... وكـــيلي لـــلشرّ بالصـــاع صـــاعا
واســـتعيني بشـــاعر وأديـــب ... وأزيحــــي عــــمَّا تَــــرينَ القِناعـــا
لا يُـــراد الشـــعورُ والقلـــمُ الحـــرّ ... إذا كـــــان خائفــــاً مُرتاعـــــا
هيَّجـوا النـار أنهـا أهـونُ الشرّيـنِ ... وقعــــاً ولا تَهيجـــوا الطباعـــــا
إنَّ هـــذي القـــوى لهُـــنَّ اجـــتماعٌ ... عـــن قريـــب يهـــدّد الاجتماعـــا
عصـفت قـوَّةُ الشـعوب بأرسـى ... أمـــم الأرض فـــاقتُلِعن اقتلاعـــا
أنـهِ هـذا الصراع يا دمُ بـين الشعب ... والظلـــم قـــد أطلـــت الصراعـــا

***

سلمى أيضاً..

أو وردة .. بين أشواك

اسلَمي لي سَـلمى وحسـبي بقـاكِ ... إنَّ فيـــه بقـــاءَ مـــن يَهـــواكِ
يســـتجدُّ الحيـــاةَ للمـــرء مـــرآك ... ويُحيـــي ذكـــرى الشـــباب غِنـــاك
جـــذبتني عينـــاكِ حتـــى إذا مـــا ... ألهَبَتْنـــــي تحرَّكَـــــت شـــــفتاك
ولقـــد هانـــت الصـــبابةُ لـــو أنّـــى ... أتتْنــــي تَعِلــــةً مــــن لُمــــاك
وأرتْنـــي يـــداكِ يبتـــدران الـــرَّقصَ ... أضـــعافَ مـــا أرتْ قـــدَماك
تلتـوي هـذه كـما التَـبسَ الخَـيْطُ ... وتلتَـــــفُّ تلــــكَ كالشُــــبّاك
تعترينـــي خـــواطرٌ فيـــكِ أحيانـــاً ... فارتـــــدُّ بـــــاديَ الارتبـــــاك
تتحّـــرى كفّـــاي تقليـــدَ كفيَّـــكِ ... وتحكـــي خُطـــايَ وقـــعَ خُطـــاك

فأنـــا في انقِباضـــةٍ وانبســـاطٍ تـــارةً وانفراجـــةٍ واصـــطكِاك
وانتقاضٍ طَوراً كما انتقض الطائرُ مـــن وَقفـــةٍ عـــلى الأســـلاك
ويـــراني مـــن لـــيس يـــدري كـــأني بِيَ مـــسٌّ وقـــد أكـــونُ كـــذلك
أنـــا أهـــواكِ لا أريـــدُ جـــزاءً غـــيرَ علـــم بـــأنني أهـــواك
اطلُبيني بـــين الجمـــوع عـــلى حـــينِ احتشـــادٍ مـــا بيـــنهم واشـــتباك
تعرفينـــي مـــن دونهـــم بسِـــماتي والتفـــاتي وحـــيرتي وانهماكـــي
رُبَّ يـــوم فيـــه تصـــيَّدني الهـــمُّ كـــما صـــيِد طـــائرٌ بشِراك
وكـــأني أرى الحيـــاةَ بمســـودِّ زُجـــاج فكـــلُّ شيءٍ بـــاكي
مـــلءَ نـــفسي وغرفتـــي يـــتراءى شَـــبَحُ الهـــمَّ لي ومـــلءَ السِـــكاك
لم تكـــن ســـلوةٌ لقلبـــي عـــمّا أنـــا فيـــه إلا بـــأنّي أراك
قـــد شـــكوناكِ لا لـــذمٍّ ولكـــن لـــيس يحلـــو الغـــرامُ إلا لشـــاكي
لي قلـــبٌ لـــو جـــاز نســـيانهُ صـــدريَ يومـــاً لجـــازَ أنْ ينســـاك
يتنـــزَّى طـــولَ الليـــالي ولا مِثـــلَ تَنزيِّـــه إن جَـــرَت ذكـــراك
ويَرَى تـــارة مـــن اليـــأس مـــن لُقيـــاكِ مستســـلماً بغَـــير حـــرَاك
أنـــتِ ســـلمى وُليِّـــتِ مُلكـــاً فسوســـيه برفـــقٍ بحَـــق مـــن وَلاّك
وهبَيـــه عهـــدَ اقتطـــاع وكانـــتِ لـــك في الحكـــم أُســـوةٌ بسِـــواك
فـــارعَي لقلـــبَ حرمـــةً مـــثلما تَـــرعَيْن مُلكـــا يُجْنـــى مـــن الأمـــلاك
افتحـــي لي بـــابَ السرور فقـــد سُـــدَّ وبـــابُ السرور لي شـــفتاك
واطـــرُدي هـــذه الهمـــومَ وسَـــلّي حُـــزن وجهـــي بوجهـــك الضحّـــاك
في يَـــديك الجميلتَـــينِ إذا شـــئتِ ارتهـــاني ومـــن يَـــديَك فَكـــاكي

إن رأيتِ الحديثَ يمتازُ بالرقةِ والُلطف فيكِ عمَّن عَداك

والقوافي يَلَذُّها السَمْعُ من دونِ قوافٍ تشدو بحسن سواك

فلأني أُجِلُّ حبَّك عن أنْ يُتَلقَّى إلا بقَلبٍ ذاكي

ولأن الشعورَ يُوريهِ إبداعُكِ وَرْيَ الزِنادِ بالاحتِكاك

إن هذا الجمالَ سَلمى غذاءُ الروُح لولاهُ آذَنَتْ بهَلاك

وأرى مَن يلومُ فيه كمن يرشِدُ ذا بُلغةٍ إلى الإمساك

أو كساعٍ يَسعى لتجفيف ماءِ النَهر إشفاقةً على الأسماك

الرَعاعُ الرَعاعُ.. والجَدَل الفارغُ إني من شَرّهم في حِماك

ضايقتْني حتى بإدراكي الحسنَ نفوسٌ ضعيفةُ الإدراك

تقتضي الناس أنْ يكونوا صدى الأهواءِ منها كما تكونُ الحواكي

قال لي صاحبي يزهِّدُني فيكِ بهذي المُغالَطاتِ الرِكاك

لكَ فيها مُزاحِمون وما خيرُ غَرام يكونُ بالاشتراك

قُلت: أخطأتَ لا أبالي وهَبْها وردةً في منابتِ الأشواك

أتُراني أعافُها ثم هَبْني أنني في عواطِفي اشتِراكي

أنا هذا أنا وما كنتُ يوماً في شُعوري ونَزعتي بمَلاك

ثم إني أجَلُّ من أن أُماشي في مذاقي جماعةً وأُحاكي

أنا أهوى ما أشتَهيه ومن لا يرتَضيني قامَتْ عليه البَواكي

أنا مذ كنتُ كنتُ ما بين نفسي والسخافاتِ هذِه في عِراك

***

تائه في حياته!..

قـلَّ صـبري عـلى زمـانِ ألـدِّ ... وخُطـوبِ ألبَسَـنْنَي غـيرَ بُـردي
وتقاليـدَ لا تطـاقُ ونـاسِ ... لا يُجيـدون غـيرَ لُـؤم وحِقْـد
آنسـت مَـنْ معـي قـوافٍ حِسـانٌ ... سـوف تبقى أُنْسَ الشـجيِّن بعـدي
حملـتْ همَّهُـمْ ورُحْـتُ غريبـاً ... عـنهمُ حـاملاً همـوميَ وحـدي
أفرَشـوني شـوكَ القتـاد وخصُّـوا ... بالريـاحين كـلَّ جِـبْسٍ ووَغْـد
وزَوَوْا كـلَّ مـا أودُّ احتكـاراً ... وأتـوني بكـل مـا لم أودّ
وأجـالوا أفراسَـهُمْ في مَـلاهٍ ... ضربـوا بينهـا وبينـي بِسُـدّ
ثـم قـالوا صـفِ الحيـاةَ بلطـفٍ ... رغـمَ أنَّ الحيـاةَ تجـري بضـدي
كيف يسطيعُ رسمَ شَكلِ المسرّاتِ ... نزيـلٌ في غرفـة مثـلِ لَحْـد
تائـه في حياتـه لـيس يَـدري ... أيُّ بـابٍ إلى السُّرورِ يُـؤدّي
قـد وصـفتُ الشَّـقاءَ أروعَ وَصـفٍ ... مـن بـلاءٍ وخـبرةٍ مسـتَمَدّ
وأرَيْـتُ النـاسَ الحيـاةَ جحـيماً ... قاذفـاً أنْفُسـاً لطافـاً بوقْـد
فـأروني رفاهـةً ونعـيماً ... لأُريكـم تصـويرَ جنـةِ خُلْـد
صـدماتُ الزمـانِ تُبْقـي خدوشـاً ... في أصَـمٍّ مـن الجلاميـدِ صَـلْدْ
أفتنجـو مـن هـذه الغَـيرِ السـودِ ... خلايـا دم وقطعـةُ جِلـد
أكلـتْ قلبـيَ الهمـومُ وهـدّت ... كـلّ حولي واستنزفتْ كلَّ جهدي
فـتراني ولـيس غـيرُ اطِّـلابٍ ... لكفـافٍ مـن المطاليـبِ عنـدي
بـدلاً مـن تقلُّبـي في نعـيم ... سـابغ الظـلِّ ذي أفـانينَ رَغْـد
هـذه العيشـةُ الرفيهـةُ لا عـركُ ... زمـانٍ مـلآنَ بـالنحس نكْـد

مـا عسـى تبلُـغُ القناعـةُ مـن نفـس طـروبٍ لغيرِهـا مسـتعِد
أيـن مـن تسـتثيرُ طبعـي بهـزاتِ التصـابي منهـا وتقـدَحُ زنـدي
مـن تشـكي الغـرام والوجـدِ إني ذو احتيـاج إلى غـرام ووجـد
قـد سئمتُ الجفـافَ في العـيش لا رشـفةٌ ثغـرٍ ولا نعومـةُ خـدّ
وردةٌ مـن حديقـةِ الشـعرِ أُهـديها إلى مطعمـي بقطفـةِ ورد
لـيس عنـدي أعـزّ منهـا وحسـبي أننـي خـيرُ مـا تملكـتُ أُهـدي
أشـتهي عُلْقـةً بحبـلِ غـرام أَوْجـدِيها ولـو بكـاذبِ وعـد
لسـت أدري فـربّما كـان نـحسي في غرامـي وربّـما كـان سـعدي
غـيرَ أنيّ أُحـسُّ أنَ شـعوراً تسـتفزينه بُقـربٍ وبُعـد
لا تَشِـحّي ولا تجـودي ولكـنْ اتركينـي مـا بـين جَـزْر ومَـد
ثـم قـولي هـاكَ الـذي تبتغيـه ثـم لّمـا أقـولُ هاتيـه رُدّي
لوحـةٌ ماهـا نظـيرٌ وقوفُ العاشقِ الصبِ بينِ أخذٍ وردْ
لا لأجـلي لكـنْ لأجـلِ التّلهـي بقـوافي حرّكـي بعـضَ وَجْـدي
أَولا تـرغبين أن يَتَغّنـى بمعانيـكِ مُعْجَبـاً كـلُّ فـرد
رُبَّ جسـم يَـبْلى بـه عبقـريٌّ لا يـرى عـن تَصْـويرِهِ مـن مَـردّ
حاشـدِ الـذهنّ بالصـبابةِ يـأتي مـن ضُروبِ البيـان فيهـا بحشْـد
وتـراه عَفْـوَ القريحـةِ يَخْتـارُ أناشـيدَ تُعْجِـزُ المتصـدِّي
سَـهُلَتْ فهـو مثـلُ سـيلِ تَجـارى في مسـيلِ دَمْـثٍ يُعيـد ويُبـدي
يَلمِـسُ الشـيخُ في قوافيـه بُقيـا أثَـرٍ مـن شـبابهِ المسـتَرَدّ
ويُعيـدُ الصِـبا إليـه ويلقـى في مريـرِ الـذكْرى حـلاوةَ شُـهْد
فهـو يُسْـدي إلى الوجـودِ جمـيلا وهـو لـولا الغَـرامُ مـا كـانُ يُسْـدي

ولقـد تَضْـمنُ البداعـةَ في الفـنِّ ... وتخليــــدهِ بضاضــــةُ زنــــد
مــا عرفنــا دعدّيــةً تتصّــبى ... كــلَّ نَفــسٍ لــولا تحكُّــمُ دَعْــد
لا جفــافُ الحجــاز أضرمَ تلــك ... الــروحَ فيهــا ولا خشــونةُ نجــد
هــي إلهامــةٌ يَنِــزّ لهــا الحــبُّ ... عــلى الشــاعرينِ مــن غــير قَصْــد

***

عريانة

أنــتِ تــدرين أننــي ذو لُبانَــهْ ... الهــوى يســتثيرُ فيَّ المَجانَــهْ
وقــوافيَّ مثــلَ حُســنك لمــا ... تَتَعــرَّينَ حــرّةٌ عُريانــة
وإذا الحــبُّ ثــار فيَّ فــلا ... تَمْنَــعُ أيُّ احتشــامة ثوَرَانــه
فلــماذا تحــاولين بــأنْ أعلــنَ ... مــا يُنكِــرُ الــورى إعلانــه
ولمــاذا تُهيِّجِــين مــن الشــاعِر ... أغفــى إحساسُــهُ بركانــه
لا تقــولي تجهُّــمٌ وانقبــاضٌ ... بُغْضــا منــه وجهَــه ولســانه
فهــما ثــورةٌ عــلى الــدهر منّــي ... كجَــواد لا يــرتضي مَيدانــه
أنــا في مجلــسٍ يضــمُّكِ نشــوانُ ... سروراً كــأنني في حانــه
لــو تُحسِّينَ مــا أحــسُّ إذا رجَّفْــتِ ... في الــرَّقص بطنَــك الخمصــانه
رجفــة لا تمــسُّ مــا بــين رفْغَيْــكِ ... وتُبقــي الصــدرَ الجميــلَ مكانــه
والــذراعَينَ كــلُّ ريانــةٍ فعــماءَ ... تَلْقــى في فَعمــةٍ رَيّانــه
والثُــدِيَّيْنِ كــلُّ رُمانــة فرعــاءَ ... تَهــزأ بأُختِهــا الرُمّانــه
عاريــاً ظهــرُك الرشــيقُ ... تحــبُّ العــينُ منــه اتســاقَهُ واتزانــه
مــا بــه مــن نحافــةٍ يُستَشَــفُّ ... العظــمُ منهــا ولا بــه مــن سَــمانه

خُصَّ بالمحض من بُلَهْنَيةِ العَيشِ ... وأُعطي من الصبا عنفوانه
وتراه يجيء بين ظُهور ... الخُرَّدِ الغيدِ سابقاً أقرانه
إذ تميلين يَمنة ويَساراً ... مثلما لاعبت صَباً خيزرانه
عندما تبسمين فينا فتفترُّ الشفاهُ ... اللطافُ عن أقحُوانه
إذ يحار الراؤون في حُسنك الفتّانِ ... بل في ثيابك الفَتّانه
رُب جسم تُطرى الملاحةُ فيه ... ثم تَعدوه مُطرياً فُستانه
ما به من نقيصةٍ وكأنّ ... الثوب أضحى متمماً نُقصانه
إن كفاً قاست عليك لباساً ... مثلَ هذا مهّارةٌ شيطانه
عَرَفتْ كيف تَبرزين إلى ... الجمهُور فيه لتخلِبي أذهانه
ضيَّقت مُلتقى نهودكِ ... والكشْحَين منه وشمرَّت أردانه
وأشارت إلى اللعوبَيْن بالألباب ... منا بوردةٍ مُزدانه
ليت شعري ما السرُّ في أن بدت ... للعَين جَهراً أعضاؤكِ الحُسّانه
واختفى عضْوُك الذي مازَه الله ... على كل ما لديك وزانه
الذي نال حُظوةً حُرِم الإنسانُ ... منها وخُصَّت الإنسانه
وتمنّى على الطبيعة شَكلا ... هو من خير ما يكونُ فكانه
وَمحلاً خِصبا فحلَّ بوادٍ ... أنبتَ اللهُ حولَهُ ريحانه
لم يُرد من يَراه مُتعةَ نَفسٍ ... أن يُغَطّى ولم يُردْ كِتمانه
ككتابٍ كشَّفت عن صفحتيهِ ... ثم غطيَّت عَنوةً عُنوانه
أو غَديرٍ جمِّ المسارِبِ عذبٍ ... حَرمّوه وحلَّلوا شُطْئانه
هيكلٌ من هياكِل الله ... سُدَّ البابُ منه وكفنّوا صُلبانه
جسمُك الغضُّ منطقٌ يدحَض ... الحجّة لو لم تُستِّري بُرهانه

مـلءَ عينـي رأيـت منـكِ | مع الأخرى غـرامَ البَنـاتِ يـا فتّانه
رشـفةٌ قـد حُرِمْتُهـا منـك باتـت | عنـد غـيري رخيصـةٌ مُسـتَهانه
إذ تلهَّتْ بمَحزِم منك بُغيا النفس | مـن أن تسـتطيع منـكِ احتضـانه
وثنَـتْ كفَّهـا إلى مهبِط الأشـواقِ | منـيّ فمَسـحَّت أركانـه
معهـا « بعسـتِ » خفـةٌ ومُجونـا | ومعـي « بِعستِ » عفّـةٌ ورزَانـه
لـو كإتيـان هـذه لـك آتي | رجـلا لم تحبِّـذي إتيانـه
أتُريـدين أن أقـولَ لمـن لم | يـدر مـا بينكُنَّ مـن إدمانـه
فتيات الهوى استبحن من اللذات | مـا لم يُبِحنَـه فتيانـه
أعروسـان في مكـان وعِرِّيسـانِ | كـلٌ مـنهم يُخَـلِّي وشـانه

***

حافظ إبراهيم

نَعـوا إلى الشِـعرِ حُراً كـان يرعـاهُ | ومَـنْ يَشُـقُّ عـلى الأحـرارِ مَنعـاهُ
أخنـى الزَّمـانُ عـلى نـادٍ «زهـا» زَمناً | بحـافِظٍ واكتسـى بـالحُزنِ مغنـاه
واستُدْرجَ الكوكَبُ الوضاءُ عن أُفُقٍ | عـالي السَّـنا يُحْسِرُ الأبصـارَ مَرقـاه
أعْـززْ بأنّـا افتقَـدناهُ فأعوزنـا | وجـهٌ طليـقٌ وطَبـعٌ خـفَّ مجـراه
وأنَّ ذاكَ الخفيـفَ الـروح يُوحشُـه | بيـتٌ ثقيـلٌ عـلى الأحيـاءِ مَثـواه
ضـيفٌ عـلى رِمَـم شـتَّى طبائعُهـا | مـا كـانَ يجمعُهـا حـالٌ وإيـاه
إنَّ الـذي هـزَّ كـلَّ النـاس مَحضَرُهُ | لم يبـقَ في النـاس منـه غـيرُ ذكـراه
نـأت رعايَتُنـا عنـه وفارقَنـا | فِـراقَ مُحتَشـم فلْيَرْعَـهُ الله
حـوى الـتُرابُ لِسـاناً كُلُّـهُ مُلَـحٌ | مـا كـلُّ مُحـتَرِفٍ لـلشِّرِ يُعطـاه

للأريحيَّـــةِ مَنْشـــاهُ ومَصْـــدرُهُ ... وللشَّـــجاوةِ والإينـــاسِ حَـــدّاه
جـمٌّ البَدائـهِ سَهْـل القـولِ ريِّضُـه ... وطالمـا أعــوزَ المِنطيــقَ إبــداه
جَـلا القِـراعُ الشـبا منـهُ ولطفَّـهُ ... طـولُ التَّجـارِبِ في الـدُّنيا ونقَّـاه
تخـيَّرَ الكَلِـمَ العـالي فَسـلَّطهُ ... عـلى القـوافي فحَلاهـا وحـلاّه
ومَـدَّها ببنَـاتِ الفِكـرِ مُرسَـلةً ... تَرَسُّـلَ السَّـيلِ أدنـاهُ كأقصـاه
مـن كـلِّ مَعنـىً لطيـفٍ زاد رونَقَـهُ ... إبـداعُ « حـافِظَ » فيـهِ فهـو تيَّـاه
فلـو يُطيـق القـريضُ النُّطـقَ قابلـهُ ... بالشكرِ عن حُسن ما أسدى فأطراه
عـرائسٌ مـن بنـات الفكـر حاملةٌ ... مِـن حـافظٍ أثَـراً حُلـواً كسِيماه
ومـا الشُـعورُ خيـالُ المـرءِ يَنْظِمـهُ ... لكنَّـهُ قِطِعِـاتٌ مِـن سـجاياه
أخـو الحـماسِ رقيقـاً في مقاطعـهِ ... تكـادُ تُلْمـسُ نِـيرانٌ وأمـواه
وذو القـوافي لِطافـاً في تَسَلسُـلها ... مـا شـانَها عنَـتٌ يومـاً وإكـراه
وابـنُ السِـنينَ نَقيَّـاتٍ صـحائفُها ... أُولاه فائضـةٌ حُسـناً وأُخـراه
فـإنْ يكُـنْ خُضِـدت بـالموتِ شـوكتُهُ ... أو نـالَ وقـعُ البِلى منـهُ فعـرّاه
فـما تـزالُ مَـدى الأيـام تُؤنسُـنا ... نظـائرٌ مِـن قوافيـهِ وأشـباه
شِـعرٌ تُحِـسُّ كـأنَّ النفسَ تَعشَـقُهُ ... أو أنَّهـا اجتُـذِبَتْ بالسِـحر جـرّاه
زانَـتْ مواقِفَـهُ جُنديَّـةٌ كُسِـيَت ... مـن الرزانـة مـا لمْ تُكْـس لـولاه
مشـى بـمصرَ فلـم يَعثُر بهـا ورمـى ... مُحتـلَّ مِصرَ فلـم يُخطِئْـهُ مَرمـاه
رِيـعَ القـريضُ بفـذٍّ كـانَ يملـؤهُ ... مِـن الجميلـينِ مَبنـاهُ ومَعنـاه
يُعطـي لكـلِّ مَقـام حقَّـهُ ويَـرى ... حقّـاً لسـامعهِ لابُـدَّ يَرعـاه
قـد يُوسِـعُ الأمـرَ تفصـيلاً يُحتِّمُـه ... حـالٌ وقـد يَكتفـي عنـهُ بفَحـواه
وقـد يجـيءُ بـما لم يَجْـرِ في خَلَـدٍ ... وقـد يقـولُ الـذي لم تهـوَ إلاّه

فَـمٌ مِـن الـذهب الإبريـزِ مَنطِقُـهُ — جـاءتْ تُعـزّي بـه الأشـعارَ أفـواه
اليـومَ يبكيـهِ دامـي القلـبِ طارَحَـهُ — بِــداميـاتِ قوافيــهِ فواســاه
وضـيِّقُ الصـدرِ بالأيـام غالطَـهُ — عــنِ الحيــاةِ ومــا فيهــا فعـزّاه
حَسْبُ الزمانِ وحِسبُ الناسِ مَنقصةً — أن طالَ من حافظٍ في الشِعر شكْواه
مـا للزمـانِ ونفـسٍ ريـعَ طائُرهـا — ألمْ تكــنْ في غِنــىً عنهــا رزايــاه
ضَـحيَّةَ المـوتِ هـل تهـوى مَعـاودَةً — لِعــالمٍ كنــتَ قَـبلاً مِــن ضَـحاياه
يـا ابـنَ الكِنانـة والأيـام جـائرةٌ — والــدهرُ مُغْرَمــةٌ بــالحُرِّ بَلْــواه
لُقِّيـتَ مِـن نَكَـدِ الـدُّنيا ومحنتهـا — مـا كنـتَ لـولا إبـاءٌ فيـكَ تُكفـاه
ما لـذَّةُ العيشِ جَهلُ العَيشِ مَبدؤهُ — والهــمُّ واسِــطهُ والمــوتُ عُقبــاه
يـا ابـنَ الكِنانـة مـاذا أنـتَ مُشتَمِلٌ — عليــه ممَّــا سَــطا مَــوتٌ فغَطّــاه
سِتّونِ عامـاً أرتْـكَ النـاسَ كُنهَهَمُ — والــدهرَ جـوهرَهُ والعُمْــرَ مَغـزاه
وبَصَّرتــكَ بأطبــاع يَضـيقُ بهــا — صــدرُ الحلــيم وتأبــاه مَزايــاه
بَـدا عـلى نَفثَـاتٍ منـكَ خالـدةٍ — عــيشُ الأبــاة ونُعمــاهُ وغُمّــاه
وخَبَّرتنـا القـوافي عـن أخـي جَلَـدٍ — صُـلبِ الإرادةِ يُعْيـي الـدهرَ مأتـاه
خـاضَ الزمـانَ وأبـلاهُ مُمارسـةً — لم يَخْـفَ عنـه خبـيٌّ مِـن ثنايـاه
وعَـنْ مصـارَعةِ الـدُّنيا عـلى نَشَـبٍ — الحَــالُ تُوجبــهُ والــنفسُ تأبــاه
وعن مواقـفَ تُـدمي القلـبَ غُصَّتُها — لا المــالُ يَــدفعُ ذِكراهـا ولا الجـاه
وعــن أذايـا تهـدُّ الـنفسَ مَحمِلُهـا — ويَســـتثيرُك جانيهـــا ومَـــرآه
إنَّــا فَقَــدناهُ فقْــدَ العــيَنِ مُقلتهــا — أو فقْــدَ ســاعٍ إلى الهيجــاءِ يُمنــاه
ما انفكَّ ذِكرُ الرَّدى يجري على فمه — ومــا أمــرَّ الــرَّدى بــل مــا أُحـيلاه

ومَـنْ تُـبَرِّحْ تَكـاليفُ الحياةِ بـه ... ويَلْمِـسُ الـرَّوْحَ في مَـوتٍ تمنَّـاه
إنّي تعشَّقتُ مِن قَبلِ المُصابِ به ... بيتاً لـه جاء قبلَ المـوتِ يَنعـاه
ودَعتُـهُ ودُمـوعُ العـينِ فائضـةٌ ... والـنَّفسُ جياشـةٌ والقَلـب أواه

***

فيصل السعود

عـلى سَـعةٍ وفي طُنَـفُ الأمـان ... وفي حَبّـات أفئـدةٍ حـواني
بقـرب أخـيهما كرمـاً ولطفـاً ... وثـائرة يُسَرُّ الرافـدانِ
فتـى عبـد العزيـز وفيـكَ مـا في ... أبيـك الشْـهم مـن غُـررِ المعـاني
لأمـرّ مـا تُحـس مـنِ انعطـافٍ ... عليـك ومـا تـرى مـن مهرجـان
تأمـلْ في السُّـهول وفي الـروابي ... ومختلِـف الأبـاطح والمغـاني
ألسـتَ تـرى ارتياحـاً وانطلاقـاً ... يلـوح عـلى خمائلهـا الحسـان
وفي شـتى الوُجـوه تـرى انبسـاطاً ... ولـو في وجـه مكتئـب وعـاني
وذاك لأن كـلَّ بنـي سُـعودٍ ... لهـم فضـل عـلى قـاصٍ وداني
وأنّهُـمُ الملاجـئ في الرزايـا ... وأنهُـمُ المطـامحُ والأمـاني
وأنـك والـذي أُوفِـدْتَ عنـه ... أبـاك مـلاذةُ الحـر المُهـانِ
تسوسـون الرعيـة بالتسـاوي ... بفـرط العـدْل أو فـرط الحنـان
فـلا مثـلَ الجنـاة يُـرى بـريء ... ولا بَـدَلَ الـبريء يُعـافُ جـاني
لكـم في ذمـة الأحـرار دَيْـنٌ ... وأكـرِمْ بالمـدُين وبالمُـدان
أبـوكَ ابـن السـعود أبـو القضـايا ... مشرفـةٌ عـلى مـرّ الزمـان
ولَمـحُ الكوكـب المُلْقـي شُـعاعاً ... عـلى شُـعَب الجْزيـرة والمَحـاني

ورمــــزُ العبقريـــةِ في زمــــان بـــه للعبقريـــة كـــلُّ شـــان
لهـــا كُتِـــبَ الخلـــودُ ومـــا ســـواها بـــرغم دعايـــة الـــداعين فـــاني
ولم أر مثلَـــــــهُ إلا قلـــــــيلاً مهيبـــاً في الســـماع وفي العِيـــان
كـــأني منـــه بـــين يَـــديْ هِزبَـــرٍ أخـــي لِبَـــدٍ عـــلى بُعـــدِ المكـــان
أقـــول الشـــعر محتفظـــاً وئيـــداً كـــأني خـــائفٌ مـــن أن يـــراني
وقـــى اللهُ الحِجـــازَ ومـــا يليـــهِ بفضـــل أبيـــك مـــن غُصَـــصِ الهـــوان
ومتَّـــعَ ذلـــك الشـــعبَ الموقَّـــى بســـبع ســـنينَ شـــيقةٍ سِـــمان
عـــلى حـــينَ اصـــطلى جـــيرانُ نجـــد بجمـــر لظـــىً وســـمّ الأفعـــوان
وقـــد رقَّـــت لهـــا حتـــى عِـــداها لكـــابوس بهـــا مُلقـــى الجِـــران
أرادَتْـــه اضـــطراراً لا اختيـــاراً ولـــيس لهـــا بدَفْعَتِـــه يـــدان
فليـــت الســـاهرين عـــلى دَمـــارٍ فـــداءُ الســـاهرين عـــلى الكِيـــان
ومـــا سِـــيانِ مشـــتملون حَزْمـــاً ومشـــتملون أحزمـــةَ الغـــواني
تُحـــاك لـــه الدســـائسُ تحـــت ليـــل مـــن الشـــحناء داجـــي الطَّيْلســـان
عـــلى يـــد مصـــطلينَ بـــهِ غِضـــابٍ عـــلى علیائـــه حـــرِدِي اللســـان
وحُسّـــاد لـــذي شرف مَهيـــب رَمَـــوْا منـــه بسُـــلٍّ واحتقـــان
مـــن القـــوم الـــذين إذا استُجيشـــوا ذكـــا لأُنـــوفهم أَرجُ الجِنـــان
مشـــى للنـــاس وضّـــاحاً وجـــاءوا إلـــيهم تحـــت أقنعـــة القِيـــان
فقـــل لهُـــمُ رويـــداً لا يَطيشـــوا ولا يَغُـــررْهُمُ فـــرطُ التـــواني
فبالمرصـــادِ صِـــلٌّ أرقمـــيٌّ شـــديدُ الـــبطش مرهـــوبُ الجَنـــان
يُـــريهِمْ غفلـــةً حتـــى إذا مـــا تمـــادَوْا في اللّجاجـــة والحِـــران

مشى لهم كأروع ما تراه حديدَ الناب محتشدَ الدُّخان
وقال لشيخهم إن شئتَ ألا أراك ترفعاً أفلا تراني
إذا لم تَقْوَ أن تبنى فحايد وكن شَهمْا يقدِّرُ صنعَ باني
مَشَيْتُمْ والملوكُ إلى مجالٍ به أحرزتُمُ قَصَبَ الرِّهان
فجاء مقامُهُمْ عنكم وضيعاً مقام الزَج زلَّ عن السِّنان
فلا تحسَبْ بأن دعاةَ سُوءٍ تحرَّكُ من فلانٍ أو فلان
ولا شتى زخاريفٍ ركاكٍ ولا شتى أساليبِ هِجان
تَحَوَّلَ عَنْكُمُ مجرى قُلوب موجهةٍ إليكم بِاتزان
يُسُرُّ الناسَ أنَّ فتىً كريماً يُسَرَّكما يعاني ما يعاني
ترفع يا سرور عن القوافي فإنكَ لَلْغنيُّ عنِ البيان
وَهبني كنتُ ذا حَصَرٍ عِيِيّاً وهبني كنت منحبسَ اللسان
فما قدْرُ العواطف والنوايا إذا احتاجت لنقْلِة تَرجمان

***

الأنانية

أرى الدهر مغلوباً وغالبا فلا تَعتِبَنْ لا يسمعُ الدهرُ عاتبا
ولا تكذبنْ ما في البرية راحمٌ ولا أنت فاتُرُكْ رحمةً عنك جانبا
تمكّنَ ذو طَوْلٍ فأصبح حاكماً وجنّب مدحوراً فأصبح راهبا
وفاتت أناساً قدرةٌ فتمسكنوا ولم يُخْلقوا أُسداً فعاشوا ثعالبا
إلى روح «مكيافيل» نفحُ تحية وصوبُ غمام يترك القبرَ عاشبا
أبان لنا وجهَ الحقيقةِ بعد ما أقام الورى ستراً وحاجبا

ولـو رُمـتُ للعَـوْرات كشـفاً أريـتُكُمْ — مـن النـاس حتـى الأنبياءِ عجائبـا
أريـــتكُمُ أنَّ المنـــافعَ صُـــوِّرتْ — محامــدَ والحرمــانَ منهــا معايبــا
أريـــتكُمُ أنَّ ابـــنَ آدمَ ثعلـــبٌ — يماشـيك منهوبـاً ويغـزوك ناهبـا
لحفـظ « الأنانيـاتِ » سُـنَّتْ مناهـجٌ — عـلى الخلـق صَبَّتْ محنـةً ومصائبا
يجـرُّ سـياسيٌّ عليهـا خصـومَه — ويـدرك دينـيٌّ بهـنّ المطالبـا
فـإن تـرني مسـتصرخاً مـن مُلِمَّـة — على الناس إذ لم أخدع الناسَ صاحبا
فلـيس لأني ذو شـعور وإنّـما — أردتُ عـلى الأيـام عونـاً وصـاحبا
هي النفس نفسي يسقط الكلُّ عندها — إذا سَلِمتْ فليذهبِ الكونُ عـاطبا
بـلى ربـما أهـوى سـواها لأنـه — يُجُـرُّ إليهـا شـهوةً ومآربـا
ولـو مُكِّنَتْ نفسي لأرسلتَ عاصفاً — على الناس يَذروهم وفجَّرتُ حاصبا
فلـو كنـت دينيّـا اتخـذت محمـداً — وعيسـى وموسـى حجـة وركائبـا
تناهبـتُ أمـوالَ اليتـامى أحوزُهـا — وأجمعُهـا باسـم الديانـة غاصـبا
ومهـدتُ لي عيشـاً أنيقـاً بظلهـا — ومتعـتُ نفسي منـه ثـم الأقاربـا
ولـو كنـتُ مـن أهـل السياسة لم أدَعْ — سـناماً لمـن أرتـابُ فـيهم وغاربـا
تخذتُ الـورى بـالظن أُحصي خطاهُمُ — ورُحْـت لـدقاتِ القلـوبِ محاسبا
ولم أرَ في الإثـم الفظيـع اقترفتُـه — سـوى أنني أدّيتُ للحكـم واجبـا
فـإن لم أُطِـقْ تهـديمَ بيـتٍ مصـارحاً — أتيـتُ فهـدَّمتُ البيـوتَ مواربـا
لجـأتُ إلى الدُّسْـتُور في كـل شـدةٍ — أفسّر منـه مـا أراه مناسـبا
وجردتُـهُ سـيفاً أمـضَّ وقيعـةً — من السيف هنديا وأمضى مضاربا
أكُـمُّ بـه الأفـواهَ حقـاً وبـاطلاً — وأخْنُـقُ أنفاسـاً بـه ومواهبـا

أُهـدّمُ فيـه مجلسـاً لِيَ لا أُريـدهُ   وإن ضمَّ أحـراراً غَيـارىَ أطايبـا
وأبنـي عليـه مجلسـاً لِيَ ثانيـا   أضيّع «ألكاكـاً» عليـه رواتبـا
أُحشّـد فيـه أصـدقائي وأسرتي   كما ضـمّ بيـتٌ أُسرةً وصـواحبا
فـإن لم تكـن هـذي لجـأتُ لغيرهـا   أخـفَ أذىً منهـا وألـين جانبـا
أُرشحُ من لم يعـرفِ الشعبُ باسمه   أباعـدَ عنـه لفقّـوا وأجانبـا
أُسـخّرهم طـوراً لـنفسي وتـارةً   أُصبّ على الأوطان منهم مصائبا
وأغريـت بـالتلطيف أسْحَرُ شـاعراً   وأغـدقت بـالأموال ُخْدَعُ كاتبـا
فهـذا يسمى الجـورَ حزمـاً وحكمـةً   وذلـك يعتـدُّ المخـازي مناقبـا
ولـو كنـتُ فنانـاً ولـو كنـتُ عـاملاً   ولـو كنـتُ أُميـاً ولـو كنت كاسبا
ولـو كنت مهـما كنـت فـرداً فـإنني   لأجهَـدُ في تحطـيم غـيريَ دائبـا
ولا أعـرف التـاريخَ يهتـاج سـاخطا   علـيّ ولا الوجـدانَ يرتـدُّ غاضبـا
فـما كانـت الأعـذار إلا لخامـلٍ   ومـا كنـت إلا طـامحَ النفسِ واثبـا
دعـوني دعـوني لا تهيجـوا لـواعجي   ولا تبعثـوا منـي شـجوناً لَواهِبـا

****

أحمد شوقي

طـوى المـوتُ ربَّ القـوافي الغُـرَرْ   وأصـبحَ «شـوقي» رهـينَ الحُفَـرْ
وأُلقِـيَ ذاكَ الـتُّراثُ العظـيمُ   لِثقـلِ الـتّراب وضـغطِ الحَجـر
وجئنـا نُعـزّي بـه الحـاضرين   كـأنْ لم يكـنْ أمسِ فـيمن حضر
ولم يُنـتج السُـورَ الخالـداتِ   مـن المُلحقـاتِ بـأمِّ السُّـوَر
مـن الـلاَّءِ يهتـزُّ منهـا النـديُّ   ويُطـربُ إيقـاعُهُنَّ السَّـمر

بـــرغم الشُّـــعورِ يشُـــلُّ الـــبِلى ... لســـانَكَ أو يعتريـــكَ الكـــدَر
وأن يقطـــعَ المـــوتُ ذاك النشـــيدَ ... وأن يأكـــلَ الـــدودُ ذاكَ الـــوتَر
وأنَّـــا نعـــودُ بـــنفضِ الأكـــفِّ ... عنـــكَ وأنـــتَ العظـــيمُ الخَطَـــر
فيـــا لـــكِ مـــن عِـــبرةٍ يُســـتفزُّ ... منهـــا عـــلى كثـــرةٍ في العِـــبَر
زمـــــــانٌ وفيٌّ بميعـــــــادهِ ... فظُلْـــماً يقـــالُ ليـــالٍ غُـــدُر
كـــما يُقْـــرعُ « الجَـــرْسُ » للناشـــئينَ ... تـــأتي إلى النـــاس منـــه النُّـــذُر
ولكـــن يُريـــدُ الفتـــى أنْ يـــدوم ... ولـــو دامَ ســـادَ عليـــه الضـــجر
ويـــأبى التنـــازعُ طـــولَ البقـــاء ... وتأبـــاهُ بُقْيـــا نفـــوسٍ أُخـــر
وقـــد يُهلـــكُ النـــاسَ فـــردٌ يعـــيشُ ... حينـــاً فكيـــف إذا مـــا اســـتمر
فلّلـــهِ مـــن شـــارعٍ لم يَعُقْـــهُ ... حكـــمُ الضرورةِ أو مـــا نـــدَر
ســـواءٌ صـــليبُ الصـــفا والزجـــاج ... كسراً بكـــفِّ القضـــا والقـــدَر
وبالـــدهرِ في النـــاسِ مثـــلُ الجُنـــون ... فلـــيس يُبـــالي بمـــنْ ذا عثـــر
وحـــتمٌ عـــلى الخفـــرِ الآنســـات ... والوحـــوش حشرجـــةُ المُحْـــتَضَر
تجـــيءُ إلى الصـــدرِ تحـــتَ الحريـــر ... كجيئتهـــا الصـــدرَ تحـــتَ الـــوَبر
وكـــلُّ الفـــوارقِ بـــينَ اللغـــاتِ ... وبـــينَ الطبـــاع وبـــينَ الأسْـــر
ســـيُوقِفها للـــردى زائـــرٌ ثقيـــلُ ... الـــورودِ بغـــيضُ الصَّـــدر
فيـــا صُـــفرةَ المـــوتِ إنَّ الوجـــوهَ ... تَســـاوى بهـــا صَـــلَفٌ أو خَفَـــر
تحَـــيْرتُ في عِيشـــةِ الشـــاعرين ... أتَحْلـــو خُلاصـــتُها أم تَمَـــرّ
فقـــد جـــارَ « شـــوقي » عـــلى نفســـهِ ... وقـــد يقتُـــلُ المـــرءَ جَـــورُ الفِكَـــر
عـــلى أنَّـــه لم يعِـــشْ خالـــداً ... خلـــودَ الجديـــدَينِ لـــو لم يَجُـــر

تتبَّعْتُ آثارَ « شوقي » وقد ... وقفتمْ على من يقصُّ الأثر
لقد فاتَ بالسبقِ كلَّ الجيادِ ... في الشعر هذا الجوادُ الأغرّ
ترسَّلَ لم يَرْتَبِكْ خَطوُهُ ... عناءً ولا نال منه البَهَر
« شَكِسْبيرُ » أُمَّتِهِ لم يُصِبْهُ ... بالعِيِّ داءٌ ولا بالحَصَر
كأن عيون القوافي الحسن ... من قبل كانت له تدخر
وإن أصدُقَنَّ « فشوقي » لهُ ... عيونٌ من الشعرِ فيها حَوَر
تعرَّضه من طلاءِ البيانِ ... ومن زِبْرِجِ اللفظ دربٌ خطِر
ولو خافَ مثلَ سِواه العُبُور ... لخابَ وزلَّ ولكنْ عَبَرَ
تمشَّى لمصطلحاتِ البديع ... مُندسَّةً في البيانِ النَّخِر
فأفرغها من قوافيهِ في ... قوالبَ مرصوصةٍ كالزُّبُر
ولاءم بين أفانينها ... وبين أفانين ما يبتكر
فجاءَتْ كأنْ لم تنَلْها يدٌ ... خلافَ يدِ الماهرِ المقتدِر
يُذلِّلُ من شارداتِ القريضِ ... ما لو سِواهُ ابتغاهُ لَفَر
ويستنزلُ الشِعَر عذبَ الرُّوءِ ... كصوبِ الغمامةِ إذْ ينحدِر
يُمَيِّزهُ عن سِواه الذَّكاءُ ... وطولُ الأناةِ وبُعدُ النظَّر
وتبدو الرجولةُ في شِعره ... منزَّهةً من صعيٍّ أو صَعر
وفي كِبَرِ النَّفْس مندوحةٌ ... عن الكبرِ شأنُ الضعاف الكبر
ولم يتخبَّثْ بهُجْر الكلام ... ولم يتصيَّدْ بماءٍ عكر
وديوانُ « شوقي » بما فيه ... من صنوفِ البداعةِ روضٌ نضر
فبيتٌ يكادُ من الارتياح ... واللطفِ من رِقَّةٍ يُعتصَر
وبيتٌ يكادُ من الاندفاع ... يقدحُ من جانبيهِ الشَّرَرَ

وبيتٌ كأنَّ « رُفائيلَ » قد كساهُ بكفَّيْهِ إحدى الصُوَر
تُحِسُّ الطبيعةَ في طيَّةٍ تَكشَّفُ عن حُسنها المستتر
كأنَّكَ تسمعُ وقعَ النَّدى بتصويرهِ أو حفيفَ الشَّجر
وبيتٌ ترى « مصرَ » أسيانةً تُناغي بهِ مجدَها المندثر
ففي مصرع يومُها المبتلى وفي مصرع أمسُها المزدهر
و« فرعونُ » إذ ينطوي مُلْكُهُ و « فرعونُ » في القبرِ إذ يَنْتَثِر
وديوانُ « شوقي » يُجِدُّ الشبابَ لتأريخ أُمتَّهِ المُختَصَر
ولولا المغالاةُ قلتُ: انطوى بمنعاهُ عُنوانُها المُفْتخَر
فيا نجلَ مصرَ وفتْ برَّةً بذكراكَ « مصرُ » وأنتَ الأبَر
مئاتُ الصحائفِ مسودةٌ مُجلَّلةٌ بمئاتِ الصُور
ظهرتَ بها وجناحُ البيانِ مهيضٌ وأسلوبُه مُحتقر
بقايا من الكَلِم الباقياتِ تناقَلَها نفرٌ عن نفر
ولفظٌ هجينٌ ثوَتْ تحتهُ معانٍ لِقلَّتها تحتكر
وحسبُكَ من حالةٍ رثَّةٍ بفرطِ الجمودِ لها يعتذر
فكنتَ وعِلَّتها كالطبيبِ يُنْعش جسماً عراهُ الخَوَر
تُعَلِّمُها أنَّ للعبقريِّ حكْماً مُطاعاً إذا ما أمر
وأنَّ القوافي عِبِدَّى له يُفَرِّقُ أشتاتَها أو يَذر
يصوغُ المعاني كما يشتهي ويلعبُ باللفظِ لعبَ الأكر
« عُكاظُ » من الشعر تحتلّهُ ويرعاهُ « حافظُ » حتى ازدهر
تلوذُ الوفودَ بساحَيْكُما وتأتيهِ من كلِّ فجٍّ زُمر

تُبَجَّــلُ فيــه مزايــا الشُّــعور ... عــلى حــينَ في غــيرِهِ تُحتَقَــر

وتَنســى الضــغائنُ في ســاحةٍ ... بهــا كــلُّ مكرُســةٍ تُــدَّكر

وأنــت كصــامةٍ مُنــتضيً ... و«حــافظُ» كــالأبلقِ المشــتَهَر

تمشَّــى بــإثْركَ في شِــعره ... ومــاتَ وأعقبتَــهُ بــالأثر

بقــدْرِ اخــتلافِكما في النُبــوغ ... كــانَ اخــتلافُكما في العُمُــر

فــلا تَبعُــدا إن شــأنَ الزمــانِ ... أنْ يُعقِــبَ الصــفوُ منــه الكَــدَر

عــزاءُ الكِنانــة أنَّ القــريضَ ... تــأمَّرَ دهــراً بهــا ثــمَّ فَــر

بنجمــينِ كانــت تباهي الســما ... ومــا في الســما مــن نجــوم كُثُــر

بشــوقي وحــافظَ كانــت متــى ... تُنــازِلْ بمعركــةٍ تَنــتصِر

فهــا هــي قــد عَريــتْ منهما ... وهــا هــي مــن وحشــةٍ تَقْشَــعِر

فــلا تحســبنْ أنَّ طــولَ البكــا ... يــذودُ الأســى أو نِثــارَ الزَهــر

خسرنــاكَ كنــزاً إلى مثلِــهِ ... إذا أحْوَجَــتْ أزمــةٌ يفتقــر

ومــا كنــتَ مــن زمــنٍ واحــدٍ ... ولكــنْ نِتــاجَ قُــرونٍ عُقُــر

مضى بالعروبــةِ دهــرٌ ولمْ ... يَلُــحْ ألمعــيٌّ ومــرت عُصُر

وإن النُبــوغَ عــلى مــا يُحــيطُ ... بعــيشِ النوابــغ أمــرٌ عَسِر

يثــيرُ اهتمامــاً أديــبٌ يجــد ... كــما قيــلَ نجــمٌ جديــدٌ ظهــر

قــرونٌ مضــتْ لم يسُــدَّ العــراقُ ... مِــن المتنبــي مكانــاً شَــغَر

ولم تتبــدلْ ســماءُ الــبلادِ ... ولا حــالَ منهــا الثَّــرى والنَّهــر

ولم يتغــيرْ عَــروضُ الخليــل ... ولا العُــربُ قــد بُــدلّوا بــالتَتر

ولكِــنَّما تُنْــتَجُ النــابهينَ ... مــن الشــاعرينِ دواع أُخَــر

فــإنْ فُقــدَتْ لم يشــعَ الأريــبُ ... إلا ليخبــو كلمــح الــبَصَر

القرية العراقية

رونقٌ شاع في الثَّرى وعلى الروضةِ لطفٌ من السَّما مسكوبُ
ما أرقَّ الأصيلَ سال بشفَّافِ شعاع منه الفضاءُ الرحيب
كلُّ شيءٍ تحت السماء بلونٍ شفقيٍّ مورَّدٍ مخضوب
وكأن الآفاقَ تحتضِنُ الأرضَ بآصالِها إطارٌ ذهيب
متِّع العينَ إنَّ حُسناً تراهُ الآنَ من بعدِ ساعةٍ منهوب
والذي يخلَعُ الأصيلُ على الأرض بكفِّ الدُّجى أخِيذٌ سليب
منظرٌ للحقولِ إذ تُشرقُ الشمسُ جميلٌ وإذ يَحِينُ الغروب
ولقد هزّني مسيلُ غديرٍ مِنْ على جانبيهِ روضٌ عشيب
يُظهِرُ الشيءَ ضدُّه وتُجارى بسواها محاسنٌ وعيوب
وكذاكَ المرعى الخصيبُ يُحلّيه إلى الناظرينَ مرعىً جديب
ثمَّ دبَّ المَساءُ تَقْدمُه الأطيارُ مرعوبةً وريحٌ جَنوب
وغناءٌ يتلو غناءً ورُعيانٌ بقُطْعانِهم تَضيقُ الدروب
يَحْبِسُ العينَ لانتشار الدياجي في السَّما منظرٌ لطيفٌ مَهيب
شفَقٌ رائعٌ رويداً رويداً تحتَ جُنحِ من الظلام يذوب
وترى السُحبَ طيَّةً تِلوَ أُخرى قد أُجيد التنسيقُ والترتيب
وتراها وشعلةَ الشفقِ الأحمرِ تبدو أثناءها وتغيب
كرَمادٍ خلاَّهُ وانزاحَ عنه قبسٌ وسْطَ غابةٍ مشبوب
ثمَّ سدَّ الأفقَ الدُّخانُ تعالى من بيوتٍ للنارِ فيها شُبوب
منظرٌ يبعثُ الفراهةَ والأنسَ لقلبِ الفلاّحِ حين يثوب

يعـرفُ اللقمـةَ الهنيئـةَ في البيـتِ ... مُجِـدٌّ طـولَ النهـار دَءوب
بُرهـةً ريـثما انـقضى سـمرٌ ... تقطـرُ لطفـاً أطرافُـه وتَطيـب
واسـتقلَّ السريـرَ أو حُزمـةَ القشِّ ... أريـبٌ نِضْـوٌ حريـبٌ تَريـب
سـكنَتْ كـلُّ نأمـةٍ واسـتقرَّتْ ... واسـتفزَّ الأسـماعَ حتَّـى الـدَّبيب
واحتـواهمْ كـالموتِ نـومٌ عميـق ... وتغشَّـاهُمُ سـكونٌ رهيـب
ولقـد تَخـرِقُ الهـدوءَ شُـويهاتٌ ... وديـكٌ يـدعو وديـكٌ يُجيـب
أو نـداءاتُ حـارسٍ وهـو في ... الأشـباح لاحـتْ لعينـه مسـتريب
أو صـدَى « طَلقـةٍ » يبيـتُ عليهـا ... أحـدُ الجـانبينِ وهـو حريـب
تـركَ الـزارعُ المَـزارعَ للكلـب ... فأضـحى خلالَهـنَّ يجـوب
شـامخٌ كالـذي يُنـاطُ بـه الحكـمُ ... لـه جَيئـةٌ بهـا وذُهـوب
كـانَ جُهـدُ الفـلاّح خفَّـف عنـه ... جَهـدهُ فهـو مُسـتكِنٌّ أديـب
وهـو في الليـلِ غيرهُ الصبحَ وحشٌ ... هـائجٌ ضـيِّق الفـؤادِ غَضـوب
فـاحصٌ ظُفْـرَه ونابيـهِ أحـلى ... مـا لديـهِ أظفـارهُ والنُيـوب
إنَّـه عـن رِعايـة الحَقـلِ مسـئول ... عـلى تـرك أمـره معتـوب
وكثـيراً مـا سرَّه أنَّـه بـات ... جريحـاً ورأسُـه مشـجوب
لـيرى السـيِّدُ الـذي نـاب عنـه ... أنَّ حيوانَـه شُـجاعٌ أريـب
ولكـيلا يـرى مُسـامحةً ... يَعـدِلُ منهـا لغـيره ويُنيـب
للقُرَيّـاتِ عـالَمٌ مُسـتقلٌّ ... هـو عـن عـالَمٍ سـواه غريـب
يتسـاوى غـروبُهم وركـودُ الـنفس ... منهم وفجـرهُم والهُبـوب
كطيـور السـماءِ همّهُـمُ الأوحدُ ... زرعٌ يرَعْونـه وحبـوب
يلحظـون السـماءَ آنـاً فآنـاً ... ضحكُهم طوعُ أمرها والقُطوب

أتُرى الجوَّ هادئاً أمْ عَصوفاً ... أتصوبُ السماء أمْ لا تصوب
إن يومَ الفلاّح مهما اكتسى حُسناً ... بغير الغيوم يومٌ عصيب
وهو بالغيم يخنقُ القلب والأفقَ ... جميلٌ في عينه محبوب
للقُرى روعةٌ وللقرويّين ... إذا صابَ أرضهم شُؤبوب
تُبْصِرُ الكلَّ ثمَّ حتى الصَّبايا ... فوقَ سِيمائهم هناءٌ وطِيب
يُفرِح البيتَ أنّه سوف تُمسي ... بقراتٌ فيه وعنزٌ حَلوب
ويرى الطفلُ أنَّ حصتَّه ... إذْ يُخصبُ الوالدان ثوبٌ قشيب
أذكياءٌ عيونُهم تسبقُ الألسُنَ ... عمَّا ترومه وتنوب
والذي يَستمدُّ من عالم القريةِ ... وَحياً وعيشةً لَلبيب
مطمئنونَ يحلُمونَ بأنَّ الخيرَ ... والشرَّ كُلّهُ مكتوب
لا يطيرونَ من سرورٍ ولا حزنٍ ... شَعاعاً.. لأنه محسوب
ولقد يغضَبون إذ ينزلُ الغيثُ ... شحيحا والأرضُ عطشى تلوب
أتُرى كانَ يعوزِ اللهَ ماءٌ ... لو أتتْ دِيمةٌ علينا سَكوب
ثمَّ يستفظعون إثمَ الذي قالوا ... فينوونَ عندهُ أنْ يتوبوا
فإذا الشمسُ فوقهم فيقولون ... أعُقبى إنابةٍ تعذيب
أفإيمانُنا بعيدٌ عنِ الخيرِ ... وُكفرانُنا إليه قريب
هكذا يَرجِعُ التقيّ أمامَ العقلِ ... وهو المشكّكُ المغلوب
قلتُ إذ رِيعَ خاطري من مُحيطٍ ... كلُّ ما فيه موحشٌ وكئيب
ليس عدلاً تشاؤمُ المرء في الدنيا ... وفيها هذا المحيط الطَروب
مِلءُ عينيكَ خضرة تستسرُّ ... النفسُ منها وتُستطار القلوب

عنـدَهم مثـلَ غـيرِهم رغبـاتٌ وعلـيهمْ كـما عليـه خطـوب
غـير أنّ الحيـاةَ حيـثُ تكـونُ المـدنيّاتُ جُلّهـا تعـذيب
كلّـما اسـتُحدثتْ ضروبُ أمـانٍ أعقبتهـا مـن البلايـا ضروب
وكـأنّ السرورَ يُـومِض برقـاً مـن خِـلال الغيـوم ثـمَّ يَغيـب
لا تـرى ثَـمَّ غـيرَ أن يـتركَ الحبُّ شـحوباً وجهـاً عـلاهُ الشـحوب
ثم لاشيء عـن سـنا الشمس ممنوعٌ ولا عـن طلاقـةٍ محجـوب
الهـواءُ الهبّـابُ والنـورُ.. والخضرةُ تـأتي مـا لـيس يـأتي الطبيـب
ثـمّ باسـم الحصـادِ في كـلّ حقـلٍ تتنـاجى حبيبـةٌ وحبيـب
قـال فـردٌ مـنهمْ لأخـرى وقـد هَيَّجَ نفسيهما ربيعٌ خصيب
طـابَ مَنشـا زروعِنـا فأجابـت إنَّ نشـئاً يرعـاهُ كُـفءٌ يطيـب
قـال مـا أصبرَ الحقـولَ على النـاسِ فقالـتْ ومـثلُهنَّ القلـوب
إنّ مـا تفعـلُ المناجـلُ فيهـا دونَ مـا يفعـلُ الشـجا والوجيـب
يـنهضُ الـزرعُ بعـدَ حصـدٍ وقـد يُجتـثُّ مـن أصـله فـؤادٌ كئيـب
يـا فـؤادي المكـروبُ بعثـرَكَ الهـمُّ كـما بُعثِـرَ الثـرى المكـروب
وعيـوني هـلاّ نَضبتِ وقـد ينضبُ مـن فـرطِ مـا يسـيل القليـب
عنـدَهم منطـقٌ هنالـكَ للحـبِّ جميـلٌ وعنـدَهم أُسـلوب
وهـم في الغـرام أكْثَـر ممّـا لسـواهمْ مضـايقٌ ودروب
مُلَـحٌ خُصصّـتْ لهـم ونِكـاتٌ ملـؤهنَّ الإبـداعُ والتهـذيب
ثَـمَّ تحـتَ السـتارِ ممتَلـكٌ بالحـبِّ عفـواً ومثلُـه مغصـوب
إنهـمْ يُـذنبونَ ثـم يقولـون. محـالٌ أنْ لا تكـونَ ذُنـوب
نحـنُ نبـتُ الطبيعـةِ البكـرِ فينـا حسـناتٌ منهـا وفينـا عيـوب

بنتُنا وابنُنا معاً يرقُبانِ الزرعَ — والضرعَ والضمير رقيب
ليس ندري ما يفعلانِ — ولا نعلمُ عمّا زُرّتْ عليه الجيوب
ما علينا ما غابَ عنّا — فعندَ الله تُحصى مظاهرٌ وغيوب
غيرَ أنّا ندري وكنّا شباباً — نتصابى أنَّ الجمالَ جَذوب
والفتى ما استطاعَ مُندفِعٌ — نحو الصباباتِ والفتاةُ لَعوب
بالتصابي يُذكي الشبابُ ويغترُّ — كما بالرِّياح يُذكى اللهيب
ثمّ عندَ اللقاء يُعرفُ إن كان — هناكم « نجيبةٌ » أو نجيب
إنّ بعضَ الرجال يبدو أمامَ الحبِّ — صُلباً والأكثرون يذوب
والتجاريبُ علّمتنا بأنّ المرءَ — غِرٌّ يُقيمه التجريب
ليس بِدعاً أن نَستريبَ ولكن — نتمنّى ألاّ نرى ما يُريب
ليس فينا والحمدُ لله حتى الآنَ — بيتٌ « إناؤهُ مقلوب »
فإذا كانَ ما نخافُ فهرقُ — الدّم سهلٌ كما تُراقُ ذَنوب
منطقٌ للعقولِ أقربُ ممّا — يدّعيه أخو عَفافٍ مُريب
ولقد يرمزونَ « عنّا » بأنّا — كلُّ ما في محيطنا مَثلوب
فيقولون: قد تطيحُ من العارِ — بيوتٌ وقد تثورُ حروب
والخَنا سُبّةٌ علينا ولكن — في القُرى كلُّ ناقصٍ مسبوب
عندنا كالفتى « الخفيفِ » لئيمٌ — وجبانٌ وغادرٌ وكذوب
يُخجِلُ الناسَ في القُرى أنّ فرداً — من أولاءِ عليهمُ محسوب
إنّه من خصائص المدنيّاتِ — إليها شَنارُهم منسوب
في القُرى يوسعوننا وصماتٍ — مُخجِلٍ أمرها « البداةَ » مَعيب

فيقولونَ كلُّ شيءٍ صريح عندنا ... عندكم خليطٌ مَشوب
شُوِّشَتْ منكم وسيطتْ سِماتٌ ... ولُغاتٌ ولهجةٌ وحليب
إنَّكم من نماذج العَربِ الساطِينَ ... ظُلماً عليهم تعريب
كجليبٍ من البضائع يأتيكم ... من العالمينَ وجةٌ جليب
هو منكمْ كالأهلِ في كلِّ شيءٍ ... وهو فينا عن كلِّ شيءٍ جنيب
إنَّكم تمدحونَ خُبثاً وعدواناً ... وغدراً كأنما المرءُ ذيب

❊❊❊

صورة للخواطر

أنا إنْ كنت مُرهقاً في شبابي ... مُثقلاً بالهموم والأوصابِ
فمتى أعرف الطلاقةَ والأنسَ ... ألَّما أكونُ تحت التراب
خبِّروني فإنني من لُباناتي ... وعيشي رهينُ أمرٍ عُجاب
أيُّ حالٍ هذي.. وما السرُّ في ... تكوين خلقٍ بهذه الأعصاب
أبداً ينظرُ الحوادثَ والعالمَ ... والناسَ من وراءِ ضَباب
ليس شيءٌ من التجانس في نفسي ... نواسيَّةٍ وعيشٍ صَحابي
شمتتْ بي رجعيَّةٌ ألهبتها ... فكرةٌ حرَّة بسوطِ عذاب
وشكتني مسرَّةٌ وارتياحٌ ... وبكتني مُجانةٌ وتصابي
تدَّعيني لِما وراء ثيابِ البعض ... نفسٌ سريعةُ الإلتهاب
فتَراني وقد حُرِمتُ أُسلّي ... النفس عنها بلمس تلك الثياب
فإذا لم تكنْ تعوَّضْتُ عنها ... صُوراً من تخيّلاتٍ عِذاب
ولقد تخطر «المباذل» في بالي ... بشكلٍ يدعو إلى الاضطراب

أو بشــكل يــدعو إلى استحياء ... أو بشــكل يــدعو إلى الإعجـاب
فـتُراني مفكـراً هـل مواتـاة الـتراضي ... أحـــلى مـــن الاغتصـــاب
وهـل « الفَعلـةُ » التـي خنـتُ فيهـا ... خَلَّتــي والتــي دعــت لاجتنــابي
والتــي جِئتُهـــا أُكفّـــر عنهـــا ... بكتـــابٍ أردفتـــه بكتـــاب
كنـت عـينَ المصيب فيهـا وكانـت ... فَعلـةٌ مثـلَ تلـك عـينَ الصـواب
بشر جـــاش بـــالعواطف حتـــى ... جذبتـــهُ جريمـــةُ الارتكـــاب
أم تُـــراني لبســـت فيهـــا عـــلى ... حـين انـدفاع منـي لبـاسَ ذئـاب
أتُراهـــــا نتيجـــــة الشرب أم ... أنيَ ظلـــماً ألصـــقتها بـــالشراب

***

أفروديت

ثُمَّ نادت « جالاً »
وكانت من الرقَّةِ ..
كالماءِ إذ يَهزُّ الخَيالا
من بنَاتِ « الهنودِ »تعرفُ ما يُرضي الغواني ..!
وما يَزِينُ الجَمالا ..!
مَنْ أتى أمسَ ..؟
خبّريني..؟
ألا تدرِينَ ..؟
كلاّ .. فلستُ أُحصي الرِّجالا..!!

أجميلٌ فلم أُمتِّعْهُ

إذ نِمْتُ عميقاً ممَّا لقِيْتُ الكلالا؟

ومتى راحَ..؟

في الصباح..؟

ألا يرجعُ ؟

ماذا أبقى ..؟

أغادَرَ شيًا..؟

ناوليني أساوِري

فأتتْها بصُنَيْدِيقَ .. أودعتْهُ حُليًا

رفعتْ عندَها ذراعينِ

سُبْحانَ الذي يَخْلُقُ الجمالَ السَّويًا!!

إنَّ نفسي « جالا ».. تَفيضُ هناء

لو توصَّلْتُ أنْ أُميتَ حبيبا

مِن أُولاءِ الذين يلقَوْن داء

فيخالُونَ أنَّ فيَّ الطَّبيبا ..!!

يجهلون انتقامةً .. واشتهاء !

فيموتونَ تحتَ سوطِ عذابي

ثُمَّ أمشي عليهمُ مِشيةَ الطاووسِ

أحْثُو وجوهَهُمْ بالترابِ ..!

هؤلاءِ الذين أطلُبُ لا السَّاعينَ نحوي

جِسماً بغير فؤادِ ..!!

المَساكينُ ..! هُمْ بوادٍ .. ومَنْ يطْلُبُ صَرعى الحُبِّ المُميتِ

بوادي ..

***

سَفَهاً أنْ أُريدَ مِمَّنْ أُناديه ابتياعاً ..

تعلّقاً بجمالي ..

لستُ أرضى صَيْداً كأولاءِ ..يَلْتفُّ عليهم

حتى شِراكُ نِعالي ..!!

لم تكنْ هكذا السّنونَ الخوالي

حيثُ كانَ الغرامُ شيئاً بديعاً

إذ يجيءُ الأرضَ الإلهُ

يَزيدُ البَشَرِيَّاتِ حُرقَةً وَولُوعا

***

يا تُرى أينَ أستطيعُ اللقاء!

برجالٍ يُسخِّرونَ الرِّجالا

أيُّ غابٍ يحويهمُ .. وفراشٍ

فوقَهُ يُصبِحون أدنى مَنالا

أصلاةً يبغُونَ حتى يُثيروا ..رغباتي؟

فَلْتَصْعَدِ الصلواتُ ..'

وَهَبيهِم ينأوْنَ عن رؤيةِ الأرضِ

هَبيهِمْ شاخوا .. هَبيهِم ماتوا ..!

أفَتُردى مثلي .. ولم تُرْوَ ممَّنْ

تتلَظَّى لأجلهِ الرَّغَباتُ .

***

وتمشَّتْ مهتاجةً .. يتمشَّى العُجْبُ

والحسنُ في الدماءِ غزيرا

نحوَ حَمَّامِها تَرى مِن خلال الماءِ ..فيهِ

ما يَستثيرُ الغُرورا.!

جسمَها اللدْنَ .. والغدائرَ تنسابُ

كما أرْخَتِ العذارَى سُتوراً !

وخريرُ المياهِ في السمعِ كالقُبْلةِ ..حرّانةً

تَهيجُ الشُعورا..!

عبدَتْ نفسَها .. فداعَبَتِ النَّهدينِ بالشَّعْرِ

غِبطةً وحُبُورا..!

***

خرَجَتْ والنهارُ تنطفئُ الشُعلةُ منه

والليلُ يرخي السُدولا ..

تتهادى مُرتاحةَ البالِ ..لا تُعنى..

بأنْ لم تكن حَصاناً بَتولا !!

ومشَتْ نحوَها تَديفُ بذَوْبِ العِطرِ « جالا »

مِن فوقها المنديلا ..

وأمرَّتْ على المحاسنِ منها   من نَتاجِ « الهندِ »

المُثيرَ الميولا ..

***

ثُمَّ قالت غنّي : فغنَّتْ ..

وهل أبدعُ مِن وصْفِ « أفروديتَ » غناء ..؟

آيةُ الفنِّ.. والبداعةِ يَلقى   عاشقُ الفنِّ عندَها

ما يشاءُ ..

لكِ رأسٌ كدَوْرَةِ البدرِ .. غطتَّه منَ الشَّعْرِ

غَيْمةٌ سوداءُ..

يبتدي منه مُرْسَلاً « سَعَفُ النَّخْلِ » !

له عندَ أخْمَصَيْكِ انتهاءُ ..

أو كنهرٍ يجري بوادٍ

غروبُ الشمسِ أهداه ظِلَّه ..والمَساءُ

***

لكِ – كالبركتَيْنِ تحتَ ظِلالِ السرَّوِ رَقًا وأوغْلا

عينانِ ..!

لك – كالزَّهْرتينِ صُبَّتْ دماءٌ مِن غزالٍ عليهما

شَفتانِ !

لكِ كالخنجرِ المُغطَّى بذاكَ الدمِ مُخضوضِباً !

شقِيقُ لسانِ

لكِ نحرٌ كما تبلَّجَ للصُبْحِ عَمودٌ

ضَوَّى به المَشْرِقانِ

لكِ صدرٌ كسَلَّةِ الزَّهْرِ

بالنَّهدَينِ نَطَّت فُوَيْقَهُ زَهْرتانِ !

واستقامتْ كَمِثْلِ أعمِدةِ العاجِ

الذِّراعانِ منكِ والفَخِذانِ !

لكِ تلك المُدوَّراتُ ..! حُلِيٌّ مُبْهِرٌ

صُنْعُ مُعْجِزٍ فَنَّانِ

لكِ بَطنٌ كأنَّها مُخْمَلُ الدِّيباجِ !

أو « ثوبُ » أرْقَطٍ ثُعبانِ

رُزِقَتْ « سُرَّةً » كلؤلؤةِ الغَوّاصِ

قد رُكِّزَتْ على « فنجانِ » !!

لكِ – مثلَ الهِلالِ مِن خَلَّلِ الغابةِ يبدو–

« رَفع » رفيعُ مكانِ !!

وهُنا.. كَفَّتِ الوصيفةُ لا تسطيعُ قولاً

عَمّا يلي الرَّفْغَ منها

وانبَرتْ « أفروديتُ » تُوحي إلى « جالا »

بحُسْنِ الذي تَخبّأ عنها !

هو في الشكلِ : مِثلُ قوقَعةِ الماءِ

وفي الحُسْنِ زَهْرةُ الجُلنّارِ!!

مُلِئتْ زُبْدَةً.. وشَهْداً.. وعطرا   هو كالكَهْفِ دافئاً.. !!

كالمغارِ !

رَطِباً !.. مَلجأُ الرّجالِ السِّفارِ

وهم سائرونَ للموتِ قَسْرا

فأتمت« جالا » :

أَجَلْ !

ومخيفٌ .. طافحُ الجَنْبَتين بؤساً وشرا

وجه « ميدوزَ » ! ساخطاً

يَلْعَنُ الناظرَ في وجهه فيرتدّ صخرا!!

***

من صباها ..

مشى إليها خَيالُ

يَتغذّى به الهوى والدَّلالُ

وخيالٌ في مَهْدِهِ ما يَزالُ

وخيالٌ يَدِبُّ ..

رِخواً ضئيلا

وخَيالٌ أضفتْ عليه سُدولا

واستعاضت بالصمتِ عنه بديلا

وخيالٌ أردته..

شِلْواً قتيلا

فهو خصمٌ لزهوها قتَّالُ

كلّما غرّها الصِبا والجمال

هاجَ من عيشها ادِّكاراً ذليلاً

وأحسّتْ حِمْلاً بذاك ثقيلا

ومن الذكرياتِ ....

رفّتْ ظِلالُ ..

***

وترامى من « الظِلالِ » عليها

ما يُثيرُ الصِبا..

ويُذكي الغراما ..

ويديف اللذات والآلاما

ويمَّجان :

يقظة ومناما

ويعنّي بِثقْلها الأياما

وتَفَيّتْ « بغيمتينِ » ظلالا

يستبدان « مُكثةً » وانتقالا

فمن الشعر ما يُظِّل الغمامُ

ومن الذكريات ما يعتام

ومن الذكريات ما يستام

بسمةً.. أو كآبةً.. أو ذهولا

أو مُضّياً على السُرى ..

أو قُفولا

***

ومن الذكرياتِ ما يتغنَّى

في قرار النّفوس ..

لَحناً فلَحناً

ومَطافُ الخيالِ وهو المُعنّى

بانبعاث الأنغامِ ..

أُنساً وحُزْنا

يتحدّى قلباً ..

ويُرهفُ أُذنا

بصدىً كلّما تجدّد رنّا

ويعودُ الصّدى ...

فيذكي الجَنانا

ويعود الجَنانُ ..

يَبْغي بيانا

***

نَثَرَتْ شَعْرَها على كتَفِيَهْا

نثرةً خيرَ ما تكونُ لديها

واستدارت وَهْناً على عقبِيْها

فبدا جانبٌ ..

ولَوَّحَ ثاني ..

وأرتها المرآةُ لُمحَ بيانِ

عن خَيالين .. ثَمَّ يرتجفانِ

وبقايا ظِلَّيْنِ يَصطَرِعان

***

ثم لَمَّتْ فُضُولَه بيديها

فَمَشَتْ لَمَّةٌ على نَهدْيها

فتمشّى الضِرامُ في حَلْمَتيها

فأطلاّ ..

وثْباً من الذِروتينِ

مثلمَا صكّ عاصِرٌ حبّتينِ !

***

وتمطت كأفعوانٍ تلوّى

فهو يَشوي بسّمِّهِ..

وهو يُشوَى

وهو يُروى بلدغةٍ ..

وهي تُروَى:

إذ ترى جسمَها المميتَ الفظيعا..

وشباباً غضّاً...

وخَلْقاً بديعا

وثماراً شهيةً ! وزُروعا ..

نُثِرَتْ فوقه! ..

وصدراً ونَحْرا

ومسيلاً منه تفجّر نهرا

ودماً فائراً يصبُّ سريعا

تاركاً أينما جرى يَنْبُوعا

كلُّ عِرقٍ منها ...

تفصّد خمرا

وهي تروى...

حِقداً وزهوا وغدرا

إذ ترى :

أنَّ حُرقةً ودموعا

وعذاباً فظّاً ..

وموتاً ذريعا ..

وصريعاً بها يواسي صريعا

طوعَ ما تستثيرُهُ العينانِ

عندما يأمُران أو يَنْهيَانِ

عندما يرويانِ إذ يحلُمان:

قِصَّةَ الحبِّ ... إذ تَلُفُّ البرايا

إذ ترى فيها دِماءَ الضحايا

بين « مُوقَيْهما » ...

وفي « الإنسانِ » ..

***

وصباها... عارٍ من الذكرياتِ

ملهباتٍ جمرَ الهوى مذكياتِ

فهو قَفْرٌ من الأنيس خلاءُ ..

موحشاتٌ في وجوه الأصداءُ

لا يلبّي للروحِ فيه نداءُ ..

ويُدَوّي « للكَبْتِ » فيه ..

عُواءُ !

فهي حَيرى ...

تجوبُ منه قفارا

وهي مهما جارَتْ عليه اقتسارا

وتَمَلَّتْهُ ليلَةُ والنهارا

وهي مهما اجترّت « مُنىً » وادّكارا

لم تجد فيه ...

ما يَسُرُّ العذّارى!

غيرَ لمحِ من تِلكُمُ « الأُمسِياتِ »

إذ ليالي الجليل ...

رمزُ الحياةِ

عطراتٌ بمَدرْجِ الفَتَياتِ

في ضفاف« البحيرة » النشوانه

ترتمي في نميرها حرّانه

كل عذراء...

رَوْدةٍ معطافِ

يتسقطْنَ موقع الأصدافِ

وعليهنَّ من نميرٍ صافي

أيّ سترٍ مهلهلٍ ...

« كشافٍ» ؟!

إذ حقولُ الجليلِ مرتمياتُ

بقدوم الربيع محتفياتُ

يتضاحَكْنَ في مَدَبّ الشُعاعِ

راجفاً فوقَها ارتجافَ « اليراع »

إذ غدا الجوُّ من أريج المراعي

خدرَ حسناءَ من بنات الغرام

سابحاً ..

في العطور و« الأنغام »

***

سامراء

ودَّعـتُ شرخَ صِـبايَ قبـلَ رحيلِـهِ ... ونَصَـلتُ منـه ولاتَ حَـينَ نُصـولِهِ

وَنفَضـتُ كفّـيَ مـن شـبابٍ مُخلِـفٍ ... إيراقـهُ للعـين مِثـلُ ذبولـه

وأرى الصِّـبا عَجِـلاً يَمُـرُّ وإننـي ... سـاعدتُ عاجلَـهُ عـلى تعجيلـه

سَـعُدَ الفتـى متقّـبلاً مِـن دهـره ... مقسـومَه بقبيحـهِ وجميلـه

وأظُنّنـي قـد كنـتُ أرْوَحَ خـاطراً ... بالخطـبِ لـو لم أُعـنَ في تأويلـه

لكـن شُـغِفْتُ بـأن أُقابـلَ بينـه ... أبـداً وبـين خِلافـه ومثيلـه

وَشَغَلتُ بالي والمصيبةُ أنني أجني فراغَ العُمرِ مِن مشغوله !

يأسٌ تجاوزَ حَدَّه حتى لقد أمسيتُ أخشى الشرَّ قبلَ حُلوله

وبَلُدْتُ حتى لا ألَذُّ بمُفْرح حَذَرَ انتكاستِهِ وخوفَ عُدوله!

إيهٍ أحبَّايَ الذينَ ترعرعوا ما بين أوضاح الصِّبا وحُجوله

إني وإنْ غَلَبَ السلُّو صَبابتي واعتضتُ عن نجم الهوى بأُفوله

لَتَشوقُني ذكراكُمُ ويهُزُّني طَربٌ إلى قالِ الشباب وقِيلِه

أحبابَنا بين الفُرات تمتَّعوا بالعيش بين مياهه ونخيله

وتذكَّروا كَلَفَ امرئٍ متشوّقٍ منزوفِ صبرٍ بالفراق قتيله

حرّانَ مدفونِ الميولِ وعندكم إطفاءُ غُلَّتِه وبعثُ ميوله

حَيْيتُ « سامَرّا » تحيّةَ مُعجَبٍ برُوَاءِ مُتَّسِع الفِناء ظَليله

بَلَدٌ تساوَى الحسنُ فيه.. فليلُهُ كنهاره وضَّحاؤه كأصيله

ساجي الرياح كأنما حلَفَ الصَّبا أن لا يمُرَّ عليه غيرُ عليله

طَلْقُ الضواحي كاد يُربي مُقفِرٌ منه بنُزهتهِ على مأهوله

وكفاكَ من بلدٍ جَمالاً أنَّه حَدِبٌ على إنعاش قلبِ نزيله

عَجَبي بزَهْوِ صُخوره وجباله عَجَبي بمنحَدرَاته وسُهوله

بالماءِ منساباً على حَصبائه بالشَّمسِ طالعةً وراء تُلوله

بالشاطئِ الأدنى وبَسطةِ رملِهِ بالشاطئِ الأعلى وبَردِ مَقيله

بجمالهِ.. والبدرُ يَملؤه سناً بجلالهِ رهنَ الدُّجى وسُدوله

بالنهر فيَّاضَ الجوانبِ يزدهي بالمُطْرَبَينِ : خريرهِ وصليله

ذي جانبَينِ فجانبٌ مُتطامِنٌ يقسو النسيمُ عليه في تقبيله

بـــإزاءِ آخَـــرَ جـــائشٍ مـــتلاطم يَرغـو إذا مـا انصبَّ نحـوَ مَسيله
فصلتهما « الجُـزُرُ » اللِّطـافُ نواتئـاً كـــلٌّ تحفَّـــزَ مـــاثلاً لعديلـــه
وجرتْ على الماءِ القوارِبُ عُورضت بـــالجري فهـــي كر ســـفٍ بكبولـــه
فـــإذا التَـــوت لمســـيلِهِ فكـــأنّما تبغـي الوصـولَ إليـه قبـلَ وصـوله
وإذا نظـــرتَ رأيـــتَ ثَمّـــةَ قارَبـــاً تَمتـــازُه بالضـــوء مِـــن قِنديلـــه
أو صـــوتِ مِجـــدافٍ يُبـــينُ بوقعـــه فـوقَ الحصى عـن شـجوه وعويلـه
سـادَ السـكونُ عـلى العـوالمِ كُلِّهـا وتَجلبـــب الـــوادي رِداءَ خمولـــه
وتنبَّهـــتْ بـــين الصـــخورِ حمامـــةٌ تُصـــغي لصـــوت مُطـــارِح بهديلـــه
وأشـاعَ شـجواً في الضـفاف ورقّـةً إيقـــاظُ نُـــوتيٍّ بهـــا لزميلـــه
ولقـد رأيـتُ فُويـقَ دجلـةَ مَنظـراً الَشِـــعرُ لا يقـــوى عـــلى تحليلـــه
شَـفَقاً عـلى المـاءِ اسـتفاضَ شُـعاعُه ذَهَبـــاً عـــلى شُـــطآنه وحُقولـــه
حتـى إذا حكَـم المغيـبُ بـدا لـه شـفقٌ يُحـيطُ البـدرَ حـين مُثولـه
فتحـــالفَ الشـــفقانِ هـــذا فـــائرٌ صُـــعُداً وهـــذا ذائـــبٌ بنزولـــه
ثُـــمَّ اســـتوى فِضّيُّ نُـــورٍ عابـــثٍ بالمـــائِجَيْنِ : مِياهـــهِ ورمولـــه
فـإذا الشـواطئُ والمسـاحبُ والرُّبـى والشـــطُّ والـــوادي وكـــلُّ فُضـــوله
قمـراءُ راقصـةُ الأشـعَّةِ جُلّلـت بخفـــيِّ سِرٍّ رائـــعٍ مجهولـــه
والجـوُّ أفـرطَ في الصـفاءِ فلـو جـرى نَفَـسٌ عليـه لَبـانَ في مصـقوله
هـذي الحيـاةُ لِمثلهـا يحنـو الفتـى حِرصـاً وإشـفاقاً عـلى مأمولـه
وإذا أسِـــفتُ لمؤسِـــفٍ فلأنّـــه خِصْـبُ الثَّـرى يُشجيكَ فـرطُ مُحولـه
قـد كـانَ في خَفْـضِ النَّعيم فبالغـتْ كـفُّ الليـالي السـودِ في تحويلـه
بَـدَتِ القصـورُ الغـامراتُ حزينـةً مـن كـلِّ منهـوبِ الفِنـاءِ ذليلـه

كـالجيشِ مهـزومَ الكتائـبِ فلَّـه ... ظَفَـرٌ ورَقَّ عـدوَه لفلولـه
« العاشـقُ » المهجـورُ قُـوّضَ رُكنُـهُ ... كالعاشـق الآسي لفقـدِ خليلـه
« والجعفـريُّ » ولم يـقصِّر رسـمُهُ ... البـاقي بـرغُم الـدَّهر عـن تمثيلـه
بـادي الشـحوبِ تَكـادُ تقـرأ لوعـةً ... لنعيمـه المسـلوبِ فـوقَ طلولـه
وكـأنَّما هـو لم يجِـدْ عـن « جعفـرٍ » ... بـدلا يُسَرُّ بـه ولا عـن جِيلـه
فُضَّـتْ مَجالسُـهُ بـه وخلَـوْنَ مِـن ... شـعر الوليـدِ بهـا ومـن ترتيلـه
إن الفحُـولَ السـالفينَ تعهَّـدوا ... عصرَ القـريضِ وأُعجبـوا بفحولـه
يتفـاخرونَ بشـاعرٍ فكـأنَّما ... تحصـيلُ معنـى الحُكْـم في تحصـيله
فجـزَوْهُمُ حُلـوَ الكـلام وطـرَّزوا ... إكليـلَ ربِّ المُلْـك مِـن إكليلـه
كـانوا إذا رامـوا السـكوتَ تـذكَّروا ... فَضـلَ المليـكِ الجـمَّ في تنويلـه
مـن صـائنٍ للـنفس غـيرِ مُـذيلها ... شُـحّاً ومُعطـي المـالِ غـيرِ مُذيلـه
وإذا شَـدَوا فكـما تغنَّـى طـائرٌ ... أثـرُ النعـيم يَبـينُ في تهليلـه
ولقـد شـجتني عَـبرةٌ رَقراقـةٌ ... حَيرانـةٌ في العـين عنـد دُخولـه
إني سـألتُ الـدهرَ عـن تخطيطـهِ ... عـن سَـطحه عـن عَرضـه عـن طُولـه
فأجـابني : هـذي الخريبـةُ صـدرُه ... والبلقـعُ الخـالي يجُـرُّ ذيولـه
وَسَـلِ الريـاحَ السـافياتِ فإنَّهـا ... أدرى بكـلِّ فروعـه وأصـوله
وتعلَّمَـنْ أنَّ الزمـانَ إذا انتحـى ... شُـهُبَ السَّما كانـت مـداسَ خُيولـه
مـدَّت بنـو العبَّـاس كـفَّ مُطـاوِلٍ ... فمشـى الزمـانُ لهـم بكـفٍّ مَغولـه
واجتـاحَ صـادقَ مُلكهِـمْ لمـا طَغـوا ... بـدعيِّ مُلـكٍ كـاذبٍ مَنحولـه
وكـذا السياسـةُ في التقـاضي عنـدَه ... تسـليمُ فاضـلهِ إلى مفضـوله

خُلِّـدْتِ سـامراءُ لم أوصِـلْكِ مِـن فَضْـلِ حَشَـدتِ عـليَّ غـيرَ قليلـه
يـا فرحـةَ القلـبِ الـذي لم تتركـي أثـراً لِلاعـج همّـه ودخيلـه
وأفـاكِ مُلتهِـبَ الغليـلِ وراح عـن مغنـاكِ يَحمَـدُ منـكِ بـردَ غليلـه
أنعشـتِهِ ونَفَيْـتِ عنـه هواجسـاً ضـايقْنَه وأثـرتِ مـن تخييلـه
وصـدقته أمـلاً رآكِ لِمثلـه أهـلاً فكنـتِ وزدتِ في تأميلـه
هـذا الجميـلُ الغـضُّ سـوف يـردُّه شِـعري إليـكِ مُضـاعفاً بجميلـه
ولقـد غَلـوتُ فكـمْ بقلبـي خـاطرٌ عَجـزتْ مَعـاني الشـعر عـن تمثيلـه
وَلطيـفِ معنـىً فيـك ضـاقَ بليـدُها بذكيِّـهِ ودقيقُهـا بجَليلـه
ولعـلَّ منقـولَ الكـلام محـوَّلٌ في عـالَمٍ آتٍ إلى مَعقولـه
فهُنـاكَ يتَّسِـع الـتخلّصُ لامـرِئٍ مـن مُجمَـلِ المعنـى إلى تفصـيله

❊❊❊

بديعة

هُـزِّي بنصـفِكِ واتركـي نصـفا لا تحـذَري لقَوامـكِ القصـفا
فبحَسْـبِ قـدِّكِ أنْ تُسـنِّدَه هـذي القلـوبُ وإنْ شـكتْ ضَـعفا
أُعجبـتُ منـكِ بكـلِّ جارحـةٍ وخصَصـتُ منـكِ جفونَـك الوَطفـا
عشرونَ طرفـاً لـو نُجمِّعهـا مـا قُسِّـمتْ تقسـيمَكِ الطرفـا
تُرضـينَ مُقتربـاً ومُبتعِـداً وتُخـادِعينَ الصـفَّ فالصـفّا
أبديعـةٌ ولأنـتِ مُقبِلـةً تسـتجمعينَ اللُّطـفَ والظَّرفـا
ولأنـتِ إنْ أدبـرتِ مُبديـةٌ للعـينِ أحسـنَ مـا تـرى خَلْفـا
هُـزِّي لهـم رِدفـاً إذا رغِبـوا ودعـي لنـا مـا جـاورَ الرِّدفـا

مـلءُ العيـونِ همـا وخيرُهمـا ... مـا يمـلأُ العينـينِ والكفّـا
وكلاهمـا حسـنٌ وخيرُهمـا ... مـا خـفَّ محمِلُـه ومـا شـفّا
هـذا يـرفُّ فـلا نُحِـسُّ بـهِ ... ويهزُّنـا هـذا إذا رَفّـا
وتصـوّري أنْ قـد أتـتْ فُـرَصٌ ... تـقضي بخطـفِ كليهما خطفـا
فبدفَّتَيـهِ ذاكَ يُبهضـنا ... في حـينَ ذاكَ لرقـةٍ يخفـى
ونَكِـلُّ عـن هـذا فنَطْرَحُـهُ ... ونُحِـلُّ هـذا الجيـبَ والرفـا
ونـزورُه صـبحاً فنلثِمُـهُ ... ونَضُـمُّهُ ونَشَـمُّهُ ألفـا
ونَبُلُّـهُ بـدم القلـوبِ وإنْ ... عـزَّتْ ونُنعِشُـهُ إذا جفـا

***

الشاعرية بين البؤس والنعيم

جَهِلْتُ.. أحظُّ المرءِ بالسعي يُقْتَنَى ... أم الحظُّ سرٌّ حَجَّبَتْهُ المقادرُ
وهـل مثلَما قـالوا جدودٌ نواهضٌ ... تقـوم بأهليهـا وأخـرى عـوائر
فمـن عجـب أن يُمْـنَحَ الرزقَ وادعٌ ... ويُمْنَعَـهُ ثَبْـتُ الجَنـانِ مُغـامر
تفكّـرتُ في هـذي الحيـاةَ فراعنـي ... من الناسِ وحشٌ في التزاحُم كاسر
ولا فـرقَ إلاّ أنَّ هـذا مـراوغٌ ... كثـيرُ مُـداجاةٍ وهـذا مجـاهر
وقـد ظـنَّ قـومٌ أنَّ في الشِعـر حاجـةً ... إلى فاقـةٍ تهتـزُّ منهـا المشـاعر
وأنَّ نَتـاجَ الرفـهِ أعْجَـفُ خامـلٌ ... وأنَّ نَتـاجَ البُـؤسِ ريّـانُ زاهـر
كـأنَّ شـعوراً بالحيـاة وعيشـة ... بهـا يشتهى طَعْـمَ الحيـاةِ ضرائـر
ومـا إن يُـرى فكـرٌ كهـذا مُزَيَّـفٌ ... لـدى أمّـةٍ للفـنِّ فيهـا مناصر
ولا أمـةٌ تحيـا حيـاةً رفيهـةً ... يَجيشُ بهـا فيـما يُصـوّرُ شـاعر

ولكنّـــــهُ في أمّــــةٍ مســــتكينةٍ　　طغـى الـذُّلُّ فيهـا فهـو نـاهٍ وآمـر
وآنســها بـؤسُ الأديـبِ وأُعْجِبَـتْ　　بِشِـــعرٍ عليــه مهجــةٌ تتنــاثر
وللحـزنِ هـزّاتٌ وللأُنْـسِ مِثْلُهـا　　يُخـالِفُ بعـضٌ بَعْضَـها ويُنـاصر
ومثـلُ قصـيدٍ جسَّـدَ الحـزنَ رائعـاً　　قصـيدٌ بتجسـيدِ المسراتِ زاخـر
نُسَرُّ بشِـعرٍ رقـرق الـدمعُ فوقَـه　　إذا عَصَرَ الـذهنَ المفكّـرَ عـاصر
وقـد فاتنـا أنّ الـذي نسـتلذُّهُ　　قلـوبٌ رقـاقٌ ذُوِّبَـتْ ومرائـر
ومـا أحـوجَ القلـبَ الـذكيَّ لعيشـةٍ　　يَعِـنُّ بهـا فِكْـرٌ ويَسْـبَحُ خـاطر
ورُبَّ خصيبِ الذهنَ مَضَّتْ خَصاصةٌ　　بـه فهـو مقتـولُ المواهـبِ خـائر
وشـتّانَ فنّـانٌ عـلى الفـنِّ عـاكفُ　　وآخـرُ في دوّامـةِ العَـيْشِ حـائر
وقـد يطـرق البـؤسُ النعـيمَ اعتراضـة　　كـما مَـرّ مجتـازاً غريـبٌ مسـافر
ولكـنّ بؤسـاً مُفْرِخـاً حَـطَّ ثِقْلَـهُ　　وألقـى عصـاه فهـو مـوتٌ مخـامر

***

وحي الرستمية

أكْـبَرْتُ ميسـورَ حـالٍ أستشِـفُّ بهـا　　إذ لم يكـن مـا أُرجّيـهِ بميسـورِ
وقـد رَضِـيت بكِـنٍّ أسـتكِنُّ بـه　　نـاءٍ عـن العـالَمِ المـنحطِّ مهجـور
ورُحْـتُ رغـم جحـودٍ عامـدٍ أشِرٍ　　للحـظِّ أُرجِـعُ حـالي والمقـادير
تعلـةً لم يكـنْ لي مـن تَخَيُّلِهـا　　بُـدٌّ وكـم خودِعَـت نفسٌ بتبريـر
مـا زالـتِ المـدُنُ النكـراءُ تُوحِشُـني　　حتـى اتُّهِمْـتُ بإحسـاسي وتفكـيري
ذَمَمْـتُ منهـا محيطـاً لا يلائمنـي　　صـعْبَ التقاليـدِ مـذمومَ الأسـاطير
حتـى نزلـتُ عـلى غنّـاءَ وارفـةٍ　　بكـل مرتجـف الأطيـافِ مسـحور

أهـدَى لِيَ الريـفُ مـن ألطـاف جنّتِـه عرائشـاً أزعجتهـا وحشـةُ الـدور
طافـت عـليَّ فلـم تنكِـرْ مسـامرتي ولم أرُعْهـا بإيحـاشٍ وتنفـير
كـأنني.. والمـروجُ الخضرُ تنفَحُنـي بالموحيات «ابنُ عمرانٍ» على الطور
تُلقـي الهجـيرَ بأنفـاسي تُرَقِّقُـه لطفاً وتـكسِرُ من عُنف الأعاصير
وتسـتبيك بحشـدٍ مـن روائعهـا مـوفٍ عـلى كـلِّ منظـوم ومنثـور
وحـيٌ يَجِـلّ عـن الألفـاظ مـا نشرت طلائـعُ الفجـرِ فيهـا مـن تباشـير
كـم في الطبيعـة مـن معنـى يُضيّعُه عـلى القـراطيس نقـصٌ في التعـابير
هنـا الطبيعـة نـاجتني معـبِّرةً عـن حسـنها بأغاريـد العصـافير
وبـالحفيف مـن الأشـجار منطلقـاً عَـبْر النسـيم وفي نفـح الأزاهـير
ومنـزلي عُـشٌّ صـيداح أقـيِمَ عـلى خضراءَ غارقـةٍ في الظـل والنـور
هنـا الخيـالُ كصـافي الجـوِّ منطلـقٌ صـافي المُـلاءَةِ ضـحّاكُ الأسـارير
وقـد تفجَّـر يُنبـوعُ الجـمالِ بهـا عـن كـل معنىً بـديع القصـدِ مأثور
حتـى كـأنّ عيـونَ الشـعر يُعوِزُهـا وصـفٌ لـدقائقِ مـن هـذي التصـاوير
فـما تُلِـمُّ بهـا إلاّ مقاربـةً ولا تحـيطُ بهـا إلاّ بتقـدير
وجـدت أَلْطَـفَ مـا كانـت مخالطـةً نـقُّ الضـفادع في لحـن الشـحارير
وقـد بـدا الحقـلُ في أبهـى مظـاهره بسـاطَ نـورٍ عـلى الأرجـاء منشـور
وأرسـل البـدرُ طيفـاً مـن أشـعّتِه كـان الضـمينَ بإينـاس الـدياجير
واستضـحك الشـط مـن لـئلاء طلعتـه كأنـه قِطِعـاتٌ مـن قـوارير
واسترقص القمرُ الروضَ الذي ضحكت ثغـورُه عـن أقـاح فيـه ممطـور

***

عبادة الشر!..

دع النُبــلَ للعــاجز القُعْــدَدِ وما اسـطعتَ مـن مَغنم فـازْدَدِ
ولا تُخْــدَعَنَّ بقــولِ الضِــعافِ مــن النــاس أنّــك عَـفُّ اليــد
وأنــك في العــيش لا تقتفــي خطــا الأدنيــاءِ ولا تقتــدي
سفاسـفُ تضـحك مـن أمرهـا صرامــةُ ذي القــوةِ الأيّــد
فــلا تغــد طوعــاً لأمثالهــا متــى مــا تُغــرَّرْ بهــا تَنْقَــد
ولا تَبْــقَ وحــدَكَ في حِطّــة ومهــما يكــن سـلمٌ فاصـعد
فإنــك لــو كنــت محـضَ الإبـاء ومحــضَ الشــهامة والسُّــودَد
وأصْـدَقُ في القـول مـن هُدْهُـدٍ وأخشــنُ في الحـق مـن جلمـد
وأعطيـتَ في الخلـق طُهـرَ الغـمام وفي الفضــل منزلــةَ الفرقــد
شريفــاً تشــير إليــك الأكــفُّ وتُنْعَــتُ بــالعَلَم المُفْــرَد
لمــا زاد حظُّــك مــن عِيشــة عــلى حــظِّ ذي العاهــةِ المُقْعَــد
إليــكَ النصــيحةَ مــن مُصْـطَلِ بنــار التجــارب مُستَحْصِــد
سـتطلُبُها عنـد عـضّ الخطـوب عليــك بأنيابهــا الحــرّد
رِدِ العــيشَ مــزدحمَ الضِــفَّتَيْنِ مــن الغِــشّ ملــتحمَ المَــورد
مليــاً بــذي قــوة يَسْــتقي وذي عِفّــةٍ مستضــام صــدي
وجُــلْ فيــه أروغَ مــن ثعلــبٍ وأشــجعَ مــن ضـيغم مُلْبِـد
وكــن رجــلَ السـاعةِ المجتبَـى مــن اليــوم مــا يرتجَـى في غـد
وإلا فإنّــك مــن منكــد مــن العــيش تمشي إلى أنكــد
ذلــيلاً متــى تمـضِ لا يُبتـأسْ عليــك وإن تبــقَ لا تُنْشَــد

وأنــــت إذا لم تمــــاش الظـــروفَ ... ءَ ـلى كــل نقــص حريــبِ ردي
إذا مــا مخضــتَ نفــوسَ الرجــالِ ... مـــن الأقـــربين إلى الأبعـــد
وأوقفـــتَ نفســـك للمـــدعين ... ســـموّ المقاصـــدِ بالمرصـــد
تيقنـــتَ أن الـــذي يـــدّعون ... مـــن المجـــد لـــلآن لم يُولَـــد
هـم النـاسُ لا يفضُـلون الوحـوشَ ... بغـــير التحيُّـــلِ للمقْصِـــد
فـلا تـأتِ سـاحةَ هـذي الـذئابِ ... تُنازِلُهـــــا بفـــــم أدرد
وخــذ مخلبــاً لــك مــن غَـدْرَةٍ ... ونابــاً مــن الكِــذْبِ فاستأســد
ولا تتـــديَّنْ بغـــير الرّيـــاءِ ... وغَـــيْرَ النفـــاق فـــلا تعبُـــد
وصـــلِّ عـــلى ســائرِ الموبقــاتِ ... صـــلاةَ المُحـــالِفِ للمســـجد
ومـا اسـطعت فـاقطع يـد المُعْتَـدَي ... عليـــه وقبّـــلْ يـــدَ المُعتَـــدي
ومجّــدْ وضــيعاً بهــذي الهِنــات ... تحــدّى مكانـــةَ ذي المَحتِـــد
ونفسَـــك في النفـــع لا تبلُهـــا ... وعَقْلَـــكَ في الخـــير لا تُجهِـــد
يغطّـــي عـــلى شَرَفِ المنتَمـــى ... ويســـحق مـــن عـــزّة المَوْلِـــد
ويــقضي عــلى مُطْـرِفِ المكرُمــات ... ويـــأتي عـــلى الحَسَـــب المُتلـــد
مهارشـــةَ الواغـــلِ المـــدّعي ... وتهويشـــةَ المُغْـــرِضِ المُفسِـــد
أقـــول لـــنفسي وقـــد عربـــدتْ ... رجـــالٌ لغاياتهـــا عربـــدي
ولا تَحْسَـــــبينيَ في مــــأزقِ ... قليـــلَ الغَنـــا ضـــيِّقَ المَنْفَـــد
وهيهـــاتَ لا تـــدركين المنـــى ... بســـيرِ أخـــي مَهَـــلِ مُقْصِـــد
وإنـــكِ إن لم تـــواني الحيـــاةَ ... بـــنفس المُخـــاطِرِ تُســـتَعْبَدي
ولا بـــدّ أن تقحمـــي مقحمـــاً ... وإلا فـــلا بـــد أن تُطْـــرَدي

فحِصّـــةُ مســـتحفزٍ مجـــرم لأشرفُ مـــن حِصّـــةِ المجتـــدي
رأيـــت المغـــامر في موقـــف بـــه يفْتَـــدي نفسَـــهُ المفتـــدي
تناوَلُـــهُ الألْسُـــنُ المُقْـــذِعات ويعصِـــفُ بالشـــتم منـــه النـــدى
وحيـــداً كـــذي جَـــرَبٍ مـــزدَرىً يـــروح هضـــيماً كـــما يغتـــدي
ولم يَطُـــلِ العهـــدُ حتـــى انجلـــت كـــوارثُ مـــا هـــنّ بالسرمـــد
فكـــان الأمـــيرَ وكـــان الـــزعيمَ وكـــان مثـــالَ الفتـــى السّـــيد
وكـــان المبَّجـــلَ عنـــد المغيـــب وكـــان المقَـــدَّمَ في المشـــهد
يَلَـــذُّ لكـــلِ فـــم ذكْـــرُهُ متـــى يجْـــرِ في مَحْفِـــلِ يُحْمَـــد
وكـــان وأمثالُـــه عـــبرةً عـــلى ضـــوئهايهتدي المهتـــدي

***

رابطة الآداب

نَهَضْـــتُمْ بهـــا جمعيـــةً يُرْتَجـــى بهـــا هـــدى كَتْلَـــةٍ فـــيما تُحـــاولُ خابطَـــهُ
عســـى أن تُنـــيروا للشـــبابِ طـــريقَهمْ وأنْ تُنْعِشوا روحاً مـن اليـأس قانطه
إذا فَشِـــلَتْ كـــلُّ الـــروابطِ بيننـــا فرابطـــةُ الآدابِ أمـــتنُ رابطـــه

***

إلى «الباجة جي» في نكبته

ألا إنـــما تَبغـــي العُـــلى والمكـــارمُ مـــن الله أن يَبْقـــى لهـــنَّ «مُـــزاحمُ»
فتـــى الدولـــةِ الغـــراءِ تَعْلَـــمُ أنَـــهُ عليهـــا إذا نـــام الخليـــونَ قـــائم
وذو الحكم مرهوباً على المُلكِ ساهرٌ وفـيها يصـونُ الحكْـمَ والمُلْـكَ حـازم

وذو الخُلُقِ الضّافي يَخالُ مرّفهاً ... وفي الصدر أمواجُ الأسى تتلاطم
يَبِيتُ على شوكِ القَتادَ وَينْطوي ... على مَضَضٍ حتى تُرَدَّ المظالم
عليمٌ بآدابِ السياسةِ تَنْجلي ... لِفِطْنَتِهِ أسرارُها والطلاسم
ضمينٌ إذا ما الجوُّ غامَ بطارئ ... جليلٍ بأن تَنْزاحَ عنه الغمائم
على وجهِهِ سِيماءُ أصيدَ أشوسٍ ... وفيه من النفس الطَّموح علائم
جَهيرٌ يرى الأقوامُ عندَ احتدامِهِ ... إذا أغضبوهُ كيْفَ تدأى الضَراغم
وفي العنفِ فَهوَ الأبْلَقُ الفرد مَنْعَةً ... وفي اللِّينِ فهو المصحبُ المتفاهم
لقد مارس الأيام ذو خبرةٍ بها ... ذكيٌّ لحالاتِ الزمان مُلائم
وما هو إن خيرٌ تحداهُ طائشٌ ... ولا هو إن خيرٌ تعدّاهُ نادم
ومرتقبٌ للشرِ والشرُّ غائبٌ ... ومسْتَحْقِرٌ للشرّ والشرُّ قادم
على ثقةٍ أنَّ الحياةَ تَراوُحٌ ... نسائمُها جوّالةٌ والسمائم
وماشٍ إلى قلبِ الحقودِ بِحيلةٍ ... يُداوي بها حتى تُسَلَّ السّخائم
وقد عَلِمَ الأقوامُ أنَّ مُزاحماً ... من الشعبِ مخدومٌ وللشّعبِ خادم
ولما اعتلى دَسْتَ الوزارة ... وُطّدَتْ بهمتِهِ آساسُها والدعائم
عفيفُ يدٍ لا يَحْسَبُ الحُكمَ مَغْنَماً ... ولو شاء لم تَعْسُر عليه المغانم
ترفعَ عن طرْقِ الدنايا فمالَه ... سوى المجدِ والقلبِ الجريءِ سلالم
لقد سرّني أنَّ الزّمانَ الذي سطا ... عليكَ بحربٍ عاد وَهْوَ مُسالم
وأن ظروفاً ضايَقَتْكَ عوابساً ... أتتك تُرَجّي العفْوَ وَهْيَ بواسم
وقد أيقَنَتْ إذ قاوَمَتْكَ كوارثٌ ... بأنّكَ لا تُستطاعُ حينَ تُقاوم
وَجَدْتُك خشن المسّ تأبى انحلالةً ... وتَنْحَلُّ في البلوى الجلودُ النواعم

تلقيت يَقْظانَ الفؤادِ حوادثاً ... يُرَوِّعُ منها في التَّخَيُّلِ حالم
وقد كنتَ نادَمْتَ الكثيرَ فلم تَجد ... على حينَ عَضَّتْ كُرْبةٌ مَنْ تُنادِم
وقد كانتِ الزلفى إليكَ تَزاحُماً ... فأصْبَحَ في الزُّلْفى عليكَ التزاحُمُ
ولم تُلْفِ لما استيقظ الخطبُ واحداً ... منَ المانحيكَ الوُدَّ والخَطْبُ نائم
وأنت عَضَدْتَ الملك يَومَ بدا له ... يُهدِّدُهُ قَرْنٌ من الشرّ ناجم
تكفَّلْتَهُ مُسْتَعْصِماً بك لائذاً ... وليس له إلاكَ واللهُ عاصم
ولم أرَ أقوى منكَ جأشاً وقد عدَتْ ... عليكَ العوادي جمّةً تتراكم
وأُفرِدتَ مِثْل السيفِ لا مِنْ مُساعِدٍ ... سوى ثِقةٍ بالنفس أنَّكَ صارم
ولمّا أبَى إلا التَّبلُّجَ ناصعٌ ... من الحق لم تقدِرْ عليهِ النمائم
ولم يجدِ الواشون للكيدِ مَطْمَعاً ... لديكَ ولم يَخْدِشْ مساعيك واصم
خرجْتَ خروجَ البدر غطَّتْ غمامةٌ ... عليه وسرُّ المجدِ أنَّكَ سالم
فللتُّرْبِ أفواهٌ رمتْكَ بباطلٍ ... ولا سَلِمَتْ أشداقُها والغلاصم
وحُوشيتَ عن أيّ اجترام وإنّما ... تُدَبَّرُ من خَلْفِ الستارِ الجرائم
وصَقْرٍ تحامَتْهُ الصقورُ وراعها ... من النظر الغضبانِ موتٌ مُداهم
لقد أحكمت منه الخوافي خؤولةٌ ... ومتت إلى الأعمام منه القوادم
فتى «الحلةِ» الفَيْحاءِ شَدَّتْ عُروقَهْ ... بناتُ الفراتِ المنجِباتُ الكرائم
فجئن بأوفى من تُحلُّ له الحُبا ... وأمتنَ مَنْ شُدَّتْ عليهِ الحيازم
وطيد الحجى لم تستجدّ له الرُّقى ... صغيراً ولم تَعْلَقْ عليه التمائم
وداهية أعلى العراقَ بمجلسٍ ... تصافِحُهُ فيه دُهاةٌ أعاظم
يمثل شعباً يستعدُّ لنهضةٍ ... يُرَدُّ عليها مجدُهُ المتقادم
وألطفُ ميزاتِ السياسيِّ أنّه ... أديبٌ بأسرارِ البلاغةِ عالم

يؤَيــدهُ ذهْــنٌ خصــيبٌ ومنطــقٌ ... متــينٌ كهُــدابِ الـدِمَقْسِ ونــاعم
ورنانــةٍ في المحْفِــلِ الضَّــخْم فــذّةٍ ... تَناقَلُهــا عــن أصــغريهِ الــتراجم
بعيــدة مرمــى مســتفيضٍ بيانُهــا ... يجيء بهــا عفــواً فتَــذْوي العواصــم
ومحتمــلِ للحــقِ مســتأنسٍ بــه ... يُرَجّيــهِ مظلــومٌ ويَخشَــاهُ ظــالم
يَسُــدُّ طريــقَ الخَصْــم حتــى يــردَّهُ ... إلى واضــح مــنْ حُكمِــهِ وَهْــوَ راغــم
وقد أرضت المظلوم والظلمُ مُغْضَبٌ ... مواقِفُــهُ المســتعلياتُ الحواســم
وإنَّ بــلاداً أنجبتْــكَ ســعيدةٌ ... وشــعباً تَســامَى عِــزُّهُ بــك غــانم

***

أنغام الخطوب

مــا أحــوجَ الشــاعرَ الشــاكي لمُغضِبــةٍ ... وميزةُ الشاعرِ الحساسِ في الغضبِ
أمّــا القــوافي فأنغــامٌ تُوَقِّعُهــا ... يــدُ الخُطُــوبِ إذا مــا هيَّجَــتْ عصــبي
أصِــخْ لتلحيــنِ روحــي وهــي ناقمــةٌ ... فــما يهــزُّك لحــنُ الــروح إن تَطِــب
شــجتْك كربــةُ أبيــاتٍ وجــدتَ بهــا ... عــلى كآبتهــا تفريجــةَ الكُــرَب
ثقافــةُ الشــعبِ قــل لي أيــن تَنشُــدها ... أفي الصــحافةِ مزجــاةً أم الكُتُــب
هــذي كــما انــدفعتْ عشــواءُ خابطــةٌ ... وتلــك فيها حــوت « حمالــةُ الحطــب»
أمــا الشــعورُ فــإنّي مــا ظَفِــرْتُ بــه ... في مجلــسِ العلــم أو في مَحْفِــلِ الأدب
لا ثــورةُ الــنفسِ في الأشــعارِ ألمُسُــها ... إلا القليــلَ ولا التــأثيرُ في الخطــب
بــاكون مــا حُرِّكَــتْ في الــنفس عاطفــةٌ ... وضــاحكون ولا شيءٌ مــن الطــرب
مُسَــخّرون بــما تــوحي الوحــاةُ لهــم ... كــما تُهَــزُّ دواليــبٌ مــن الخشــب
لو عالج المصلحون «الجوعَ» ما فَسَدَتْ ... أوضاعُنا.. هذه الفوضى من السغب

شعبي وما أتوقّى من مصارَحَةٍ ... عارٌ على يعربٍ كُلٌّ على العرب
ألهاه ماضيه عن تشييدِ حاضره ... وعن لبابِ المساعي قِشْرَةُ النَّسَب
عشنا على شرفِ الأجداد نَلصقُهُ ..... بنا كما عاش قُطَاعٌ على السَّلَب
قامت تُرَوّجُ آداباً عَفَتْ عُصَبٌ ... ما أبعدَ الأدبَ العالي عن العُصب
هُزَّ القلوبَ بإحساسٍ تَفيضُ به ... ثم ادعُ حتى صخوراً صمةً تُجب
شانت أديباً وحطَّتْ عالماً فَهِماً ... مشاحناتٌ على الألقابِ والرُّتَب
قالوا « أعدْ » لركيكٍ غيرِ مُنْسَجِم ... لو في يدي قلتُ عدّ القولَ وانسحب
حتى صديقٌ عن التقليدِ أرفعُهُ ... مصاخبٌ إذ سوادُ الناسِ في صَخَب
دومي قوافيّ طولَ الدّهْرِ خالدةً ... إن صحَّ أنّكِ أوتادٌ من الذهب
أوْلا فبيني أدالَ اللهُ من أثرٍ ... تنالُ منه يدُ الأعصارِ والحِقَب

***

قتل العواطف

أغْرَى صِحابي بتقريعي وتأنيبي ... طولُ اصطِباري على همٍّ وتَعذيبِ
أيسْتُ من كلِّ مطلوبٍ أُؤمِّلُهُ ... وأصبحَ الموتُ من أغلى مطالبي
إذا اشتهيتُ فزادي غيرُ مُحْتَمَلٍ ... وإن ظَمِئْتُ فورْدي غيرُ مشروب
جارتْ عليَّ الليالي في تقلّبِها ... وأوهَنَتْ جَلَدي من فَرْطِ تقليبي
عَوْداً وَبَدْءاً على شرٍّ تُعاوِدُهُ ... كأنّني كرةٌ لِلّعْبِ تلهو بي
يا مُضغةً بين جنبيَّ ابتُلِيتُ بها ... لا كنتِ من هدفٍ للشرِّ منصوب
ومن مثارِ همومٍ لا انتهاءَ له ... ومن مَصَبِّ عناءٍ غيرِ منضوب
وقد رددتُ رزايا الدهرِ أجْمَعَها ... إلى سِجِلَّيْنِ محفوظٍ ومكتوب

مـا بـين مُكْتَشَـفٍ بالشعـرِ مُفْتَضَـحٍ وبـين مُخْتَـزَنٍ في القلـب محجـوب
إني عـلى الـرّغْم ممـا قـد نُكِبْـتُ بـه فقـد يحـزّ فـؤادي لفـظُ منكـوب
شـكت إليّ القـوافي فـرطَ ما انتبذَتْ وكنـتُ أراهـا خـيرَ مصـحوب
وعـاتَبَتْني عـلى الهجـرانِ قائلـةً أكنتُ عِنْدَكَ من بعض الألاعيب!
تلهـو بهـا وإذا مـا شـئتَ تَطْرَحُهـا موقوفـةً بـين تَبعيـدٍ وتقريـب
كم ساعدتْك على الجُلّى وكم دَفَعَتْ هواجساً عن فؤادٍ منكَ « متعوب »
سَجَّلْتُها آهـةً حـرَّى وكـم ذهبـتْ طيَّ الريـاح سُـدىً آهـاتُ مكـروب
فقلـتُ حسـبي الـذي ألهبـتكُنّ بـه من لاعجٍ في حنايا الصدرِ مشبوب
ومـن قـوافٍ بـذَوْبِ الـدَّمْعِ نشـأتُها ومن قصيدٍ لفرطِ الحُزْنِ منسوب
لو اكتسى الشعرُ لوناً لاقتصرتُ على شـعرٍ بِقاني نجيع القلبِ مخضوب
وما اشتكائي إلى الأشعارِ من مُضَضٍ إلا شـكيَّةَ محـروبٍ لمحـروب
إنّ الأديـبَ وإنَّ الشـعرَ قَـدْرُهُما مطـرَّحٌ بـين منبـوذٍ ومسـبوب
لم يبـقَ مـنْ يسـتثيرُ الشِـعْرُ نَخوتَـهُ ومـن يُحَرِّكُـهُ لُطْـفُ التراكيـب
أعـلى مِـنَ الشّـعرِ عنـدَ القـوم منزلـةً نَفْـخُ البطـونِ وتَطْريـزُ الجلابيـب
ورُبَّ قافيـةٍ غـرّاءَ قـد ضَـمِنَتْ أرقَّ معنـىً تَـرَدَّى خَـيْرَ أُسْـلُوب
مـن اللـواتي تُغَـذِّيهنَّ عاطفـةٌ جياشـةٌ بـين تصـعيدٍ وتصـويب
هـزَزتُ فيهـا نيـاطَ القلـبِ فـانتثرت بهـا شـظايا فـؤادٍ جـدٍّ مشـعوب
رهنتُهـا عنـد فـجِّ الطَّبْـع محـتقنٍ بغـيرِ صُـمِّ العـوالي غـيرِ مجـذوب
ظننتُنـي صـادقاً فـيما ادَّعَيْـتُ بهـا حتـى انـبرى لـؤمُ جانيهـا لتكـذيبي
أرخَصّتُها وهـي علـقٌ لا كِفـاءَ لَـهُ ورُحْـتُ أصْـفِقُ فيها كَـفَّ مغلـوب

تشكو اغتراباً لَدَى من ليسَ يَعْرِفُها ... كما شكَتْ طبعَ راميها بتغريب
عفواً فلولا اضطرارُ الحالِ يُلجئني ... لكنتُ أنفَسَ مذخورٍ ومكسوب
قالوا استفدتَ من الأيام تَجرِبةً ... والموتُ أرْوَحُ من بعضِ التّجاريب
تُعْفي الشدائدُ أقْواماً بلا أدَبٍ ... وتبتلي غيرَ مُحتاج لتأديب
ما كان مِن قبلِها عُودي بذي خَوَرٍ ... للعاجمينَ ولا قلبي بمرعوب
ولا ذُعِرْتُ لشرٍّ غيرِ مُنْتَظَرٍ ... ولا نزقتُ لخيرٍ غيرِ محسوب
يا خيرَ موهبةٍ تزكو النفوسُ بها ... بعداً فإنك عندي شرُّ موهوب
يُرضِي الفتى عَيْشُهُ ما دامَ يَغمُرُهُ ... بالطيباتِ ويُغْريهِ بتحبيب
حتى اذا رَمَتِ الويلاتُ نِعَمَتَهُ ... ونَغَّصَتْها بتقويضٍ وتخريب
سمَّى مُعاكسةَ الأيام تَجْرِبَةً ... وراح يَخْدَعُ نَفْساً بالأكاذيب
والعيشُ بالجهلِ أو بالحِلم إن خَبُثَتْ ... مِنْهُ الحواشي فشيء غيرُ محبوب

❊❊❊

ليلة معها

لا أكذبَنّكِ إنّني بَشَرٌ ... جَمُّ المساوي آثِمٌ أشِرُ
لا الحبُّ ظمآناً يُطامِنُ مِنْ ... نفسي وليس رفيقيَ النظَر
ولكم بَصُرْتُ بما أضيقُ به ... فوَدِدْتُ أنّي ليس لي بصر
أو أنني حجر وربّما ... قد بات أرْوَحَ منّيَ الحَجَر
لا الشيءُ يُعْجِبُهُ فَيَمْنَعُهُ ... فإذا عداه فكلّهُ ضَجر
ولكم ظَفِرتُ بما بصرتُ به ... فحَمِدْتُ مرأى بعدَهُ ظفَر
شفتاي مُطْبَقَتانِ سيدتي ... والخُبْرُ في العينينِ والخَبَر

فاستشـــهِدِي النظـــراتِ جاحِمَـــةً ... حمـــراءَ لا تُبْقـــي ولا تَـــذر
ولرغبـــة في الـــنفس حـــائرة ... مكبوتـــــة يتطـــــايرُ الشرر
إنـــا كلينـــا عارفـــان بـــها ... حَـــوَتِ الثّيـــابُ وضَـــمَّتِ الأُزُر
وبنـــا ســـواءً لا حيـــاءَ بنـــا ... الجـــذوةُ الخرســـاءُ تســـتعر
فعـــلى مَـــا تجتهـــدين مُرْغَمَـــةً ... أن تَسْـــتري مـــا لـــيس يَنْسَـــتِر
كـــذب المنـــافقُ . لا اصـــطبارَ عـــلى ... قـــدٍّ كَقَـــدِّكِ حـــينَ يُهْـــتَصَر
ومُغَفَّـــلٌ مـــن راح يُقنِعُـــه ... منـــك الحـــديثُ الحلـــوُ والســـمر
يُـــوهي الحجـــى ويُـــذيبُ كـــلَّ تُقـــىً ... مـــن مُدّعيـــهِ شـــبابُك الـــنَّضِر
ويَـــرُدُّ حلـــمَ الحـــالمين عـــلى ... أعقابِـــــهِ التفتـــــيرُ والخَفَـــــر
الـــنَّفْسُ شـــامخةٌ إذا ســـعُدَتْ ... بـــك ســـاعةً والكـــونُ مُحْتَقَـــر
وفـــداء « محتضـــن » ســـمحتِ بـــه ... مـــا تفجـــع الأحـــداثُ والغـــير
حلـــم أخـــو اللـــذاتِ مفتقـــد ... أمثالُـــــهُ وإليـــــه مفتقِـــــر
وســـويعة لا أســـتطيعُ لهـــا ... وصـــفاً فـــلا أمْـــنٌ ولا حَـــذَر
يـــدها بناصـــيتي ومحْزَمُهـــا ... بيـــدي فمنـــتَصِرٌ ومنـــدَحِر
فلـــئن غَلَبْـــتُ فَخَـــيْرُ متَّسَـــدٍ ... للشـــاعرِ الأعكـــانُ والسُرَر
ولـــئن غُلِبْـــتُ فغـــالبي مَلَـــك ... زاوٍ بـــــهِ المغلـــــوب يفتخـــــر
لا شـــامت أن قـــدرة عرضـــت ... بـــل صـــافحٌ عنـــي ومغتفـــر
أمســـكتُ « نهـــديها » وأحسَـــبُني ... أشْـــفَقْتُ أن تتـــدحرجَ الأُكَـــر
عنـــدي مـــن اســـتمتاعةٍ صُـــوَرٌ ... ومِـــنَ التَّغـــنُّج عنـــدَها صُـــوَر
قالـــت وقـــد باتَـــتْ تطـــاوعُني ... فـــيما أُكَلِّفُهـــا وتـــأتَمِر

أمعانيـــاً حاولـــتَ تَنْظِمُهـــا تختـــارُ مـــا تَهْـــوى وتَبْتكِـــر
إني وردتُ « الحـــوضَ »ممتلئـــاً شَـــهْداً يفـــوحُ أريجُـــهُ العَطِـــر
ولقـــد صـــدرتُ ولـــيس بي ظَمَـــأٌ لله ذاكَ الـــــوِردُ والصَّـــــدَر
وإذا صـــــدقتْ فإنــــه بـــــدَنٌ لأطايــــب اللــــذاتِ مُخْتَــــبَر
يــا زهـــرةً في ربيعهـــا قُطِفَـــتْ كـــأرقِّ مـــا يفتَّـــقُ الزَّهَـــر
نِعْـــمَ القضـــاءُ قضى بمرتشَـــفٍ لي مـــن « لمـــاك » وحبّـــذا القَـــدَر
مـــا إنْ أخَصِّـــصُ منـــكِ جارحـــةً كـــلَّ الجـــوارح منـــكِ لي وطـــر
يُـــزرْي بفلســـفةٍ مطّولـــةٍ والعلـــمُ شيءٌ فيـــــك مُخْـــــتَصَر
« ومعبــــد » لم يبـــل منهجـــه بالســـالكيه ولم يَلُـــحْ أثَـــر
إني لآسَـــفُ أنْ يجـــورَ عـــلى خـــدّيكِ خـــدٌّ كلُّـــهُ شَـــعَر
وعـــلى إهـــابٍ منـــكِ ممتلـــئٍ مَرحَـــا إهـــابٌ مِلـــؤُهُ كَـــدَر
هـــذا الحريـــرُ الغَـــضُّ مَلْمِسُـــهُ حَيْـــفٌ يُخَـــدِّشُ حَنْبَـــهُ الـــوبر
عينـــي فِـــدى قَـــدَمَيْكِ ســـيّدتي عينـــاكِ قـــد أضـــناهُما السَّـــهَر
لا أكتفــــي بـــالروحِ أُزْهِقُهـــا عُـــذراً إليـــكِ فكيـــف أعتـــذر
قلـــبٌ تجمَّعَـــتِ الهُمُـــومُ بـــه نَفَّسْـــتُ عنـــه فهـــو مزدهِـــر
ضـــنكُ المنافـــذِ لا مكـــانَ بـــه لَمَسَرّةٍ واليــــومَ ينـــــتشر
لَـــوْ لَمْ تُحلِّيـــه عـــلى ســـعةٍ مـــن رُحْـــبِ صـــدركِ كـــانِ يَنْفَجِـــر
سَـــحَرٌ زمـــاني كلُّـــهُ لِهَـــوَى ليـــلٍ بقربـــك كلُّـــه سَـــحَر
وأرى ليـــاليَّ الطِـــوالَ بهـــا شَـــبَهٌ ففـــي ســـاعاتِها قِصَر

***

عقابيل داء

عقابيــلُ داءٍ مــا لهُــنَّ مطبِّــبُ ووضـعٌ تغشَّـاهُ الخَنـا والتذَبـذُبُ
ومملكــةٌ رهــنُ المشــيئاتِ أمرُهــا وأنظمــةٌ يُلهــى بهــنَّ ويُلْعَــب
وناهيـكِ مِـن وضـع يعـيشُ بظلّـه كـما يتَمنَّـى مَـن يخـونُ ويكـذِب
وقـرَّ عـلى الضـيم الشـبابُ فلـم يَثُـرْ وأخلـدَ لا يُسـدي النصـيحةَ أشـيب
كـأنْ لم يكــنْ في الرافـدينِ مُغـامرٌ وحتـى كـأنْ لم يبـقَ فيـه مجـرِّب
أعُقْـماً وأمَّـاتُ الـبلادِ ولـودةٌ وإنَّــكِ يــا أُمَّ الفـراتينِ أنجـب
وما انفكَّ يُزهى منكِ في الصِّيدِ أصيدٌ ويَلْمَـعُ في الغُلْـبِ الميـامينِ أغلـب
إذا قيـلَ مِـن أرضِ العـراق تطَّلعَـتْ عيـونٌ لـه وانهـالَ أهـلٌ ومرحـب
يُحكِّـمُ في الجُـلَّى أغـرُّ مُشَّـهَرٌ ويحْتـاجُ في البلـوى عـذيقٌ مرَجَّـب
فـما لـكِ لا بـينَ السـواعدِ سـاعدٌ يُحَـسُّ ولا بـينَ المناكـبِ مَنكِـب
تنـادتْ بويـلِ في ديـاركِ بومـة وأعلَـنَ نَحْسـاً في سـماكِ مُـذَنَّب
وأُلْبِسْـتِ مـن جَـورٍ وهضـم ملابسـاً أخو العزِّ عنها وهـو عريـانُ يرغـب
تكـاثرت الأقـوالُ حَقـاً وبـاطلاً وقـالَ مقـالَ الصدقِ جلْفٌ مُكذَّب
وشُـكِّكَ فـيما تدَّعيـه تظنِّيـاً ولـو أنَّـه شـحمُ الفـؤادِ المـذَوَّب
وبـاتَ سـواءً مـن يثـورُ فيغـتلي حماسـاً ومـن يلهـو مُزاحـاً فيلعـب
فـما لـكَ مـن أمـرينِ بُـدٌّ وإنـما أخفهـما الشرُّ الـذي تتجنـب
سكوتٍ على جمرِ الغضـا من فضـائح تُمَثَّـلُ أو قـولٍ عليـه تُعـذَّب
تخفَّـتْ أُبـاةٌ حـين لم يُلْـفَ مركـبٌ نزيـهٌ إلى قصـدٍ مـن العيشِ يُركـب
فـلا العلـمُ مرجـوٌّ ولا الفَهـمُ نـافعٌ ولا ضـامنٌ عـيشَ الأديـبِ التـأدُّب

ومُــدَّخَرٌ سـوطُ العــذابِ لنـاهضٍ ... ومُــدَّخَرٌ للخامــلِ الغِـرّ مَنْصِـب
أقــولُ لمرعــوبٍ أضــلَّ صـوابَه ... تَـرِدّي دسـاتيرٍ تُضِـلُّ وتُرْعِـب
ألا إن وضــع النهـى والأمـر عنـدنا ... غريـب وأهـل النهى والأمر أغـرب
تـداولَ هـذا الحُكْـمَ نـاسٌ لـوَ أنَّهـم ... أرادُوهُ طيفـاً في منـام لخُيِّبـوا
ودعْ عنـكَ تفصـيلاً لشَـتَّى وسـائلٍ ... بهـا مُلِّكُـوا هـذي الرقـابَ وقرِّبـوا
فأيسَرُهـا أنْ قـد أُطِيـلَ امتهـانُهم ... إلى أنْ أدرُّوا ضَرعَهـا وتحَلَّبـوا
وأعجـبُ مـا قـد خلَّفتْـهُ حـوادثٌ ... قليـلٌ عـلى أمثـالهنَّ التَّعجـب
سـكونٌ تَغشَّـى ثـائرينَ علـيهمُ ... يُعَـوَّلُ أنْ خطـبٌ تجـرَّمَ أخْطـب
عتـابٌ يحُـزُّ الـنفسَ وقعـاً وإنـه ... لأنزهُ من صوبِ الغوادي وأطيب
علـيكُمْ لأنَّ القصـدَ بـالقولِ أنـتمُ ... ولـيسَ عـلى كـلّ المسيئينَ يُعتـب
هَبـوا أنَّ أقوامـاً أمـاتَ نفوسَـهُم ... وألهـاهُمُ غُـنْمٌ شـهيٌّ ومكسَـب
قصـورٌ وأريـافٌ يَلَـذُّونَ ظِلَّهـا ... وجـاهٌ وأمـوالٌ ومَـوطيٌ ومَركـب
يخـافونَ أنْ يَشْـقوا بهـا فيؤاخَـذوا ... إذا كشـفوا عـمّا يَـروَن وأعربـوا
فـما بـالُ محـروبينَ لم يحـلُ مَطعـمٌ ... لهُـم فيُلهـيهمْ ولم يصـفُ مَشْرَب
خَلِيِّـينَ لا قُربـى فيُخشَـى انتقاصُـها ... لـديهمْ ولا مـالٌ يُبَـزُّ فيُسْـلَب
سـلاحُ الـبلادِ المرهـفُ الحـدِّ مالـه ... نَبـا منـهُ في يـوم التَّصـادُم مضرب
عـلى أنَّنـي إذ أُوسْـعُ الأمـرَ خِـبْرَةً ... يلوحُ ليَ العذرُ الصحيح فأصْحِب
همُ القومُ نِعم القومُ لكنْ عراهمُ ذهولٌ ... ذهـولٌ بـه تُصْبي الغَيارى وتُخلَب
تَغـوَّلَ منهم حـزمَهُم إلْـبُ دهـرِهم ... علـيهم وقـد يُـوهي القـويَّ التألّـب
وكـلّ شُـجاع عـاونَ الـدهرَ ضِدَّه ... مـرّ جـيهمُ فهـو المضـامُ المغلَّـب
قليلـونَ في حـينِ الرزايـا كثـيرةٌ ... وطيـدونَ في حينِ الأساليبُ قُلَّـب

جريئـونَ لكـنْ للجـراءةِ موضـعٌ ... وعاقبـةٌ إنّ العواقـبَ تُحْسَـب
يُلاقـون أرزاءً يَشُـقّ احتمالُهـا ... وليس بميسـورٍ عليهـا التّغلّـب
فهـاهم كمَـنْ سُـدَّ الطريـقُ أمامَـه ... وضـلَّله داج مـن الليـلِ غَيْهَـب
عـلى أنّهـم لا يهتـدُونَ بكوكـبٍ ... وقد يُرشِدُ الحَيرانَ في اللّيلِ كوكب
إلى الأمـم الـلاّتي اسـتَتَمَّتْ وُثوبَهـا ... تَشَـكَّى اهتِضـاماً أُمَّـةٌ تَتوَثـب
إذا خلصَـتْ مِـن عَثْـرةٍ طوَّحـتْ بهـا ... عَـواثرُ مَـن يُؤخـذْ بهـا فهـو مُحْرَب
وإنْ فاتَهـا وحـشٌ صَـليبٌ فـؤادُه ... تعَرَّضَ وحشٌ منه أقسى وأصلَب
يُعـينُ سِياسـياً عليهـا تفـرُّقٌ ... وَيـنصُرُ رَجعيّـاً عليهـا تَعصّـب
أُريـدَ لهـا وجـهٌ يُزيـلُ قُطوبَهـا ... فزيـدَ بهـا وجـهٌ أغـمٌّ مُقطَّـب
وَرُبّـتما لاحـتْ عـلى السـنِّ ضِـحكةٌ ... لـه تَنفُـثُ السـمَّ الزعـافَ وتَلصِـب
يُـرى أبـداً رَّيـانَ بالحِقْـدِ صَـدرهُ ... كـما شـالَ لّلْـدغ الـذنابَينِ عَقـرب
وتلـكَ مـن المُسـتَحْدثِ الحُكـم عـادةٌ ... يَـرى فُرصـةً منـه اقتِـداراً فـيضرِب
ومـا جِئـتُ أهجـوهُ فلـمْ يبـقَ مَوضـعٌ ... نَزيـهٌ لـه بـالهجو يُـؤتى فيُثْلَـب
ولكنّـه وصـفٌ صَـحيحٌ مُطـابقٌ ... يجـيءُ بـه رائـي عَيـانٍ مُجـرّب
تُشَرَّدُ سُـكَّانٌ لسُـكنى طـوارئ ... وتُؤَخـذُ أرضٌ مـن ذويهـا فتوَهـب
ووالله لـولا أنّ شَـعباً مُغَلَّبـاً ... يُلَـزُّ بَقرنيـهِ كمِعـزى ويحلَـب
لمـا عَبِثَـتْ فيـه أكُـفٌّ جَذيمـةٌ ... ولمْ يَعْلُـهُ هـذا الهجـينُ المهلَّـب
ولكـن رَضـوا مـن حُـبّهِمْ لـبلادِهِمْ ... بـأنّهُمُ يَبكُونهـا حـينَ تُنكَـب
فيـا لـكَ مِـن وضـعٍ تعاضـلَ داؤهُ ... تُشـاطُ لـه نَفْـسُ الأبيِّ وتُلهـب
ولله تَـبريحُ الغَيـارى بحالـةٍ ... كـما يَشـتهيها أشـعبيٌّ تُقَلَّـب

يُنَفِّـذُ مـا تَبغـي وتَنهـى « عقائـلٌ » ... وتَعـزِلُ فينـا « غانيـاتٌ » وتَنصِـب
كأنـدلُسٍ لَمّـا تَـدَهْوَرَ مُنْكُهـا ... مُكَنّـى جُزافـاً عِنـدنَا ومُلَقَّـب
ورُبَّ وسـام فـوقَ صـدرٍ لـو أنَّـهُ ... يُجـازَى بحّـقِ كـانَ بالنعـلِ يُضرَب
نشـا ربُّـهُ بـينَ المخـازي وراقـهُ ... وِسامٌ عليها فهو بـالخزي مُعْجَب
أفي كـلِّ يـوم في العـراقِ مـؤمَّرٌ ... غريـبٌ بـه لا الأمُّ منـه ولا الأب
ولم يُـرَ ذا بَطْـشٍ شَـديدٍ وغِلظَـةٍ ... عـلى بَلَـدٍ إلا البعيـدُ المُجنَّـب
أكُـلُّ بَغـيضٍ يُثقِـل الأرضَ ظِلُّـهُ ... وتأبـاهُ يُجبـى للعـراقِ ويُجْلَـب
وحُجَّـتُهم أن كـانَ فـيما مضى لنـا ... أبٌ اسـمهُ عنـدَ النـواريخ يَعْـرُب
عِديـدُ الحَصى أبنـاؤهُ ولِكلِّهـمْ ... مَجـالٌ ومَلهـىً في العـراقين طَيِّـب
وقـد أصـبحوا أولى بنـا مـن نُفُوسِنا ... لأنَّهـمُ أرحامُنـا حـينَ نُنْسَـب
فأمَّـا بَنُـوه الأقربـونَ فـما لهـمْ ... نصـيبٌ بـه إلا مُشـاشٌ وطَحْلـب
فيـا أيُّهـا التـاريخُ فـارفُضْ مَهـازِلاً ... سَتَرفُضُـها أقلامُنـا حـين تُكتَـب
وقُـلْ إنَّنـي أُودعـتُ شـتَّى غَرائـبٍ ... ولا مثـلَ هـذي فهـي منهُنَّ أغـرَب

❊❊❊

الذكرى أو
دمعة تثيرها الكمنجة

يـا مسـتثيراً دمعـةً صَـمدتْ ... لطـوارِئِ الـدّنيا فلـم تَثُـرِ
إنَّ التـي صَـعُبَتْ رياضـتُها ... أنزلتَهـا قسراً عـلى قَـدَر
وأسَـلْتَها وهـي التـي عَجَـزَتْ ... عـن أن تُسـيلَ فـوادحَ الغِـيَرِ
ردتْ نـداءَ كـوارثٍ عَظُمَـتْ ... ودعـا فلبَّـتْ مَنطِـقَ الـوَتَر

هـل عنـد أنْمُلَـةٍ تُحَرِّكُهـا بـاللطفِ إنَّ الـدمعَ بـالأثر
وهـل الـدموعُ ودفعُهـا وطـرٌ للنـاسِ تَـدْري أنَّهـا وطـري
مـا انفكّـتِ البلـوى تُضـايِقُني حتـى شَرَيْـتُ النفـعَ بـالضرر
وَوَجَـدْتُني بالـدمع مبتهجـاً مثـلَ ابتهـاج الـزرع بـالمطر
غطّـى العيـونَ فلـم تَجِـدْ نَظَـراً دمـعٌ أعـزُّ عـليّ مـن نَظَـري
يـا دمعـةً غـراءَ غاليـةً يَفْـديكِ مـا عنـدي مـن الغُـرَر
مـن قـابلاتِ حكـمَ مُنْتَقِـدِ وشـجارِ مفتَخـرٍ ومحتَقـر
لغـة العواطـفِ جـلَّ مَنْطِقُهـا عـن أن يُقـاسَ بمنطـقِ البشر
فتّشـتُ عنـكِ فلـم أجِـدْ أثـراً حتـى ظننـتُ العيـنَ مـن حجـر
ومَرَيْـتُ جَفْنـي مَـريَ ذي ثِقَـةٍ ورجعـتُ عنـك رجـوعَ مُنْـدَحِرِ
وغـدوتُ أحْسُـدُ كـلَّ مكتئـبٍ ذي محجَـرٍ بالـدمع مُنْفَجِـر
كـم أزمـةٍ لـو كنـتِ حـاضرةً فَرَّجْتِهـا بمسـيلِك العَطِـر
لـو كنـتِ عنـدي مـا ثَقلـتُ عـلى كـأس الشراب ومجلـس السَّمر
لغسـلتُ جَفْنـاً راح مـن ظمـأٍ مُتَلَهبـاً مُتَطـايِرَ الشَّرر
أنـا بانتظـارِكِ كـلَّ آونـةٍ علـماً بـأن الحـزنَ مُنْتَظِـري
طـال احتباسُـكِ بـين مُخْتَنَقـي ومحـاجري والآنَ فانحـدري
كنـتِ الأمينـةَ في مخابِئِهـا وأراكِ بعـدَ اليـوم في خطـر
وإذا امتنعـتِ عـليّ فـاقتنعي أنَّ « الكمنجـةَ » خـيرُ مُعْـتَصَر
سـيلي فـلا تُبقـي عـلى غُصَـصِ رانـتْ عـلى قلبـي ولا تـذَري
واستصـحبِي جَزَعـا يلائِمُنـي وخـذي اصـطباري إخْـذَ مُقْتَـدر

فلقــد أضرَّ بَســحتتي جَلَــدي ... فملامحــي تُــربي عــلى عمــري
كــم في انكســار القلـب مـن حِكَـم ... لا عــاش قَلْــبٌ غَــيرُ مُـنْكَسِر
هــذي الطبــائعُ لا يُطَهِّرُهــا ... مثــلُ اصــطلاءِ الهــمِّ والكــدر
وَلَــرُبَّ نفــسٍ بــان رَوْنَقُهــا ... جــراّءَ حُــزْنٍ غــير مُنْتَظَــر
مُــسَّ الكمنجــةَ يَنْبَعِــثْ نَفَــسٌ ... يمتــدُّ في أنفــاسِ مُحْــتَضَر
في طــوع كفــكَ بَعْــثُ عــاطفتي ... وخَلاصُــها مــن زِبقــةِ الضَّــجر
وأزاحنــي عــن عــالَمٍ قَــذِرٍ ... نَحْــسٌ لآخــرَ زاهــرٍ نَضِر
بالســمع يَفْــدي المــرءُ نــاظِرَهْ ... وأنــا فــديتُ السَّــمْعَ بــالبصر
يــا قلــبُ - والنسـيانُ مَضْـيَعَةٌ - ... هــذا أوانُ الــذِّكْر فــادَّكِر
هــذي تواقيــعٌ مُحَلِّقَــةٌ ... بــك في ســماءِ تَخَيُّــلٍ فَطِــر
واســتعرضِ الأيــام حافــةً ... مكتظَّــةً بتَبــايُنِ الصُّــوَر
أذْكُــر مســامَرَةً ومجْتَمَعــاً ... مــزدانتين بقُبلَــةِ الحَــذر
مطبــوعتين بقلــبِ مثريــةٍ ... بالمغريــات وقلــبِ مُفْتَقِــر
متفــاهمين فــما نبــل وجــل ... لوقــوع ذنــبِ عــير مغتَفَــر
أذْكُــرْ تَوَسُّــدَها ثنيَّتَهــا ... وســنانةً محلولــةَ الشــعر
معســولةَ الأحــلام ذاهبــةً ... بِخَيالِهــا لمــدارج الصِّــغَر
أذْكــر يــداً مــرّتْ عــلى بَــدَنٍ ... هــي منــهُ حتــى الآن في خــدُر
وزيــارة والــنفس آمنــةٌ ... وزيــارةٌ والــنفس فى ذعــر
ولُيَيْلَــةً بيضــاءَ خالــدةً ... منهــا عرفــت لذائــذَ السّــفر
ثــم اعطــفِ الــذكْرَى إلى جهــةٍ ... أُخــرى تُــرعْ بعــوالمٍ أُخَــر
تُــذْهِلْ لمغتصَــبٍ عــلى مَضَــض ... أمســى يقلَّــبُ في يَــدَيْ أشِر

بَـدَنٌ بـلا قلـبِ لـدى أثِـرِ ... عـاتٍ عـلى الشَّـهَواتِ مُقْـتَصِر
ثمـرٌ بـلا ظـلٍ لـديك كـما ... في أسرِهِ ظـلٌّ بـلا ثمـر
كـم مثـلِ قلبِـك ذاهـبٌ هـدَراً ... لـتحكُّماتِ الـدين في البـشر

***

ثورة النفس

سـكُت وصـدري فيـه تغـلي مراجـلُ ... وبعـض سـكوتِ المرءِ للمرءِ قاتـلُ
وبعـضُ سـكوتِ المرءِ عـارٌ وهُجْنَـةٌ ... يحاسَـبُ مـن جّراهُمـا ويُجـادَل
ولا عجـبٌ أنْ يُخْرِسَ الوضـعُ ناطقـاً ... بـلى عجـبٌ أنْ يُلْهَـمَ القـولَ قائـل
جـزى الله والشـعرُ المجـوَّدُ نَسْـجُهُ ... بأنكـد مـا تُجْـزَى لئـامٌ أراذل
مخـامِرُ غـدرٍ طوَّحَـتْ بي وعـودُهُ ... فـغُررتُ والتفَّـتْ عـليَّ الحبـائل
وكنـتُ امـرَءاً لي عاجـلٌ فيـه بُلْغَـةٌ ... سـدادٌ ومرجُـوٌّ مـن الخـير آجـل
رخيـاً أمـينَ السربِ محسـودَ نِعمـةٍ ... تَـرِفُّ عـلى جنبَـيَّ منهـا مبـاذل
فغُـودرتُ منهـا في عَـراءٍ تَلُفُّنـي ... مَفـاوِزُ لا أعتادُهـا ومجاهـل
طُمـوحٌ إلى الحتـفِ المـدبَّر قـادني ... وقد يُزهِقُ النفسَ الطُموحُ المُعاجل
كَرِهْـتُ مـداجاةً فرُحْـتُ مشـاغبا ... ولم يُجْـدِني شَـغْب فرُحْـتُ أُجامـل
وأغْرقْـتُ في إطـراءِ مـن لا أهابُـه ... وسـاجلت بـالتقريع مـن لا يسـاجَل
وأصْـحَرْتُ عـن قلبـي فكـان تكالُـبٌ ... عـليّ لإصـحاري وكـان تواكُـل
نـزولاً عـلى حكـم وحفظـاً لغايـة ... يكـون وسـيطاً بيـنهن التعـادُل
ومـا خِلْتُنـي عبئـاً علـيهم وأنهـم ... يريـدون أن يُجتَـثَّ مـتنٌ وكاهـل
ولمـا بـدا لي أنـه سـدٌّ مَخْـرَج ... وقـد أُرتِـجَ البـابُ الـذي أنـا داخـل

وأجلَتْ صدورٌ عن قلوبٍ خبيثةٍ ... ولاحت من الغدرِ الصريح مخايل
رجعت لعُش ٍّ مُوحشٍ أقبنتْ به ... علي الهمومُ الموحشاتُ القواتل
وكنتُ كعُصفورٍ وديع تحاملت ... عليه من الستِ الجهاتِ أجادِل
ورَوَّضْتُ بالتوطينِ نفساً غريبةً ... تراني وما تبغيه لا نتشاكل
وقلتُ لها صبراً وإن كان وطؤهُ ... ثقيلاً ولكن ليس في الحزن طائل
وكَظْمُ الفتى غيظاً على ما يسوؤه ... من الأمر دربٌ عبَّدته الأماثل
ولِلعَقْلِ من معنى العقالِ اشتقاقُه ... إذا اقتِيدَ إنسان به فهو عاقل
وكنتُ ودعوايَ احتمالا كفاقدٍ ... حُساماً وقد رَفَّت عليه الحمائل
حبستُ لساني بين شِدْقَيَّ مُرغماً ... على أنه ماضي الشَّبا إذ يناضل
وعهدي به لا يُرسِلُ القولَ واهناً ... ولا في بيانٍ عن مرادٍ يعاضل
وبيني وبينَ الشعرِ عهدٌ نكثتُه ... ورثَّتْ حبالٌ أُحكِمَتْ ووسائل
وجهّلتُ نفسي لا خمولا وإنما ... تيقنت – أن السيّدَ المتجاهل
وما خلت أني في العراق جميعِه ... سأفقِدُ حراً عن مغيبي يسائل
سَتَرْتُ على كُرْهٍ وضِغْنٍ مَقاتلي ... إلى أن بدتْ للشامتينّ المقاتل
أهذا مصيري بعد عشرين حِجَّةً ... تحلت بأشعاري فهن أواهل
أهذا مصيرُ الشعرِ ريّانَ تنتمي ... إليه القوافي المغدقاتُ الحوافل
سلاسلُ صِيغتْ من معانٍ مُبَغَّضٍ لها ... الذهبُ الأبريزُ وهو سلاسل
ومن عجبٍ أنّ القوافي سوائلا ... إذا شُحِذَتْ للحَصْدِ فِهي مَناجل
وهنَّ كماءِ المُزْنِ لطفاً ورقةً ... وهنَّ إذا جدَّ النضالُ مَعاول
فأمّا وقد بانت نفوسٌ وكُشِّفَتْ ... ستائرُ قوم واستُثِيفَت دخائل
ولم يبق إلا أن يقالَ مساومٌ ... أخو غرضٍ أو ميّتُ النفسِ خامل

فلا عذرَ للأشعار حتى يردَّها ... إلى الحق مرضيُّ الحكومةِ فاصل
لأمِّ القوافي الويلُ إن لم يَقُمْ لها ... ضجيجٌ ولم ترتجَّ منها المحافل
سأقذِفُ حُرَّ القولِ غيرَ مُخاتِل ... ولا بدّ أن يبدو فيُخْزَى المُخاتل
لئن كان بالتهديم تُبْنى رغائبٌ ... وبالخبط والتكديرِ تصفو مناهل
وإن كان بالزلفى يؤمِّلُ آيسٌ ... وبالخُطَّةِ المُثلى يُخيَّبُ آمل
فَلَلْجهلُ مرهوبُ الغرارين صائبٌ ... ولَلْحِلْمُ رأيٌ بَيِّنُ النقصِ فائل
ولَلْغَرَضُ الموصومُ أعلى محلةً ... من المرءِ منبوذاً علته الأسافل
أرى القومَ من يقذع يُقرَّبْ إليهِمُ ... ومن يَجْتَنِبْ يَكْثُرْ عليه التحامل
على غيرِ ما سنَّ الكرامُ وما التقت ... عليه شعوبٌ جمةٌ وقبائل
فلا ينخدعْ قومٌ بفرط احتجازةٍ ... تَخَيَّلَ أني قُعْدُدٌ متكاسل
فإني لذاكَ النجمُ لم يخبُ نَوُؤه ... ولا كَذَبَتْ سيماؤُه والشمائل
وما فَلَّتِ الأيام مني صرامة ... ولا زحزحت علمي بأنيَ باسل
ولكنني مما جناه تسرُّعٌ ... توهمت أنَّ الأسْبَقَ المتثاقل
وإنّي بَعْدَ اليوم بالطيش آخذٌ ... وإني على حكم الجهالةِ نازل
وإني لوثابٌ إلى كل فرصةٍ ... تعِنُّ وعدّاءٌ إليها فواصل
بخيرٍ وشرٍ إن ما أدرك الفتى ... به سُؤْلَه فهو الخدينُ المماثل
وأعلَمُ علماً يقطعُ الظنَّ أنَّه ... لكلِ امرئٍ في كلِّ شيْءٍ عواذل
فإنْ لم يقولوا إنَّه مُتعنِّتٌ ... عَنُودٌ يقولوا مُصْحِبٌ متساهل
تخالُفَ أذواقٍ وبغياً وإثْرَةً ... ومن آدم في العيش كان التّقاتُل
فما اسطعتَ فاجعلْ دأبَ نفسِكَ خَيرَها ... ولا تُدخِلَنَّ الناسَ فيما تحاول

فما الحرّ إلا من يُشاورُ عَقْلَهُ ... وأمُّ الذي يستنصِحُ الغيرَ ثاكل
نَصيحُكَ إما خائفٌ أو مغرَّرٌ ... كلا الرجلينِ في الملماتِ خاذل
وبينهما رأيٌ هو الفصلُ فيهما ... ومعنىً هو الحقُّ الذي لا يجادَل
على أنها العقبى – فباطلُ ناجح ... يَحِقُّ وحق العاثرِ الجَدِّ باطل

***

لعبة التجارب

هو الحُكم – إن حقَّقتَ – لُعبةُ ... يُسَمُّونَ ترقيعاتِهِ بالتجارِبِ
فتجرِبةٌ للحكم خَلْقُ موظفٍ ... وتجرِبةٌ للشعبِ تخريجُ نائب
وإنَّ بلاداً بالتجارِبِ هُدِّمت ... وضُيِّعَ أهلوها لإحدى العجائب
وأعجبُ منه أن يُمنّي رجالُها ... نفوسَهمُ خيراً بعقبى المصائب
تُعطِّلُ أربابُ المواهبِ ريثما ... يُتمِّمُ تخريجُ الضِّعاف المواهب
ولو جَرَّبوا أهل المناصب وحدَهم ... لهانَ.. ولكنْ جُرِّبوا في المناصب
من الظلم أن تأتي قصيدةُ شاعر ... لتُصلِحَ حالاً أو مقالةُ كاتب
فما دامَ حُكمٌ للتجارب راهن ... فليس لنا غيرُ انتظارِ العواقب
ولكنَّ دأبَ الشاعِرينَ تحرُّشٌ ... ومن عادةِ الكُتابِ خلقُ المتاعبّ
دعوا القومَ أحراراً يؤدُّونَ واجباً ... ولا تحسَبوا سهلاً قياماً بواجبّ
ولا تحسبوا سهلاً بناءَ دوائرٍ ... وتوقيعَ أوراقٍ وتوزيعَ راتب
غزا الجهلُ أرض الرافدْينِ فحلّها ... كثيرَ السَّرايا مُستجاشَ الكتائب
طليعةُ جيشٍ للمصائبِ هدَّدتْ ... كرامتَهُ والجْهلُ رأسُ المصائب
وما خيرُ شعب لستَ تعثرُ بينه ... على قارئٍ من كلِّ ألفٍ وكاتب

تمشَّـــى يجـــرُّ الفَقْـــر ردفـــاً وراءهُ ... وأتعِسْ بمصحوبٍ وأتعِسْ بصاحب
وراحـا عـلى الجُمهـور ضيفينِ ألفَيَا ... مُناخـاً جمـيلاً بـين هـذي الخرائـب
فكـــان لِزامـــاً أنْ تحـــوزَ عصـــابةٌ ... تفيـتْ بظـلِّ الجـاه أعـلى المراتـب
وكـــان لزامـــاً أن تـــتمَّ ســـيادةٌ ... عليـه لأبنـاءِ « الـذوات » الأطايـب
وكـــان لزامـــاً أن تُقـــادَ جموعُـــه ... حفـاةً عـراةً مهطعـينَ « لراكـب »
وكـــان لزامـــاً أن تحـــاكَ دســـائسٌ ... لـه تحـت أسـتار الخِـداع الكـواذب
وكـــان لزامـــاً أن تعطَّـــل صـــنعةٌ ... وأن يُصبحَ التوظيفُ أغلى المكاسب
مشى الشعـ [illegible] ـوكَ القُوى واهـنَ ... الخُطى كواهلُه قد أُثقِلتْ بالضرائـب
وقـد حِيـلَ مـا بـين الحيـاةِ وبينـهُ ... فللمـوت منـه بـين عَـينٍ وحاجـب
وكُمَّت به الأفواه عن كشف سوءَةٍ ... كـأنْ لم يكـن مـن ثَـمَّ عتـبٌ لعاتـب
وأوجعُ مـا يُصـ [illegible] ـالغيـورَ مقْـاصرٌ ... أطلَّـتْ عـلى مجحـورةٍ في الزرائـب
يَبِـينُ عـلى الحيطـان شرخُ نعيمهـا ... وتغمُرهـا اللـذاتُ مـن كـلِّ جانـب
وتحيـي ليـالي الـرّقْص فيهـا خليعـةٌ ... تكشَّف عن سوق الحسان الكواعب
ويجبـى إليهـا خمرُهـا مـن مشـارقٍ ... يجـــادُ بهـــا تقطيرُهـــا وَمغـــارب
وتلـك مـن الإدقـاع تتَّسـد الثـرى ... يلاعـبُ جنبيهـا دبيـبُ العقـارب
وقـد ذيـدَ عنهـا الـزادُ رَفهـاً لآكـلٍ ... وحُـرّم فيهـا المـاء صـفواً لشـارب
وإنيَّ في إرضـــائيَ الشِـــعرَ حـــائرٌ ... وإني لمـــأخوذٌ بهـــذا التضـــارب
فقـد يُعجِـز التفكـيرَ ذكـرُ محاسـنٍ ... وقـد يُخجِـل القرطـاسَ ذِكـرُ المثالـب

***

وادي العرائش

يــومٌ مــن العُمْــرِ في واديــكِ مَعــدود ... مُستوحِشــاتٌ بــه أيّــاميَ السُــودُ
نزلــتُ ســاحتَكِ الغنَّــاءَ فانبعثَــتْ ... بالــذكرياتِ الشَّــجيّاتِ الأناشــيد
واجتَزتُ رغـمَ الليـالي بـابَ سـاحرةٍ ... مـرَّ الشـبابُ عليـه وهـو مسـدود
قامَــتْ قِيامتُــه بالحُسْــنِ وانــتشرتْ ... فيــه الأهــازيجُ والأضــواءُ والغيــد
مــا وحــدَهُ غــرَّدَ الشــادي لِيرْقِصَــهُ ... المــاءُ والشــجرُ المهتــزُّ غِرِّيــد
واد هــو الجَنَّــةُ المحســودُ داخلُهــا ... أو أنَّــه مــن جِنــان الخُلــدِ محســود
ثقــي « زحيْلــةُ » أنَّ الحسْــنَ أجمَعَــهُ ... في الكونِ عن حُسناكِ المطبوع تقليد
أنــتِ الحيــاةُ وعمــرٌ في ســواكِ مضى ... فــإنما هــو تبــذيرٌ وتبديــد
أقســمتُ أُعطـي شـبابي حـقَّ قيمتـهِ ... لــو أنَّ مــا فــاتَ منــه اليــومَ مــردود
وكيــفَ بي ونصــيبُ المــرء مُــرْتَهَنُ ... بــه ومَغْنَمُــهُ في العُمْــرِ محــدود
لم يــأتِ للجَبَلْــينِ العــاطفَيْنِ عــلى ... واديــكِ أبهــى وأنقــى منــهُ مولــود
زَفَّــتْ لــه مُتَــعُ الــدُّنيا بشــائرَهــ ... واســتقبلَتْهُ مِــن الطــيرِ الأغاريــد
أوفى عليــه يَقيــهِ حَــرَّ هــاجرةٍ ... سُرادِقٌ مــن لطيــفِ الظــلِّ ممــدود
بــالحَوْرِ قــامَ عــلى الجنبــينِ يحْرُسُــهُ ... مُعَــوَّذٌ مــن عُيــونِ النــاسِ مرصــود
تنــاولَ الأفْــقَ معتــزّاً بقامتــهِ ... لا ينثنــي فَــنَنٌ منــه ولا عــود
يقــولُ للعاصــفاتِ النــازلاتِ بــهِ ... إليــكِ عنــيّ فغــيرُ « الحَــوْرِ » رِعديــد
صُــنْعُ الطبيعــةِ بالأشــجارِ وارفــةً ... لَــهُ وبــالنَّهَرِ الرّقــراقِ تحديــد
خَصَّــتْهُ بــاللُطفِ منهــا فهــو مُنْبَعِــثٌ ... ورُبَّ وادٍ جَفتْــهُ فهــو مــوؤود
طــافَ الخيــالُ عــلى شَــتَّى مظــاهرهِ ... واســتوقَفتْني بــهِ حتَّــى الجْلاميــد

تَنَجَّـرَ الحجـرُ القـاسي بـهِ وبـدا ... في وَجْنَـةِ الصَّـخرةِ الصَّـماءِ توريـد
تجـري الميـاهُ أعاليـهِ مُبعثـرَةً ... لهـا هُنالـكَ تصـويبٌ وتصـعيد
حتـى إذا انحـدَرَتْ تبغـي قَرارتَـهُ ... تَضـيقُ ذرعـاً بمجراهـا الأخاديـد
اسـتقبلَتْها المجـاري يَسْـتَحِمُّ بهـا ... زاهـي الحصى فَلـهُ فـيهنَّ تمهيـد
فهُـنَّ في السـفحِّ عَتْـبٌ رقَّ جـانبُهُ ... وهـن يزفُـرْنَ فـوقَ الصـخرِ تهديـد
مـا بـينَ عَـيْنٍ وأُخـرى فـاضَ رَيِّقُهـا ... أنْ تُلْفَـتَ العـينُ أو أنْ يُعطَـفَ الجْيـد
هـذي « المسيحيَّةُ » الحسـناءُ تـم عـلى ... شرع « المسـيح » لهـا بالمـاءِ تعميـد
كأنَّهـا وعُـ ـُ المـاءِ تَغْمُرُهـا ... مُسـتَنْزَفُ الـدَّم مِـن عِرْقَيْـهِ مفصـود
بُشرى بأيلول شَهرِ الخْمرةِ اجتَمَعَتْ ... عـلى العـرائشِ تَلْـتَمُّ العناقيـد
لله درُّ العَشِـيَّاتِ الحِسـانِ بهـا ... يُسْرِجْـنَ ظُلمتَهـا الغِيـدُ الأماليـد
لُطْـفُ الطبيع ـِ سـودٌ يتّمِمُـهُ ... جمـعٌ لطيـفٌ مـن الجنسَـيْنِ محشـود
في كـلِّ مُقهـىً عشـيقاتٌ نـزلنَ عـلى ... « وادي الغـرام » وعُشَّـاقٌ معاميـد
تـدورُ بيـنهُمُ الأقـداحُ لا كَـدَرٌ ... يعلـو الحـديثَ ولا في العيشِ تنكيـد
الرَّشْـفَةُ النـزرُ مـن فـرط ارتيـاحِهِم ... كـأسٌ مُفايَضَـةٌ والكـأسُ راقـود
خَـوْدَ البِقـاعِ لقـد ضُـيّعْتِ في بَلـدٍ ... تنَـاثَرتْ فوقَـهُ أمثالُـكِ الخُـود
أُسـلوبُ حُسْـنكِ مُمتـازٌ فـلا عَنـتٌ ... في الـروحِ منـهُ ولا في السَبْكِ تعقيـد
نهـداكِ والصـدرُ « ثـالوثٌ أُقدّسُـه ... لـو كـانَ يُجمَـعُ تثليـثٌ وتوحيـد
الخَمْـرُ ممزوجـةً بـالرِّيقِ راقصـةٌ ... والكـأسُ مـرَّتْ بثغـرِ منـكِ عِربيـد
لو يُستجاب رجائي ما رجوتُ سوى ... أنّي وشـاحٌ عـلى كَشْـحيكِ مـردود
جـارَ النِطـاقُ عليهـا في حكومتـهِ ... فـالرِّدفُ مُنـتعِشٌ والخَصْرُ مجهـود

وأعلَنَتْ خيرَ ما فيها مَلابسُها … مُنَمَّقاتٌ عليهنَّ التجاعيد
وكشَّفَتْ جَهْدَ ما اسطاعَتْ محاسنَها … ولم تدَعْ خافياً لولا التقاليد
ما خَصرُها وهو عُريانٌ تتيهُ بهِ … أرقُّ منه إذِ الزُّنَّارُ مشدود
أمَّا البديعانِ من عالٍ ومُنْخَفِضٍ … فِداهما كلُّ حُسْنٍ أُعطيَ الغيد
فقد تجسَّمَ هذا غيرَ محتَشِمٍ … من فرطِ ما ضَيَّقتهُ فهو مشهود
ونطَّ ذيّاك مرتجّاً تقولُ بهِ … رِيشُ النعام على الورْكَيْنِ منضود
إيَّاكَ والفتنةَ الكبرى فنظرتُها … مسحورةٌ كلّها همٌّ وتسهيد
إذا رَمَتْكَ بعينَيْها فَلُبِّها … واعلَمْ بأنَّكَ مأخوذٌ فمصفود
وإنَّما الحبُّ زَحليٌّ فلا صِلةٌ … ولا صدودٌ ولا بُخْلٌ ولا جود
يا موطِنَ السِحرَ إنَّ الشِعر يُنعْشُه … فيضٌ من الحُسْنِ في واديكَ معهود
خيالُهُ من خيالٍ فيكَ مأخذهُ … ولطفُ معنىً من معناكَ توليد
اهتاجني موعدٌ لي فيك يجمعُني … كأنَّني بالشَّباب ،لطَلْقِ موعود
وريعَ قلبيَ من ذكرى مُفارَقَةٍ … كأنَّني من جِنانِ الخُلْدِ مطرود
لا أبعدَ اللهُ طيفاً منك يؤنسني … إذا احتوتنيَ في أحضانها البيد

***

تحية الحلة

عفواً إذا خانني شعري وتبياني … فلُطفُكُم لا أوفّيهِ بشُكْرانِ
وقد يُهوِّنُ عند المرء زلتَه … إحساسُه أنه ما بينَ إخوان
غطارفَ الحلةِ الفيحاءِ أنكُمُ … في كل مَكرمُةٍ فِرسانُ ميدان
وليس إحسانُكمُ نحوي بمبتَدع … هنا منابتُ ألطافٍ وإحسان

للعُـرْبِ سـفرُ نقابـاتٍ مُضـيَّعةٍ ... بـاقٍ لـديكم عليـه خـيرُ عُنـوان
ملامـــحٌ عرَبيّـــاتٌ مُخـــبِّرةٌ ... بـأنكُم خـيرُ منسـوبٍ لقَحطـان
أتيــتُ ربــةَ أشــعاري أُناشــدُها ... عَوناً على الشعر أو صَفحاً عن الجاني
ورُحـتُ منهـا عـلى وَعـدٍ بمغفـرة ... إنْ لم يُسـدِّدْ خطـايَ اليـومَ شـيطاني
وجئـتُ محفِلَكُـم أمشي عـلى ثقـةٍ ... من ربّةِ الشعر عندي صَكُّ غُفران
أبنـاءَ بابـلَ للأشـعار عنـدَكُمُ ... عِـمارةٌ لم يشـيِّدْ مثلَهـا بـانِ
ودولـةٌ برجـال الشـعر زاهـرةٌ ... معمـــورةٌ بمقـــاطيع وأوزان
أقمتمُوهـا عُصـوراً في رعـايتِكم ... لم تَخـلُ مـن آمـرٍ مـنكُم وسُـلطان
طـوعَ الأكُـفِّ دواويـنٌ مشـهَّرة ... وفي الزوايـا مُضـاعٌ ألـفُ ديـوان
هنـا نَمَـتْ عـذَباتُ الشـعر وارقـةً ... غصـونُها قبـل سـوريّا ولُبنـان
وعـنكُمُ أخَـذَتْ مِصرٌ مسـاهِمةً ... في مُعجِـبٍ مـن طريـف القول فَنْان
ومـن شـعور الفـراتِينَ قـد نَهِلَـت ... أرضُ العـراق وعبَّـتْ أرضُ بَغـدان
لكنّنـي مسـتميحٌ عفـوَكم كَرَمـاً ... إذا عَتَبـتُ علـيكم عَتْـبَ غضـبان
وإن نكِـرتُ علـيكم سـيرَ متَّئـدٍ ... وإن طَلَبـتُ إلـيكم سـيرَ عَجـلان
وإن أردت لكـم شِـعراً يُجَسُّ بـه ... نَـبْضُ السياسـةِ مـن آنٍ إلى آن
يكـون منهـا بمرصـادٍ يقابلهـا ... وجهـاً لوجـهٍ عـلى حـدٍ وميـزان
وفي العواطـف أمـواهٌ مُرَقْرَقـةٌ ... وتـارةً هـو تسـعيرٌ لنـيران
شـعراً تُعـالَج أبـوابُ الحيـاة بـه ... يكـونُ عـن كـل مـا فيهـا كـإعلان
نَسَـجتُمُ بُـردةً للشـعر ضـافية ... أتقنـتُمُ لُحمَتَيهـا أيَّ إتقـان
ماشـتْ عصـوراً طِوالاً وهـي زاهيـةٌ ... نُـوراً للملـك وتزيينـاً لتيجـان

ولـو أردتُـم لكانَـتْ زينـةً لكُـمُ ... بهـا يُفـاخَرُ مـا'كرّ الجديـدان
أتـاكُمُ عـالَمٌ ثـانٍ فكـانَ لكـم ... أن تُبرزوهـا بشـكل مُونِـقٍ ثـان
وكـان يكفـيكُمُ حِفظـاً لرَونقِهـا ... أنْ تأخـذوها بأصبـاغ وألـوان
لا أدّعـي أننـي أولَى بتكرِمـةٍ ... وأننـي فـوقَ أصـحابي وأقـراني
ولا أُعـرِضُ أني طـائشٌ فرحـاً ... وأن تَـذكّرتمُوني بعـد نِسـيان
لكـنما سرَّني أن الفـراتَ بـه ... يُقـامُ أولُ تكـريم لفنّـان
ناشـدتُكم بالحَمِيّات التـي دفعـت ... بكـم لـذكرِيَ والإعـلاءُ مـن شـاني
وبالمزايـا الفُراتِيّـات هـذّبها ... جـورُ الطُغـاةِ وكـم فضـلٍ لطُغيـان
ألا اجتهَـدْتُم بـأن لا تتركـوا لَبِقـاً ... أونابغـاً عبقريـاً طـيَّ كـتمان
قد يَبعَثُ الشاعرَ الحَساسَ مزدهراً ... تقـديرُ عاطفـةٍ منـه ووجـدان
وقـد تَبـوحُ عـلى الإهمـال مَوهِبـةٌ ... لـو أُهْبَـت لـرأيتُم أيَّ بَركـان
أنـا الـدليلُ عـلى قَـولٍ أردتُ بـه ... أن لا يكـونَ لـه غَـيري كبُرهـان
تناوشـتْني مـن الأطـراف ناهشـةٌ ... لحمـي عصـابةُ أضـباع وذُؤبـان
كالتْ لِيَ الشَتْمَ ما شاءَت مكارِمُها ... سمحاءَ من دون تطفيف ونُقصـان
وحسـبُكُم وعلـيكُمْ شرحُ مُجمَلـه ... إن لم يكـن شـتمُ إنسـانٍ لإنسـان
وإن صَـدَقتُ فـما للقوم من غَـرَضٍ ... إلا إماتـةُ حِـسٍ فيَّ يقظـان
ولم أجـدْ مـا يُنَسّـيني مَضاضـتَها ... إلا عواطـفَ خُـلاّنٍ وخُلْصـان
وإنـي إنْ رَمَتْنـي أعـينٌ خُـزُرٌ ... فـإنَّ أعيـنكُم بـالّلطفِ تَرعـاني
في الشـعر شَـحْذٌ لعَزْمـاتٍ ومُحتَسَـبٌ ... لطارئـاتٍ وتـرويضٌ لأذهـان
خذوا بما ضمّت « الفيحاءُ » من غُرَرٍ ... مُخَلَّـداتٍ ومـا ضَـمَّ « الغرِيّـان »
ونوِّهـوا باسـم أهليهـا لتَسـمَعَهم ... ولـو عـلى الـرغم منهـا – صُـمُّ آذان

ودَرَّسوا نشْأكم من شِعرِهم قِطَعاً   مُصوِّراتٍ لأفراح وأحزان
هنا بـ « بابلَ » قام الفنُّ تُسنِدُه   حضارةُ المُلكِ من أزمانِ أزمان
هنا مَشَى الفذُّ « بانيبالُ » مُزدَهياً   في موكِبِ بغُواةِ الفنِ مُزدان
تَرجَّلَ المُلْكُ إكراماً له ومَشَتْ   خواشعاً - ساسةٌ غُرٌّ - كرُهبان
مُقَدِّرين من النحّات موهبةً   هي النُبُوّةُ من وحي وإيمان
من هاهنا كان تحضيرٌ لأنظمةٍ   في المشرِقَينِ وتمهيدٌ لأديان
تشريعُ بابلَ هزَّ الناسَ روعتُه   من قبلِ أن يعرِفوا تشريعَ يونان
للآنَ يُحتاجُ في إصلاح مملكةٍ   نظامُ دولةِ آشورٍ وكِلدان
هنا « حمورابِ » سنَّ العدلَ معتمداً   به على حفظِ أفراد وعمران
شكراً جزيلاً لأفواهٍ تُعطِّرُني   بكل مُمْتَدَح الأسلوبِ حَسّان
ريانةً بمُذابِ العاطفاتِ أتتْ   تسعى لقلبِ من الإخلاص رَيان
ولو تمكَّنتُ قدَّمتُ الفؤادَ لكم   لكنَّ تقديمَ إحساسي بإمكاني

***

معرض العواطف

أبرزتُ قلبي للرماة معرَّضا   وجلوت شعري للعواطف مَعرِضا
ووجدتُني في صفحةٍ وعقيبها   متناقضًا في السُخْط مني والرضا
أبرمتُ ما أبرمتهُ مستسهلاً   أن حانَ موعِدُ نقضِه أن يُنقَضا
ونزلتُ منه على الطبيعة منزلاً   ألفيتُني فيه على جَمر الغَضا
متجانياً عن خير مَن أبغَضتهُ   ولشرِّ من أحببتُه مُتعرَّضا
ومدَحْتُ من لا يستحقُّ وراقَ لي   تَكفيرتي بهجائِه عما مَضى

ووجدتُني مُستصعِباً إطراءَ مَن | أطريتُه بالأمسِ طَوعاً ريِّضا
وحَمِدت أني عبدُ قلبي ما اشتهَى | أن ينثني بِودادِه أو يُمحَضا
وحمدت من هذا اللسان سُكوتَه | حتى يُحرِّكَه الفؤادُ فينبضا
فوَّضتُه وحَمَلت ألفَ مصيبة | من أجل أن راح الفؤادُ مفوَّضا
نافقتُ إذ كان النفاق ضريبةً | متحرِّقاً من صَنعتي مترمِّضا
ولكم قَلِقتُ مسهَّداً لمواقفٍ | حَكَمت عليَّ بأن أُداري مُبغِضا
ولَعَنت ربَّ الشعر فيما اختار لي | وبما قَضى.. ولَعَنت أحكامَ القَضَا
وصَدَعت فيها بالصراحة مَرةً | زمراً تُجوِّدُ ان تقولَ فتُغمِضا
ولقد حَدَوت بأصغَريَّ ليُمليا | ما يطلُبان على اليراع ويَفرِضا
غَلَبَ السرورُ فشعَّ رونقُ بعضِها | وخبا رُواءُ الأخرَيات فغُيِّضا
واسوْدّ بالنِيات سوداً خاطرٌ | ومَشَى على البعضِ الصفاءُ فبيَّضا
وخلا فجفَ من العواطف بعضُه | وزها بها بعضٌ فرفَّ وروَّضا
وأتى على عفوٍ فصحَّ نسيجُه | بعضٌ وبعضٌ بالتكلف أمرَضا
وضَحِكت من تشبيهِ ما استعجَلتهُ | بالسَقْط أعجله المخاض فأجهَضا
ووجدتُ في أثنائها رَجعيَّةً | طَفَحَت وكنت لها العدوَّ المُبغِضا
ولكم تبينت الجمودَ مُجسَّماً | في بعض ما قد قلتُه مستنهضا
ولقد حَسِبت مُصارحاً مُتخلِّعاً | في مؤنساتٍ قلتُهن مُعرِّضا
فوددتُ لو أنّي استقيتُ تَرفُّهاً | فيها استَقَيتُ من المجونَ تَبرُّضا
وأنفِت من هذي الطبيعة حرةً | يعاتِقُها التدليسُ أن تتمخَّضا
وخِشيتُها مكبوتةً لتحفُّزٍ | كالليثِ أرهَبُ ما يُري أن يربِضا
وعَجِبتُ ممن لستُ أبلغُ شأوَه | في الموبقات توغُّلاً وتعرُّضا

عَـبَّرتُ في الإحماض عـن شـهواته ... ومضى عفيفـاً مُنكِـراً أن أُحمِضـا
وكشفتُ عـن هـذي الطبـائع ثوبَهـا ... وبســطتهنَّ حريصــةً أن تُقبَضـا
فـإذا بهـا الحشرات تسـكن جيفـةً ... مســتورةً والخــزيُ أن تَتَنفَّضـا
ورأيتهــا مــلأى بكــل رذيلــةٍ ... تجـري مـع العـرق الخبيـث تحرُّضـا
فـإذا استثار الشـعرَ بعـضُ صفاتها ... شـوهاءَ أوجعَهـا البيـانُ وأمعَضـا
واســتثقلت كشــفي لهُــنَّ ولــذَّ لي ... كـوني عـلى مـا اسـتَثْقَلَتْه مُحرِّضـا
ووجـدتُ في هَتـكِ الريـاء مخاضَـةً ... وحَلفت أبرحُ مـا اسـتطَعت مخوِّضـا
وأعــادَت الــذكرى إليَّ أليمــةً ... لمـا انبريـتُ بجمعِهـا مستعرِضـا
فهنـا التـي أطريـتُ فيهـا خُلَّبـاً ... كَـذِباً خُـدِعتُ ببشره إذ أومَضـا
أعطيتُــه قلبــي يفـيضُ عواطفــاً ... حتـى إذا عَلقَـت حبـالٌ أعرَضـا
واســتامَني للمــرجفين دريئــةً ... يهـدي إليهـا شـامتا أو مُغرِضـا
حتـى إذا كشَّـفتُ عـن غَدَراتـه ... قـالوا تقلَّـبَ ناقـداً ومقرِّظـا
وهنـا التـي فاضـت بجـرح نـاغرٍ ... مَضَت السنونَ الجارحاتُ وما مضى
وهنـا التـي فتَّشـتُ عـن شَـبحٍ لهـا ... فـإذا بـه مثـل الخِضـاب وقـد نضـا
سيســوء بعضــاً مــا أرى إثباتَــه ... ويسُرُّ بعضـاً مـا أرى أن يُرفَضـا
ومزيَّتــي وهــي الوحيــدة أننــي ... جاريتُ طبعي في الكثير كما اقتضى
وجعلـتُ آخـرَ مـا يمـرُّ بخـاطري ... تفكـيرتي أن يُجتَـوى أو يُـرتَضَى
ولعـلَّ أحسـنَ مـا بـه مـن صـالح ... عـن شرِّ مـا فيـه يكـونُ معوِّضـا
وهنــاكَ دَيــنٌ للــبلاد قضــاءُه ... حـتمٌ عـليَّ.. وقـد أعـيشُ فيُقتَضَى

***

الفرات الطاغي

طغَى فضوعف منه الحسنُ واخَطَرُ وفاض فالأرضُ والأشجارُ تنغمِرُ
وراعت الطائرَ الظمآنَ هيبتُه فمرَّ وهو جبانٌ فوقَه حذِر
كأنما هو في آذيِّه جَبَلٌ على الضفاف مُطلٌّ وهي تنحدر
رَبُّ المزارعِ والملاّحِ راعَها بالحول منه عظيمُ البطش مقتدِر
باتت على ضَفَّتيه الليلَ تحرُسُه غُلْبُ الرجال لما يأتيه تنتظر
راحو أُسارى مطأطين الرؤوسَ له وراح طوعَ يديه النفعُ والضرر
مَشَى على رِسْلِه لا الخوفُ يَردَعُه ولا عن الفِعلة النكراءِ يعتذِر
ومر يَهزَأ من أيدٍ تقاومه تسعَى لتحكيم أسداد وتبتدِر
فكلُّ ما بلغَ الإنسانُ من عَنَتٍ قُوى الطبيعةِ تأتيه فينـدحِر
وما « الفراتُ » بمسطاعٍ فمختَضَدٍ ولا بمستعبَد بالعُنفِ يُقتَسر
كم من معاركَ شنَّ الفنُّ غارتَها على « الفرات » ولكنْ كانَ ينتصر
نَموذَجٌ « للأنانينَ » ليس له ولا عليه أفازَ الناسُ أم خسِروا
في حينَ باتَ جميعُ الناس يُرهبُهم في كل ثانيةٍ عن سَيره خَبَرَ
ملءُ القلوب خشوعٌ من مهابتِه وملءُ أعينهم من خوفِه سَهر
وراح شُغْلَ النوادي عن فظاظته يُجرى الحديثَ وفيه ينقضي السهر
ورُوِّعَ السمعُ حتى بات من ذَهَل يود سَمعُ الفتى لو أنه بَصَر
واستُبطِئت عن نَثَا أخباره بُرُدٌ واستُنهِضَ البرقُ يُستقصي به الخَبَرَ
هو « الفرات » وكم في أمره عَجَبٌ في حالتيهِ وكم في آيِه عِبَرَ
بينا هو البحرُ لا تُستطاع غضبتُه إذا استشاطَ فلا يُبقي ولا يَذرَ

إذا بــه واهــنُ المَجــرى يعارِضُــه ... عــودٌ ويمنعــه عــن ســيره حَجَــر
طَمَـى فـردَّ شـبابَ الأرض قاحلـةً ... بــه وعــادت إلى رَيعانهــا الغُــدُر
وأشرفــت بقعــةٌ أُخــرى أَلَمَّ بهــا ... عــلى المهات فأمسَـت وهـي تُحتَضر
وودَّعَ الزارعـون الـزرعَ وانصرفـوا ... للـماء مـا زَرَعـوا منـه ومـا بَـذَروا
من كـان بـالأمس يعلو وجهَهُ فرحٌ ... بـما يُرجِّيـه غطَّـى وجهَـه كَـدَر
وقطَّبــت بعــد تهليــل أسرَّتُــه ... وبـان فـوق خُطـاه الضـعفُ والخَوَر
صُــبَّت عليهــا بلايــاه ونقمتُــه ... أما « القصورُ » فلا خـوفٌ ولا حـذَر
طافت عليه حنايا الكوخ واقتُلِعَتْ ... مضـارِبُ البيـت منـه فهـي تنتثـر
غـط الهـديرُ فغضَّـت منـه ثاغيـةٌ ... ورددت ثغيّهـا مـن خلفِهـا أُخـر
واستحكمت ضجةٌ من كل ناحية ... جـاءت إليهـا بمـوتٍ عاجـلٍ نُـذُر
ورُبَّ طالبــةٍ بالمــاء راضَــعَها ... ورب عاريــةٍ بالمــاء تــأتزر
وصـفحةٍ مـن بـديع الشـعر منظـرهُ ... طـامي العُبـاب مُطِـلاً فوقـه القَمَـر
وقـد بـدت خضرةُ الأشجار لامعـةً ... مغمــورةً بســناه فهــي تزدهِــر
ومـن عـلى ضَـفَّتيه انصـاعَ منغمـرا ... في الماء نصفٌ ونصف فوقَه الشَجر
باتــت عــلى خَطَــرٍ نــاسٌ بثورتــه ... وراح يؤنُســنا في المنظــر الخَطَــر
وهكـذا النـاسُ يُغـريهم تخـيُّلُهم ... حتـى يجيئـوا إلى البَلْـوى فيختـبروا
كـما أتـى الحـربَ فنـانٌ ليرسُـمَها ... في حـينَ آخـرُ يُصـلى جسـمَه الشرَر
روحٌ جـرت لم يُـردْ نَفعـا بهـا بـدنٌ ... وعســجدٌ ســال إلا أنــه هَــدَر
هــذا المشــيَّدُ للعُمــران ريِّقَــه ... في الرافــدين بــه العُمــرانُ ينــدثر
كـان العـراقُ سـواداً مـن مزارعـه ... عــلى بنيــهِ يفــيءُ الظــلُ والثَمَــر

تَفيض خيراً على الأقطار غلّتُه   موفورةً لسنين الجوع تُدَّخر
ووزّع الماءَ عدلاً في مسايله   فكلُّ ناحيةٍ يجري بها نَهَر
باسم « الفرات » وتنظيمٍ له خُلقتْ   دوائرٌ لم يَبِنْ من سعيها أثَر
أغفَت طويلاً ولما هاجَ هائجُه   جاءته بعد فواتِ الوقتِ تبتدِر
وهاهو الماءُ موتٌ في زيادته   وفي النقيصةِ مسروقٌ فمُحتكَر

***

حالنا أو
في سبيل الحكم ..

لقد ساءَني علمي بخُبثِ السرائرِ   وأنّي على تطهيرِها غيرُ قادرِ
وآلمني أني أخيذُ تفكُّرٍ   بكلِّ رخيص النفسِ خِبٍّ مُماكِر
تمشَّتْ به سَوءاتُ شعبٍ تلاءَمَت   وسوءاتُه واستُدرِجَتْ بالمظاهر
وها أنا بالنيّات سوداً معذَّبٌ   تعاودُني فيهنَّ سودُ الخواطر
وألمحُ في هذي الوجوهِ كوالحِاً   من اللؤم أشباحَ الوحوش الكواسر
وتوحِشُني الأوساطُ حتى كأنّني   أُعاشِرُ ناساً أُنهِضوا من مقابر
تصفَّحتُ أعمالَ الوَرَى فوجدتُها   مخازِيَ غطَّوها بشَتى الستائر
وفتَّشتُ عما استحدَثوا من مناقِبٍ   تُروِّجُ من أطماعهم ومفاخِرِ
فكانت حساناً في المظاهرِ خُدْعة   على أنها كانت قِباحَ المخابر
مشى الناسُ للغايات شتى حظوظهم   وآمالهم من مستقيم وجائر
وغطَّى على نقصِ الضعيف نجاحُه   وراح القويُّ عرضةً للعواثر
وقد حوسب الكابي بأوهَى ذنوبه   ولم يؤخَذِ الناجي بأمّ الكبائر

وراحت أساليبُ النفاق مَفاخراً سلاحاً قوياً للضعيف المُفاخر
وحُبِّبَ تدليسٌ وذُمَّت صراحةٌ فلا عيشَ إلاّ عن طريقِ التآمر
وألَّفَ بين الضدِ والضدِ مغنمٌ وفرَّقَتِ الاطماعُ بين النظائر
مُحيطٌ خَوَتْ فيه النفوسُ وأفسِدتْ طباعُ أهاليه بعدْوى التجاور
هَوَت نبعةُ الأخلاق جراءَ ما اعتَدَتْ على الشعب أطماعُ السَّراةِ الأكابر
وقد صِيح بالإخلاص نَهْباً فلا تَرى سوى بؤَر التضليلِ جِسراً لعابر
وباتَ نصيبُ المرءَ رَهناً لِما يَرَى أولو الأمرِ فيه مثلَ لِعبِ المقامر
فإما مُكَبٌّ للحضيض بوجهه على أنه سامي الذرى في المفاخر
وإما إلى أوج من المجد مُرتَقٍ على سُلَّمٍ من موبقاتٍ فواجر
ولم يبقَ معنى للمناصب عندنا سوى أنها ملكُ القريبِ المصاهِر
وإن ثيابَ الناس زُرَّت جميعُها على عاهةٍ إلاّ ثيابَ المؤازر
تُسَنُّ ذيولٌ للقوانين يُبتَغى بها جَلْبُ قوم « للكراسي » الشواغِر
وقد يُضحِكُ الثكلى تناقضُ شارع قوانينُه مأخوذةٌ بالتناحر
أُهينَتْ فلم تُنتَجْ قريحةُ شاعرٍ وضِيمَتْ فلم تَنشَط يراعةُ ناثر
وهيمَنَ إرهابٌ على كل خَطرةٍ تَرَدَّدُ ما بين اللَّهى والحناجر
لقد ملَّ هذا الشعبُ أوضاع ثُلَّةٍ غدت بينه مثلَ الحروفِ النوافر
وما ضرَّ أهلَ الحكم أنْ كان ظلُّهم ثقيلاً على أهل النُهى والبصائر
فحسبُهمُ هذي الجماهيرُ تقتَفِي خُطى كل مقتادٍ لها من مناصر
وحسبُهمُ أن يستجدُّوا « دعاية » تُعدِّدُ ما لم يعرفوا من مآثر
وأوجع ما تَلقَى النفوس نكايةً مَعِزَّةُ أفرادٍ بذلِّ أكاثر

لكي ينعُمَ الساداتُ بالحكم ترتوي بقاعٌ ظِماءٌ من دماءٍ طَواهر
وكي لا ترى عينٌ على البَغي شاهداً تُغيرُ عمداً ناطقاتُ المحاضر
وأهوِنْ بأرواح البريئين أُزهِقَت وأموالِهِم طارت هباً من خسائر
وكانت طباعٌ للعشائر ترتجى فقد لُوِّثَت حتى طباعُ العشائر
وكان لنا منهم سلاحٌ فأصبحوا سلاحاً علينا بين حين وآخر
وإنك من هذي الشنائعِ ناظرٌ إلى مُخزياتٍ هن شوكٌ لناظر
إذا ما أجَلْتَ الطَرْف حولَك وانجلت بعينيك يوماً مُخَبئاتُ الضمائر
وكشفت عن هذي النفوس غطاءها وأبرزتَها مثل الإماءِ الحواسِر
وفتَّشتَ عما في زوايا الدوائر وغربَلْتَ ما ضمَّت بطونُ الدفاتر
رجعتَ بعينٍ رقرَقَ الحزنُ ماءَها وأُبْتَ بقلب شاردِ اللُّبِّ حائر
وأيقنتَ أنّ الحالَ حالٌ تعسَّرَت على كلِّ طَبٍّ بالطبائع ماهر
وقد يملأُ الحرَّ المفكرَ حرقةً تفكُّرُه يوماً بعُقبى المصاير
ولا أملٌ إلاّ على يدِ مُصلحٍ حَقودٍ على هذا التدهوُرِ ثائر
وإن عيوباً جلْبَبَ الكِذبُ كُنْهَهُ فغَطَّينَ أضعافَ العيوبِ السوافِرِ
ولا تحسبنَّ الشعرَ سهلاً مهبُّه بهذي المساوي بين بادٍ وحاضر
فإن عظيماً أن يُخلِّدَ شاعرٌ مخازيَ جيل بالقوافي السوائر
سنُضحكُ قرّاءَ التواريخ بعدنا ونبدو لهم فيهن إحدى النوادر
وسوف نُريهم للمهازل مَرسَحاً نَروح ونغدو فيه هُزأةَ ساخر
فإن ترني أُذكي القوافي بنَفثَةٍ أُراني على كِتمانها غيرَ صابر
فإني برغم العاصفات التي ترى أُقاسي رُكوداً لا يَليق بشاعر
رجعتُ لنفسي أستثيرُ اهتمامَها وأُلزِمُها ذنبَ الصريح المجاهر

وأُثقلها بالعَتْب إن كان لي غنى ... عن الشرِّ لولا حبُّها للمَخاطر
وساءلتُها عما تُريد من التي ... تُرشِّحها للمُهلكات الجوائر
أأنتِ بعَورات النفوس زعيمةٌ ... مُوَكَّلة عنها بِعَدِّ الجرائر
وما أنتِ والغرمَ الذي راح مَغنَماً ... لقد غامر الأقوامُ فيه فغامري
خذي وِجهةً في العيش يُرضيك غيُّها ... ولا تستطيبي منه قِعدَة خائر
وإن شذوذاً أن تُثيري وتصدَعي ... شَذاةَ مُحيط بالمداجاة زاخر
وأحسن مما تدَّعين صلابةً ... سماحُ المحابي وانتهازُ المساير

***

عاشوراء

هي النفس تأبى أن تذِلَّ وتُقهَرا ... ترَىَ الموتَ من صبرٍ على الضيم أيسَرا
وتختارُ محموداً من الذِكرِ خالداً ... على العيش مذمومَ المغبَة مُنكَرا
مشى ابنُ علي مِشيةَ الليث مُخدِراً ... تحدَّته في الغاب الذئابُ فأصحَرا
وما كان كالمعطي قِياداً محاولاً ... على حينَ عضَّ القيدُ أن يتحررا
ولكنْ أنوفاً أبصَرَ الذُّلَّ فانثنى ... لأذيالهِ عن أن تُلاثَ مُشمِّرا
تسامىَ سموَّ النجم يأبى لنفسه ... على رغبة الأدنَينَ أن تتحدَّرا
وقد حلفتْ بيضُ الظُبا أن تنوشه ... وسمرُ القَنا الخطيِّ أن تتكسَرا
حدا الموتُ ظعنَ الهاشميينَ نابياً ... بهمْ عن مقرٍّ هاشمي مُنَفَّرا
وغُيِّبَ عن بطحاء مكة أزهَرٌ ... أطلَّ على الطَف الحزينِ فأقمَرا
وآذَنَ نورُ « البيت » عنه برِحلة ... وغاصَ النَدى منه فجفَّ وأقفرا
وطاف بأرجاء الجزيرة طائفٌ ... من الحزن يوحي خِيفةً وتطيُّرا

ومرّ على وادي القُرى ظِلُّ عارضٍ ... من الشُؤْم لم يلبث بها أن تَمطَّرا
وساءَلَ كلٌّ نفسَهُ عن ذُهوله ... أفي يقَظةٍ قد كانَ أم كان في كَرى
وما انتفضوا إلا وركبُ ابنِ هاشمٍ ... عن الحج « يومَ الحج » يُعجله السُرى
أبت سَورةُ الأعراب إلا وقيعةً ... بها انتكَصَ الإسلام رَجْعاً إلى الوَرَا
ونُكِّسَ يومَ الطفّ تاريخُ أمة ... مشى قبلَها ذا صولةٍ متبخِترا
فما كان سهلاً قبلَهُ أخذُ موثق ... على عَرَبيّ أن يقولَ فيغدِرا
وما زالت الأضغانُ بابن أميَّةٍ ... تراجِعُ منه القَلبَ حتى تحجرا
وحتى انبرى فاجتَثّ دوحةَ أحمدٍ ... مفرَّعةَ الأغصان وارفةَ الذرى
وغطَّى على الأبصار حقدٌ فلم تكن ... لتَجهَدَ عينٌ أن تَمُدَّ وتُبصِرا
وما كنتُ بالتفكير في أمر قتلهِ ... لأزدادَ إلا دهشةً وتحيُّرا
فما كان بين القوم تنصبُّ كتبُهمْ ... عليه انصبابَ السيل لما تحدَّرا
تكشَّفُ عن أيدٍ تُمَدُّ لبيعةٍ ... وأفئدَةٍ قد أوشكَت أن تَقَطَّرا
وبينَ التخلّي عنه شِلواً ممزَّقا ... سوى أن تجيءَ الماءَ خِمسٌ وتُصدِرا
تولى يزيدٌ دَفَّةَ الحكم فانطوى ... على الجمر من قد كانَ بالحكم أجدرا
بنو هاشمٍ رهطُ النبيِّ وفيهُمُ ... ترَعرَع هذا الدينُ غرساً فأثمَرا
وما طال عهدٌ من رسالة أحمدٍ ... وما زالَ عودُ الملك ريّانَ أخضَرا
وفيهِمْ حسينٌ قِبلةُ الناس أصيدٌ ... إذا ما مَشَى والصِيدُ فاتَ وغبَّرا
وغاض الزبيريين أن يبصِروا الفتَى ... قليلَ الحِجى فيهم أميراً مُؤمَّرا
ففي كل دارٍ نَدوة وتجمُّعٌ ... لأمرٍ يُهم القومَ أن يُتَدبَّرا
وقد بُثَّت الأرصادُ في كل وِجهةٍ ... تخوف منها ان تُسَرَّ وتُجهَرا
وخَفُّوا لبيت المال يستنهضونَهُ ... وكان على فضِّ المشاكل أقدَرا

وقد أدرك العُقْبى مَعاوي وانجلَتْ ... لعينيه أعقابُ الأمور تَبصُّرا
وقد كان أدرىَ بابنه وخصومِه ... وأدرى بأنَ الصَيدَ أجمعُ في الفرا
وكان يزيدٌ بالخمور وعصرِها ... من الحكم ملتَفَّ الوشائج أبصَرا
وكانَ عليه أن يشُدَّ بعَزمه ... قُوَى الأمر منها أن يَجدَّ ويسْهَرا
فشمَّر للأمرِ الجليلِ ولم يكن ... كثيراً على ما رامَه أن يشمِّرا
هو الملك لا علق يباع فيشترى ... لتصبر نفس عنه أو تصبرا
ولكنَّه الشيءُ الذي لا معوِّض ... يعوِّضُ عنه إن تولَّى وأدبَرا
وقلَّبها من كل وجه فسرَّه ... بأن راءَها مما توَّقع أيسَرا
فريقينِ دينياً ضعيفاً ومُحنَقاً ... ينفِّسُ عنه المالُ ما الحِقد أوغرا
وبينهما صِنفٌ هو الموتُ عينُهُ ... وإن كانَ معدوداً أقلَّ وأنزَرا
وماماتَ حتى بيَّن الحزمَ لابنه ... كتابٌ حوى رأساً حكيماً مفكرا
وأبلَغَه أنْ قد تَتبَّع جهدَه ... مواطنَ ضَعفِ الناقمين فحذَّرا
وإن حسيناً عثرةٌ في طريقه ... فما اسطاعَ فليستغنِ أن يتعثَّرا
وأوصاه شرّاً بالزبيريِّ منذرِا ... وأوصاه خيراً بالحسَين فأعذَرا
لوَ أن ابن ميسونِ أرادَ هدايةً ... ولكن غَويٌّ راقَهُ أن يُغرِّرا
وراح « عبيدُ الله » يغتلُّ ضعفَه ... وصُحبَتَهُ حتى امتطاه فسيَّرا
نشا نشأةَ المستضعفينَ مرجيًّا ... من الدهر أن يُعطيه خَمراً وميسِرا
وأن يتراءى قرده متقدِّماً ... يجيءُ على الفُرسان أم متأخِّرا
وأغراه حُبّاً بالأخيطلِ شعرُهُ ... لو اسطاعَ نَصرانيةً لتنصَّرا
وقد كان بين الحزنِ والبِشر وجهُه ... عشيَّةَ وافاه البشيرُ فبشَّرا

تـردَّى عـلى كـره رداءَ خِلافـةٍ ... ولم يُلقِ عنه بعدُ للخمرِ مِئزرا
وشـقَّ عليه أن يصوِّر نفسَه ... على غير ما قد عُوِّدَت أن تُصوَّرا
وأن يُبتَلى بالأمرِ والنهي مُكرَها ... وأن يَجمع الضِدَّين سُكراً ومِنبَرا
إذا سَلِمت كأسٌ يُروِّحُ مُغبَقاً ... عليه بها الساقي ويغدو مبكِّرا
وغنَّتهُ من شعر « الأخيطلِ » قَينَةٌ ... وطارَحَها فيها المُغنّي فأبهَرا
فكلُّ أمور المسلمينَ بساعةٍ ... من المجلِسِ الزاهي تُباع وتُشترَى
وشاعَتْ له في مجلِس الخمر فَلْتَةٌ ... من الشِعر لم تَستَثْنِ بَعثا ومَحشَرا
وقد كانَ سَهلاً عندَه أن يقولَها ... وقد كانَ سهلاً عنده أن يُكفَّرا
على أنه بالرَغم من سَقَطاته ... وقد جاءه نَعيُ الحسين تأثَّرا
فما كان إلا مثلَ قاطعِ كفِّه ... بأُخرى ولما ثَابَ رشْدٌ تَحسَّرا
وأحسَبُ لولا أنَّ بُعدَ مسافةٍ ... زَوَت عنه ما لاقَى الحسينُ وما جرَى
ولولا ذُحولٌ قدمت في معاشِرٍ ... تقاضَوا بها في الطَفِّ ديناً تأخَّرا
لزُعزِع يومُ الطف عن مُستقَرِّه ... وغُيِّرَ من تاريخه فتَطَوَّرا
أقول لأقوامٍ مضَوا في مُصابه ... يسومونه التحريفَ حتى تغيَّرا
دعوا رَوعةَ التاريخ تأخذْ مَحَلَّها ... ولا تجهدوا آياتِه أن تُحوَّرا
وخلوا لسانَ الدهر ينطقْ فإنّه ... بليغٌ إذا ما حاولَ النطقَ عَبَّرا

***

أول العهد

أوَّل العهدِ بالَّتي حَمَّلتني ... شططاً في الهوى وأمراً فِريّا
وَضعُ كفّي في كفِّها تتلظَّى ... مِن غرامٍ كمَنْ يُناوِل شَيّا

رجفَــت رَجفَــةً قــرأتُ التشــهّد فوقَهـــا واضــــحاً بليغـــاً قويّـــا
ثـــم قالـــت بطرفهـــا بعــدَ لأيٍ عــن طريــقٍ ســهلٍ وصَــلْتَ إليّــا!
وهـــيَ ســمراءُ في التقــاطيع منهــا يجِـــدُ الحـــالمونَ شِـــبعاً ورِيّـــا
يـنفحُ العَطـر جِلـدُها ويسيلُ الـدِفءُ في عِرْقهــــا لذيــــذاً شـــــهيّا
لـو قــرأتَ الخــطَّ ! الــذي واسَــطَ النهـدينِ يستهدفُ الطريـقَ السـويّا!
لتَمَشَّـــيْتَ فوقَـــه بــــالتمنّي ووصــلت الكنــزَ الثمـينَ الخفيّــا
وتصــــبَّاكَ منتهــــاهُ تصــــبّي عــــالَمٍ آخــــرٍ تقيّــــاً نَقيّــــا

***

الصَبر الجَميل

ذممْـتُ اصـطبارَ العــاجزينَ وراقنــي عــلى الضُرِّ صــبرُ الواثــبِ المتطلّــعِ
لـــه ثِقَـــةٌ بـــالنفسِ أنْ ســـتقودُه لحــالٍ يرجِّــي خيرَهـــا أو لمصرعِ
ومــا الصــبرُ بــالأمرِ اليســيرِ احتمالُــه وإن راحَ ملصــوقاً بــه كــلُّ مُــدَّعي
ولا هـــو بـــالشيءِ المشرِّفِ أهلَـــه إذا لم تكــنْ عُقبــاه غــيرَ التوجّــعِ
ولكنَّــه صــبرُ الأســودِ عــلى الطَّــوى تغطّـــي عليـــه وثبـــةُ المتجمِّـــعِ
يحَـــكُّ طبـــاعَ آبيـــاتٍ وطُـــوَّعِ وبَلْــوى نفــوسٍ طامحــاتٍ ووُضَّــعِ
يُعنَّـــى بـــه حُـــرٌّ لإحقـــاقِ غايـــةٍ ويَخْـــرُجُ عنـــه آخـــرٌ للـــتضرُّعِ
فـإنْ كنـتَ ذا قلـبٍ جـريءٍ طبيعـةً عـــلى نكبـــات الـــدهر لا بـــالتطبّعِ
فبـورِكَ نسْـجُ الصَّـبرِ درعـاً مضـاعفاً وبوركْـــتَ مـــن ذي مِـــرَّةٍ متـــدرِّعِ

***

الشاعر الجبَّار

وُلـــد الالمعـــيُ فـــالنجمُ واجـــمْ باهـتٌ مـن سُـطوع هـذا المُـزاحمْ
أتُـــرى عـــالمَ السّـــموات يـــنحطُّ جـــلالاً عـــن واطئـــات العـــوالم
أم تظُـــن الســـماء في مهرجـــانٍ لقريـــب مـــن الملائـــك قـــادم
أم تُـــرى جـــاءت الشـــياطينُ تختصُّ بـروح مشـكك متشـائم
كـــيفما شـــاء فلـــيكنْ إن فكـــراً عبقريـــاً عـــلى المَجـــرة حـــائم
قـــال نجـــمٌ لآخـــرٍ : ليـــت أني لثـــرى الكوفـــةِ لمعطـــر لاثـــم
ولبيـــتٍ أنـــاره عبقـــريٌ لم ينـــوَّر بمثلـــه الأُفـــقُ.. خـــادم
ليـــت أني بريـــقُ عينيـــه أو أني لنـــور القلـــب المشـــعِ مقاســـم
أيهـــا « الكوكـــبُ الجديـــدُ » تخيرْني إذا ارتحـــت بســـمةً في المباســـم
ولقـــد قـــال مـــاردٌ يتلظـــى في جحـــيمِ عـــلى البريـــة نـــاقم
أزعجـــتْ جوَّنـــا روائـــحُ مـــن خبـــثٍ وضَـــعفٍ عـــلى الثـــرى متراكـــم
لا أرى رســـم بُـــرثُنٍ بـــين أظـــلافٍ عجـــافٍ كثـــيرةٍ ومناســـم
أفنســـلُ المَـــلاك هـــذا ومـــا كـــان مـــلاك مـــوكلاً بـــالجَرائم
أفهـــذا نســـلُ الشـــياطينِ والشـــيطانُ لم يَـــرْبُ في دُمـــوع المـــآتم
إنَّ فيـــه أمـــراً عجيبـــاً مخيفـــاً ضـــعفَ مستَغشَـــم وقســـوةَ غاشـــم
لـــو ملكنـــا هـــذي اللُّحـــومَ لكانـــت للـــذُباب المـــنحطِّ نِعـــمَ الـــولائم
وأُرانـــا نحتـــاج خَلقـــاً كهـــذا عاصـــفاً ثـــائراً قـــويَّ الشـــكائم
فَلنرجـــف أعصـــابهَ وهـــو يقظـــانُ ونـــزعجْ أحلامـــه وهـــو نـــائم
ولنُوَّجْهـــهُ قبْلـــةً لا يلقّـــى عنـــدها غـــيرَ حاقـــدٍ أو مخاصـــم

ولْنُثْــرْهُ لــيملأ الكــونَ عُنفــاً ... نفــسٌ يُلهــبُ المشــاعر جــاحم
أيهــا المــاردُ العظــيمُ تقبّــلْ ... ضَرَمــاً تستشــيطُ منــه الضرائــم
وســأهديكَ إن تقبلــتَ منــى ... مِعــولاً مــن لظــىً فإنــك هــادم
وســلامٌ عليــك يــوم تُنــاوِي ... لــؤمَ أطماعِهــمْ ويــومَ تهــاجم
بُشّر المنجــبُ « الحســين » بمولــودٍ ... عليــه مــن الخلــود علائــم
ســابح الــذهن .. حــالم بالمشــقاتِ ... شريــد العينــين بــين الغمائــم
وانــبرت عبقــرٌ تزجّــي مــن الجــنّ ... وفــوداً مزهــوةً بالمواســم
وأتــى الكــونَ « ضــيفهُ » بــدويٌّ ... الرعــد يلقــاه لا بســجع الحمائِــم
عالمــاً أنَّ صــوت خَلْــقٍ ضــعيفٍ ... غــيرُ كــفءٍ لمثــل هــذي الغلاصِــم
فارشــاً دربَــهُ بشــوك مــن الفقــرِ ... وجمــرٍ مــن ضِــغنةٍ وســخائِم
قــائلاً :هــذه حــدودي تخطاهــا ... عظــامٌ إلى أمــورٍ عظــائِم
ربــما يفُــرشَ الطريــقُ بنثــر الزَهــر ... لكــن للغانيــات النَــواعم
قُبَــل الأمهــات أجــدرُ مــا كانَــتْ ... بوجــهٍ مُلــوَّح للســمائِم
يــا صــليباً عــوداً تحدَّتــه أنيــابُ ... الرزايــا فــما استلانَ بعــاجِم
ورأي المجــدَ خــيرَ مــا كــان مجــداً ... حــينَ يُستَلُّ مــن شُــدوق الأراقِــم
شــامخٌ أنــتَ والحــزازاتُ تنهــارُ ... وبــاقٍ وتضــمحلُّ الشــتائِم
وحيــاةُ الأبطــالِ قــد يُعْجِــز الشــاعرَ ... تفســيرُها كحَــلِّ الطَلاســم
ربَّــما استضــعَفَ القــويُّ سَــديدَ الــرأي ... يأتيــه مــن ضــعيفٍ مُســالِمِ
أيُّ نَفْــس هــذي التــي لا تعُــدُّ ... العمــرَ غُــنْماً إلا بظِــلِّ المَغــارِم
تَطــرَحُ الخفــضَ تحــت خُــفِّ بَعــيرٍ ... وتَــرى العيــشَ نــاعماً غــيرَ نــاعِم

وتَلَذُّ الهجيرَ تحسَب أنَّ الذلَّ يجري ... من حيثُ تَجري النسائِم
وترى العزَ والرجولةَ وصفينِ ... غريبَينِ عن مُقيمٍ ملازِم
كلُّ ما تشتهيهِ أن تَصحب الصارمَ ... عَضْباً وأن تَخُبَّ الرواسِم
هكذا النابغونَ في العُدْمِ ... لم تُرضِعْهُمُ الغُنْجَ عاطفاتٌ روائِم
ونبوغُ الرجال أرفعُ من أنْ يحتويه ... قَصْرٌ رفيعُ الدَعائِم
إنما يَبعَث النبيَّ إلى العالَمِ ... بَيتٌ مُهَفْهفُ النورِ قاتِم
« كندةٌ » أينَ ؟ لم تُبقِّ يَد الدهرِ ... عليها ولا تَدُلُّ المَعالِم
لم تخلف كفُّ الليالي من ... الكوفَةِ إلا مُحَرَّقاتِ الركائِم
أحصيد دور الثقافة في الشرقِ ... ألا يستبينُ منهُنَّ قائِم
أين بيتُ الجبار باقٍ على ... سمعِ الليالي ممَّا يَقول زمازِم
« جُعف » منسيَّةٌ أفاض عليها الشعرُ ... ما كانَ في « أُمَيٍّ » و « هاشم »
لست أدري « أكوفة » المتنبي ... أنجبته أم أنجبته العواصِم
غير أن النُبوغَ يَذوي وينمو ... بين جوٍّ نابٍ . وجوٍّ ملائِم
« حَلَبٌ » فتَّقت أضاميمَ زِهرٍ ... كان من قبلُ « وردةً » في كمائِم
أيُّ بحرٍ من البيان بأمواجِ ... المعاني فياضةٌ متلاطِم
كَذَبَ المدَّعونَ معنىً كريماً ... في قوافٍ مُهلهلاتٍ ألائِم
وَهبِ اللفظَ سُلَّماً فمتى ... استحسنتِ العينُ واهباتِ السلالم
حجةُ العاجزين عن منطق الأفذاذِ ... يُخفون عجزَهم بالمزاعِم
روعةُ الحرب قد خلَعتَ عليها ... روعةً من نسيجك المتلاحِم
شعَّ بين السطور ومضُ سِنانٍ ... ثم غَطَّت عليه لَمعةُ صارِم
وصهيل الجياد تعثر بالفرسان ... في السمع منه مثل الغماغم

مـا «ابـن حمـدان» إذ يقـودُ مـن المـوتِ ... جيوشـاً تُزجَـى لمـوتٍ مُـداهِم
بـالغ مـا بلَغْـتَ في وصـفك الجيشَـيْن ... إذ يقـدحانِ زنـدَ الملاحِـم
إذ يضـمُّ القلـبُ الجنـاحَ فترتـدّ ... الخـوافي مهيضـةً والقـوادِم
وفـراخ الطُيـور في قُلَـل الأجيـال ... تَهـدي لهـا الظنـونَ الـرواجِم
لـك عنـد الجُـرْدِ الأصـائلِ دَيْـنٌ ... مسـتَحقُّ الأداءِ في النَسـل لازِم
كـم أغـرٍّ «مُحَجَّـلٍ» ودَّ لـو يُهـديكَ ... مـا في جَبينـه والمعاصِـم
واجتلينـا شـعرَ الطبيعـة في شـعرك ... تَفْـتَرّ عـن ثُغـورٍ بواسِـم
شِـعْبُ «بَـوّان» لا تخيُّـلُ فنّـانٍ ... غَنّـى عنـه ولا ذِهـنُ راسِـم
متعـةُ الشـاعرِ المفكـرِ يقظـانَ ... ومَسْرى خيالِـه وهـو حـالِم
لا تعنَّيْـتَ مـن «تَمَـرٍّ» كـريم ... خلَّـدَتْكَ المُحسَّـناتُ الكـرائم
إيـه خصـمَ الملـوك حتـى يُقيمـوا ... لـك أمثولـةَ النظـيرِ المُـزاحِم
عَضُـدُ الدولـة استشـارَك بـالإعزازِ ... واللُطـف يـا عـدوَّ الأعـاجِم
رُحـتَ عنـه وأنـت خَـوفَ اشـتياقٍ ... لسِـواه عـلى فُـؤادِكَ خـاتِم
إن ذاك الـوَداعَ كـان نـذيراً ... بحِـمامٍ دلّـتْ عليـه عَلائِـم
فلتُحـيِّ الأجيـالُ مغنـاكَ بالريحـانِ ... ولْتَلْتَثِمْـهُ وهـي جَـواثِم
رَمْـز قَوميـةٍ بَنَتـهُ البَـوادي ... مُشـمخرَّ البِنـاء ثَبـتَ الـدعائم
بـدويَّ المُنـاخ أرهـفَ منـه الحسَّ ... جـوٌّ مُشَعْشَـعٌ غـيرُ غـائِم
لدِمشـقٍ يَـدٌ عـلى الشِـعرِ بيضـاءُ ... بـما زَيَّنَـتْ لـه مـن مَواسِـم
وسـلامٌ عـلى النُبـوغ ففيـها ... تَسْـقُطُ الـذكريات وهـو يُقـاوِم

***

المازني وداغر

«رفائيــلُ» دارُك قــد أشَرقَــتْ   بأســـعدَ داغـــرَ والمـــازِني
فَذَّانِ يناضِلُ عـن أمـةٍ   وفَـــذٌّ لآدابهـــا حاضِـــن
وإني لمســـتأذنٌ أســـعداً   بـــما قـــد يشِـــقُّ عـــلى الآذِن
إذا مـــا خَصَصْـــتُ فتـــى مـــازنٍ   بضربٍ مـــن الكَلِـــم الفـــاتِن
فـــإنّ السياســـةَ قـــد حَجَّبـــتْ   فتـــى مصرَ بـــالبرقُعِ الـــداكِن
وطبـعُ السـياسيِّ جـمٌّ الغُمـوض   فـــلا بـــالصريح ولا الـــداهن
أأســـعدُ إنَّ حـــديثي إليـــكَ   حـــديثُ مقـــيمٍ إلى ظـــاعِن
حـــديثُ أخ لـــك مســـتأنسٍ   للطـــفِ مســـامِره راكـــن
أخـاف السياسـةَ خـوفَ اللـديغ   مـــن أرقـــمٍ نـــافخ شـــاحِن
ومـا زال جـدعٌ بليـغُ الوضـوح   منهـــا يَلـــوحُ عـــلى مـــارني
فقبلَـك طاوعـــتُ مـــن أهلِهـــا   صـــديقاً إلى مَصرَعـــي قـــادني
أرانيَ مظهـــرَ ذي نخـــوةٍ   كفيـــلٍ بـــما أرتجـــي ضـــامن
وأسـلَمَني عنـد جِـدِّ الخطـوبِ   كـــأني قلـــتُ لـــه عـــادِني
فـــما كنـــتُ بالمصـــطفي   وُدَّه ولا كنـــتُ للـــنفس بالصـــائِن
وهـــا أنـــا أرزحُ في كَلكَـــلٍ   مُنـــيخ عـــلى نَـــفسَي رائِـــن
فعُـــذراً فـــما أنـــا إذ أتّقـــي   رجـــالَ السياســـة بالمـــائن
غمـوضُ السياسـة يبـدو عليـك   في مظهـــر الهـــادئ الســـاكن
عـلى حـينَ قـد وَضَـح المـازني   وضـــوحَ الســـماوات للكـــاهن
نظـــرتُ بعينيـــكَ إذ يشرُدان   ووجهِـــك ذي الدَعَـــة الآمِـــن

فــأنكرت قولــك : مــا صــاغَنى قبيحــاً ســوى عبــثِ المــاجن
وطالعــتُ آثــارَك الناطقــاتِ بــما فيــك مــن جــوهرٍ كــامِن
وظــاهِر لفــظٍ رقيــقِ الــروُاءِ لطيــفٍ يَــدُلّ عــلى البــاطن
لقــد شبَّه العُــربُ حســنَ البيــانِ والشــعر في الــزمنِ البــائِن
يــبَرْدِ النَمــير وصَــفو الغــديرِ يمــرَان بالعــاطشِ الســاخِن
وأحسِــنْ بتشــبيه قــومٍ بُــداة تعــيش عــلى طــرق آســن
فحاولــت تشــبيهها بالجديــدِ يُؤخَــذُ مــن وضــعنا الــراهن
بكــأسٍ تَــرُدّ شرورَ الجــمام لــذي سَــفرٍ مُتعَــبٍ واهــن
وذائــبِ زَهــرٍ عــلى سَلْسَــلٍ يصــبُّ عــلى رَهَــلٍ بــادِن

***

الزهَاوي..

على رغم أنف الموت ذكُرك خالـدُ تــرِنُّ بسَمع الـدهر منـكَ القصـائدُ
نُعيـتَ إلى غُـرّ القـوافي فأعولَـتْ عليـك مـن الشـعر الحسـانُ الخرائـد
وللعلـم فياضـاً فهاجَـتْ مصـادرٌ عُنيـتَ بهـا بحثـاً وجاشَـتْ مـوارد
وفلسـفةٌ أطلعـتَ في الشـعر نُورَهـا هـي اليـومَ تَكْـلى عـن جميـلٍ تُناشـد
حَلفـتُ يمينـاً لم تَشُبْها اختلاطـةٌ وقلبـي عـلى دعـوى لسـانيَ شـاهد
لقَـد كنـتَ فخـراً للعـراق وزينـةً تُــزانُ نواديــه بهــا والمعاهــد
وكنت على خِصبِ العراقِّي شاهداً إذا أعوزتنــا في التبــاهي شَــواهد
وكنـت أرقَّ النـاس طبعـاً ونُكتـةً وألطـفَ مـن دارَتْ عليـه المقاعـد
وأنـت ابتعثـتَ الشـعرَ بعـد خُمولـه فخــوضُ الشـعر بعـدك راكـد

ثـوى اليـومَ في هـذي الحفـيرة عـالِمٌ بأسرارهـا لله بالعقـل ناشـد
أقـامَ عـلى العلـم الصـحيح اعتقـادَه عَـدوٌّ لا شـباح الخُرافـات طـارد
وكـان نقيـاً فكـرةً وعقيـدةً عزيـزاً عليـه أن تَسِـفَّ العقائـد
يؤكـد أن الـدينَ حُـبٌّ ورحمـةٌ وعـدلٌ وأن اللهَ لا شـكَ واحـد
وأن الـذي قـد سـخَّر الـدينَ طامعـاً يتـاجرُ باسـم الله لله جاحـد
ثوَى اليومَ في هذي الحفيرة شاعرٌ على الظلم محتجٌّ عن العدل ذائد
وشيخوخةٍ مدّت على الكون ظلَّها تكـافحُ عـن آرائهـا وتجالِـد
أبـا الشـعر.. إنَّ الشـعر هـذا محلُّـه فقد نصَّت الأسماءُ والجمع حاشِد
وهذي جيوشُ العلم والشعر تبتغي لهـا قائـداً فـذاً فهـل أنَـت قائـد
فـأين قصـيدٌ قـد نظَمـتَ فريـدَهُ وأيـنَ مـن الشـعر البـديعِ الفرائـد
وأيـن النكـاتُ المؤنسـاتُ كأنهـا حـدائقُ تُسـقى بالنـدى وتعـاوِد
وأيـن العيـونُ اللامعـاتُ زكانـةً رغائبُ تبدو تبدو فوقها ومقاصد
جميـل أعـانَ الرافـدينِ بثالـثٍ مـن الشـعر تَنميـه بحـورٌ رَوافـد
وكـان حيـاةً للنفـوس ورحمـةً تُغـاثُ بهـا هـذي النفـوسُ الهوامد
تطاوعُـه غُـرُّ المعـانى كأنهـا وصـائفُ في زِيناتهـا وَولائـد
أقـولُ لـرهطِ الشـعر يغـون باعثـاً عليـه تُثير الشـعرَ هـذي النضـائد
هلمُّـوا إلى قـبر الزهـاويِّ نقتـنصْ بـه نَفَسـاً مـن رَوْحـه ونُطـارِد
وإن خيـالاً يمـلأُ الشـعرَ رَهبـةً سـكونٌ عـلى قـبرِ انزهـاويِّ سـائد
وحجُّـوا إلى بيـتٍ هـو الفـنُّ نفسُـه أنارَتْ « فَنيسٌ » ساحَه و « عُطارد»
فـإن بيـوتَ الشـاعرين مناسـكٌ وإن قبـورَ النـابغين معابـد
أبـا الشـعر والفكـرُ المنبِّـهُ أمـةٌ عزيـزٌ علينـا أنـكَ اليـومَ راقـد

وأن الـذي هـزَّ القلـوبَ هوامـداً وحرَّكَهـا في الـتُّرب ثـاوٍ فهامـد
وأن فـؤاداً شـع نـوراً وقـوَّةً هـو اليـوم مسـودُّ الجوانـب بـارد
فهل أنت راضٍ عن حياة خبرتَها ممارسـةً أمْ أنـت غضـبانُ حـارِد
أضـاعوك حيـاً وابتغـوك جنـازةً وهـذا الـذي تأبـاه صيد أماجـد

***

أنا !..

مـا حطَّمـتْ جَلَـدي يـدُ النُـوَبِ لكـنْ حَطَّمـتِ النوائـبُ بي
قـل للخطـوبِ إليـكِ فابتعـدي ألَمسـتِ بي ضَـعفاً لتقـترِبي
هتفـت لي الأهـوال تطلُبنـي فـبرزتُ حـراً غـيرَ منتقِـب
أنـا صـخرةٌ مـا إن تخـوِّفُني هـذي الريـاحُ الهـوجُ بالصَـخَب
إن الليـالي حاوَلَـت ضَرعَـي فوجـدْنَني مُـتعسَّرَ الحَلَـب
وحَمِـدْنَ غَـرْبَ شَـكيمةٍ عَسرَتْ عـن أن تُنـال بعُنـف مغتصِـب
ومهـدِّدي بـالشرِّ يُنـذرني إن لم أُطِعْـه بسـوءِ مُنقلَـب
أخْجَلتُـه بالضِـحك أحسَـبهُ كمُخـوِّفٍ للنَبـع بـالغَرَب
أدنيتـه مـن صـدر مضـطلع بـالسر لـلأرزاء مرتقـب
قلـتُ اطَّلِـعْ فلقـد تـرىَ عَجَبـاً فيـه فقـالَ وأعجَـبَ العَجَـب
إني أرىَ قلبـاً يـدورُ عـلى جَـيش كمـوجِ البحـر مُضـطرِب
ومُناشِـدي نَسَـباً أمُـتُّ بـه لم يـدرِ مـا حَسَـبي ومـا نَسَـبي
عنـدي مـن الأمـواتِ مفخـرةٌ شـتّاء مُريبـةٌ عـلى الطَلَـب
لكـن أنِفـتُ بـأنْ يعيـدَ فمـي للنـاس عهـدَ الفَخـر بالعَصَـب

حسبي تجاريبُ مَهَرتُ بها ... وإلى البلايا السودِ مُنتسَبي
وبذي وتلك كِفايتي شَرَفاً ... يُرضِي العُلا ويَسُرَّ قبرَ أبي
هذا التعنُّتُ في تَبصُّرِه ... متوقّداً كتوقُّدِ اللَهَب
إذ لا يلائمُ مَعدِني بَشَرٌ ... ما لم يكُنْ من معدِنٍ صُلُب
الفَضلُ فيه لَمْلبَسٍ خَشِنٍ ... عُوِّدتُه ولَمطعَم جَشِب
ولوالدٍ وُرِّثْتُ من دَمِه ... محضَ الإباء وسورةَ الغَضَب
عندي من الجَبَروت أصدقُه ... أُبديه للمتُجبِّرِ الكَذِب
لا أبتغي خصمي أُناشده عَفْواً ... ولو أطوي على سَغَب
حربٌ لذي صَلَف وذو أدب ... سهلُ القِياد لكلِّ ذي أدَب
ولقد أرى في مدح مُنتَقِصي ... لرغيدِ عيش أحسَنَ السَبَب
ليُحِلَّني من بَعد مَسغَبَةٍ ... في ذي زُروع مُعشِبٍ خَصِب
فتلوحُ لي نَفسْي تهدِّدُني ... أشباحُها بالويلِ والحَرب
فأعودُ أدراجي أرى سَعَةً ... وعِمارةً في عُشِّيَ الخَرب
إني بلَوتُ الدهرَ أعذَبَه ... وأمَرَّه الروَح والنَصَب
فوجدتُني أدْنى إلى ضَجَر ... لكليهما وأحبَّ للوَصَب
ما بَينَ جنبَّي اللذينِ هُما ... قَفَصُ الهموم ومَجمَع الكُرَب
قلب يَدُقُّ إلى العَنا طرَباً ... ويحن مشتاقاً إلى التَعَب
وأخ تلائمُني مشاربُه ... وطباعُه في الجدِّ واللَعِب
أنكَرتُ ضَعفاً في شكيمتِه ... ومرونةً تدعو إلى الرِيَب
فطرَحْتُه أخشى عى شَمَمي ... عَدوى ليانٍ منهُ مُكتَسَب
ودفنتُه لا القَلبُ يُنشده ... أسفاً ولا دَمْعي بمنسَكِب

يا بدر داجيةَ الخطوب ..

هتفوا فأسندَتِ اليدانِ ضلوعي ... وشَرِقتُ بالحسراتِ قبلَ دُموعي
وأصَخْتُ سَمعاً للنُعاة وليتَني ... من أجل يومِكَ كنتُ غيرَ سميع
قالوا تماثلَ للشِفاء بِشارةً ... سَكَنت لها روحي وأُفرِخَ رُوعي
وحَمِدْتُ أن المجدَ غيرَ مبُاحةٍ ... ساحاتُه والبيتُ غيرَ صَديع
حتى إذا طارَتْ بأجنحة الهنَا ... والبشرِ نفسُ مُغرَّرٍ مخدوع
أبَتِ القوارِعُ أن تُميلَ طريقَها ... عني فعدت لسِنِّيَ المقروع
خلعَ الرجاءَ وحل يأسٌ عابسٌ ... جهمٌ مُحِلَّ مُنافسٍ مخلوع
وتقهقرَتْ زُمَرُ الأماني وانجلَتْ ... عَرَصاتُها عن مُثخَنٍ وصَريع
فإذا بآمالي وما خادعنَني ... كمؤمِّلٍ سَفَهاً سرابَ بَقيع
وإذا بقلبي يستفيضُ نجيعُه ... وإذا بعيني تَستَقي بنجيع
كنا نشكِّكُ في البُكاء وصدِقِه ... إذ كانَ أكثرهُ بغيرِ شَفيع
ونَرىَ الصيانَةَ للدمُوع رجُولةً ... حتى يُرَى سببٌ إلى التضييع
فالآنَ تصدُق دمعةُ الباكي ... إذا نَزَلتْ عليك وأنَّةُ الموجوع
والآنَ ينزِل كلُّ طالبِ حاجةٍ ... في قفرةٍ ليست بذاتِ زُروع
والآنَ تفتَقِدُ البلادُ مُحنَّكاً ... يُحتاجُ في التنفيذِ والتشريع
والآن تَلتَمسُ العيونُ فلا ترى ... أثراً لوجهٍ رائعٍ ومُريع
يا قبرُ من لم يَمتَهِنْ بضَراعةٍ ... بادٍ عليك تضرُّعي وخُشُوعي
يا بدرَ داجيةِ الخطوبِ ونورِها ... أعزِزْ بأنَّكَ غبتَ لا لِطلوع
خلّفتَ بغداداً عليك حزينةً ... تستقبِلُ الدنيا بوجهٍ هَلوع

تتجاوبُ الأسلاكُ في جنبَاتها ... بوميضِ بَرقٍ للنَعِيِّ سَريع
ضَغَطَت هُنا كفٌّ على أزراره ... تُنبي بخطبٍ في العراقِ فَظيع
شَكَتِ السياسةُ فقدَ مُضطلِعٍ بها ... فذٍّ بحلِّ المُشكلات ضَليع
والساسةُ الأقطابُ بعدَكَ أعوَلَت ... عن فقدِ فوّام بهم وقَريع
مارستُ أصنافَ الرجال درايةً ... من تابعٍ منهم ومن مَتبوع
ونفَدتُ للأعماقِ من أطباعهم ... إذ كنتُ بالأشكال غير قَنوع
فاخترتُ لي من بينهم مجموعةً ... ووجدتُك المختارَ في المَجموع
لله درُّك من بِناء طبيعةٍ ... من كلِّ أجزاءِ العُلا مصنوع
مستشرفٍ يُعشِي العيونَ شُعاعُه ... مُوفٍ على من رامَه مَرفوع
كنتَ الشُّجاعَ طبيعةً وسجيةً ... إذ ينهضُ الجبناءُ بالتشجيع
كنتَ المقيمَ على التجارِبِ رأيَه ... ويقيمهُ غِرٌّ على المَسموع
كنتَ الرزين إذا الحلُوم تطايَرتْ ... وأُعيرَ أهلَ الصبرِ ثوبَ جَزوع
وإذا الخطوبُ استحكَمَتْ حلقاتُها ... شنعاءُ تحصِب من تَرى بشَنَيع
كنت السَميذَعَ تنجلي بشُداته ... ظلُماتُ مُسودِّ الرُواق هزيع
صَقْرٌ يضيق مَطارُه بجناحه ... حتى يخالُ الجوَّ غيرَ وسيع
متفرِّدٌ يربو على أقرانه ... بأعزِّ سَمتٍ في السماءِ رَفيع
ردَّتْ مخالبَها إليه فردَّها ... حُمْراً مُقلَّمةً من التقريع
نصَبَ القضاءُ لصيده أشراكَه ... فهَوَى وكلُّ محلِّقٍ لوُقوع
البيت بيتي أُسرِجتْ ساحاتُه ... بشموعِ ممتدِحيه لا بشموعي
فإذا أسِيت فحرقةٌ لقبيلةٍ ... نكِبَت بأسيافٍ لها ودُروع
أينَ المصابيحُ الذين كأنهم ... زُهْرُ النجوم بغَيبة وطُلوع

مــن كــل رَكّــاضٍ إلى غاياتِــه ... رَسْــلاً بسرّ حــدوده مــدفوع
ومُفــوَّهٍ كالفحــل عنــد هــديره ... فَــذِّ البيــان يفــيضُ مــن يُنبــوع
هــذي القُبــور قصــيدةٌ مفجوعــةٌ ... غنِيــت قوافيهــا عــن التقطيــع
لم تــرمِ بي قَــدَمي هنــا إلاّ جَــرَت ... مــن ذِكريــاتِ الســالفينَ دمــوعي
وكــأنني بشخوصــهم في مَحضرٍ ... دانٍ.. بعيــدٍ ســائغٍ ممنــوع
شــيئانِ تفتقــرُ الــبلادُ إلــيهما ... خِصبُ الرجال بها وخِصْبُ ربيع
ملــك الجميــع حيــاة فــذٍّ واحِــدٍ ... كــان المصــابُ بــه مُصــابَ جميــع

***

المآسي في حياة الشعراء

رَبَــأتُ بــنفسي أن تظــل كــما هيــا ... تُرَجِّــي سرابــاً أو تخــافُ دواهيــا
وأكــــبرتُ أني لا أزالُ دريئــــة ... يجــرب فيهــا المُغرضــون المراميــا
نظــائرُ ممــا أحكــم الغــدرُ نســجَها ... تــذكِّرُني مــا كنــتُ بــالأمس ناســيا
تجاريــبُ لم أنعُــم بعُقبــى احتمالِهــا ... عــلى أن عنــدي غيرَهــا مــا كفانيــا
فلم ألف من خيرٍ ونُصح مُعوِّضاً ... لأحمــدَ عــن شَرٍّ وغــدرٍ جوازيــا
كَفَــى مُخــبراً بي أن تكــونَ مطــامحي ... مبــاهجَ أقــوام تجــيءُ ورائيــا
ولم أرَ إلا أننــــي غــــيرَ منطــــوٍ ... عــلى خِسّــة لمــا ابتغيــتُ الــدواعيا
إذا مــا أدَرت الفكــر فــيما أرومُــه ... ومــا أبتغيــه أن يكــون مثاليــا
وفي حالــةٍ أُرغِمــتُ أن أصــطلي بهــا ... مُحَلِّــقَ نفــسٍ عــاثرَ الجــد كابيــا
رثَيــتُ نفــوسَ الشــاعرين طموحــةً ... أريــدُ لهــا أن تســتَذلَّ جواثيــا
عجِبْــتُ لشــعبٍ يُنجــبُ الفَــرد نَابغــاً ... حريقاً حصيفاً واثب النفس واعيا

يريد لـه نهجاً مـن المجـد لاحِبـاً وعصراً به يشأى العصورَ الزواهيا
يُزيل الشباب الرِخوَ عن مُستقرِّهِ ويدفعـه دفـعَ الأتيِّ الجواريـا
ويرهـق بـالتفكير نفسـاً عزيـزةً ليُعتِـقَ رِقّـاً أو ليُرشِـدَ غاويـا
ويستنهض الأرواحَ غُفـلاً مـؤثّلاً قوادِمَـه مـن شـعره والخوافيـا
لـه كـلَّ يـوم قطعـةٌ مـن فـؤادِه يُسـاقطها للناشـئين قوافيـا
ولا سـائلٌ عـن ليلـه كيـف باتـه ولا كيف لاقى الصبحَ أسودَ داجيا
تشكَّى الطمـوحَ مـن مُحيطٍ أجاعـه فأطعمتُـه غُـرَّ القـوافي دواميـا
ومـا هـي بالشـكوى ولكـن أثـارة وقـد يُحسَـب الليـثُ المزمجرُ شـاكيا
لعَنْتُ الضـميرَ الحرّ لعنةَ غاضـبٍ رأي الغُـنْم محمـوداً فـذمَّ التفاديـا
لقـد كنـتُ عـما اصـطلي في كِفايـة لـو أنيَ كنـتَ المسـتغِلَّ المُحابيـا
وقـد كنـت في بحبوحـة لـو عَدِمتُـه شـعوراً حبـاني العُـدْمَ فـيما حبانيـا
لعمـريَ أني سَـوف اخـتطُّ خُطّـة تُضـاعف دائـي أو تكـونُ دوائيـا
وسـوفَ أُري الأيـام نقمـةَ حاقـدٍ إذا مـا تقاضـاها أسـاءَ التقاضـيا
ومـا أبتغـي رَدَّ العـوادي منيحـةً عـلى يـدِ مـن يُزجِـي إليَّ العواديـا
ولكـن بكـفٍّ علَّـمَ الزنـدُ كفَّهـا مُقارعَـةً أو يسـقطُ الزنـدُ واهيـا
ألا هـل أراني مُرسِـلاً في شـكيمتي صُرِّف كفِّـي كيـف شـاءت عنانيا
إذنْ لاستشَـفَّ النـاسُ نفسـاً تجلببتْ غبـاراً يغطـي أقـتمَ الـريشِ بازيـا
وجـدتُ دواءً في الصراحـة ناجعـاً إذا افتقَـدتْ نـفسي طبيبـاً مُـداويا
وقـد كـان سِـلمٌ في التغـابي وراحةٌ بقلبـي لـو أنّي أطَقـتُ التغابيا
حباني العراق السمحُ أحسنَ ما حبا بـه شـاعراً للحـق والعـدل داعيـا
وجاء كما استمطرتُ في الصيف مزنةً وعيشاً كما اسأرتُ في الكأسِ باقيا

وعيشاً إذا استعرضته قلت عنده … « كفى بك داء أن تَرىَ الموت شافيا»

وأوعدني بعد المهاتِ احتفاءةً … يجوِّدُ فيها المُنشدون المراثيا

وحَفْلاً ترى فيه أكُفّاً تعجَّلَت … ظِمائيَ تستسقي عليّ الغواديا

وتلك « يد » أعيا لساني وفاؤها … فأوصيتُ أولادي بها وعياليا

وإن « فراتاً » للكفيءُ بشكرها … إذا مِتُ فليردُدْ عليها العواديا

مَضَت زَهرةُ العمر التي يحسبونَها … هي العمرُ لا عُوداً مع الشيب ذاويا

وراجعت في هذا السجل فصولَه … أقلِّبُ أياماً به ولياليا

أحاسِب نفسم كيف ألفَتْ يبيسة … ضروعاً سقت وغداً وغِرّاً وجافيا

وعما أفادت من بلادٍ تكالَبَتْ … على الغُنم..وارتدَّت سِباعاً ضواريا

ألم تجِدي والدهرُ نشوانُ طالِعٌ … على الناس بالأفراح إلا المآسيا

يقصُّون أحـ[illegible] الحياة تمتُّعاً … وأنتِ تقصِّيِن الحياة أمانيا

ولّما أبَتْ عُذراً يقوم بحالها … مَضَت تدَّعي إن لم تُجَلبَبْ مخازيا

محاذيرُ يسترضي المغرِّرُ نفسَه … بها ويُخلِّيها جَسورٌ تحاشيا

ولا خيرَ في بَغي تحاول نيلَها … إذا لم يُنهِكْ بيِّنَ البطش عاتيا

ولم يَعدُ في قصدي ولا سدَّ مذهبي … ولم تنلها الصبرَ المملِّ اعتزاميا

لئن كرهتْ مني الحضارةُ ناقماً … فقد حَمِدتْ مني البداوةُ باديا

صَبوراً على بأسائِها لا يخالُها … أشدَّ أذى من أن يُداري أعاديا

ولكنَّني آسَي لأخلاق عصبة … تعُدُّ المزايا الطيباتِ مساويا

ترى كل مَرهوبِ الشَذاة عدوَّها … وكلِّ رخيٍّ العودِ خِلاٍّ مُصافيا

وهذا بلاء يُمطر الشرَّ منذراً … وهذا وباءٌ يَجرف الشَعب غاشِيا

العَدل..

لعمــرُك إنَّ العــدلَ لفــظٌ أداؤُهُ   بســيطٌ ولكــن كنهُــه مــتعسِّرُ
تخيَّلَــه عقــلٌ نشــيطٌ أرادَه   دلــيلاً لقــومٍ في الحيــاة تعثَّــروا
يـفسِّرُهُ المغلــوبُ أمــراً مناقضــاً   لمــا يرتأيــهِ غالــبٌ ويــفسِّر
ولمــا رآه الحــاكمون قذيفــةً   تُضعضِــعُ مــن أهــوائهم وتــدمِّر
ولم يجــدوا مَندوحــةً عــن قَبولــه   لإرضــاءِ مخــدوعينَ بالعــدل غَــرروا
أتَــوه بتــأويلاتِهم يُفســدونه   قــوانينَ باسـم العــدل تَنهـى وتـأمُر
لقــد كــانَ أولى بالرفــاهِ وبــالغِنى   ذكــيُ فــؤادٍ جــائع يتضــوَّر
وقــد كــان أولى بالحفــاءِ وبــالعَرى   وبــالجوعِ هــذا الأبلــهُ المتبختــِر

***

تحرك اللحد

كِلُــوا إلى الغَيــبِ مــا يــأتي بــه القَــدَرْ   واستَقبلوا يـومَكُمْ بـالعزمِ وابتـدروا
وصَــدِّقُوا مُخْــبِراً عــن حُسْــنِ مُنْقلَــبٍ   وآزِرُوه عســى أنْ يَصْــدُقَ الخَــبَرُ
لا تَتْرُكــوا اليــأسَ يَلقــى في نُفوســكم   لَــه مَــدَبّاً ولا يأخُــذْكُمُ الخَــوَر
إنَّ الوســاوِسَ إنْ رامَــتْ مَســارِبَها   سَــدَّ الطريــقَ عليهــا الحــازِمُ الحَــذِر
تَــذكَّروا أمــس واســتوُحوا مَســاوئَهُ   فقــدْ تكــونُ لَكُــمْ في طَيِّــه عِــبَر
مُــدُّوا جمــاجِمَكمْ جِسراً إلى أمــلٍ   تُحــاوِلونَ وشُــقُوا الــدربَ واختَصِروا
وأجمِعــوا أمــرَكُم يَــنْهَضْ بسـعيِكُمْ   شَــعبٌ إلى هِمَــمِ الســاعينَ مُفْتَقِــر
إنَّ الشــبابَ سِــنادُ المُلْــكِ يَعضُــدُهْ   أيّــامَ تُوحِــدُهُ الأرزَاءُ والغِــيَر

أتـــتْكُمْ زُمــرةٌ تحــدو عزائِمَهـــا ... مــا خَلَّفــت قَبلهــا مــن سيّئ زُنَـر
ألفـتْ عـلى كـلِّ شـبرٍ مـن مَسالكها ... يلـــوحُ ممـــا جَنـــى أســـلافُها أثـــر
مُهمــةٌ عظُمــت عــن أنْ يقــوم بِهــا ... فـــردٌ وأن يتحـــدَّى أمرَهـــا نفـــر
مــا إن لكُــم غــيرَهُ يــومٌ فـلا تَهنـوا ... وقـــد أتـــتكم بـــها تخشـــونه نُـــذُر
طالـــتْ عَمايـــةُ ليـــلٍ ران كَلْكَلُـــه ... عـــلى الـــبلادِ وإنَّ الصُـــبْحَ يُنتظـــر
وإنـــما الصُـــبحُ بـــالأعمال زاهيـــةً ... لا الوعـدُ يُغـري ولا الأقـوالُ تنـتَشِر
وأنتَ يا بن « سليمانَ» الـذي لَهِجتْ ... بـــها جَسرتَ عليـــه البـــدوُ والحضر
الكابـتُ الـ[illegible] أزمانـاً عـلى حنَـقٍ ... حتـــى طغـــى فرأينـــا كيـــفَ ينفجـــر
والضـــاربُ الضربـــةَ لصَـــدمتِها ... لحـــمُ العُلـــوج عـــلى الأقـــدام ينتثـــر
هـــل ادَّخـــرتَ لهـــذا اليـــوم أهبَتَـــه ... أم أنـــت بالأجـــل المتَّـــدِ مُعتـــذر
أقـدَمتَ إقـدامَ [illegible] الخـوفُ يمنعُـهُ ... ولا يُنَهنِـــهُ مِـــن تَصـــميمهِ الخطـــر
وحَسْـــبُ أمـــرِك توفيقـــاً وتوطئـــةً ... أنَّ الطُغـــاةَ عـــلى الأعقـــابِ تَنـــدحر
دبَّـــرتَ أعظـــمَ تـــدبيرٍ وأحســـنَه ... تُـــتلى مـــآثِرُهُ عُمـــراً وتُـــدَّكر
فهـــل تُحـــاوِل أن تُلقـــي نتائِجَـــه ... يـــأتي القضـــاءُ بهـــا أو يَـــذْهب القَـــدَر
وهـــل يَسُرُك قـــولُ المُصـــطلين بـــه ... والمُســـتغِلين أنَّ الأمـــرَ مبـــتَسَر
وأنَّ كُـــلَّ الـــذي قـــد كـــانَ عِنـــدَهم ... عـــلى التبـــدل في الأســـماءِ مُقْـــتَصر
وهـــل يَسُرُك أن تخفـــي الحُجُـــولُ بـــه ... مـــا دامَ قـــد لاحـــتِ الأوضـــاحُ والغُـــرَر
أُعيذُ تلك الخُطى جَبَّارةً صُعِقَت لهـا ... الطواغيـــتُ وارتجَّـــت لهـــا السُرُر
أنْ يَعـــتري وقْعَهـــا مـــن رَبكـــةٍ زَلَـــلٌ ... أو أن يثـــبِّط مـــن إقـــدامها الحَـــذَر
مـــاذا تُريـــد وســـيفٌ صـــارِمٌ ذَكـــرٌ ... يحمـــي الثغـــورَ و أنـــتَ الحيَّـــة الـــذَكر

والجيشُ خلفَكَ يُمضي مِن عزيمتهِ … فَـرطُ الحماسِ ويُـذكيها فتَستعِر
أقـدِمْ فأنـتَ عـلى الإقـدامِ مُنطَبِـعٌ … وأبطُـشْ فأنت عـلى التنكيـلِ مُقتدر
وثِـقْ بـأن الـبلادَ اليـومَ أجمعَهـا … لمـا تُرجيِّـه مِـن مسعـاك تَنتظِـر
لا تُبـقِ دابِـرَ أقـوام وتَـرْتَهم … فَهـم إذا وَجـدوها فُرصَـةً ثـأروا
هُنـاك تنتظِـرُ الأحـرارَ مَجـزرةٌ … شـنعاءُ سـوداءُ لا تُبقـي ولا تَـذَر
وثَـمَّ شِرذِمـةٌ ألفَـتْ لهـا حُجُبـاً … مـن طُـولِ صَـفحٍ وعَفـوٍ فهي تَستَتِر
إنّي أُصـارِحك التعبـيرَ مُجترئـاً … ومـا الصريـحُ بـذي ذَنـبٍ فَيعتـذِر
إن السـماءَ التـي أبـديتَ رَوْنَقَهـا … يـومَ الخميـس بـدا في وَجهِهـا كَـدَر
تَهـامَسَ النفَـرُ البـاكون عَهـدَهُم … أن سـوفَ يرجِـعُ ماضيـهم فَيزدِهـر
تَجـري الأحاديـثُ نكـراءً كعادتِهـا … ولم يُـرَعْ سـامرٌ مِـنهُم ولا سَـمر
فحاسبِ القومَ عن كلِّ الذي اجترحوا … عـما أراقـوا ومـا اغتلـوا ومـا احْتكـروا
لـلآن لم يُلـغَ شـبرٌ مـن مَـزارِعِهم … ولا تَزحـزح ممـا شـيَّدوا حَجـر
ولم يـزل لهـمُ في كـلِّ زاويـةٍ … مُنـوّهٌ بمخـازيهم ومُفتَخـر
وتلـكَ لِلحـرَّ مأسـاةٌ مُهيِّجـةٌ … يَـدمى ويـدمعُ منهـا القلـبُ والبصَر
فضيِّقِ الحبـلَ واشـدُدْ مِـن خنـاقِهُمُ … فَـربَّما كـانَ في إرخائـه ضَرر
ولا تَقُـلْ تِـرَةٌ تبقـى حَزازتُهـا … فَهُـمْ عـلى أيِّ حـالٍ كُنتَ قـد وُتِروا
تَصـوَّرِ الأمـرَ معكوساً وخُـذْ مَثَلاً … ممـا يَجُرّونـه لـو أنهـم نُصِروا
أكـانَ للرفِـقِ ذِكـرٌ في مَعـاجِمهِمْ … أم كانَ عن « حِكمةٍ » أو صحبةَ خَبَر
والله لاقتِيـدَ «زيـدٌ » باسـم « زائـدةٍ» … ولأصطلى « عامرٌ » والمبتغى « عُمَر»
ولا نمحى كـلُ رَسـم مـن مَعـالمكُم … ولاشـتَفَتْ بِكُـم الأمثـالُ والسِيَر
ولا تـزالُ لهـم في ذاكَ مأرُبـةٌ … ولا يـزالُ لهـم في أخـذِكُم وطَـر
أصبحتُ أحذرُ قولَ الناس عن أسفٍ … مـن أن يـروا تِلكـمُ الآمـالَ تَنـدَثِر

تَحــرَّكَ اَلَلحـــدُ وانشـــقَّت مُجــدَّدةً أكفــانُ قَــوم ظنَنّــا أنّهــم قُــبِروا

***

شباب ضائع

ذَخَــرتُ لأحــداثِ الزّمــانِ يَراعــا يُجيـــد نِضـــالاً دونَهـــا وقِراعـــا
وأعددْتُـــه للطارئـــاتِ ذَخــيرةً يُــزيحُ عــن الشرِّ الكمــينِ قناعــا
وألفيتُنــي في كــلِّ خطــبٍ يَنُوبُــه أُدافــعُ عنــه مــا اســتطعتُ دِفاعــا
ومــا في يــدي إلاّ فــؤادي أنَرْتــه لِيُلْقــي عــلى سُــودِ الخطــوبِ شُــعاعا
وكلّفْــتُ نــفسي أنْ تُحَقِــقَ سُــؤلَها سِراعــاً أو المــوتَ الــزؤامَ سراعــا
ومـــا ذاك إلا أن قلبـــاً حملتـــه عــلى الهــول يــأبى أن يطــير شــعاعاً
وهـــل أنـــا إلاّ كـــالمؤدّي رســـالةً رأى كَتْمَهـــا حَيْفـــاً بهـــا فأذاعـــا
أهبـــتُ بشـــبانِ العـــراقِ وإنَّـــما أردتُ بشـــعري أن أهـــيجَ ســـباعا
أنفْـــتُ لهـــذا الـــنشءِ بينـــا نُريـــده طــويلاً عــلى صــدّ الكــوارثِ باعــا
يَــدِبُّ إلى البلــوَى هــزيلا كأنــه ربيـــبُ خُمـــولٍ نَشْـــأةً ورَضـــاعا
فــما استَنْهضــتْ منــه الرزايــا عــزائماً ولا أحْكَــمَ التجريــبُ منــهُ طباعــا
فــلا هــو بالجَلْــدِ المُطيــقِ احتمالهــا ولا بالشُّــجاع المســتميتِ صراعــا
فكــم زعــزع مــا حرّكَــتْ منه ســاكناً وكــم فُــرَصٍ عنّــت لــه فأضــاعا
لقــد طبــقّ الجهــلُ الــبلادَ وأطْبَقَــت عــلى الصّــمتِ شــبانُ الــبلادِ جَماعــا
وإنَّـــك لا تَـــدري أنشـــئا مهـــذباً تَســـوقُ الرزايـــا أم تســـوقُ رعاعـــا
بـــمصرَ ومصرٌ مـــا تـــزال طريـــدةً شرى الظلـــمُ منهـــا مـــا أراد وباعـــا
دويُّ شــبابٍ أرْجَــفَ الجــورُ وقعَــه وزعـــزعَ مـــن بُنيانِـــهِ فتـــداعى
لنــا كــلُّ هيئــاتِ الشــبابِ تَصَــنُّعاً وأزيـــائهم تمويهـــةً وخِـــداعا

وليس لنا إلاّ التطاحنُ بيننا عِراكاً على موهومةٍ ونزاعا
هَلُمّوا الى النشء المثقّفِ واكشِفوا حجاباً يُغَطّي سَوءةً وقناعا
تروا كلَّ مفتولِ الذراعين ناهداً قصيراً إذا جدَّ النّضالُ ذِراعا
وكلَّ أنيقِ الثوبِ شُدَّ رباطُه إلى عُنُقٍ يُعشي العيونَ لَماعا
يموعُ إذا مسّ الهجيرُ رداءه كما انحلَّ شَمْعٌ بالصِلاء فماعا
تراه خليَّ البالِ أن راح داهناً وأن قد ذكا منه الأريجُ فضاعا
وليس عليه ما تكاملَ زيُّه إذا عَرِيَ الخَلْقُ الكثيرُ وجاعا
وأن راحَ سوطُ الذُّلِ يُلهب أمةً كراهِيَةً يستاقُها وطَواعا
ولم تُشجِهِ رؤياً وسمعاً قوارعٌ يسوء عياناً وقعُها وسَماعا
وربَّ رءوسٍ بَرْزَةٍ عشّشت بها خُرافاتُ جهلٍ فاشتكَيْنَ صُداعا
وساوسُ لو حققّتَها لوجدتَها من المهدِ كانت أذؤباً وضِباعا
بها نوّمَتْنا الأمهاتُ تخوّفاً وما أيقظتنا الحادثاتُ تِباعا
ومُرّوا بأنحاءِ العراقِ مُضاعةً وزوروا قرىً موبوءةً وبقاعا
تروا من عِراقٍ ضاع ناساً تسوءكم عراةً حفاةً صاغرين جياعا
وإنَّ شباباً يرقَبُ الموتَ جائعاً متى اسطاعَ عن حوْضِ البلاد دفاعا
وإنَّ شباباً في التبذل غاطساً متى كان درعاً للبلاد مَناعا
غَزَتْ أمم الغربِ الحياةَ تُريدُها وما زوُدَّت غيرَ الشبابِ متاعا
رأى شعبه مُلكاً مُشاعاً لخيره فأصبح مُلكاً للبلاد مشاعا
إذا أصحرتْ للخطب كان شبابُها حصوناً منيعاتٍ لها وقلاعا
فقرّبتِ الأبعادَ عزماً وهمّةً وأبدلَتِ الدهرَ المطاولَ ساعا
ونحن ادّخَرْنا عُدّةً من شبابِنا هزيلاً ومنخوبَ الفؤاد يراعا
إذا ما ألّمت نكبةٌ ببلادهِ مضى ناجياً منها وحلّ يفاعا

زوى الشعبُ عنه خيرَه ورفاهَه فلو سِيمَ فَلْساً بالبلاد لباعا
يرى في الصناعاتِ احتقاراً ويزدهي إذا طَمْأنَ التوظيفُ منه طِماعا
وها نحن في عصرٍ يَفيضُ صناعةً نرى كلَّ من حاكَ الحصيرَ صناعا
نقاوِمُ بالعود البوارِجَ تلتظي ونعتاضُ عن حدّ البخارِ شِراعا
كَرُبْتُ على حالٍ كهذي زريَّةٍ أقول لأحلام حلمتُ وَداعا
على أنّني آسٍ لعقلِ مهذَّبٍ وقلبِ شُجاعٍ أن يَروحَ ضياعا
وَجَدْتُ جباناً من وَجدْتُ مُهذَّباً وَجَدْتُ جهولاً من وَجَدتُ شُجاعا

***

في السجن

ماذا تُريدُ من الزمانِ ومن الرغائب والأماني
أوَكلّما شارفتَ من آمالك الغُرِ الحسان
ورعتك ألطافُ العناية بالرفاهِ وبالأمان
أُغْرِمْتَ بالآهات إغرامَ الحنفيةِ بالأذان
إن كنتَ تَحسُدُ من يحوطُ البابَ منه حارسان
فلديكَ حراسٌ كأنَّك منهُمُ في معمعان
وموكلون بما تُصرِّفُ في الدقائقِ والثواني
أُسكنتَ داراً مالها في الصيت والعظموت ثاني
ما إن يباحُ دخولُها إلا لذي خَطَرٍ وشان
دارٌ يُشيرُ لها صديق أو عدوٌّ بالبنان
أهوى عليها ألفُ باكٍ وادّعاها ألفُ باني
وُقّيتَ فيها رَغمَ أنفِك من خبيئات الدِنان

وحُفظْتَ فيها من غرور المال أو سِحْرِ الحسان
حجبوك عن لحظِ العيونِ تأنقاً لك في الصيّان
مثل المعيديّ السَّماعِ به أحب من العِيان
وعلامَ تحْسُدُ من تلهّى بالمثالث والمثاني
أوَليس خشخشةُ الحديد ألَذّ من عزفِ القِيان
يشدو بها من أجل هوك ألفُ مكروبٍ وعاني
أوزانُ شعرِك بعضُ أوزانٍ حوتها باتزان
ماذا تريد من الزمان أُعطيتَ ما لم يُعْطَ ثاني
أُعطيتَ من لطف الطبيعة أن يُشِيعَ النيران
صبحاً وإمساءً وأن يوحي إليك الفرقدان
سبِّحْ بأنعُمِهِمْ فأنت بفضل ما أولَوْك جاني
صكّ الحديدِ على يديكَ جزاءُ ما جنَتِ اليدان
ياعابثاً بسلامة الوطن العزيز وبالأمان
ومفرقاً زُمَرَ اليهودِ طوائفاً كلاًّ لشان
ما أنت والكاشير والطاريف من بقرٍ وضان
إن الصحافةَ حرةٌ لكن على شَرطِ الضمان
سبِّحْ بأنعُمِهمْ وإنْ عانيت منهم ما تعاني
إن لم تُفِدْكَ عقوبةٌ فعسى تُفيدُ عقوبتان
أوْ لَمْ يُفِدْك مطهر فلقد يُفيدُ مطهران

***

ذكرى الهاشمي

وفّـاك مـا يُـقْضَى مـن التكـريمِ بَلَـدٌ يـوفّي حـقَّ كـلِّ زعـيمِ
الـبصرةُ الفيحـاءُ ضـاق خِناقُهـا ومشـتْ بقلـبٍ مقـرّحٍ مكلـوم
عَطَفَتْ على الذكرى الأليمةِ عطفةً نمّـت عـلى شَـجَنٍ هنـاك ألـيم
ياسـينُ إنّ هضـيمةً مـا ذقتَـهُ غـدراً ولم تـكُ قبـلُ بالمهضـوم
ما كنتَ بالرجـلِ الـذي يمشـى لـه خَـتَلاً كمِشـيةِ قـانصٍ لظلـيم
أسَـفاً فكـلُّ عظيمـةٍ غلاّبـةٌ مغلوبـةٌ بمقـدَّرٍ محتـوم
يكفيـك فخـراً أن تُكـادَ بمثلهـا مسـتورةً خَفِيـتْ عـلى التنجـيم
جُبنـاً وعَجْـزاً أنْ تُقابَـل جهـرةً شـأنَ المُغـارِمِ في اطّـلاب غـريم

هـذا مقـامٌ لا يليـقُ بمثلـه قـولٌ فطـيرُ الـرأي غـيرُ حكـيم
فمـن الحَراجـةِ أن يُبَـدِّلَ زِيَّـهُ مـن كـان مرتـدياً ثيـابَ خصـوم
خوفَ الغلو وليس من يُزْجي الثنا لخصـيمه في محنـةٍ بمَلـوم
قـد كنـتَ فـذاً في الرجـال نبوغُهم وقـفٌ عـلى التبجيـل والتعظـيم
وجهـادُهُمْ خـيرُ الجهـاد لأمـة تُهـدى إلى نَهْـج أغـرَّ قـويم
وسياسـة هـي ملـكُ شـعبٍ قولُـه فصـلٌ لـرفضٍ كـان أو تسـليم
سـايرتُ حكمـكَ نـاقماً لم أدّرعْ حزبـا ولم أزحَـفْ بظـلِّ زعـيم
حاشـا ولم أهتِـفْ لغـيرك داعيـا أو أن أُخُـصَّ سـواك بالتقـديم
لكـن طمـوحٌ لـيس يَـرْضي أهلَـهُ أن تسـتمرَّ سياسـةُ الترمـيم

كنا نـرى المعـوجّ مـن أوضـاعنا — في حاجـةٍ قصـوى إلى التقـويم
ونُحِـسُّ أنّـا بـالغون أشُـدَّنا — ومعلّلـون تَعِلـةَ المفطـوم
ونـرى شـتاتَ جهودِنـا وصـفوفنا — ليسـت عـلى شيءٍ مـن التنظـيم
ووعـودَ مـن يتحضّـنون شـؤوننا — مـلأى مـن التخـدير والتنـويم
نبغـي المزيـدَ وتقتضـينا ساسـةٌ — أن نـرتضي بنصـيبنا المقسـوم
ونـراك جبـاراً يكـونُ لفكـره — في المعضـلات مـردُّ كـلِّ جسـيم
ولقـد يكـون العـذرُ أنـا طُمَّـحٌ — ولقـد تكـون وأنـت غـيرُ ملـوم
أمـا مُقامُـك فهـو غـيرُ منـازعٍ — ومـدى حجـاك فلـيس بـالمكتوم
سـايرتُ حكمَـك نـاقماً ووجـدتُني — بـإزاء شـهمٍ في الخصـام حلـيم
رحـبٍ بنقـد خصـومه متفـتح — بـالبشر آونـةً وبـالتفهيم
يُعطـيهِمُ نَصَـفاً ويعلـمُ أنـه — رجـلٌ يَسـوس ولـيس بالمعصـوم

ياسـين إن خسـارةً أن يغتـدي — ذاك الـدماغُ الفـذُّ محـضَ رمـيم
وفجيعـةٌ أن نبتغيـك فـلا تُـرى — لجـلاء جـوٍّ بـالبلاد مَغـيم
يـا درعَ مملكـةٍ متـينٍ نسـجُها — وحسـامَ مُلْـكٍ لـيس بـالمثلوم
إن العـراقَ وقـد نُعيـت موكِّـلٌ — ممـا دهـاه بمُقْعِـدٍ ومقـيم
إنـا فقـدنا يـومَ فقـدِك كوكبـاً — مـا إن تعـوِّضُ عنـه غُـرُّ نُجـوم
لله طِبُّـك في السياسـة إنـه — رَوْح الـوَنَى ودواءُ كـلّ سـقيم
كـم فـترة دهـتِ العـراقَ عصـيبةٍ — فرّجَتهـا بـدهائك المعلـوم
لله درُّك أيَّ زعـزعٍ عاصـفٍ — فـيما تـدبّرُهُ وأيَّ نسـيم
تعلـوك سـيماءُ الخـليِّ جـلادةً — ولقـد تكـونُ نمـوذجَ المهمـوم

كنتَ الحفيظَ على السياسة داعماً ... ركنَ المُفاوضِ أيّما تدعيم
قسطاسَ حكمٍ كان حلمُك وحده ... نِعْمَ الضمانُ عن انزلاقِ حُلوم
فيما يولّد حرٌّ رأيك تَتّقي ... نزواتِ رأيٍ يستجدّ عقيم
كم موقفٍ معصوصبٍ متلابس ... جَلّى وكم داءٍ به محسوم
كنت المضيءَ سبيلَ كلِّ عَميّةٍ ... تَيْهاءَ تعتورُ البلادَ بهيم
صُلبَ العقيدةِ لا يردُّك حادثٌ ... في كل ما تَبْني عن التصميم
وإذا البلادُ تفرّقت آراؤها ... شِيعاً بلا نَهْج لها مرسوم
أطلعتَ رأيك بينها فتطايحت ... لك عن مكانِ السيدِ المخدوم
كنا إذا ضاق الخِناقُ وحَشْرَجَتْ ... نَفْسٌ بغيظٍ حانقٍ مكظوم
وبدا لنا الدستورُ وهو مخلَّعٌ ... عريانَ غيرَ تستُّرٍ مزعوم
لذنا بياسينٍ فكانت قوةٌ ... جبارةٌ في وجه كلِّ غَشوم
واليومُ نخشى أن يَضيعَ توازُنٌ ... في الكِفَّتَيْنِ وأنت غيرُ مقيم

***

إلى الشباب السوري

حيِّ الصفوفَ لرأبِ الصدعِ تجتمعُ ... وحيِّ صرخةَ أيقاظٍ بمن هجعوا
إنَّ الشبابَ جنودَ الله أَلَّفهمْ ... في الشامِ داعٍ من الأوطانِ مُتَّبع
مَشوا على خَطوهِ تنحطُّ أرجلُهمْ ... كما اشتهى المثلُ الأعلى وترتفع
دِمَشقُ لم يُبق منكِ الدهرُ باقيةً ... إلاّ الذي في توَقي غيرِه ضَرَع
ولو أردتُ بكِ التقريع عن مِقَةٍ ... لقلتُ : أنفُكِ رغمَ العزِّ مُجتدع
فما انتظارُكِ مَيْتاً لا ضميرَ لهُ ... حزماً فلا الخوفُ ذو شأنٍ ولا الطمع

نُبِّئتُ في الغُوطةِ الغنّاءِ عاصفةٌ تكادُ تجتثُّ ما فيها وتَقتلع
مرَّتْ على بردى فالتاثَ مَوردهُ وبالغياضِ فلا حُسنٌ ولا مَرَع
فقلتُ : لاضيرَ إنْ كانت عجاجتُها عن غضبةِ البلدِ المسلوبِ تنقشع
وهل سوى مُتَعٍ زالتْ ستخلِفُها مُخَلَّداتٍ حِساناً خُرَّداً مُتَع
أمَّ البلادِ التي ما ضيم نازِلُها يوماً ولم يَدْنُ منها العارُ والهَلع
محميَّةٌ بالأصمِّ الفردِ تحرُسُه غُلْبُ الرِّجالِ على الآجالِ تقترع
مثلَ النسورِ إذا ما حلَّقوا رهبوا والموتُ ملءُ خوافيهم إذا وقعوا
الحاسِرونَ كنبعِ السروةِ احتفلوا بالنازلاتِ فلا التاثوا ولا ادَّرعوا
والرابضونَ كآسادِ الشرى فإذا رأيتَ المنايا كيف تندفع
لا ينطقونَ الخَنا حتى إذا اقتتلوا فمنطِقُ الفتكِ منهم منطقٌ قَذَع

دِمَشقُ يا أمُّ إنَّ الرأيَ مُحتَفلٌ والعزمَ مُحتشَدٌ والوقتَ مُتسِع
قولي يُجبْ شاحِنُ الأضلاعِ مرتقِبٌ واستصرخي ينتفضْ غَيرانُ مُستمع
وأجمعي الأمرَ .. نُجمِعْ لا يُفرِّقنا أأنتِ أمْ نحنُ فيما ينبغي تَبَع
وطوعَ أمركِ أجنادٌ مجنَّدةٌ إلى العُروبةِ بعدَ الله تنقطع
يُغنيكِ عن وصفِ ما يَلقونَ أنهمُ خوفاً عليكِ ولمّا تُفجعي فُجِعوا
وقد يكونُ قريباً أنْ ترى « حلبٌ خيلَ العراقِ قُبيلَ النجعِ تنتجع
قُبّاً شوازبُ لا تُلوى شكائمُها ولا يرينُ على تقريبها الضلَع

ثقي دِمَشقُ فلا حدٌّ ولا سِمةٌ ولا خطوطٌ – كلعبِ الطفلِ – تُبتدع
تُقصيكِ عن أرضِ بغدادٍ ودجلتها أمّا الفراتُ فنبعٌ بيننا شَرع

إذا الجزيـــرةُ روَّت منـــه غُلَّتهـــا ... روَّى الغليـــلَ الفراتيـــونَ وانتقعـــوا
جرى على الكأسِ والأنباءُ مُفجِعةٌ ... دمعٌ هـو القلـبُ نحـوَ العيـنِ يَنـدفع
وارتـاحَ للبـثِّ خِـدنٌ كـادَ يَخنقـه ... ذكـرى دمشـقَ ومـا تلقـى ومـا يَقـع
فقلـتُ : ليـتَ فرنسـا هـا هُنـا لـترى ... كيـف القلـوبُ عـلى الأرزاءِ تَجتَمـع
هــذي مبــاهجُ بغــدادٍ ونشــوتُها ... وجداً عليـكِ . فكيـف الحـزنُ والهلـع
دارتْ دمشقُ بما اسطاعتْ فما قدرت ... عـلى سياسـةِ خـبّ داؤهـا الجشَـع
كانت أناةٌ فلم تَنجع .. ولا جنَفٌ ... وكـانَ ريـثٌ فلـم ينفـعْ .. ولا سرَع
بعـدَ الثلاثـينَ عامـاً وهـي رازحـةٌ ... حسرى .. تطلَّـعُ للـماضي وترتجـع
كانـت محافِـلُ بـاريسٍ لهـا سـنَداً ... واليـومَ منهـا يحِـين الحَـينُ والفـزع
اليـومَ ضـاقتْ بشـكواها وآهتِهـا ... وأمـسِ كانـت عـلى عـثمانَ تتسـع
حتـى كـأنْ لم يكـنْ للعُـربِ مطَّلـبٌ ... ولا اسـتقلَّ بحمـلِ القـومِ مضطلِع
ولا مشـتْ بُـرُدٌ والمـوتُ يحملهـا ... ولا سـعتْ رُسـلٌ والمـوتُ يتَّبـع
ولا المشـانقُ في أعوادِهـا ثمـرٌ ... غـضٌّ مـنَ الـوطنِ المفجـوعِ يُقْتطـع

لـئن تكـن خُـدَعٌ سـاءتْ عواقبهـا ... فكـم أنـارتْ طريقـاً مُظلِـماً خُـدَع
كانـتْ دُروسـاً لسـوريا وجيرتِهـا ... مـن فـرطِ مـا طبَّقوهـا فـيهمُ برعـوا
يـا ثـورةً قـرَّبَ الظلـمُ اللِّقـاحَ بهـا ... سـيلمسُ المتجِّنـي شرَّ مـا تضـع
قـالوا : السياسـةُ شرعٌ مـا بـه نصفٌ ... فهـل تكـونُ جنونـاً مـا بـه وَرَع
وهـل يُريـدونَ بعـدَ اليـومِ تجربـةً ... وفي تـذكُّرِ مـا قـد فـاتَ مُرتَـدَع

قلـبَ العُروبـةِ هـل بُشرى نُسرُّ بهـا ... أنَّ السُّـويداءَ بُـرْءٌ مـا بـه وجـع

واللاذقيــةُ هــل ربٌّ يقــوم بهــ ... أم ربُّهــا العَلــمُ المحبــوبُ يرتفــع
وفي الجزيـرةِ هـل زالـت وساوسُـها ... وهــل توَّحــدتِ الآراءُ والشِّــيَع

يـا جنَّـةَ الخُلـدِ لـو لم يـؤذِ نازلهـا ... ضـيفٌ ثقيـلٌ عليهـا وجهُـه بَشـع
بـادي المخالـبِ وحـشٌ لم يلـدهُ أبٌ ... لكنَّــه في ديــارِ الغــربِ مُختــرَع
دمَشــقُ إنَّ معــي قلبــاً أضـيقُ بــه ... يكـادُ من خلجاتِ الشـوقِ ينخلـع
جـمَّ النـزيِّ .. إلى مغنـاكِ مُتَّجـهٌ ... كأنــه مــن رُبــاكِ الخُضْرِ مُنتــزَع
نــاغي خيالُــكِ أطفــالى فيقظـتُهم ... وطيفُــكِ مغنــاهم إذا هجعــوا
« فـراتُ أشـبهُ كـلِّ النـاسِ بي ولعـاً ... فــيما أُحِــبُّ تبنَّــاهُ بــكِ الوَلــع

***

يوم فلسطين

هبــت الشــامُ عــلى عادتهــا ... تمــلأ الأرضَ شــباباً حَنِقــا
نادبــاً بيتــاً أبــاحوا قُدْسَــهُ ... في فِلَسْــطينَ وشــملاً مِزَقــا
بَــرَّ بالعهــد رجــالٌ أُنُــفٌ ... أخــذ الشــعبُ علــيهم مَوْثقــا
شرَفــاً يــومَ فِلســطِينَ فقــد ... بلــغ القِمَّــةَ هــذا المرتقــى
ألــبس الملــكَ رداءً وازدهــت ... روعــةُ التــاريخِ منــه رَوْنقــا

اســمعي يــا جِلَّــقٌ إن دمــاً ... في فِلَسْــطينَ هضــيماً نطقــا
عربيــاً ســال مــن أفئــدةٍ ... عربيــاتٍ تلظــت حُرَقــا
صــبغ الأرضَ وألقــى فوقهــا ... مــن فــداءٍ وإبــاءٍ شــفقا
تَحْمِــلُ الــريحُ إلى أرجائهــا ... مــن زكيّــاتِ الضــحايا عَبَقــا

اسـمعي يـا جلـقُّ إن دمـا ... في فِلَسْطينَ ينـادي جِلَّقـا
اسـمعي : هـذا دمٌ شـاءت ... لـه نخـوةٌ مهتاجـةٌ أنْ يُهْرقـا
شـدَّ مـا احتاجـت إلى أمثالـه ... أمـمٌ يُعوِزُهـا أن تُعْتَقـا
شـاهدٌ عـدلٌ عـلى الظلـم ... إذا كَـذَبَ التـارِيخُ يومـاً صـدقا
احمـلي مـا اسـطَعْتِ مـن حبّاتـه ... واجعليهـا لعيـونِ حَـدَقا
يسـقطُ الطفْـلُ عـلى والـده ... وارداً مـورِدَه معتنِقـا
وتمـر الأمُّ غضـبى سـاءها ... في سـباق مِثلِـهِ أن تُسـبَقا
نَسَـقٌ للمـوت لم نسـمعْ بـه ... ليتنـا نَعْـرِفُ هـذا النسـقا
هكـذا تُعْلِـنُ صرعـى أمـةٍ ... أن شـعباً مـن جديـدٍ خُلِقـا

****

شاغور حمانا

عـاودتُ بعـد تغيُّـبٍ لُبنانـا ... ونزلـتُ رَحْـبَ فِنائـه جَـذلانا
ودَرَجتُ أقتنصُ الشباب خَسِرتُـه ... ذا رِبحـةٍ ورَبِحتـه خسرانـا
فوجـدتُ رَيْعـان الجمالِ ولم أسَـأ ... أني أضـعت مـن الصبا ريعانـا
ووجـدتُ في مـرح الحيـاة طفـولتي ... وشـبيبتي وكهـولتي سِـيّانا
ونقضـتُ بينـي والكـوارثِ مَوثِقـاً ... وأخـذت مـن عَنَـتِ الزمـان أمانـا
وأقَمت مـن يَـومي لأمسيَ حـاجزاً ... وضَرَبـت سَـداً بينَنـا النِسـيانا
وطلَبـتُ عـونَ قريحتـي فوجـدتُها ... سـمحاءَ تبـذُل خيرَهـا مِعوانـا
وأثـرتُ هاجعـةَ القـوافي لم تجـد ... في الراقـدين لركضـة ميـدانا
قـام الجفـافُ بعـذرها واسـتامَها ... خِصـبُ الجبـال مرونـةً ولِيانـا

وأريتهـــا حَمّانـــة فـــرأتْ بهـــا ... مَلَكـــاً يمُـــدُّ الشـــعرَ لا شـــيطانا
وأردتُهـــا تَصِـــف الحيـــاة رقيقـــةً ... وجليلـــةً وتُجيـــدها إتقانـــا
فشـكَتْ إلى لُغـيَّ تضـيقُ حروفُهـا ... عـن أن تُسـيغ السـجعَ والأوزانـا

شـــاغورُ حمانـــا ولم يَـــرَ جنـــةً ... مـــن لم يشـــاهدْ مـــرةً حمانـــا
مـــرْجٌ أرادتْـــه الطبيعـــةُ صـــورةً ... منهـــا عـــلى إبـــداعها عُنوانـــا
فحبتْـــه بـــالمُتَع الروائـــعِ كلِّهـــا ... ورَمَـــت عليـــه جمالَهـــا ألوانـــا
المنتقـــاةَ مـــن الحيـــاة طبيعـــةً ... والمصـــطفاة مـــن الـــبلاد مكانـــا
والخافقـاتِ ظلالُهـا عـن سَجسَـجٍ ... يَشـــفي الغَليـــل ويُـــثلجُ الظمأنـــا
والغـــامراتِ عيونُهـــا وديانَهـــا ... وجبالَهـــا وبقيعَهـــا الفينانـــا
والغارقـاتِ مروجُهـا في سُـندُسٍ ... خُضرٍ تَفـوح مـن الشَـذا أردانـا
وادٍ تَلَفَّـــت ناشـــئاً فـــإذا بـــه ... بـــين الجبـــال تكفَّلَتـــه حَنانـــا
وإذا بهـــا بمياهـــه ءِغياضِـــه ... جـــاءَت تحـــوِّطُ مَرْجـــه بســـتانا
انظـــر إلى الجبـــل الأصـــمِّ بزرعِـــه ... متبخـــتراً وبضرعِـــه رَيّانـــا

لامستِ بالشك اليقينَ وزعزعَـتْ ... مـــرآكِ نفســـاً تنشُـــدُ الإيمانـــا
أمِـنَ الجنـان وخمرهـا لـكِ صـورةٌ ... أم صـوَّرَت عنـكِ الجنـانُ جنانـا
عـاودتُ مـاءَكِ نـاهلاً وحسـبتُني ... عـــاودتُ بعـــدَ تعفُّـــفٍ إدمانـــا

يـا أخـتَ لا مـرتين أرهـفَ جوُك ... الإحسـاسَ منـه ولطَّـفَ الوجـدانا
هـذي اليـنـابيعُ الحسـانُ تفجَّـرتْ ... منهـــا ينـــابيعُ البَيـــان حِســـانا
الخالـداتُ خلـودَ شمسـك طلقـةً ... والسـامياتُ سـموَّ هضـبكِ شـانا

والباعثاتُ من العواطف خيرَها ... إيناسةً وأرقَّها أحزانا
وحيٌ تنزَّلَ والندى ورسالةٌ ... هَبَطتْ وأضواء النجوم قِرانا
في ساعةٍ أزَليةٍ بهباتِها ... شأت الوحاة وبَزَّتِ الأزمانا

يا أيها النهرُ الذي بخريره ... وَعَتِ العصورُ نشيدَهُ الرنّانا
يا أيها الجبلُ المَهيبُ بصمته ... مترهِّباً يستلهمُ الأكوانا
يا أيها الشجَرُ الذي بحفيفِه ... وفَّى الحياة ونورها شُكرانا
ما ضرَّ أنك ما مَلَكتَ لسانا ... ولأنت أفصحُ مَنطِقاً وبيانا

شاغور حَمّانا أثارَ بلُطفه ... قِممَ الجبال وأرقَصَ الوديانا
فرشت له صُمُّ الصفا أذيالها ... وتفتحَّت ثَغَراتُها أحضانا
ومَشَى عليها مالكاً أدراجها ... متشوقاً لمسيله عَجْلانا
غنيت به غُرُّ الضِفاف فخورةً ... وزَهَا به يَبَسُ الثَرى جذلانا
وكسا الحشائشَ رونقاً لم تُعطَهُ ... وجلا رُواءُ نميره العيدانا
وبدا الحَصَى اللمّاعُ في رَقراقه ... دُرراً غواليَ تزدهي وجُمانا
تَرَكَ الجبالَ وعُريَها وهَجيرَها ... وتقمَّصَ الأشجارَ والأغصانا
ورمى الخيالَ بمعجزٍ من حُسْنِهِ ... في حالتَيه كاسياً عُرْيانا
واستقبلته على الضِفاف بلابلٌ ... نَشْوى تُغَنِّى مثلَه نَشْوانا
مُتَلوِّياً يُعطيك في لَفتاته ... بين المسارب تائهاً حيرانا
ألقت عليه الشمسُ نُوراً باهتاً ... زان الظلال رقيقةً وازدانا
وارتد إبّان الظهيرة غائماً ... كالفجر يُعلن ضجةً إِيذانا

أوغَلْــتُ في إحراجــه وكــأنني ... أصــــبحت أولَ مـــرَّةٍ فنّانـــا
وكــأنني فــيما أُحــاولُ هــاربٌ ... حَــذِرٌ مخافــةَ أن يَــرَى إنســانا
ووجـدتُ نـفسي والطبيعـة ناسـياً ... مــاذا يضـمّ العالمــان سـوانا
ورميــتُ أثقــال المطــامحِ جانبـاً ... ووجــدت عــن خُــدُعاتِها سُـلوانا
وحسِبت عصـفوراً يُلاعـب ظلَّـه ... في المــاءِ يــنعمُ راحـــةً وأمانـــا
واستسلمتْ نفسي لأحـلامِ الصبا ... ولَمَسْــت طيــف خيالهــا يقظانــا
ومَزَجْـتُ بـين الـذكريات خليطـةً ... فوجـــدتُني متلـــذِّذاً أســـيانا
وتســلَّلتْ بــالرَغم منــي مـرَّةً ... صُـورُ الحقـائق تبعـثُ الأشـجانا
فـإذا الخيـال المحـضُ يلمـعُ زاهيـاً ... وإذا الحقيقـــةُ تُطفـــئ اللمَعَانـــا

***

ناجيت قبرك

في ذِمَّــةِ الله مــا ألقَــى ومــا أجِــدُ ... أهــذِهِ صَــخرةٌ أمْ هــذِه كبِــدُ
قدْ يقتُلُ الحُزنُ مَنْ أحبابهُ بَعُدوا ... عنــه فكيــفَ بمــنْ أحبابُـهُ فُقِـدوا
تَجري على رِسْلِها الدُنيا ويتبعُها ... رأيٌ بتعليـــلِ مَجراهـــا ومُعتقَـــد
أعيـا الفلاسـفةَ الأحـرارَ جهلُهـمْ ... مــاذا يُخبِّــي لهــمْ في دَفَّتيــهِ غــد
طالَ التَمحْلُ واعتاصتْ حُلولُهم ... ولا تــزالُ عــلى مــا كانــتِ العُقَــد
ليـتَ الحيـاةَ وليـت المـوتَ مرحَمَـةٌ ... فـلا الشبابُ ابـنُ عشريـنٍ ولا لبَـد
ولا الفتـاةُ بريعـانِ الصِبا قُصفَتْ ... ولا العجـوزُ عـلى الكَفـينِ تَعتمِـد
وليتَ أنَّ النسورَ استُنزفَتْ نَصفاً ... أعمارُهــنَّ ولم يُخصــصْ بهـا أحــد
حُييِّـــتِ أُمَّ فُـــراتٍ إنَّ والـــدةً ... بمثـلِ مـا أنجبَـتْ تُكنـى بـها تَلِـد

تحيَّةً لم أجِدْ من بثِّ لاعِجِها ... بُدّاً وإنْ قامَ سدّاً بيننا اللَحد
بالرُوح رُدِّي عليها إنّها صِلةٌ ... بينَ المحِبينَ ماذا ينفعُ الجَسد
عزَّتْ دموعيَ لو لمْ تَبعثي شَجَناً ... رَجعت مِنه لحرِّ الدمع أبترِد
خَلعتُ ثوبَ اصطِبارٍ كانَ يَسترُني ... وبانَ كِذبُ ادِعائي أنَّني جَلِد
بكَيتُ حتّى بكا من ليسَ يعرِفُني ... ونُحتُ حتّى حكاني طائرٌ غرِد
كما تَفجَّرَ عَيناً ثرَّةً حجرٌ ... قاسٍ تفجَّرَ دمعاً قلبيَ الصَلد
إنّا إلى اللهِ قولٌ يَستريحُ بهِ ... ويَستوي فيهِ مَن دانوا ومَن جَحدوا

مُدّي إليَّ يَداً تُمْدَدْ إليكِ يدُ ... لابُدَّ في العيشِ أو في الموتِ نتَّحِد
كُنّا كشِقَّينِ وافي واحداً قدَرٌ ... وأمرُ ثانيهما مِن أمرِهِ صَدَد
ناجيتُ قَبرَكِ استوحي غياهِبَهُ ... عن حالِ ضيفٍ عليهِ مُعجَلا يفد
وردَّدَتْ قفرةٌ في القلبِ قاحِلةٌ ... صَدى الذي يَبتغي وِرْداً فلا يجِد
ولَفّني شَبَحٌ ما كانَ أشبَهُهُ ... بجَعْدِ شَعرِكِ حولَ الوجهِ يَنعْقد
ألقيتُ رأسيَ في طيَّاتِه فزِعاً ... نظيرَ صُنْعِيَ إذ آسى وأُفتأد
أيّامَ إنْ ضاقَ صَدري أستريحُ إلى ... صَدرٍ هو الدهرُ ما وفى وما يَعِد
لا يُوحشِ اللهُ رَبعاً تَنزلينَ بهِ ... أظُنُّ قبرَكِ رَوضاً نورُه يَقِد
وأنَّ رَوْحكِ رُوحٌ تأنَسينَ بها ... إذا تململَ مَيْتٌ رُوْحُهُ نكَد
كُنّا كنبَتةِ رَيحانٍ تخطَّمَها ... صِرٌّ فأوراقُها مَنزوعَةٌ بَدَدَ
غَطى جناحاكِ أطفالي فكُنتِ لهُمْ ... ثغراً إذا استيقَظوا عِيناً إذا رقَدوا
شتّى حقوقٍ لها ضاقَ الوفاءُ بها ... فهلْ يكونُ وَفاءً أنني كمِد
لم يَلْقَ في قلبِها غِلٌّ ولا دَنَسٌ ... لهُ محلاً ولا خُبْثٌ ولا حَسد

ولم تكُــنْ ضرةً غَــيرَى لِجارَتِهــا تُلــوى لِخَــيرٍ يُوانيهــا وتُضْــطَهد
ولا تَــذِلُّ لخطــبٍ حُــمَّ نازِلُــهُ ولا يُصَــعِّرُ مِنهــا المــالُ والولــد

قالوا أتى البرقُ عَجلاناً فقلتُ لهمْ والله لــو كــانَ خــيرٌ أبطــأتْ بُــرُد
ضــاقَتْ مرابِعُ لُبنــانٍ بــما رَحُبَــتْ عــليَّ والتفَّــتِ الآكــامُ والنُجُــد
تلكَ التي رقَصَتْ للعينِ بَهْجَتُها أيــامَ كُنَّــا وكانــتْ عِيشــةٌ رَغَــد
ســوداءُ تــنفُخُ عــن ذِكــرى تُحرِّقُنــي حتّــى كــأني عــلى رَيعانِهــا حَــرِد
والله لم يحــلُ لي مغــدىً ومُنْتَقَــلٌ لمــا نُعيــتِ ولا شــخصٌ ولا بَلَــد
أيــنَ المَفَــرُّ ومــا فيهــا يُطــاردُني والــذِكرياتُ طرِّيــا عُودُهــا جُــدُد
أالظــلالُ التــي كانــتْ تُفَيِّئُنــا أم الهِضــابُ أم المــاء الــذي نَــرِد
أم أنــتِ ماثِلــةٌ مِــن ثَــمَّ مُطَّــرَحٌ لنــا ومــنْ ثَــمَّ مُرتــاحٌ ومُتَّسَــد
سُرعانَ ما حالتِ الرؤيا وما اختلفتْ رُؤىً ولا طــالَ إلا ســاعةٍ أمَــد
مــررتُ بــالحَورِ والأعــراسُ تملــؤهُ وعُــدتُ وهــو كمثــوى الجانِ يَرْتَعِد

مُنىً وأتعِسْ بها أنْ لا يكونَ على توديعهــا وهــيَ في تابُوتهــا رَصَــد
لعلَّنــي قــارئٌ في حُــرِّ صَــفْحَتِها أيَّ العواطِــفِ والأهــواءِ تَحْتَشِــد
وســامِعٌ لفظــةً مِنهــا تُقَرِّظُنــي أمْ أنَّهــا – ومعــاذَ الله – تَنْتَقِــد
ولاقِــطٌ نظــرةً عَجــلى يكــونُ بهــا ليْ في الحيــاةِ ومــا ألقــى بِهــا سَــند

***

خبر

خــبر ولــيسَ كســائر الأخبــارِ حَصَــبَ الــبلاد بــمارجٍ مــن نــارِ

فلَوَتْ لـه الصيدُ الأماجدُ هامَها   حُزنـاً لفقـدِ زعيمِهـا المختـار

***

الإقطاع

ألا قُـوَّةٌ تسـطيعُ دفـعَ المَظـالِمِ   وإنعـاشَ مخلـوقٍ عـلى الـذُّلِّ نـائِمِ
ألا أعينٌ تُلقى على الشَّعْبِ هاوياً   إلى حَمْـأَةِ الإدقـاعِ نظـرةَ راحـم
وهَـلْ ما يرجِّي المُصلحونَ يَرونَهُ   مواجَهَـةً أمْ تلـكَ أضـغاثُ حـالم
تعالَـتْ يـدُ الإقطاعِ حتَّى تعطَّلَتْ   عـنِ البـتِّ في أحكامِها يـدُ حـاكم
وحتَّى استبدَّتْ بالسَّوادِ زعانِفٌ   إلى نَفْعِهـا تسـتاقُهُ كالبهـائم
إذا رُمْـتُ أوصـافاً تليـقُ بحالـةٍ   تعرَّفْتُهـا ضـاقَتْ بطـونُ المعـاجم
ألا نستحي مـنْ أنْ يُقالَ بلادُهُـمْ   عليهـا مِـنَ الإذلالِ ضربـةُ لازم
هي الأرضُ لم يَخْصُصْ لها اللهُ مالكاً   يُصَرِّفُهـا مُسْـتَهْتِراً في الجـرائم
ولم يَبْـغِ منهـا أنْ يكـونَ نَتاجُهـا   شَـقاوةَ مظلـومٍ ونعمـةَ ظـالم
عجِبْـتُ لخلْـقٍ في المَغـارِمِ رازِحٍ   يُقـدِّمُ مـا تجنـي يـداهُ لغـانم
وأنكـا مـن هـذا التغـابُنِ قُرْحَـةً   غبـاوةُ مَخْـدومٍ وفِطنـةُ خـادم
وكمْ مِن خُمولٍ لاحَ في وجه مترَفٍ   وكـمْ مـن نبـوغٍ شعَّ في عـينِ عـادِمِ
لـو اطَّلَعتْ عيناكَ أبصرتَ مأتَمـاً   أُقـيمَ عـلى الأحيـاءِ قبـلَ المـآتم
وإلاّ فـما هـذا الشَّقاءُ مُسَيْطِراً   لـهُ في جبـاهِ القـومِ مثـلُ المياسـم
إذا أقبلَ الشـيخُ المُطـاعُ وخَلْفَـهُ   منَ الـزارعينَ الأرضَ مِثْلُ السَّوائم!
مِنَ المُزهَقي الأرواحِ يَصلي وجوهَهُمْ   مَهَـبُّ أعاصـيرٍ ولفـحُ سـمائم
قِيامـاً عـلى أعتابـهِ يُمطِرونهـا   خُنوعـاً وذُلاً بالشِّـفاهِ اللـوائم

رأيـتَ مثـالاً ثَـمَّ لابـنِ ملائـكٍ تَنَـزَّلَ مِـن عَليْائـهِ وابـنِ آدم
حَنايـا مِـنَ الأكـواخِ تُلقـي ظِلالَهَـا علـى مِثْـلِ جُـبٍ باهـتِ النُور قـاتم
تلـوَّتْ سِـياطٌ فـوقَ ظهـرِ مكـرَّمٍ مِـن اللُـؤمِ مـأخوذٍ بسـوطِ الألائـم
وباتَـتْ بطـونٌ ساغِباتٌ علـى طَـوىً وأُتخِمَـت الأخـرى بِطيـبِ المطـاعم
أهـذي رعايـا أُمَّـةٍ قـد تهيَّـأتْ لِتسْـقبَلَ الـدُّنيا بعـزمِ المُهـاجم
أهـذا سـوادٌ يُبتغـى لِمُلِمَّـةٍ ونحتاجُـهُ في المـأزِق المـتلاحِم
أهـذي النفـوسُ الخاويـاتُ ضَراعـةً نُبـاهي بهـا الأقـرانَ يـومَ التَّصـادم
أمِـنْ سـاعِدٍ رِخـوٍ هَزيـلٍ وكاهـلٍ عجـوزٍ نُريـدُ المُلْـكَ ثَبْـتَ الـدَّعائم
مِـنَ الظلْـمِ أنَّـا نَطْلُـبُ العـزمَ صـادقاً من الشعبِ منقوضَ القُوى والعزائم
وأنْ نَنْشُـدَ الإخـلاصَ في تضـحياتِهِ ونحـنُ تركنـاهُ ضَـحيَّةَ غاشـم
وأنْ نبتغـي رِكضـاً حَثيثـاً لِغايـةٍ نُحاوِلُهـا مِـن راسِـفٍ في أداهـم
لنـا حاجـةٌ عنـدَ السَّـوادِ عظيمـةٌ سـنفقِدُها يـومَ اشـتدادِ الملاحِـم
هُنالِـكَ لا تُجـدي فتـيلاً عِصـابةٌ إذا جَـدَّ خطـبٌ فهـي أوَّلُ راجـم
وإنَّ سـواداً يحمِـلُ الجَـوْرَ مُكْرَهـاً فقـيرٌ لِهـادٍ بَـينِ النُصْـحِ حـازِم
يَشُـنُّ عـلى الإقطـاعِ حربـاً مُبيـدةً ولا يَخـتشي في الحـقِّ لَوْمَـةَ لائـم
يَمُـدُّ يـداً تُعطـي الضِّـعافَ حُقـوقَهُمْ ويَسْـطو بـأخرى باطشـاً غـيرَ راحـم
ويجتَـثُّ إقطاعـاً أقَـرَّتْ جُـذُورَهُ سياسـةُ تفريـقٍ وحَـوْزُ مغـانم
سياسـةُ إفقـارٍ وتجويـعُ أُمَّـةٍ وتَسـليطُ أفـرادٍ جُنـاةٍ غَواشـم

لقد قُلْتُ لو أصغى إلى القولِ سامعٌ ومـا هـوَ مِّنـي بـالظُنونِ الـرّواجم
ألا إنَّ وضـعاً لا يكـونُ رفاهُـهُ مُشـاعاً عـلى أفـرادِهِ غـيرُ دائـم

أمبـــتـرِداتٌ بـــالخُمورِ تثلَّجَـــتْ	وبالمــاءِ يَغـلي بـالعُطورِ الفــواغِم
ومُفترِشـــاتٌ فضـــلةً في زرائـــبٍ	يُوَسّـــدُها مــا حولَهـا مِـن رَكـائم
أمِــنْ كــدحِ آلافٍ تفـيضُ تَعاسـةً	يُمَتَّـــعُ فـــردٌ بـــالنعيمِ المُـــلازِم
ومــا أنــا بالهيَّـابِ ثـورةَ طـامعٍ	ولكــنْ جِمـاعُ الأمـرِ ثـورةُ نـاقم!
فـما الجـوعُ بـالأمرِ اليسـيرِ احتمالُهُ	ولا الظُّلْـمُ بـالمرعى الهنـيءِ لِطـاعِم
نَـذيرَكَ مِـن خَلْـقٍ أُطيـلَ امتهانُـه	وإنْ بـاتَ في شكلِ الضَّعيفِ المُسالم
بـــلادٌ تــردَّتْ في مهـــاوٍ ســحيقةٍ	ونـــاءتْ بأحمـــالٍ ثِقـــالٍ قواصِـــم
تَبيـــتُ عـــلى وعـــدٍ قريـــبٍ بفتنـــةٍ	وتُضـحي عـلى قَـرْنٍ مـن الشرِّ نـاجم
ولـو عُـولِجَ الإقطـاعُ حُـمَّ شِـفاؤها	ومَـنْ لي بطَـبٍّ بَـينِ الحِـذْقِ حاسـم؟
ولم أرَ فـــيها نـــدَّعي مِــن حضــارةٍ	ومــا يَعــتري أوضــاعَنا مِـن تـلاؤم
وها إن هـذا الشَّـعْبَ يَطوي جَناحَهُ	عـلى خَطَـرٍ مـن سَـورةِ اليأس داهـم
غــداً يسـتفيقُ الحــالمونَ إذا مَشَــتْ	رواعـــدُ مـــن غضـــباتِهِ كالزمـــازم

***

لبنان

أرجِعي ما استطعتِ لي من شَبابي	يـــا سُـــهولاً تَـــدَثَّرتْ بالهِضـــابِ
غسَـلَ البحـرُ أخْمَصَـيْها.. ورشَّـتْ	عبِقـــاتُ النَّـــدى جِبـــاهَ الـــرَّوابي
واحتواهـــا صِـــنَّينُ بـــينَ ذِراعيـــه	عجـــــوزاً لـــــه رُواءُ الشَّـــــباب
كلَّلــــــتْ رأسَـــــهُ الثّلـــــوجُ	ومسَّـــتْهُ بأذيالهـــا مُتـــونُ السَّـــحاب
وانثنـى كالإطـار يحتضِـنُ الصّـورةَ	تُزْهَـــــى أو جَـــــدْولٍ في كتـــــاب
كلَّـما غـامَ كُربـةً مـن ضَـبابٍ	فرَّجَـــتْ عنـــه قُبْلـــةً مـــن شِـــهاب

وبـدَتْ عنـدَ سـفحِه خاشِـعاتٌ ... الـدور مثـل الزِّميـت في محِـراب
وحواليَـهِ مـن ذَراريـهِ أنـماطٌ ... لِطـافٌ مـن مُسْـتَقِلٍّ وكـابي

والقُرَيَّـاتُ كـالعرائس تُجْـلى ... كـلَّ آنٍ تلـوحُ في جِلبـاب
مـنْ رقيـقِ الغُيـوم تحـتَ نِقـابٍ ... ومِـنَ الشَّـمسِ طلقـةً في إهـاب
وهـي في الحـالتين فِتنـةُ راءٍ ... بـينَ لـونينِ مـن مُشِـعٍّ وخـابي
والبيـوتُ المُبَعْثَـراتُ نَثـارُ ... العُـرس مبثوثـةً بـدونِ حسـاب
وتراهـا بـينَ الخمائـلِ تلتـفُّ ... عليهـا عـمارةً في غـاب
وتماسَـكْنَ – والطبيعـةُ شِـعرٌ – ... كقـوافٍ يَلْمَعْـنَ غـيرَ نـوابي
زهوُ حُمْرِ القِباب في الجبَلِ الأخضرِ ... يَسـبي كزهـو أهـلِ القبـاب

والكـرومُ المُعرَّشـاتُ حُبـالى ... مُرضِـعاتٌ كـرائمَ الأعنـاب
حانيـاتٌ عـلى الـدوالي تُحَلِّـينَ ... عناقيـدَ زينـةً للكعـاب
رافعـاتُ الـرؤوسِ شُكْراً وأُخرى ... سـاجداتٌ شُـكْراً عـلى الأعتـاب
سِـلْنَ في الحَقْـل مثـلَ رُوحِ لجسمِ ... وتمـدَّدْنَ فيـهِ كالأعصـاب
وتصـايَحْنَ أيـن أيـنَ النَّـدامى ؟ ... وتغـامَزْنَ ثَـمَّ للأكـواب
وتخـازَرْنَ والمَعـاصِرُ أبصـاراً ... حِـداداً مَليئـةً بالسِّـباب
نَظَـراتٍ كانـت خِطابـاً بليغـاً ... ولـدى العـاصرينَ فحـوى الخطـاب
إنَّ خـيرَ الشُّـهورِ إرثـاً لشـهرٍ ... مـا تَلقَّـى أيلـولُ مـن شـهرِ آب
كيـفَ لا تـرقصُ الطبيعـةُ في أرضٍ ... ثراهـا مُخَضَّـبٌ بـالشراب

غـاضَ نبـعُ النَّهـارِ يُـؤْذِنُ ضـوءَ ... البـدرِ قـد فـاضَ نبـعُهُ بانسِـكاب

وانــــزوَتْ تلكُــــمُ الخليعـــــهُ طــولَ اليــومِ عُريانــةً وراءَ حجــاب
وأتــتْ في غَيابــةِ الشَّــفَقِ الأحمــرِ مــــا تشــــتهي مِـــنَ الألعـــاب
أي لــــونٍ ألقـــتْ عـــلى الأرضِ حَلَّى كـلَّ ما فوقَها.. وأيَّ خِضاب

هـــدأ الحَقْــلُ والمدينــةُ والغــابُ ودوَّى الصَّــدى ورَجْــعُ الجــواب
ثمَّ سدَّ الـدُروبَ جيشُ الكَدودين طَـــوالَ النَّهـــارِ في أتعـــاب
حبَّـذا منظـرُ الفـؤوس اسـتراحتْ في نِطـاقِ الفـلاَّحِ والحطَّـاب
واسـتقلَّ الجبـالَ راعـي غُنَيْماتٍ يُـــدَوّي بزجلَـــةٍ وعتـــاب

يـا مَثارَ الأحـلامِ.. يـا عـالَمَ الشّـعر طريّـاً.. يـا جَنَّـةً مـن تـراب
يـــا خيـــالاً لـــولا الحقيقـــةُ تُنبـــي عنــه كنَّــا مــن أمــرِهِ في ارتيــاب
حسبُ نفسي من كلِّ ما يأسِرُ النَّفْسَ اغــتراراً مـــن الأمـــاني العِـــذاب
هجعــــةٌ في ظِـــلال أرزِكِ تَنفـــي مِـن هُمـومي ووَحشـتي واكتئـابي
وصــــديقي وحـــشٌ أعـــزُّ وأوفى مـن حسـودٍ.. ومـن صـديقٍ محـابي
لا أقـــولُ العــــدوُّ إنَّ عِـــداتي نَسَــبٌ واضــحٌ مــن الأنســاب
كلَّـــما شـــاقني التأمــلُ لفتَّنـــي مجـــاري الميـــاهِ بـــينَ الشِّـــعاب
بـينَ صـفَّيْ صَنَوْبرٍ كشُـعورِ الغيـد لُمَّـــتْ عـــلى قُـــدودٍ رِطـــاب

آيـــةُ اللهِ عنـــدَ لُبنـــانَ هـــذا الحســنُ في عــامرٍ لــه وخــراب
رُبَّ وادٍ بـــادي المقاتِـــلِ تعلـــوهُ الأخاديـــدُ كـــالجروح الرِّغـــاب
كــــانَ في سِــــحرِهِ كــــآخَرَ زاهٍ مســـتفيضِ الميـــاهِ والأعشـــاب
وفِجـــاجٍ مَغْـــبَرَةٍ كُـــنَّ أبهـــى روعـــةً مـــن مُفَيَّحـــاتٍ رِحـــاب

قلــتُ إذ حِــرتُ:أيُّ أرض لهــا الفضـلُ عـلى غيرهـا وحـارَ صِـحابي
أدْخُلــوا جنَّــةَ النَّعــيم تُلاقــوا ألــفَ رضـوانَ فاتحـاً ألـفَ بـاب
غـــيرَ أنّي أنكـــرتُ في جنَّـــةِ الفِــردوسِ ربّــاً مُـوَكَّلاً بعــذاب

إيــهِ لُبنــانُ والحــديثُ شـجونٌ هــل يُطيــقُ البيــانُ دَفعــاً لمـا بي
حــارَ طـيَّ اللَّهـاةِ تمنـي سـؤالٌ أنــا أدرى بــردِّهِ والجــواب
مــا تقولــونَ في أديــبٍ حريــبٍ! مُسْـــتَقلٍّ يلـــوذُ بالانتـــداب
خلـتُ أني فـررْتُ مِـن جـوٍّ بغـد دَ وطُغيـــانِ جَوْرهـــا اللَّهـــاب
ومِــنَ البغــيِ والتَّعَسّــفِ والـذُّ لِّ فظيعـــاً مُحكَّـــماً في الرِّقـــاب
ومِــنَ الــزّاحفينَ كالــدُودِ هُونــاً تحــتَ رِجـليْ مسْـتَعْمِرٍ غَـلاب
ومــنَ الصَّــائلينَ في الحُكْــمِ زُوراً كخيـــولٍ مُســـوَّماتٍ عـــراب
خِلْــتُ أنّي نجــوتُ مِــنْ ذا ومــن بَطشــةِ عــاتٍ.. وخــائنٍ كــذّاب
غــانماً سَـفرتي وهــا أنــا في حــالٍ تُرينـــي غنيمتـــي في الإيـــاب
أفيَبْقَــى الأحــرارُ مِنَّــا ومِــنكُم بــينَ سَـوْطِ الغريـبِ والإرهــاب

***

على قارعة الطريق

قال لي وقد عرج عليّ – وأنا في منتصف الطريق إلى حيث أريد أأنت مسافر مثلي..

فقلت له : لا! بل أنا شريد .

قال : وأين وجهتك الآن؟

قلت : وجهتي أن أضع مطلع الشمس على جبيني وأغذ في السير.. حتى إذا

جنني الظلام في الليل أقمت حيث يجنني .. وسرت عند طلوع الفجر .

قال : والليل ليل والنهار نهار منذ الأزل وحتى الأبد .. أفأنت مجنون؟

قلت له : لا – كما أعتقد .. ولكن أأنت جاهل؟

قال : وكيف؟

قلت له : لقد علمنا علم المكان وعلم الزمان من جديد أنك كلما أغذذت السير قُدمًا قصر الليل وطال النهار .. حتى ليكادان يتحدان عند المنتهى .

ولقد كنتُ أجهل مثلك هذه الحقيقة طيلة ثلاثين عامًا كنت خلالها أهيم على وجهي وأتخبط في مجاهل الأرض – دون معالمها – إذ كنت لا أعلم من هذا العلم شيئًا .

قال : والآن ؟؟

قلت : والآن .. فمنذ سبعة عشر عامًا – وقد عرفت هذه القاعدة – وأنا أمشي إلى الأمام على ضوء الشمس .

قال : وعندما تغيم؟؟

فقلت له : إنني لأفتح عيني أكثر لأعتاض بهما عن نور الشمس وقد زيغ وأنحرف! ويكلفني هذا تعبًا يطول أو يقصر على قدر انحرافي .. ولكنه ليس على كل حال أكثر من التعب في أن أعود وعلى ضوء الشمس من جديد ، ومن حيث ابتدأت .

قال : وماذا أكثر من التعب؟

قلت : أكثر منه ألا أتعب .

قال : أولا ترتجف من البرد؟

قلت : لا .. فقد تعودته حتى لأكاد أرتجف من الحر .

قال : وماذا تأكل؟

قلت : لحوم الحيوانات السائبة فإن لم تكن تقوتُ بقليل من لحمي ..

قال : لحمك ؟!

قلت : أجل .. ولماذا لا .. وإني لآكل من لحم أولادي أيضًا .

قال : آه .. وعندك أولاد؟!

قلت : بلى .. وهم سبعة ومعي أيضًا في طريقي .

قال : وكيف يطيقون هذا العناء ؟

قلت : أحمل العاجز منهم على كتفي ، وأدع رعاية الصغير للكبير منهم ، وآكل من لحمهم وأطعمهم من لحمي .. ومن مات منهم جوعًا ، أو تعبًا تركته للكلاب .

قال : أولا يرتجفون مثلك من البرد ؟

قلت : بلى .. يرتجفون .. والآن . وسوف يتعودون ذلك غدًا .. فلا يرتجفون أبدًا ؟

قال : أو لم تقدر أن تكسوهم ، وتطعمهم فيما تمر به على المدن ، والقرى ، والناس؟

قلت : أبدًا .

قال : ولماذا ؟

قلت : لأنهم يريدون لذلك ثمنًا .

قال : أوتريده أنت بلا ثمن؟

قلت : وكيف أريده بدونه .

قال : فلماذا ؟

قلت : لأنني أريد لهم ولي .. أن أعمل ويعملوا .. لنشبع ونكتسي .

قال : وهم ؟

قلت : وهم يريدونني أن أرقص .

قال : ترقص؟!

قلت : أجل ، ومثل القرود تمامًا .

قال : ولماذا لا ترقص؟ .. ومثل القرود ؟

قلت : لأنني لم أوهب سعة حيلة هذا الحيوان ، وصبره على المجاراة .

ألك أخوة ؟

قال لي : صديق الطريق .. هذا !! .. وقد صمت ورمق الأفق البعيد بعينيه .

قلت : أجل لي ثلاثة .

قال : وأين هم ؟

قلت : واحد تشرّد مثلي ، وآخر تخلف عني في المدينة ، وثالث أكلته الحيوانات !

قال : أولك أم ؟

قلت : وكيف لا ؟!

قال : وأين تركتها ؟

قلت : تركتها على قارعة الطريق ، وبيدها كتاب! وإبريق! ومبخرة!

قال : وما هذا ؟؟!

قلت : هذا من عقائدها .

قال : عقائدها ؟؟!!

قلت : أجل من عقائدها .. إنها كلفتني أن أقبِّلَ الكتاب ، وقد حملته باليمين ، فقبَّلتُه، ولكن .. بعد أن أخذته منها بالشمال .. وأرادت أن ترش الأرض من حولي

بالماء ، ومن أنبوبة الإبريق .. فرشت به الأرض ، ولكن بعد أن رفعت الإبريق إلى فوق ومن فوهته!!

قال : والمبخرة ؟

قلت : إني حطمتها .. وإن والدتي لمتشائمة وحزينة من أجل ذلك .

قال : مفهوم أنها حزينة ، ولكن لماذا هي متشائمة ؟

قلت : لأنها تعتقد أنني لن أرجع إليها سالمًا وقد حطمتها .

قال : وأنى ولدتك أمك ؟

قلت : على قارعة الطريق أيضًا .

قال : أكل شيء على قارعة الطريق ؟!!

قلت : أجل .. إنها من المعتقدات بـ - أسطورة!! - «سيادة النور» ، و«عبودية الظلام» .. وهي ترتجف رعبًا من الليل ، ولذلك فهي لا تضع حملها إلا على قارعة الطريق .

قال : وأبوك؟

فقلت له : إنه لا يشغل بالي من مره أكثر من أنه كان يتحمل الألم ولكن بصمت! بلا ثورة على الألم . وبلا تجديف . وإنه كان يُغني ثم خاف فترك الميدان . وكل من هو على شاكلته من المغنين لا يشغل بالي من أمرهم شيء!

قال : ومتى عهدك بالمدينة وأهلها ؟

قلت : منذ تركتها ، أما عهدي بأهلها فمنذ أن تشاجرت مع حاكمها لكثرة ما يحملهم على الرقص كالقرود .

قال : وبعد؟!

قلت : وبعد.. فقد استمروا يرقصون حتى بعد أن طردني الحاكم شر الطرد من

أجلهم .. طردني أنا ومن معي .

قال : أفأنت حاقد عليهم من أجل ذلك؟

قلت : لا .. أبدًا .. بل غاضب .

قال : أولا تريد أن تراهم ؟

قلت : إن بريق الغضب في عيني ليصدني عن رؤيتهم .

***

قال لي عابر سبيل بعد برهة وجيزة استرحت خلالها من قال وقلت .

قال : وقد فهمت أن عنده ما يخاله هو شيئًا جديدًا – وأن هناك – من ورائنا!! غابةً .. وارفة الظلال كثيرة الشجار ، ناضجة الثمار ، شاخبة الغدران.. أفلا أدلك عليها فتستريح عندها .. ولو بالرجوع خطوات ؟

قلت له عابسًا : أفأنت خارج منها ؟؟!

قال : أجل.

قلت : أفأنت من أشباحها ؟

فصمت مذهولاً! ولما أدركت أنه ليس منهم ، وأنه مجرد عابر سبيل ، انحدر إليها.

قلت له : لا .. لا أبدًا .. فهل تريد أن أقص عليك أمري منها ، وأدع لك أمرك وشأنك .. على أن نفترق بعد الآن ، لأنك حديث عهد بها ، وبأرواحها ، ولأنني لا أطمئن إليك من أجل هذا .

قال : وقد رأيت الألم الصادق! في عينيه - موافق .

قلت له : لقد مررت بغابتك هذه ، بعد أن كنت قد انحرفت قليلاً أو كثيرًا –

لا أدري – عن شرع الطريق الذي كنت أريده ، وكان الأمر في ذلك أنني لقيت من على جانبي طريقي المنحرف أشباحًا وكأنها الأدلاء إلى الطريق السوي فتبعتهم – شاكرًا !! – حتى إذا توسطت الغابة استقبلني من خلال أغصانها المتشابكة رؤوس كأنها الشياطين ، وأصوات كأنها حشرجة المحتضرين ، وأطبق عليّ الظلامُ الذي أخافه .

ولا أنكرك .

إنني كنت جائعًا ، وإن ثمرها كان شهيًا .

وإنني كنت ظامئًا ، وإن ماءها كان عذبًا سائغًا .

ولكنه ، مع هذا كله فقد أنستني حاسة الرعب والهلع من الظلام المسيطر عليها كل الحواس الأخرى .

فلقد أدركت يا صديقي الطريق العابر من بادئ الأمر – بغريزتي – وليس بعقلي أن طريقًا يقف عليه الأدلاء ليدلوا المارة عليه ليس هو بالطريق القويم ، فمثل هذا الطريق ما تسير أنت مدفوعًا على هداه .

ولقد علمت يا صديق الطريق العابر أن تلك الأشباح المبثوثة في طريقي إلى الغابة إنما هي من أرواحها !! وأن كل ما عوى عليّ من ذئابها .

وكل ما طلع عليّ من رؤوسها !!

وكل ما أدمى قدمي من أشواكها !!

وكل ما حل جلدة رأسي من أغصانها وفروعها !

وكل جزءًا لا ينفك من أرواحها أيضًا .

وحتى تلك الحيوانات المتفرجة المسالمة فيها هي منها أيضًا .

وتلك الأشباح التي كانت تتسلل من خارج هذه الغابة فتتشابك مع ما في

داخلها من أشباح وأرواح وكأنها تريد أن تتلاعب معها! أكثر من أن تتقاتل .

حتى تلك الأشباح التي كانت وكأنها تريد أن تدفع عنها كل البطر! وفتور الدلال! في معركتها هذه . آمنت أنها من سلالة أرواح الغابة ومن عناصرها!

ولقد ألقيت تلك الأرواح الشريرة ومن تابعها ترى ذلك الجني الغض من الثمر العاجل في هذه الغابة ، والماء العذب البارد خير العوض على الظلام الرائن عليها!

وكنت أراه مجرد ثمر عاجل . ومجرد سراب لامع .

وكانوا يضحكون مني . وكنت أضحك منهم!!

وعندما هز [illegible] السبيل هذا رأسه باستحباب كمن يريد زيادة في الحديث .

قلت له : ومن الغريب أنني كنت أحمد!! في خطواتي الأولى إلى هذه الغابة هؤلاء الأدلاء .

وكنت لا أنفك [illegible] إلى جانب ذلك أغاني التمجيد لنور الشمس ، وكان هؤلاء الأدلاء أنفسهم – لا غيرهم – يهزون رؤوسهم وأذقانهم كالمؤمنين بما أغنى .

والأغرب من كل هذا – يا صديقي طريقي العابر – أنني حتى بعد أن وليت منهم ومن غابتهم فرارًا .

كنت أغني بحماس أكثر .. وأغاني أجود في تمجيد نور الشمس ، وفي شجب عشاق الظلام .

وكانوا – هم وليس غيرهم – أيضًا يهزون رؤوسهم وأذقانهم تأمينًا على أغاني هذه .

في حين كانوا يشيعونني معها بنظرات الأسف .

إنهم كانوا يفعلون ذلك وهم يقضمون من نبات الغابة وأثمارها .. ثمر الظلام الذي يعيشون فيه .

ثم يرمون ببعضها .. أو ببقاياها إلى من وراءهم وحواليهم من تلك الأرواح .

وممن قصرت أيديهم أن تمتد إلى أعصان أشجار الغابة .

ثم قلت : وقد انتهيت .

والآن فوداعًا يا صديق الطريق العابر .

قال : وداعًا أيها المغني لنور الشمس !

وداعًا أيها الشريد .

وكان هذا آخر عهد ني به ، وآخر عهد له بي .

محمد مهدي الجواهري

أجب أيُّها القلب

أُعيذُ القوافي زاهياتِ المطامعِ ... مزاميرَ عزّافٍ أغاريدَ ساجعِ
لِطافاً بأفواه الرّوُاة نوافداً ... إلى القلب.. يجري سحرهُا في المسامع
تكادُ تُحِسّ القلبَ بين سُطورها ... وتمسَحُ بالأردانِ مَجرى المدامع
بَرِمْتُ بلوم اللّائمين وقولِهم ... أأنتَ إلى تغريدةٍ غيرُ راجع
أأنتَ تركتَ الشعر غيرَ مُحاولٍ ... أمِ الشعرُ إذا حاولتَ غيرُ مطاوع
وهْل نضَبتْ تلك العواطفُ ثَرّةً ... لِطافاً مجاريها غِرارَ المنابع
أجبْ أيّها القلبُ الذي لستُ ناطقاً ... إذا لم أُشاوِرْهُ ولستُ بسامع
وَحدِّثْ فإنَّ القومَ يَدْرُونَ ظاهِراً ... وتخفى عليهمْ خافياتُ الدوافِع
يظُنّونَ أنّ الشِّعْرَ قبسةُ قابسٍ ... متى ما أرادُوه وسِلعةُ بائع
أجب أيُّها القلبُ الذي سُرَّ معشرٌ ... بها ساءهُ مِنْ فادحاتِ القوارِع
بها رِيع منكَ اللبُّ نفَّسْتَ كُربةً ... وداويتَ أوجاعاً بتلكَ الروائع

قُســاةٌ مُحبّــوك الكثــيرونَ إنَّهــمْ يرونــكَ - إنْ لم تَلْتَهِــبْ - غيرَ نـافع
ومــا فــارَقَتْني المُلْهِبــاتُ وإنَّــما تطامَنْــتُ حتّـى جمرُهـا غيرُ لاذعـي

ويا شعْرُ سارعْ فاقتَنصْ منْ لوا عجي شــوارِدَ لا تُصــطادُ إنْ لم تُســارِع
تـرامَيْنَ بعضـاً فـوقَ بعـضٍ وغُطّيتْ شَــكاةٌ بــأخرى.. داميـاتِ المقـاطع
وفَجِّــر قُروحــاً لا يُطـاقُ اختِزانُهــا ولا هــي ممّــا يتقــى بالمباضــع
ويـا مُضْـغَةَ القلـبِ الـذي لا فَضـاؤها بَرَحْـــبٍ ولا أبعادُهـــا بشواسِـــع
أأنـــتِ لهـــذي العاطفـــاتِ مفـــازَةٌ نســـائِمُها مُرْتَجَّـــةٌ بالزعـــازِع
حَمَلْتُـــكِ حتّـــى الأربعـــينَ كـــأنَّني حَمَلْـتُ عَـدُوّي مـن لِبـانِ المراضـع
وأرْعَيْتِنــــي شَرَّ المراعــــي وبيلـــةً وأوْرَدْتِنــي مُسْــتَوَبآتِ الشَّرائــع
وَعَطّلْـت مِنّـي مَنْطِـقَ العقـلِ مُلقيـاً لعاطفـــةٍ عَمْيـــا زِمـــامَ المُتـــابع

تَلَفَّـــتُّ أطـــرافي ألمُّ شـــتائتاً مـن الـذكرياتِ الـذّاهباتِ الرواجـع
تحاشَـيْتُها دَهْـراً أخـافُ انبعاثَهـا عـلى أنّهـا معـدودةٌ مِـنْ صـنائعي
عـلى أنّهـا إذ يُعْـوِزُ الشِّـعْرَ رافِـدٌ تلـوحُ لـه أشـباحُها في الطلائـع
ومنهـا الـذي فـوقَ الجبـينِ لوقعـهِ يـدٌ ويـدٌ بـين الحشـا والأضـالع
فمنهـا الـذي يُبكـي ويُضـحِك أمرُهُ فيفـتُّر ثغـرٌ عِـنْ جُفـونٍ دوامـع
ومنهـا الـذي تـدنو فتبعـدُ نُزَّعـاً شواخِصُــهُ مِثْـلَ السَّرابِ المُخـادع
ومنهـا الـذي لا أنـتَ عنـهُ إذا دَنـا بـراضٍ ولا منـهُ - بعيـداً - بجـازع
حَـوى السِـجنُ منهـا ثُلَّـةً وتحـدَّرتْ إلى القـبرِ أخـرى.. وهـي أمُّ الفجـائع
وبـاءتْ بأقسـاهُنَّ كَفّـي ومـا جَنَـتْ مِـنَ الضُرِّ ممّـا تَتَّقيـهِ مسـامعي

ومكبْوتـةٍ لم يشـفَعِ الصَّـفْحُ عنـدَها ... مـددتُ إليهـا مِـنْ أنـاةٍ بشـافِع
غَزَتْ مُهجتي حتَّى ألانَتْ صَفاتَها ... ولاثَـتْ دمـي حتـى أضَرَّتْ بطابَعي
رَبـتْ في فـؤادٍ بالتشـاحُنِ غـارِقٍ ... مـليءٍ وفي سـمِّ الحـزازاتِ نـاقع
كـوامِنُ مِـنْ حِقْـدٍ وإثـمٍ ونِقْمَـةٍ ... تَقَمَّصْـنَني يَـرْقُبْنَ يـومَ التراجُـع
وُقْلـتُ لهـا يـا فـاجراتِ المَخـادِعِ ... تَـزَيَّيْنَ زِيَّ المُحصَـناتِ الخواشـع
وقَـرْنَ بصـدْرٍ كالمقـابر مُـوحشٍ ... ولُحـنَ بوجـهٍ كالأثـافِيِّ سـافِع
وكُـنَّ بريقـاً في عُيـوني وهِـزَّةً ... بجسـمي وبُقْيـا رَجفَـةٍ في أصـابعي
وأرعَـبْنَ أطيـافي وشَرَدْنَ طائفـاً ... مِن النـوم يَسري في العيـون الهواجع
ودِفْـنَ زُعافـاً في حيـاتي يُحيلُهـا ... إلى بُـؤرةٍ مـن قسـوةٍ وتقـاطُع
وعلَّمْنَني كيـفَ احتبـاسي كـآبَتي ... وكيـفَ اغتصـابي ضِـحكةَ المُتَصـانِع
وثُـرْنَ فظيعـاتٍ إذا حُـمَّ مَخْـرَجٌ ... وقُلْـنَ ألسـ ـن نَتـاجِ الفظـائع
ألسـنا خليطـاً مِـنْ نذالـةِ شـامتٍ ... وَفْجـرَةِ غَـدّارٍ وإمْـرَةِ خـانع

تحلَّـبَ أقـوامٌ ضُروعَ المنـافِعِ ... ورحـتُ بوسـقٍ مـن أديـبٍ وبـارع
وعَلَّلْـتُ أطفـالي بَشرٍّ تعلَّـةٍ ... خُلـودِ أبـيهم في بُطـونِ المجـامع
وراجعتُ أشعاري سِجّلاً فلم أجِـدْ ... بـهِ غـيرَ مـا يُـودي بِحِلْـمِ المُراجِـع
ومُسْـتَنْكرٍ شَـيْباً قُبيـلَ أوانـهِ ... أقـولُ لـه : هـذا غبـارُ الوقـائع
طرحتُ عصا التِّرحالِ واعتَضتُ متْعباً ... حيـاةَ المُجـاري عـن حيـاةِ المُقـارِع
وتابَعْـتُ أبْقَـى الحـالَتْينِ لمُهجتـي ... وإنْ لم تَقُـمْ كلْتاهُمـا بمطـامعي
ووُقِّيـتُ بـالجبنِ المكـارِهَ والأذى ... ومَنْجـى عتيـقِ الجُبن شرُّ المَصـارِع
رأيـتُ بعينـي حيـنَ كَـذَّبْتُ مَسْـمَعي ... سـماتِ الجُـدودِ في الخـدود الضَّـوارع

وأمعنتُ بحثاً عن أكفٌّ كثيرةٍ فألفيتُ أعلاهُنَّ كَفَّ المُبايع
نأتْ بي قُرونٌ عن زُهيرٍ وردَّني على الرُّغمِ منّي عِلْمُهُ بالطبائع
أنا اليومَ إذ صانعتُ أحسنُ حالةً وأُحدوثةً منّي كغير مصانع
خَبَتْ جذوةٌ لا أهبَ اللهُ نارَها إذا كانَ حتماً أنْ تَقَضَّ مضاجعي
بلى وشكرتُ العمرَ أنْ مُدَّ حَبْلُه إلى أنْ حباني مُهلةً للتراجُع
وألْفَيتُني إذ علَّ قومٌ وأنهلوا حريصاً على سُؤرِ الحياةِ المُنازَع
تمنَّيتُ مَنْ قاسَتْ عناء تطاحُي تعودُ لِتَهْنا في رَخاءٍ تواضعي
فإنَّ الذي عانَتْ جرائرَهُ تحتْ ضَراعتُهُ ذَنْبَ العزيزِ المُمانِع

***

أكلة الثريد

قلت للمعجَبينَ بابنِ العميدِ ومُساماتِهِ لعبدِ الحميدِ
إنَّ هذا وذاك عبادُ أصنام ومأساةُ سّيدٍ ومسود
هم أناسٌ تولّعوا بالثريدِ واستُميلوا بزاهياتِ البُرود
وأتَيْنا من بعدِ ألْفٍ نغني النفسَ في وصفِ أكلِهِمْ للثَّريد
قد شَغَلْنا أفكارَنا بقديمٍ وَنَسِينا تقديرَ جيلٍ جديد
أن خيرَ الآدابِ ما أنهض الشعبَ وما فكَّ من إسارِ قيود

***

تطويق

نــوري ولم يُـنعمِ عـلىّ سـواكا ... أحــد ونعمــةُ خــالق سَــوّاكا
إني وجـدت المكرُمـاتِ مَتـاجراً ... يبغـي ذووهـا مربحـاً إلاّكـا
بل لـو أشـاء لقلت كـم من وردة ... لي عنـد جِـبس ردَّهـا أشـواكا
جـاء القـريضُ مطوَّقـاً بـك لائذاً ... وانـزاح عـنهم مُعرِضـاً وأتاكـا
طــوَّقْتنى طـوقَ الحَـمام مـبرَّةً ... ونصـبتَ لي مـن مِنَّـةٍ أشراكـا
كم من يد بيضاءَ ضِقْتُ بشكرها ... ذرعاً وعاشت - لا تضيق - يداكا
نـوري تحيـةَ معجـب بـك مثقل ... بجميـل صُـنعك واثـقٍ بعُلاكـا
حاشـايَ لم أدلِـف إليـك تزُّلفـاً ... كّـلا ولسـتَ تُريـدهُ حاشـاكا
للشـعر منزلـةٌ لـديَّ أُجِّلها ... وأُحلهـا - لـو أقـدِر - الأفلاكـا
لكـن وجـدت الشعرَ مهنـةَ عـاجز ... إن لم يَقُـمْ عنـي بشـكر نَـداكا

يراع المجد

جـدع الجبـارُ أنـفَ المعجَـبِ ... واصـطلى الطـاغي بنـيران الأبي
ورأى التــاريخُ مــا لم يــره ... مــن نضــالِ الصـابرِ المحتسِـبِ
يـا يـراع المجـدِ هـذي صـفحةٌ ... أَمْـلِ مـا شـئتَ عليهـا واكتُـب
خَـبِّرِ الأجيـالَ كيـف افتخـرت ... سـاحةُ المـوتِ بشـيخ وصـبي
وفتـاة بـالردى هازئـةٍ ... أمـسِ كانـت نجمـةً في ملعـب
أمـةٌ تـنفح عـن « معتقـد » ... وبـلادٌ تـدّري عـن « مـذهب »
عـانق المـوت زؤامـاً سـادر ... ظنَّهـا « بـاريسَ » بنْـتَ الطـرب

وأراهـا كيـف رجـسُ المعتـدي — فأرتْـه كيـف طُهْـرُ المُغضَـب
ثـم تلتـه يـدٌ « كادحـةٌ » — تُحْسِـنُ الصَّـفعةَ للمغتصِـب
يـا رجـاءَ الكـونِ في محنتـه — يـا شُـعاعَ الأمـلِ المسـتعذَب
يـا بُنـاة الحـقِ والعـدلِ عـلى — ملعـب مـن قـيصريٍ خـرب
سـجدَ ابـنُ العقـلِ والفقـرِ بـه — مـرغماً لابـنِ الخنـا والـذهب
يـا ينـابيعَ رجـاءٍ فُجِّـرتْ — لظِـماءٍ وجيـاعٍ سـغّب
يـا نقـاءَ الفكـرِ في جـوهره — لم يُـدَلَّسْ بـالكُنى والرُّتَـب
تـأنف القـدرةُ في ذِرْوَتِهـا — وإلـهٌ في السـما أن تُغْلَبـي

***

سواستبول

يـا «سواسـبولُ» سـلامُ — لا يَنَـلْ مجـدَكِ ذامُ
لا عـرا السـيفَ حسـاماً — ذَرِبَ الحـدِّ انـثِلام
لا يَنَـلْ منـكِ بـما — أوذيْـتِ في الله اهتضـام
لـكِ فـيما يُنقِـذُ العـالَمَ — لم رَوْحٌ وجِمـام
في الضَّـحايا الغُـرِّ — مـن آلِـكِ للحـقِّ دِعـام
كـلُّ شِـبْرٍ فوقَـهُ مِـن — جُثَـثِ القـتلى وِسـام
يـذهبُ الـدَّهرُ ويبقـى — مـن تفانيـكِ نِظـام
الحِفـاظُ المـرُّ مـا — أنـتِ عليـهِ والـذِّمام
والحِفـاظُ المُـرُّ – أُغرمْـتِ — بـه – مـوتٌ زُؤام
يـا «سواسـبولُ» سَـقاكِ — الـدَّمُ يزكـو لا الغـمام

أعَلَى الذّبْحِ استباقٌ آعلى الموتِ ازدحام
أهيَ سوقٌ لمباراةِ اللّذاذاتِ تُقام
ألرَّدى والمجدُ رُكامٌ والأشلاءُ والصُلْبُ ركام
قلعةٌ شرقيّةٌ في كُرْبَةِ الأرض ابتِسام
يَهْرَمُ الدَّهرُ فإنْ عَنَّتْ له فهوَ غُلام
شامخٌ مِمَّا أتى أبناؤها الصِيَّدُ الكِرام
شُعْلَةٌ للحقِّ غطّاها مِنِ الظُلْم ضِرام
يا « سواسبولُ » سلامُ وانحناءٌ واحتشام
ما عسى يَبلُغُ - مِن هذا الذي جئتِ - كلام
وعلى أرضِكِ آياتٌ بليغاتٌ « عِظام»
هيَ في السَّلْمِ حياةٌ وهيَ في الموتِ احترام
حولَ أسوارِكِ مِن أطيافِ «أنصارٍ» زِحام
مُنْهَكاتٌ فقعودٌ مِن وَجيْبٍ وقِيام
نُثِرَتْ كَرْهاً وطوعاً سُجَّداً حولَكِ هام
يا « سواسبولُ » ووجهُ الدَّهرِ يَصْحُو ويُغام
وسنا البدرِ انتكاساتٌ فنَقْصٌ وتَمام
ومِنَ السُقْمِ علاجٌ ومِنَ البُرْءِ سَقام
يا مناراً يُرشِدُ العالَمَ والدُّنيا ظَلام
مرَّ عامٌ كلُّ يومٍ منهُ في التاريخ عام
كلَّ آنٍ يَسألُ العالمُ ماذا يا عِصام
كيفَ « خَرْكوفُ » وهلْ بَعْدُ عِتابٌ أو مَلام

كيـــفَ « رُســـتوفُ » لهـــا	بـــ « الأســـودِ » الطّـــامي اعتصـــام
وهَـــلِ القَفْقـــاسُ – كالعهـــدِ	جيـــــــــادٌ وَســـــــــوام
وأغـــــانيٌّ وأربـــــاضٌ	وكَـــــــــرٌّ واقتحـــــــام
لبنيـــهِ والـــذُّرى الشُّـــمِّ	عـــلى المـــوتِ اعـــتِزام
صــــــهوةُ الأدهــــم	والفـــارسُ يُزهَـــى والحُســـام
زُبُـــرُ « الفـــولاذِ » قـــدْ	أفرغَهـــا قـــيْنٌ هُمـــام
أُمـــةٌ لا صَـــدْعَ فيهـــا	لا ارتجـــاعٌ لا انقســـام
إنَّـــهُ « الإيـــمانُ » إيثـــارٌ	وعـــــدلٌ ووئـــــام
مُثُـــلٌ زالَ بهـــا جُـــوعٌ	وجهـــــلٌ واحتكِـــــام
هكـــذا تُنْبـــتُ أرضٌ	وهـــيَ بـــالحقِّ اقتســـام
يَملِـــكُ الـــزَّارعُ مـــا يـــزرَعُ	لا عَبـــــداً يُســــام
صرَّحَ الشرُّ وجَـــــلَّى	وانجّـــلى عنـــهُ اللِّثـــام
وبـــدا الغـــدرُ شَـــتِيمَ	الوجـــهِ يعلُـــوهُ القَتـــام
وَخُـــمَ المرتَـــعُ بالبـــاغي	وحَـــــلَّ الإنتقـــــام
جَـــرَتِ الفُلْـــكُ مُلِحَّـــاتٍ	وحـــــانَ الارتِطـــــام
دُوْنَـــكِ الغـــارِبَ جُبِّيـــهِ	فقـــد جُـــبَّ السَّـــنام
بَيَّـــتَ الجـــاني عـــلى« الفعلمـــة »	فالصَّـــــفْحُ أثـــــام
واســـتوى الحـــالُ فمعنـــى	أن يَعفّـــوا أنْ يُضـــام
فالـــدمُ الغـــالي حَـــلالٌ	وتحاشـــــيهِ حَـــــرام
بَـــرَّرَ « الفَجْـــرَةَ » واســـتامَ	الخَنـــا جـــيشٌ لُهـــام

فـــــالقُرى والشِّـــــيبُ ءِالرّضَّـــــعُ للنَّـــــارِ طعـــام
أهـــيَ ذي القُـــوَّةُ يعتَـــزُّ بهـــا مُجْـــــنٌ طَغـــــام
أيُّ سُـــــخْرِيَّةٍ أهــــواءِ أُنـــــاسٌ أمْ هَـــــوام
الحْديـــدُ الضَّـــخْمُ يَختـــارُ أحَـــــزْبٌ أمْ ســـلام
والخَنـــا والنُبْـــلُ يـــقضي فـيهما هـــــــذا الحُطـــــام
مـــا لهـــذا الــوحشِ مِـــن نــاهٍ وللخيـــــلِ لجـــــام
فَســـلُوا المعطـــاشَ للـــدَّمِّ أمَـــــا بُـــــلَّ الأُوام
وســـلُوا الحُـــبلى لَقـــاحَ الشَّرِّ هـــلْ بعـــدُ وِحـــام
بشِـــعَ الفـــنُّ وذابـــتْ صُـــوَرُ الرِّفْـــق الوِســـام
وانـــبرى أشْـــنعَ مـــا خَـــطَّ وشَـــطَّ الإجـــترام
جَمَـــدَ الطفـــلُ عـــلى الثَّـــدي فهـــلْ هـــذا انســـجام
وهَـــلِ البَـــتْرُ ابتـــداعٌ وهَـــلِ السَّـــمْلُ التـــزام
وهـــل الألـــوانُ والأضـــواءُ سِـــــيقانٌ وهَـــــام
وهـــل الحِيطـــانُ بالأحيـــاءِ تُبنـــــى وتُقـــــام
فِكْـرةٌ مِـنَ وحْـيِ أهـلِ الكَهْـفِ إذ مَلّـــــوا فنـــــاموا
يـــا سواســـبولُ ســـلامُ وهيـــــامٌ وغـــــرام
وتســـابيحُ تَغنَّـــــى بـــكِ مـــا غَنـــى حَمـــام
يـــا سواســـبولُ ســـيَنْجابُ مِـــــن الشَّرِّ قَتـــــام
وستســـتيقِظُ أجيـــالٌ عـــلى الـــذُّلِّ نِيـــام
وســـيَنْجَرُّ عـــلى شـــوكِ الجْماهـــيرِ عُـــرام
يـــا سواســـبولُ مصـــيرُ البغـــيِ مـــا دوى رغـــام

وحديــــــدٌ صُـــــبَّ في مُســــــتَنْقَعِ العُهْــــرِ كهــــام
يــــا سواســبولُ : ســلامُ لا يَنَــــلْ مجــــدَكِ ذام

***

أممٌ تجدُّ ونلعَب

أُمَــــمٌ تَجِـــدُّ ونَلعــــبُ ويُعــــذِّبون ونَطــــرَبُ
المَشرِقُ الـــواعي يَخُـــط مَصــــيرهُ والمَغــــرب
فهُنـــا دمٌ يَتعهَّــــد الجيـــلَ الجديــــدَ فَيُســــكب
وهنــــا كِفـــاحٌ –في ســبيلِ تحــرُّرٍ– وتوثّــب
وهنــا جمــاهيرٌ يُخُــبُّ بهـــا زعـــيمٌ أغلَـــب
ونعـيشُ نحــنُ كــما يعـيشُ عـــلى الضـــفافِ الطُحْلُـــب
مُتطفِّلـــينَ عـــلى الوجـــودِ نعـــومُ فيـــه ونَرْسُـــب
مُتذبــذِبينَ وشرُّ مـــا قتـــلَ الطُمــــوحَ تَذبـــذب
نُـــوحي التطَـــيرَ كـــالغُرابِ إلى النفـــوس ونَنْعَـــب
ونبُـــثُّ رُعبـــاً في الصـــفوفِ بـــما نـــدُسُّ ونكـــذِب
نَـــدعو إلى المســـتعمرينَ لســـوِطهم نَتَحبَّـــب
نَهـــوى تَقَـــربَهم وفيـــه حتفُنـــا يتقـــرّب
متخـــاذلينَ كـــما يشـــاءُ تعنّـــتٌ وتعصّـــب
إنَّ العـــراقَ بـــما نُحَشِّـــدُ ضِـــدَّه ونؤلّـــب
بيـــتٌ عـــلى يـــدِ أهلـــهِ ممَّـــا جَنَـــوا يَتخـــرَّب
إنَّ الحيـــاةَ طريقُهـــا وعـــرٌ بعيـــدٌ مُجـــدِب

عـرَقُ الجبـينِ عـلى الـدماء فويَقهـــا يتصـــببّ
ومِـنَ الجماجـم مـا يَعيـقُ الـــواهنينَ ويُرْهِـــب
يَـمشي عليهـا الابـنُ يُنجِـزُ مـــا تَرَسَّـــمهُ الأب
ولكَـم تخلَّـفَ مَـعشرٌ عنهـا وشُرِّدَ مَوكـــــب
ووراءهـــا الواحـــاتُ طـــابَ مراحُهـــا والمَشرَب
ونُريـدُ نحـنُ لهـا طَريقـاً منهجـــاً لا يُنْصِـــب
الجَـــاهُ يـــنْعَمُ تحـــتَ ظِـــلِّ جِهادِنـــا والمَنصِـــب
قُـــلْ للشـــبابِ تحفَّـزوا وتيقَّظـــوا وتـــألَّبوا
وتـــأهّبوا للطارئـــاتِ فإنَّهـــا تَتأهَّـــب
سـيَجِدُّ مـا سـيطولُ إعجـــابٌ بـــه وتعجّـــب
سـيزولُ مـا كنَّـا نقـولُ مُشرِّقٌ ومُغـــرِّب
سـتكونُ رابطـةَ الشـعوبِ مـــبغَّضٌ ومُحَبَّـــب
سِـيروا ولا تستوحشـوا وردُوا ولا تَتَهيّـــوا
لا تَظمـأوا إن الحيـاةَ مَعينُهـــا لا يَنْضُـــب
سِـيروا خِفافـاً نَفْسُـكمْ وصَـــفاؤها والمـــذهب
لا تُثقلوهـا بـالعويصِ وبالغريـــبِ فتتعَبـــوا
وتَلَمَّســوا أُفقـاً تلبَّـــدَ غَيْمُـــهُ وترقَّبـــوا
يَـنْهَضْ لكُـمْ شَـبحٌ بمســفوح الــدماءِ مُخَضَّـب
غضِرُ الصِبـا وكأنَّـه مِمَّـــا تغـــبَّرَ أشـــيب
ذو عارضـينِ فمـؤنسٌ جَـذِلٌ وآخـــر مُرعِـــب
يَرنـو إلى أمـسٍ فيعـــبِسُ عنـــدهَ ويُقطِّـــب

ويلـــوحُ فجـــرُ غـــدٍ ... فـــيركُض نحـــوه ويُرحِّـــب
يـــأوي إليـــهِ مُعمَّـــر ... ويخـــافُ منـــه مُخـــرِّب
مخـــضَ الحيـــاةَ فلـــم يُفْتِـــهُ ... مُصرَّحٌ ومُـــــــــرَوَّب
وانـــزاحَ عـــنْ عينيـــهِ ... مـــا يُطـــوى عليـــه مُغَيَّـــب
فاســـتلهِموهُ فخـــيرُ مـــن ... رَسَـــمَ الطريـــقَ مُجـــرِّب
لا تجمُـــدوا إنّ الطبيعـــةَ ... حُـــــرَّةٌ تتقلّـــــب
كونـــوا كرقـــراقٍ بِمَدرجـــةِ ... الحَصى يـــــــتسَرَّب
نـــأتي الصـــخورُ طريقَـــه ... فيجـــوزُهنَّ ويَـــذهب
وخُـــذوا وُجـــوهَ الســـانحاتِ ... مـــنَ الظـــروفِ فقلِّبـــوا
فـــإذا اســـتوَتْ فتَقحَّمـــوا ... وإذا التـــوَتْ فتَنكبَّـــوا
وإذا وجـــدتُم جـــذوةً ... فضـــعوا الفتيـــلَ وأهِبـــوا
مُـــدُّوا بأيـــدِيكم إلى ... هـــذا الخلـــيطِ فشـــذِّبوا
وتنـــاولوا جمـــراتِكم آنـــاً ... وآنـــاً فاحصِـــبوا
لا تَحـــذَروا أن تُغْضِـــبوا ... مَـــن سرَّهُ أنْ تُغضَـــبوا
كُونـــوا كعاصـــفةٍ ... تُطَّـــوحُ بالرمـــالِ وتَلعـــب
وتطلَّبـــوا بـــالحتفِ مَـــن ... لحتُـــوفِكُمْ يتَطلَّـــب
لا يُؤيِسَـــنَّكُمُ مُقـــلٌّ ... عَديـــدكم أنْ تَغْلِبـــوا
إنْ لم يكـــنْ ســـببٌ ... يَمُـــدُّ خُطـــاكُمُ فتســـبَّبوا
لا تَنْفـــروا إن الحيـــاةَ ... إلـــيكمُ تتقـــرَّب
لكـــمُ الغـــدُ الـــداني القُطـــوفِ ... وصَـــفوُهُ للمُســـتَعْذَب
إنّ النضـــالَ مُهِمَّـــةٌ ... يَعيـــا بهـــا المُتَرهِّـــب

سَـيرى الـذينَ تـدَّثروا وتزمَّلـوا وتَجلْببـوا
وتحـدثّوا نَـزْراً كمِغْـزلةٍ بجـدب تُحلـب
وتَنـادَروا هَمْسـاً كـما نـاغَى « جنيـدبَ » جُنْـدُب
خطـواتُهمْ وشِـفاهُهم ورؤوسُـهم تَترتَّـب
نَسَـقاً كـما الآجُـرُّ صَـفَّفَهُ صَـناعُ مُـدَرَّب
إنّ الحيـاةَ سريعـة وجريئـة لا تُغْلَـب
تَرمـي بأثقـالِ السـنينَ وراءهـا وتُعَقِّـب
وتـدوسُ مَـن لا يسـتطيعُ لَحاقهـا وتـؤدِّب

***

بنت بيروت

يـا عَذبَـةَ الـرُوح يـا فتّانَـة الجَسـدِ يـا بنـتَ « بـيروتَ » يـا أنشـودةَ البَلَـدِ
يـا غيمـةَ الشَـعرِ مُلتاثـاً عـلى قَمـر يـا بَسـمةَ الثغـر مفـترّاً عـن النَضَـد
يـا رَوعـةَ البحـرِ في العينـينِ صـافيةً يـا نشـوةَ الجبَـلِ الملتّـفِ في العضُـد
يا قَطرةً من نِطاف الفجر ساقطها مـن « أرز » لبنـانَ خفَّـاقُ الظـلالِ نـدى
يـا نَبتـةَ الله في عَليـا مَظـاهِرِه آمنـتُ بـالله لم يُولَـد ولم يَلِـد
يـا تلعـةَ الجيـدِ نصَّـته فـما وقَعَـت عَـينٌ عـلى مِثلـه يَـزدانُ بالجَيَـد
يُطِـلُّ منهـا بوجـهٍ أيِّ مُحْتَمـلٍ ويَسـتريحُ بصـدرٍ أيِّ مقتعَـد
يا جَوهرَ اللُطفِ يا معنى يضيقُ به لَفـظ فيقذِفُـهُ الشِـدقانِ كالزَبَـد
أعِيـذُ وجهَـكِ أن أشْـقى برقَّتِـه وفَـيْضَ حُسـنِك إن يَعيـا بـرِيٍّ صـدى
ولا يليـقُ بأجفـانٍ أنشّرُهـا عـلى جمالـكِ أن تُطـوى عـلى السُـهد

يَـدٌ مَسـحتُ بهـا عَينـي لأغمِضَـها على الهوى ويدي الأخرى على كَبِدي
وَرَدتُ عـن ظمـأٍ مـاءً غَصِصتُ بـه فليـــــتَ أَنّيَ لم أظَمـــــأْ ولم أرِد
قـالَ الرِفـاقُ ونـارُ الحُـبِّ آكلـةٌ مِــن وَجنَتَــي أهــذا وجــهُ مُبَــترِد
لمْ أدرِ أذكُــرُ « بيروتــاً » بـأَيِّكما أأنــتِ أم لَــوعتي ياليلــةَ الأحــد
عَـجّ الرصيفُ بأسرابِ المها وهَفا قلبــي بزفــرةِ قَنــاَّصٍ ولم يسِــد
فمِــن مُوافيــةٍ وعــداً وراقبــةٍ وعــداً وأيــن التــي وَّفــت ولم تَعِـد
فُويقَ صدرِكِ من رفق الشبابِ به أشــهى وأعنــفُ مــا يُعطــى لمنتهـد
كنــزانِ مِــن مُتَــع الــدُنيا يُقِلُّهُـما جــمٌّ النــدى سَرِفٌ في زيٍّ مُقتَصِــد
قـالوا تَشـاغَلَ عـن أهـلٍ وعـن ولَـدٍ فقــال نهــداك : لم يَشــغَلهْ مــن أحــد
سـوى رَضـيِعي لبـانٍ تـوأمٍ حُبِسـا رهــنَ الغِلالــة إشـفاقاً مِــن الحَسَـد
راجَعتُ نَفسي بما أبقى الشبابُ لها ومــا تخلَّــف مــن أســئاره بِيــدي
فـما أمـرَّ وأقسـى مـا خرجـتُ بـه لـــولا بَقيـــةُ قلـــبٍ فيَّ مُتَّقِــد
أمسـى مَضى بلُبانـات الهـوى وأتـى يَــومي يُمهِّــد بــادي بَــدءةٍ لِغَــدي

***

ستالينغراد...

نضـت الـروح وهزتهـا لـواء وكسـته واكتسـت منـه الـدماء
واسـتمدت مـن إلـه الحقـل والبيـت والمصـنع عزمـا ومَضـاء
رمـتِ الـزرعَ بعـين أثلـجَ الـدَمعُ فيهـا ضرمَ الحِقـدِ اجتـواء
أعجلـت عنـهُ فآلـت قَسَـماً أن ستسـقيه دمَ الأعـداءِ مـاء
ومشـت في زَحمـةِ المـوتِ عـلى قـدمٍ لم تخـشَ مَـيلا والتـواء

أقسمت باسم عظيمٍ كرمت … باسمِه أنْ لا تهين العظماء
يا «ستَالينُ» وما أعظمَها … في التهجي أحرُفاً تأبى الهجاء
أحرف يستمطرُ الكونُ بها … انعتاقاً وازدهاراً وإخاء
خالق الأمة لم يمنُنْ ولم … يبغ -لولا أرَجُ الزهر- ثناء
وزعيمٌ شعَّ فيمنْ حولَه … قبسٌ منه فكانوا الزعماء
زَرَّ بُرْدَيهِ على ذي مِرّةٍ … فاض إشفاقاً وبأساً وعناء
مسّه الظلمُ فعادى أهلَه … وامترى البؤسَ فَحَبَّ البؤساء
وانبرى كالغيمِ في مُضْحِيَةٍ … فسقى دهراً وأحيا وأفاء
بُوركَ الباني وعاشت أمةٌ … وفتِ الباني حقوقاً والبناء
قيل للعيشِ ففاضت أمناء … وإلى الموت ففاضت شهداء
ومشى التاريخُ موزونَ الخُطى … ما انحنى ذُلاً ولا ضجّ ادعاء
هذه التربةُ لا ما سُمِّيت … وطناً يُنبِتُ جوعاً وعراء
وهي ذي الحفرة إذ طارت عَجاجاً … ألفُ نفسٍ معها طارت فداء
وهو العِرضُ فهل تبغي وقاةً … مثلَهم أو مثل ذا تبغي وقاء
قف على «القَفْقاس» وانظر … موكبَ المجدِ والعزةِ يمشي خُيَلاء
وسلِ القوزاقَ هل كان دماً … لمعانُ السيف أم كان طلاء
وجدَ الغادرُ من قسوتها … ما رأى من لطفها الضيفُ سخاء
والعتاقُ الجردُ هل لاقت بها … عاقها من جثث القتلى عناء
نفخت من وَدَجَيْها أن رأتْ … مُمْتطَى فارسِها أمسى خلاء
فهي والغيظُ مرى أشداقها … تعرِكُ اللُّجْمَ وتجتّر الغثاء
واحتواها رهَجُ الحربِ فما … تُبصر الأرضَ عتواً وازدهاء

مـــن عـــلى صـــهوتِها يمنحُهـــا ... شرف « الفــارسِ » عزمــاً وفتــاء
يــاعروسَ « الفلــغِ » والفلغــا دمٌ ... ســاءت البلــوى فأحســنت الــبلاء
صــبغ « الـــدونَ » دمــاءين همـــا ... بُعــدُ بــين الــرجس والطهــر التقــاء
وجـــــرت أمواجُـــــه حاملـــــةً ... فوقهــا الضــدينِ صــبحاً ومســاء
وعـــلى الجـــرفين « عظـــهان » همـــا ... رمــزُ عهــدَيْنِ انحطاطــاً وارتقــاء
يـــا ابنـــة النهـــرين دومـــي شَـــبَحاً ... لقــــويٍّ وضــــعيفٍ يــــتراءى
للمهينـــــين عقابـــــاً وجـــــزاء ... والمهـــــانين انتفاضـــــاً وإبـــــاء
كنـــتِ أســـمى مـــثلاً مـــن ظَفَـــرٍ ... لم تلـــده خطـــطُ الحـــربِ دهـــاء
غلــب الغالــبُ فيــه وانثنــى الطــوقُ ... – كالحبــل – عــلى الطــوق انثنــاء
كنـــت رمـــزاً ألهـــمَ الجيـــلَ الفـــداء ... وهدى الأعقاب ما شاءت وشاء
حسِـــبوا أمـــرك مـــا قـــد عـــودوا ... صـــعقَ الحـــربِ اتقـــاداً وانطفـــاء
وابتـــــداء مـــــن حديـــــدٍ ودمٍ ... يمهَـــرُ الفـــتح بـــه ثـــم انتهـــاء
واستجاشـــوا – فيلـــق المـــوت عـــلى ... ظمـــأ للـــدم منَّـــوه ارتـــواء
ومضـــوا فـــيما أرادوا خطـــوة ... أوشـــك اليـــأس بهـــا يمحـــو الرجـــاء
وجـــف الغـــربُ عـــلى وطأتِهـــا ... وأمالـــت كلكـــلَ الشرقِ فنـــاء
وتلـــوت جـــيرةٌ طهاحـــةٌ ... أفنـــاء تَتَلَقّـــى أم بقـــاء
حملـــت حاضرَهـــا واثقـــةً ... أنَّ في مســـتقبلٍ آتٍ عـــزاء
وانـــبرى التـــاريخُ في حَيْرتِـــهِ ... أأمامـــاً يتخطّـــى أم وراء
وسرت أنبـــاءُ ســـوءٍ تَـــدّعي ... أن ريحـــاً تُنـــذرُ الـــدنيا وبـــاء
حُلُـــمٌ حلـــوٌ مُمـــرٌّ مـــؤنسٌ ... مُـــوحشٌ سرَّ بـــما جـــاء وســـاء

طـاف بـالكون فـأغفى أهلـهُ ... تعسـاءً و أفـاقوا سـعداء
فـإذا العـزة في عليائهـا ... تـتضرّى فتـدوسُ الكبريـاء
وإذا الأنقـاض في كُرْبتِهـا ... تُفْعِمُ المكـروبَ كـالرَّوض شـذاء
وإذا المـنقضُ مـن أحجارهـا ... لمـح الـنجمَ تعـالى فأضـاء
وإذا الطـاغوتُ في أعراسـه ... يمـلأ الـدنيا نحيبـاً وبكـاء
أنـتِ أمليـت عـلى تاريخـه ... طافحـاً بـالكبر ذلاً واختـذاء
ومحـوتِ العجـب مـن أسـطاره ... ومـلأت الصَّـلَفَ المحـضَ ازدراء
وصـفعتِ الـدنَّ في يافوخِـهِ ... صـفعة لم تُبْـقِ خَمْـراً وانتشـاء
حسـب مـن ضـاقت ثنايـاكِ بـه ... أنـه يبغـي فـلا يَقـوى النَّجـاء
وكفـى المحتـلَ هَونـاً أن يُـرى ... الآسرون الغلـبُ منـه إسراء
نحنُ أهلَ الأرض لو نقْوى وفاء ... لرفعنـاكِ عـلى الأرض سـماء
لجعلنـا كـلَّ عـينٍ – مـثلما ... كـلَّ قلـب – تـتملاكِ اجـتلاء
نَعْـمَ مـا أسـدَتْ يـدٌ آثمـةٌ ... كشـفت عـن وجهِكِ الحرِّ غطـاء
عاصـفٌ مـر فجـلّى وانجـلى ... بـدت الشـمسُ بـه أبهـى سـناء
وضـح الحـق الـذي طـال خفـاء ... وتـولى زَبَـدُ الكِـذبِ جُفـاء
وحّـدَ العـدلُ شـعوباً خلطـاء ... عمـروا الأرضَ وعاشـوا خلصـاء
وجـدوا في تربـة تجمعُهـمْ ... كـلّ مـا يُطْلَـبُ في الخُلْـدِ اشـتهاء
ورأوا في السّـلمِ دينـاً يُقْـتَضى ... ورأوا في الحـربِ للـدَّين اقتضِـاء
أترجـي – أن تنجـي وطنـاً ... مـن يـد المـوت – جنـوداً فقـراء
إن للحـرب رجـالا ليـتَهُمْ ... خبّرونـا أنَّ للحـرب نسـاء
وغيـورات أبـى تاريخهـا ... أن تـرى دون الغيـورين غَنـاء

زانهــا الطهــرُ رُواءً وارتمــتْ — في مُثــار النقــعِ فــازدادت رُواء

ذادت الأمُّ عــن البيــت وقــاء — وارتمــى الطفــلُ عــلى الأمِّ افتــداء

وتعــزَّت حــين أخلــت طُنفــا — لم تَصُــنْه - أنهــا صــانت فِنــاء

« أم غـوركَي » ليت عندي وحيه — لأوفي (بنتَــك) اليــومَ الثنــاء

لــو يعــود اليــومَ حيــاً لــرأى — مثلَهــا ألفْــاً تهــزّ البُلَغــاء

بــل ولــولا أن غــوركي أمــه — مثــلُ هــذي لم يُبــزَّ النبغــاء

يا « تولستوي » ولم تذهبْ سدى — ثــورةُ الفكــر ولا طــارت هَبــاء

يــا ثريــاً وهــبَ النــاسَ الثــراء — قُــمْ تــرَ النــاسَ جميعــاً أثريــاء

قُــمْ تَجِــدْهم مــا لكِــي غلّــتهِمْ — مــن عــلى عهِــدك كــانوا الأجَــراء

هكــذا (الفكــرةُ) تزكــو ثَمَــراً — أن زكــت غرســاً وأن طابــت نــماء

قــد محصــتَ القــول حقــاً وادعــاء — كلــم يخــترق الســمع ســواء

ووجــدت النــاسَ مــن جهلِهــمُ — لا يَميــزون ثُغــاء ورُغــاء

اســتُغلوا فهُــمُ مــن بأسِــهمْ — لا يكــادون يَعــون الأنبيــاء

فحملــت « البعــثَ » باليمنىَ لَهــم — وعــلى اليسرى هنــاء ورخــاء

وشــجبت الرفــقَ والرحمــةَ مــن — نفــر ليســوا بحــق رُحَمــاء

ينشُــدون النــاس أحــراراً وهــم — مــلأوا البيــتَ عبيــداً وإمــاء

وكَسَــوْا كلــبهُمُ الخــزَّ ومــنْ — حــولهمْ يلتحــفُ الجمــعُ لعــراء

ووجــدت الــذئبَ في حالاتِــه — ربــما رافــق معــزاة وشــاء

قد يكون الكذب مفضوحاً هراء — ويكــون الصــدقُ مدسوســاً وبــاء

ويكــون الحــقُّ - مــا بيــنهما - — بــاطلاً والطــالحون الصــلحاء

يـا ابنـةَ النهـرين هـذا نَسَـبٌ ... مـن ولاءٍ لـو تقبلـتِ الـولاء
بَعُـدَ المَرْمـى بـي اسـتهدفتِه ... واختـذى السـهمُ فـقصرتِ عيـاء
وارتمـى الحسُّ عـلى الحسِّ فـما ... يسـتطيع اللفـظُ للـوعي أداء
ومـن الظلـم – الـذي تأبَيْنَـه ... أن تسـومي المعجـزاتِ الشـعراء
عاطفـاتٌ حُـوَّمٌ عاجـت عـلى ... أبْحُـرِ الشـعر فردتهـا ظـماء
وهـي مـا كانـت لتـدلي سـببٌ ... لـك لـولا أنهـا كانـت بَـراء
لم تُثِرْهـا نـزوةُ الـنفس ولم ... يُزهِهـا العُجْـبُ ولم تنـبِضْ ريـاء
جُـلُّ مـا يسـعفني الشـعر بـه ... أن يلبـي « الفـمُ » للقلـبِ نـداء

***

يوم الجيش الأحمر

بـلادٌ مُفَـدّاةٌ وجـيشٌ مظفـرُ ... وقائـدُ جـيشٍ في لـبلاد مـوقّرُ
وفـتحٌ مُبـينٌ يَـقْصُرُ الشـعر دونَـهُ ... وللنثـرُ عـما يعجـز الشـعر أقصر
وحـراس حـق يرقـب الكـون كلّـه ... مصـيراً عـلى أيـديهم يتقـرّر
إذا خَطَروا فالبِيضُ تنظفُ بالدِّماء ... تحيـيّ خُطـاهم والجماجـمُ تـنشر
وذكـرى كـأن الـدهرَ في جَريَانـه ... يُقـاسُ بهـا والشـمسَ منهـا تَنَـوَّر
سـتالينَ يـا لحـنَ التخيّـل والمنـى ... تغنيـه أجيـالٌ ونَرْويـه أعصُر
ويـا كوكبـاً في عـالَمٍ غَـمَّ جـوُّهُ ... بلألائـه يَسْترشِـدُ المتحـيّر
أرد خطـةً تَقْـدِرْ وتَـنْجَحْ فإننـا ... َعرَفْنـاك تُمضي مـا تُريـد وتَقْـدِر
كـأنَّ بنـاتِ الفكـرِ في كُـل خُطـةٍ ... تَخُـطُّ ورأيٍ عبقـري تُـدبِّر
حظايـا ترجـى نظـرةً منـك أيَّهـا ... تُريـدُ وأيّـاً تنتقـي وتَخَـيَّر

تونس

رِدي يـا خيـولَ الله مَنْهَلَـكِ العَـذْبا ... ويا شرقُ عُدْ للغربِ فـاقتَحم الغَرْبا
ويـا شرقُ هَـلْ سَرَّ الطواغيـتَ أنَّهـا ... فويقَــكَ أشــلاءٌ مبعثــرةٌ إربــا
يــدٌ جَـذَّ يــومُ القَــيروانِ عُروقَهـا ... وظهرٌ عـلى القفقاسِ مستعلِياً جُبَّا
ويــا طــارقَ الجيـلِ الجديـدِ تلفُتـاً ... إلى جبـلٍ اجتــازه طــارقٌ دَرْبــا
أثـرتَ لنـا في غَمـرةِ الـنصرِ خَطْـرَةً ... مـن الـذكرِ فيها مـا نحبُّ ومـا نـأبى
هزَزْنـا بهـا ذِكـرى.. وتِهنـا بزهوهـا ... بُـدوءاً ونُحنـا مـن تصوَّرها عُقْبى
لمثـلِ الـذي تَبْغـي مـن الحـقِّ قادَهـا ... إلى الموتِ لم تسأَلْ به السَّهْلَ الصَّعبْا
حَدا من جيوشِ الوحي والنصر ما حدا ... وعَبَّـا مـن الإيـمانِ بـالنصر مـا عَبَّـا
كنارِ « ابن عمرانَ » التي جاءَ قابساً ... ســناها حريــقٌ في ســفائنهِ شـبَّا
وألواحُها « الألـواحُ » لـولا « رسالةٌ» ... عـلى « قُـرَشيٍّ » لم تُـرِدْ عينُـه الربَّـا
تخطَّــتْ إلى مَحْميَّــةِ الغــربِ أُمَّــةٌ ... حمتْ فأجـادت قبلَهـا عـن حِمًى ذَبَّا
تحـدَّتْ عُبـابَ البحـرِ تُـزعجُ حُوتَـهُ ... ومـن قبلـهِ في الـبرّ أزعجـتِ الضَّبَّا
أولاءِ « البُداةُ » الغامطُ النّاسِ حقَّهم ... وتلكَ التي منها نرى العربَ العَرْبا
لَتِلْـكَ قلـوبٌ نَنشُـدُ اليـومَ مِثْلَهـا ... أبـى دينُهــا أنْ تجمـعَ اللهَ والرُّعبـا
سرَتْ كشُعاعِ النورِ في فَحمةِ الدُّجى ... ومثـلَ النسيم الرَّخْـو في يَبَسٍ هبَّـا
وفي ذلَّــةٍ عــزّا وفي ضَــلَّةٍ هُــدىً ... وفي جَنَفٍ عـدلاً وفي جَدَبٍ خصبْا
وفي عصــبيّاتٍ غِــلاظٍ تســامُحاً ... وفي مُلْتـوٍ مِـنْ نهجهـا منهجـاً لَحبـا
أطلـت عـلى « مدريـدَ » تُسمِعُ دعـوةً ... وسارتْ إلى «باريسَ» تَسمعُ من لَبَّى
ودبَّـتْ مَـدَبَّ الـروحِ في الكونِ رحمـةً ... وشـدَّتْ لجسـمٍ خـائرٍ مُتْعَـبٍ صُلبا

ومــدَّتْ برفــقٍ كفَّهــا فتلَمَّسَــت ... جراحَ بني الـدُّنيا فآستْ لهـم نُـدْبا
وآوتْ مـن الأديـانِ شـتَّى وأطْلَعَـتْ ... مِـن الخطـراتِ النـيّراتِ بهـا شُـهْبا
وحامَـتْ يَراعــاً جــالَ في جَنَباتِهــا ... وصانَتْ ـ عليها أو لها ـ مِقـولاً ذَرْبـا
ومـا سَـمَلَتْ عينـاً ومـا قَطَعَـتْ يـداً ... ولا حجـزتْ رأيـا ولا أحْرَقَـتْ كتبـا
نظـرتُ إلى مـا كـانَ منهـا ومـا جـرى ... عليهـا ومـا يـأتي الشـقاقُ إذا دَبَّـا
وكيــفَ أفــاءَتْ مــا أرادتْ ظِلالَهــا ... وكيفَ اغتدَتْ مستثقلاً ظِلّهـا.. نُهْبى
فقلـتُ: وبعـضُ القـولِ عُتْبى وبعضُـه ... عتـابٌ وشرُّ القـولِ عتـبٌ بـلا عُتَبى
أســاءَت صــنيعاً أُمَّــةٌ مســتكينةٌ ... صـبورٌ عـلى البلـوى إلى أُمَّـةٍ غَضْبى
سقى « تونساً » ما يـدفعُ الخَطْـبَ إنَّهـا ... بخُضْرَتِها تُكْفَـى الـذي يـدفعُ الجَـدْبا
وحَيَّـاً القِبـابَ البـيضَ رَوْحٌ كأهنهـا ... رقيـقُ الحـواشي يَمسـحُ المـاءَ والعُشْـبا
ورافقَهــا نــورٌ مــن الــوعيِ مُسْــفِرٌ ... كــأنوارِ أســحارٍ ترقرقهــا سـكبا
نَحــنُّ لِــذكراها ونشــكو افتقادَهــا ... كما شَكَتِ العينُ التّي افتقـدَتْ هُـدْبا
ويا«مونتكُمري» لو سقى القولُ فاتحاً ... سقَتْكَ القوافي صفوَها السلسلَ العـذْبا
ولــو كــانَ ذَوْبُ العاطفــاتِ نِثــارةً ... نَثْرنا لـكَ الإعجـابَ والشكرَ والحُبَّـا
نضتْكَ لـدَرْءِ الشرِّ عَضْـباً « صـياقلٌ » ... أعَـدَّتْ لِلُقْيـا كـلِّ مسـتكبرٍ عَضْـبا
حلَلْـتَ عـلى « روميـلَ » كَرْبـاً وقبلَهـا ... أحـلَّ بـأدهى منـه « ولنِكْـتِنٌ » كربـا
وأنــتَ انتزعــتَ الـنصرَ مـن يـدِ قـادرٍ ... عليــه ولم تــرحَمْ معنّــىً بــه صَــبَّا
ودحرجتَـهُ عـن «مِصْرَ» وهـوَ مُعـرِّسٌ ... بأحلامـهِ يُحصي الخـراجَ الـذي يُجْبـى
وغرَّتْـهُ مـن ريـحِ الصـحاري قَبُولُهـا ... فكيــفَ رآهــا وهــي مُعرِضـةٌ نكْبــا
دَحَا أرضَـها وانصَـبَّ كـالموتِ فوقَهـا ... ولُحـتَ لـه مَوتـاً عـلى المـوتِ مُنصَـباً
تركتَ الَّـذي رامَ السَّـما يلمِسُ الثَّـرى ... ومنْ كانَ يشكُو بِطنَةً يشتكي السَّـغْبا

وبَصَّرْتَــهُ لَمَّــا تَصَــعَّرَ خــدُّهُ بأنَّــكَ أعــلَى مــن أخادِعِــهِ كَعْبــا
قصَصْــتَ جناحَيْــه فقَــرَّتْ شَــذاتُهُ وعــادتْ «نــوازي» شَرِّه أفرخــاً زُغبــا
كشــفتَ لــهُ ضَــعْفاً وغطَّيْــتَ قُــوَّةً فكنــتَ ولــولا خُدعــةٌ لم تكــن خِبَّــا
أرادَ الَّتــي مــن دونِهــا أنــت والــوغى وعــدلُ القَضــا تَبّــاً لِمــا رامــهُ تَبَّــا
ســددتَ عليــه الــرأيَ حتــى تركتَــه يَــرى مــن سَــدادِ الــرأيِ مــا عــدَّه سبَّا
وحتــى رأى ذُلَّ الفِــرارِ غنيمــةً وحتى رأى الــداءَ الــذي يشتكي طِبَّا
وضــاقتْ عليــه الأرضُ فهــوَ مهــوِّمٌ عليهــا نهتُــهُ أنْ يُــريحَ بهــا جَنْبــا
تمنَّــى عليــهِ « رَبُّــهُ » مِصرَ مَنْحــةً وكادَ على « القطَّارِ » أنْ يُرضيَ الربَّا
وكــادَ عــلى « القَطَّــارِ » يُرْسِــلُ حاصباً على «الشرقِ» لولا أنْ قذفتَ به حَصْبا
تــراءى لــه نَهْبــاً ولَمَّــا صَــدَمْتَهُ تــراءتْ لـــه الأحــلامُ صــيْحَ بهــا نَهْبــا
ومــدَّتْ لــهُ الأطــماعُ في نَزواتــهِ إلى أنْ غَــدَتْ كَــلاً عــلى نَفْسِــهِ حَرْبــا
وداعَبَــتِ « الإســكندريَّةُ » عينَــهُ وخــادَعَ منــه « النيــلُ » في طميْــهِ اللُّبَّــا
ولاحَ له «الإسكندرُ» الصِّدْقُ فانثنتْ تُزَيِّــفُ منــه الــنفسُ إســكندراً كــذِبْا
ومَنَّــى بيَنْبــوعِ الفــراتِ حصــانَهُ وعلَّــل « بــالزّابَيْنِ » عســكرَهُ اللّجبــا
فيــا لَــكَ زَوراً زادَ عــن عينِــهِ الكَــرى وشَرَّدَ عــنْ أجفانــهِ حُلُــماً رَضْبــا
فلــمْ يَــرَ إلاَّ مَغــرِزَ الرِّجْــلِ يَقْظَــةً وكــانَ ينــاغي حالِمــاً عالَمــاً رَحْبــا
من « العَلَمَيْن » استَقْتَهُ محكَــمَ القُــوى وفي « تــونسٍ » أدركتَــهُ رازحــاً لَغْبــا
نثــرتَ لــهُ شُــمَّ المتــالعِ والقُــرى كــما نَثَــرَ الصــيَّادُ للطَّــائرِ الحَبَّــا
وأغريتَــهُ بــالقربِ حتَّــى إذا دَنَــا إليــكَ رأى منــكَ الَّــذي بَغَّــضَ القُرْبــا
عنــودٌ.. تــأبَى الوَثْــبَ في نكَســاتِهِ مــن الكِــبْرِ لــولا أنْ تُطــارِدَهُ وَثْبــا

ولو غيرُ « رُومَيلٍ » لقُلْنا كغيرِها ... سُقاةُ الرَّدى عاطَتْ بأكؤسُها شَرْبا
ولكنَّه نَدْمانُ موتٍ إذا سَقى ... ألحَّ وعاطى مَنْ ينادمُهُ عَبَّا
وقد خَبَّأ السَّمَّ الزُّعافَ فَبزَّهُ ... خبيرٌ بما أبدى بصيرٌ بما خَبَّا
ولمَّا التقى الجمعانِ غُلْبٌ أشاوسٌ ... دَهَتْ مثلَها شُوْساً مُدَجَّجةً غُلْبا
وحُم الحديدُ الضخم والصبرُ والحجى ... كِلا المعدِنين استَنجدا معدِناً صُلبْا
مشى الحقُّ في الصفَّينِ يدمَغُ باطلاً ... ويغمُرُ بالريحان أوفاهما كَسْبا
تَفادى بـ « أرنيم » وفَرَّ بنفسه ... وأبقى لك الأهلَ الأعزَّةَ والصَّحبا
وأهداكَهم أسرى وقتلى كأنه ... بهم يستميحُ العفوَ ممَّا جنى ذَنْبا
تَلَظَّى بهمْ بالنارِ بَرٌّ وقاءهُمْ ... خِضمٌّ وراحَ الجوُّ يُمطرهم عَطْبا
كأنَّكَ إذ تُحصي رُكاماً حُطامَهُ ... تُصَحِّحُ أغلاطاً فتوسِعُها شَطْبا
فمن يَرَ في الصحراءِ نَثْراً قبورَهُمْ ... يخَلْها من الأجداثِ مجنونةً رُعْبا
ومن يُبصرِ الأسرى يُقادونَ هُطَّعاً ... يجِدْ حادياً يحدو إلى سَقَرٍ رَكْبا
وخَلَّى لكَ «الطليانَ» يحتَكُّ بعضُها ... ببعضٍ كما تحتَكُّ مِنَ جَربٍ جَرْبا
أتى بهمُ إلْباً عليكَ سَفاهةً ... فكانوا عليهِ في تَغَنُّجِهِمْ إلبا
أرادَ لخوْضِ الموتِ أغراسَ نِعمةٍ ... غذاها وليُّ الأمرِ فاكهةً أبَّا
حَسِبْنَ لإزعاجِ ابنِ آوى بنادقِاً ... وخلْنَ لِمضمارِ الهَوى شُزَّباً قُبَّا
وضاعَفْنَ نسجاً من حريرٍ ولأمةً ... وجرْرنَ بيضَ الهندِ والوشيَ والعَصْبا
ورُحْنَ كأسرابِ القطا نُعَّمَ الخُطى ... وقى اللهُ - من شَرٍّ يرادُ به - السِّربا
وجازى بشَرٍّ مَن أرادَ بجَورِهِ ... وجُوهَ الحسانِ الغيدِ أن تَلمِسَ الترْبا
وأن تهبِطَ الوديانَ ليلاً لريبةٍ ... وأن ترتقي صُبحاً على عَجَلٍ هُضْبا
وأن تَشْهَدَ الأشلاءَ تنقضُّ حولَها ... وفي دَمِها الفرسانُ مخضوبةً خَضْبا

ولم ترتكبْ إثماً سوى أنَّها دُمًى ... ولم تأتِ - إلَّا أنَّها عورة - ذَنْبا
فلو كنتَ يومَ النَّقْعِ شاهِدَ أمرِها ... وقد خَبَّأتْ تِرْبٌ بأثوابها تِرْبا
وسدَّتْ ثقوبَ الأرضِ مُحجرةً بها ... فما غادرَتْ مأوىً لضبٍ ولا ثقبا
دعوتَ على مَنْ شَقَّ عنها حجابَها ... وأقحَمَها ما ليسَ من شأنِها غَصبا
إذن لسألتَ اللهَ فَلاً لغَربِه جزاءً ... على ما فلَّ من سترِها غَرْبا
فِرفْقاً بأشباهِ القواريرِ صُدِّعَتْ ... وما اسْطعتمُ فاسْتدركوا صدعها رأبا
فيالكِ بُشرى ما أرقَّ وما أصفَى ... أغاثَتْ نفوساً ما أحنَّ وما أصبي
ويا خُلفاءَ اليومِ والأمسِ إنَّنا لكُمْ ... - ما أردتُم - في مودَتِنا قُرْبى
أريدوا بنا خيراً نَعِدْكُمْ بمِثلِهِ ... وكونوا لنا حِزْباً نكُنْ لكُمُ حِزبا
وظَنُّوا بنا خَيراً فَفينا كَوامِنٌ ... من الخيرِ إنْ تُبعث تَزدْكمْ بنا عُجْبا
ولا تذكروا عَتْباً فإنَّ مُوطّداً ... من الودِ زِدْنا فيه ما يرفعُ العتبا
وإلا فكيلوه عتاباً بمثله ... لنا وكلانا مُعْتِبٌ بَعْدُ من أرْبى
ولا تَخْلِطوا شَغباً عليكم مُبغَّضا ... إلينا وحقاً لا نريدُ به شَغْبا
وآخوا بنا شعباً وهانَتْ أُخوَّةٌ ... إذا كنتَ تَلقى عندها الفردَ لا الشَعبا

***

نشيد العودة

للهِ دَرُّكِ من وليدِ ... في عيد مولده السعيدِ
حَيَّتْهُ مطرةُ الدَّمار ... بمثل قاصفةِ الرُّعود
وأظَلَّه من كل قاذفةٍ ... غرابٌ من حديد
ومشى بهذا المَهدْ ما يحدو ... المهودَ إلى اللُّحود

يـــا أخـــتَ أمـــسِ المـــالئِ ... الـــدنيا بجبـــارٍ عنيـــد
أسـدَى وقـــد جَحَـــدَ الخلـــودَ ... يـــداً تـــرِفُّ عـــلى الخُلـــود
أومَـــى إلى زُمـــرَ المناقِـــب ... مـــن طَريـــف أو تَليـــد
مـــن كـــلِّ شـــاك مـــا اســـتَباح ... لـــه المـــؤرّخُ مـــن حـــدُود
فاتَتـــهُ رازحـــةُ الخُطـــى ... تَشـــكو مـــن اجَهـــد الجهيـــد
يبـــدو عـــلى شَـــمَمِ ... وإيثـــارٍ وإقـــدامِ وجُـــود
جُـــرْحٌ بليـــغٌ في الفـــؤاد ... ولطمـــةٌ فـــوقَ الخـــدود
فأقرَّهـــا في أي أنصِـــبةٍ ... ومصـــطَلَح وطيـــد
مـــن هـــذه الأرواح ثـــائرةٌ ... عـــلى ضَـــنْك الجلـــود
ممـــا يُحشِّـــده نضـــالُك ... للفضـــيلة مـــن جُنـــودُ
مـــن هـــذه الأشـــلاء نافحـــةٌ ... الأريـــج عـــلى الصَـــعيد
بـــالأُمِّ هاويـــةٌ عـــلى البَعـــل ... الكـــريم عـــلى الوَليـــد
إنّـــا قرأنـــا فيـــكِ معنـــى ... لفـــظِ تـــاريخ مجيـــد
فضـلتِ « أمـسِ » عـلى « غـدٍ » ... وطغى « القديم » على « الجديد »
يـــا أخـــتَ مُحـــترِس الحَـــمام ... وأمِّ مقتـــنص الأُســـود
فـــوُزي بعُقْبـــى مـــا وُعِـــدتِ ... فقـــد صَـــبْرتِ عـــلى الوعيـــد
ولقـد صَـبَرت عـلى التـي يَعيَـا ... بهـــا صَـــبْرُ الجَليـــد
فلقـد صَـبَرت عـلى رِياح المـوت ... تَعصِـــفُ بالحصـــيد
وعـــلى جحـــيم منـــك عَبَّـــأ ... مـــا تَخَـــيرَّ مـــن وَقـــود
وعـــلى – أمـــرَّ مـــن الجحـــيم – ... شَـــماتة النِمَـــر الحقـــود
صُـغتِ السُـدودَ مـن الصـدور ... تـــرُدُّ عاديـــة الســـدود

ومشــيتِ أنــتِ الى الــردى　　فأخـــذتِ منـــه بالوريـــد
بَــلِيَ الــبلى بأشــدَّ منــه　　شــكيمةً يــومَ الــوُرود
عــودي فقــد حَــنَّ العــرينُ　　لعــودة الأسَــد الطريــد
عــودي كواســطةِ الجُــمان　　تَعــود للعِقــد الفريــد
عــودي نشــيداً خالــداً　　ولأنــتِ ملهمــةُ النشــيد

❊❊❊

إلى الرّصافي

تمَرَّستَ « بالأولى » فكنتَ المُغامِرا　　وفكَّرتَ « بالأخرى » فكنتَ المُجاهِرا
وفضَّلتَ عيشاً بين تلك وهذه　　به كنتَ بل لولاهُ ما كنتَ شاعرا
وما الشِّعرُ إلاَّ ما تفتّقَ نُورهُ　　عن الذهنِ مشبوباً عن الفكر حائرا
عن النفس جاشت فاستجاشت بفيضها　　عن القلبِ مرتجَّ العواطفِ زاخراً
وما زجَّ في شتّى المَهاوي بربِّه　　وقحّمهُ « النَهجينِ » قصداً وجائرا
وما هو بالحبلِ الذي رُحتَ مرغِماً　　« أوائلَه » أنْ تلتقي و « الأواخرا»
وكنتَ جريئاً حين يدعوكَ خاطرٌ　　مِن الفكر أن تدعو إليك المَخاطرا
على ثقةٍ أنْ لستَ في الناس واجداً　　على مِثله - إلاَّ القليلَ - مُناصراً
وكنتَ صريحاً في حياتكَ كلِّها　　وكانَ - ومازالَ - المصارِحُ نادراً
فإنْ شابَها ما لم تجدْ عنه نُدحةً　　شَفَعْتَ به حُكم الظروف مُسايرا
فقد كنتَ عن وحي الضرورةِ ناطقاً　　وقد كنتَ عن محضِ الطبيعة صادرا
وقد كنتَ في تلك الأماديح شاتماً　　محيطاً بأربابِ القرائح كافرا
وإلاَّ فأنتَ المانعُ الصُغرِ عن يدٍ　　أبتْ أنْ تُحلَّى في الجِنان أساورا

وإنَّـكَ أنقـى مـن نُفـوسٍ خبيثـةٍ ... تُـراوِدُ بالصَّـمت المريـبِ المَنـاكرا
تَعيـبُ عـلى الشِّـعرِ التَّحايـا رقيقـةً ... وتلـثُم مـن « بغـلٍ هجـينٍ » حـوافرا
تُريـدُ القـوافي المؤنسـاتِ عفيفـةً ... وقـد أشـغرتْ للفاحشـاتِ الضمائرا
وتُنكـر أنْ يُستنشـقَ الشـعرُ « نفحـةً » ... وقـد فَغـرتْ أشـداقَها والمنـاخرا
وتطـوي عـلى « أُمِّ الـدَّنايا » مَباطنـاً ... وتُلقـي عليهـا مـن إبـاءٍ مظـاهرا
كـما أسـدلتْ لـيلاً « هلـوكٌ » مُلحَّـةٌ ... عـلى مخـدعِ العُهـرِ الحريـرَ سـتائرا
مـن العـارِ أنْ تـرضى التذبـذبَ صـامتاً ... دنيئـاً خبيثـاً والغـاً متصـاغرا
عـلى حـينَ تـأبى أن تحـرِّكَ شـاعراً ... ضرورةُ حـالٍ بـدَّلَتْ منـه خـاطرا
وإنّي إذْ أُهـدي إليـكَ تحيَّتـي ... أهـزُّ بـكَ الجْيـلَ العَقـوقَ المُعـاصِرا
أهـزُّ بـكَ الجيـلَ الـذي لا تهـزُّه ... نوابغُـه حتـى تـزورَ المقـابرا

الأصيل في لبنان

أأنتَ رأيتَ الشمسَ إذ حُمّ يومُها ... تحَـدَّرُ في مهـوىً سـحيقٍ لتغربـا
تحَـدَّرُ في مهـوىً تلقـفَ قُرْصَـها ... لقُّـفَ تَنُّـورٍ رغيفـاً محصبـا
ومـا خلفـت في الجـو مـن خطراتهـا ... وما خلعت من مرقصات على الربى
ومـا بـدلت مـن زرقـة البحر ألْهَبَتْ ... بحمرتهـا آذيَّـهُ فتلهبـا
تغـيّر حتـى حِـوَّمَ الطـيرُ فوقـه ... يحـاذر أن يـدنو إليـه ليشْرَبـا
وقد صَمَتَ الكونُ الرهيبُ ضجيجُه ... عـلى أنّـهُ في صـمتِهِ كـان أرهبـا
وهـيمنَ رَوحٌ مـن جِمـام ورقـةٍ ... عـلى الشـاطئين اسـتيقظا فتوثّبـا
أأنـت رأيـتَ الغـيمَ يلـتَمُّ فوقهـا ... يجـاذِبُ متنَيهـا رداءً مـذهَّبا
يغازلهـا مـا غازلتْـهُ أخـو هـوى ... يلاعبُهـا مـا اسـتمتعتْ منـه ملعبـا

تجمع من أطرافها ثم مسّه ... بروعته لالاؤها فتشعبا
أأنت سألت الكون عن أي باعث ... بدا في غروب الشمس جذلان معجبا
وأيّ يد مرت عليه كريمة ... صناعٍ فردَّتْهُ أديما مخضّبا
وما هذه الأشباحُ ترى أغيمةٌ ... تولّد أظلافاً.. ونابا.. ومخلبا
غرابٌ تصبّاه غرابٌ وثعلبٌ ... يطارد في جَوْز السمواتِ ثَعْلبا
وثمَّ سنامٌ مُستَجدٌّ وغاربٌ يناديك ... أن تسعى إليه فتركَبا
وثَمَّ سفينٌ من دخانٍ قلوعُه ... ونوتيُّهُ رَوح رخيٌّ من الصبا
وأولاءِ رهطُ الجنَّ بين نديّهم ... يُقيمون من سحرٍ رواقا مطنّبا
كأني أرى المزمارَ في فَم عازفٍ ... وأَسْمَعُ – لو أقوى – الغناءَ المشبّبا
وتلكمْ على النادي تطوفُ عرائسٌ ... بدا سافراً رهطٌ ورهطٌ تَنَقَّبا
وهاتيك أقزاعٌ لطافٌ كؤوسُها ... وخَمْرَتُها جَوْنُ السَّحاب تذوَّبا

***

أبو العلاء المعري

قِفْ بالمعَرَّةِ وامسَحْ خَدَّها التَّربا ... واستَوحِ مَنْ طَوَّقَ الدُّنيا بها وَهَبا
واستَوحِ مَنْ طبَّب الدُّنيا بحكْمَتَهِ ... ومَنْ على جُرحها مِن رُوحه سَكَبا
وسائلِ الحُفْرةَ المرموقَ جانِبُها ... هل تبتَغي مَطْمَعاً أو ترتجي طلَبا
يا بُرجَ مفْخَرةِ الأجداث لا تهِني ... أنْ لم تكُوني لأبراج السَّما قُطُبا
فكلُّ نجمٍ تمنّى في قَرارته ... لو أنَّه بشُعاعِ منكِ قد جُذبا
والمُلْهَمَ الحائرَ الجبَّارَ هل وصَلَتْ ... كَفُّ الرَّدى بحياةٍ بَعْدَه سَببا
وهل تَبدَّلْتَ رُوحاً غيرَ لاغبةٍ ... أم ما تزال كأمسٍ تشتكي اللَّغَبا

وهل تخبَّرْتَ أنْ لم يأْلُ مُنْطَلِقٌ ... منْ حرّ رأيكَ يَطْوي بعْدكَ الحقَبا

أم أنتَ لا حِقَباً تدري ولا مِقَةً ... ولا اجتواءً ولا بُرءاً ولا وَصَبا

وهل تصَحَّحَ في عُقْباكَ مُقْتَرَحٌ ... ممَّا تفكرتَ أو حَدَّثْتَ أو كُتِبا

نَوَّر لَنا.. إنَّنا في أيّ مُدَّلج ... ممَّا تَشَكَّكْتَ إنْ صِدقاً وإنْ كذبا

أبا العلاءِ وحتى اليومِ ما بَرِحتْ ... صَنَّاجة الشَعر تُهدي المترفَ الطَّربا

يَستنزلُ الفكرَ من عَليا مَنازلهِ ... رأسٌ ليمسحَ من ذي نعمةٍ ذنَبا

وزُمرةُ الأدبِ الكابي بزُمرتهِ ... تفرَّقتْ في ضَلالاتِ الهوى عُصَبا

تَصَّيدُ الجاهَ والألقابَ ناسيةً ... بأنَّ في فكرةٍ قُدسيَّةٍ لقبا

وأنَّ للعبقريّ الفذِّ واحدةً ... إمَّا الخُلودَ وإمَّا المالَ والنَّشبا

من قبلِ ألفٍ لَو أنَّا نبتغي عِظةً ... وعَظْتَنا أنْ نصونَ 'العلمَ والأدبا

على الحصيرِ وكوزُ الماء يَرفدُهُ ... وذِهنُه ورفوفٌ تحمِلُ الكتبا

أقامَ بالضَّجَّةِ الدُّنيا وأقعدَها ... شيخٌ أطلَّ عليها مُشفقاً حَدِبا

بَكى لأوجاعِ ماضيها وحاضِرِها ... وشامَ مُستقْبَلاً منها ومرتقَبا

والكآبةِ آلوانٌ و'أفجعُها ... أنْ تُبصرَ الفيلسوفَ الحُرَّ مكتئِبا

تناولَ الرثَّ من طبعٍ ومُصطَلَح ... بالنقدِ لا يتأبّى أيَّةً شَجبا

وألهمَ الناسَ كي يَرضَوا مغبَّتهم ... أن يُوسعوا العقلَ ميداناً ومضطَربا

وأنْ يَسدُّوا به في كلِّ مُطَّرح ... وإنْ سُقوا مِن جَناه الويلَ والحَرَبا

لِثورةِ الفكرِ تاريخٌ يحدّثُنا ... بأنَّ ألفَ مسيحٍ دونَها صُلِبا

إنَّ الذي ألهبَ الأفلاكَ مِقولُه ... والدهر لا رَغَباً يرجو ولا رهَبا

لم ينسَ أنْ تشمَلَ الأنعامَ رحمتُهُ ... ولا الطيورَ ولا أفراخَها الزُغُبا

حَنا على كلّ مغصوبٍ فضمَّده ... وشجَّ مَنْ كان أيّاً كان مغتصِبا

سَلِ المقاديرَ هل لازلتِ سادرةً ... أمْ أنتِ خجلى لِما أرهقتهِ نصبا
وهل تعمَّدتِ أنْ أعطيتِ سائبةً ... هذا الذي من عظيمِ مثْلِه سُلبا
هذا الضياءَ الذي يَهدي لمكمنّه لِصّاً ... ويُرشدُ أفعى تَنفُثُ العَطَبا
فإنْ فخَرتِ بما عوَّضتِ من هبةٍ ... فقد جنيتِ بما حمَّلتهِ العصبا
تلمَّسَ الحُسنَ لم يمدُدْ بمُبصرةٍ ... ولا امترى دَرَّةً منها ولا حلبا
ولا تناولَ من ألوانها صُوراً ... يَصُدُّ مبتعِدٌ منهنَّ مُقتربا
لكنْ بأوسعَ من آفاقها أمداً ... رَحْباً وأرهفَ منها جانباً وشَبا
بعاطفٍ يتبنَّى كلَّ معتلِجٍ ... خفَّاقه ويُزكّيهِ إذا انتسبا
وحاضنٍ فُزَّعَ الأطيافِ أنزلها ... شعافه وحباها معقِلاً أشِبا
رأسٌ من العَصَبِ السامي على قفص ... من العظام إلى مهزولةٍ عُصِبا
أهوى على كُوَّةٍ في وجههِ قدَرٌ ... فسَدَّ بالظلْمةِ الثُقْبينِ فاحتجبا
وقال للعاطفات العاصفاتِ بهِ ... الآنَ فالتمسي مِن حُكْمهِ هربا
الآنَ يشربُ ما عتَّقتِ لا طفَحاً ... يُخشى على خاطرٍ منه ولا حبَبا
الآنَ قولي إذا استوحشتِ خافقَة ... هذا البصيرُ يُرينا آيةً عَجبا
هذا البصيرُ يُرينا بين مندرِسٍ ... رثِّ المعالم هذا المرتَعَ الخصِبا
زنجيَّةُ الليلِ تروي كيف قلَّدها ... في عُرسها غُرَرَ الأشعار لا الشهبا
لعلَّ بين العمى في ليلِ غُربته ... وبين فحمتِها من أُلفَةٍ نسبا
وساهرُ البرق والسُمَّارُ يُوقِظهم ... بالجزع يخفق من ذكراه مضطرِبا
والفجرُ لو لم يلُذْ بالصبح يَشربه ... من المطايا ظِماءً شُرَّعاً شُربا
والصبحُ ما زال مُصفرّاً لمقرنَهِ ... في الحُسْن بالليل يُزجي نحوه العتبا

يا عارياً من نَتاجِ الحُبِّ تكرمةً ... وناسجاً عَفَّةً أبرادُهُ القشُبا
نعوا عليكَ – وأنت النور – فلسفةً ... سوداءَ لا لذَّةً تبغي ولا طَرَبا
وحمَّلوكَ – وأنت النارُ لاهبةً – ... وِزرَ الذي لا يُحِسُّ الحُبَّ ملتهبا
لا موجةُ الصَّدرِ بالنهدينِ تدفعه ... ولا يَشقُّ طريقاً في الهوى سَربا
ولا تُدغدِغُ منه لذَّةٌ حُلُماً ... بل لا يُطيقُ حديثَ اللذَّةِ العذِبا
حاشاك.. إنَّكَ أذكى في الهوى نفَساً ... سَمْحاً وأسلسُ منهمْ جانباً رطِبا
لا أكذبنَّكَ إنَّ الحُبَّ متَّهمٌ ... بالجَور يأخذ مِنَّا فوقَ ما وَهبا
كم شيَّعَ الأدبُ المفجوعُ مُحتضَراً ... لدى العيونِ وعندَ الصدر مُحتَسَبا
صَرعى نَشاوى بأنَّ الخَودَ لُعبتُهم ... حتى إذا استَيقظوا كانوا هُمُ اللُعَبا
أرتهُمُ خيرَ ما في السّحْرِ من بُدعٍ ... وأضمرتْ شَرَّ ما قد أضمرتْ عُقبا
عانَى لَظَى الحُبِّ «بشَّارٌ» وعُصبتُه ... فهل سوى أنَّهم كانوا له حَطبا
وهل سوى أنهم راحوا وقد نذروا ... للحبِّ ما لم يجب منهم وما وَجبا
هل كنتَ تخلدُ إذ ذابوا وإذ غَبرُوا ... لو لم ترُضْ من جِماحِ النفس ما صَعُبا
تأبى انحلالاً رسالاتٌ مقدَّسةٌ ... جاءت تقومُ هذا العالَمَ الخَربا
يا حاقِرَ النبعِ مزهُوّاً بقوَّتِهِ ... وناصراً في مجالي ضعفِهِ الغَرَبا
وشاجبَ الموت من هذا بأسهمِهِ ... ومُستمِنّاً لهذا ظِلَّهُ الرَّحِبا
ومحرِجَ المُوسِرِ الطاغي بنعمتِهِ ... آنْ يُشرِكَ المُعْسِرَ الخاوي بما نهبا
والتَّاجُ إذ تتحدَّى رأسَ حاملِهِ ... بأيِّ حقٍّ وإجماعٍ به اعتصبا
وهؤلاءِ الدُّعاةُ العاكفونَ على ... أوهامهم صنماً يُهدونه القُرَبا
الحابطونَ حياةَ الناس قد مَسخوا ... ما سنَّ شَرْعٌ وما بالفطرة اكتُسِبا
والفاتلونَ عثانيناً مُهرّأةً ... ساءتْ لمحتطِبٍ مَرعى ومحتطَبا

والمُلصِقونَ بعرش الله ما نسجت ... أطماعُهم: بِدعَ الأهواءِ والرِيّبا
والحاكمونَ بما تُوحي مطامعُهم ... مؤَوِّلينَ عليها الجِدَّ واللَّعِبا
على الجلود من التدليس مَدرعةٌ ... وفي العيون بريقٌ يَخطَف الذهبا
ما كان أيُّ ضلالٍ جالباً أبداً ... هذا الشقاء الذي باسم الهُدى جُلبا
أوسَعْتَهم قارصاتِ النقدِ لاذعةً ... وقلتَ فيهم مَقالاً صادقاً عجبا
صاحَ الغرابُ وصاحَ الشيخُ فالتبستْ ... مسالِكُ الأمر أيٌّ منهما نعبا
أجللتُ فيك من الميزات خالدةً ... حُرِّيةَ الفكرِ والحرمانَ والغضبا
مجموعةً قـ[illegible]جدناهُنَّ مُفرَدةً ... لدى سواكَ فما أغنيننا أربا
فربَّ ثاقبِ رأيٍ حطَّ فكرتَه ... غُنمٌ فسَفَّ وغطَّى نورَها فخبا
وأثقلَتْ مُتَعُ الدُّنيا قوادِمَهُ ... فما ارتقى صُعُداً حتَّى أدَّنى صَببا
بَدا له الحقُّ [illegible]ناً فلم يَرهُ ... ولاحَ مقتلُ ذي بغيٍ فما ضَربا
وإنْ صدقتُ فما في الناس مُرتكِباً ... مثلُ الأديب أعان الجورَ فارتكبا
هذا اليراعُ شواظُ الحقّ أرهفه سيفاً ... سيفا وخانعُ رأيٍ ردَّه خشبا
ورُبَّ راضٍ من الحرمان قِسَمته ... فبرَّر الصبرَ والحرمانَ والسغبا
أرضى وإنْ لم يشأ أطماحَ طاغيةٍ ... وحالَ دونَ سوادِ الشعب أن يثبا
وعوَّضَ الناسَ عن ذُلٍّ ومَتربَةٍ ... مَنَ القناعةِ كنزاً مائجاً ذهبا
جيشٌ من المُثُلِ الدُّنيا يَمُدُّ به ... ذوو المواهبِ جيشَ القوَّةِ اللَّجِبا
آمنت بالله والنورِ الذي رسمَتْ ... به الشرائعُ غُرّاً منهجاً حَبِبا
وصُنتُ كُل دُعاةِ الحقِّ عن زَيغٍ ... والمُصلحينَ الهداةَ العُجْمَ والعَربا
وقد حَمِدتُ شفيعاً لي على رَشَدي ... أُمّاً وجدتُ على الإسلام لي وأبا

لكنَّ بي جنَفاً عنِ وعي فلسفةٍ ... تقضي بأنَّ البرايا صُنِّفتْ رُتَبا
وأنَّ مِن حِكمةٍ أنْ يجتني الرُّطَبا ... فردٌ بجَهد ألوفٍ تعلكُ الكَرَبا

***

أحيِّيك طه

أُحَيّيكَ « طه » ... لا أُطيلُ بكَ السَّجْعا
كفَى السَّجع فخرٌ ... محضُ اسمك إذ تدعي
أُحَيّيكَ فَذّاً في دِمشقَ وقبلَها ... ببغدادَ قد حيَّيتُ أفذاذَكم جَمْعا
شكرناكَ : أنَّا في ضيافة نابغٍ ... نُمتّعُ منه العينَ والقلبَ والسمعا
ذرفتُ - على أنْ لا يرانا بطرفه ... وإنْ حسنًا بالقلب - من أسفٍ دمعا
وكنَّا على آدابك الغُرِّ قبلَها ... ضُيوفاً فما أبقيتَ في كرمٍ وُسْعا
نهضتَ بنا جيلاً وأبقيتَ بعدَنا ... لأبنائنا ما يَحمدَون به المسعى
أبا الفكرِ تستوحي من العقل فذّه ... وذا الأدبِ الغضِّ استثرتَ به الطَّبعا
ويا سِحرَ موسى - إنَّ في كلّ بقعةٍ ... لما تجتلي من آيةٍ حيَّةً تسعى
لكَ اللهُ محمولاً على كلّ خاطرٍ ... ومِن كلّ قلبٍ رُحْتَ تحتلُّهُ ترعى
أُنَبيكَ أنَّ « الرافدينِ » تطلَّعتْ ... ضفافُهما واستَنْهضَ الشَّجرُ الزرعا
نمى خبرٌ أنْ سوف تَسعى إليهما ... فكادَ إليك النخلُ من طربٍ يسعى
وقد نذَرَ الصَّفصافُ وارفَ ظلِّه ... عليك وأوصى - أنْ يساقيَكَ - النبعا
هلمَّ لشُطئانِ الفراتينِ واستمِع ... أهازيجَها تستطرفِ المعجِزَ البَدعا
وطارِحْ به سجعَ الحَمام فإنَّه ... لُهاثٌ على الجرحى نُواحٌ على الصَّرعى
وواسِ عليه الرازحينَ من الهوى ... وطِّبْ هناكَ النازعاتِ بهِ نزعا

هناك تلمَّسْ ضائعَ الحبِّ وافتقِد ... ضحاياه وارأبْ للقُلوب به صَدعا
وجدِّدْ لنا عهدَ المْعريِّ : إنَّه ... قضى وهوى بغدادَ يلذعُه لذعا
وكنّا إذا ضاقتْ بلادٌ برائدٍ ... أتانا فلا المُرتادَ ذمَّ ولا المرعى
إلى الآنَ في بغدادَ نستافُ مِسكةً ... لناقتهِ مما أثارت بها نقعا
ونمزجُ من ماء الفراتينِ جَرعة ... مما عبَّ من صفوه جرْعا
ونهوى السفينَ الحائراتِ كأنْها ... سفينتُه إذ تشتكي الأينَ والضَّلْعا
أجلْ.. قد خطفناها مخافةَ فُرقةٍ ... وخشيةَ إزماعِ نضيقُ به ذرعا
وضاق وحسبي شاهداً ... نبيٌ من الغربان لا يعرف الشرعا
هلمَّ إلى بغدادَ لا تخشَ خاطفاً ... فإنّا نسجنا من «فريد» لك الدرعا
سنحجزهُ نرتادُ ذكراك عنده ... وينفَحنا من طيب أنفاسك الردعا

***

جمال الدين الأفغاني

هَويتَ لِنُصرةِ الحقّ السُهادا ... فلولا الموتُ لم تُطقِ الرُّقادا
ولولا الموتُ لم تَترُكْ جِهاداً ... فَلَلتَ به الطغاةَ ولا جِلادا
ولولا الموتُ لم تُفرِحْ فُرادى ... صعَقْتَهُمُ.. ولم تُحزِنْ سودا
ولولا الموتُ لم يَذهبْ حريقٌ ... بيانعةٍ وقد بَلَغتْ حَصادا
وإنْ كانَ الحدادُ يرُدُّ ميتاً ... وتَبلغُ منه ثاكلةٌ مرادا
فإنَّ الشّرقَ بينَ غدٍ وأمسٍ ... عليكَ بِذِلّةٍ لبسَ الحِدادا
ترفَّعْ أيّها النجم المُسَجّى ... وزِد في دارة الشّرَفِ اتقادا
ودُرْ بالفكر في خلدِ الليالي ... وجُلْ في الكون رأياً مُستعادا

وكُـنْ بالصَّـمتِ أبلـغَ منـك نُطْقـاً ... وأورى في مُحاجَجــــةٍ زِنـــــادا

فـــإنَّ المـــوتَ أقصرُ قِيــدَ بــاعٍ ... بـــأنْ يغتـــالَ فكـــراً واعتقـــادا

جمـــالَ الـــدين يـــا رُوحـــاً عَليّـــاً ... تنـــزَّلَ بالرســـالة ثـــمَّ عـــادا

تجشَّـــمتَ المهالـــكَ في عَســـوفٍ ... تجشَّـــمهُ ســـواك فـــما اســـتَقادا

طَريـقِ الخالــدينَ.. فمَـنْ تَحـامى ... مصـــايرَهُمْ تَحامـــاه وحـــادا

كثيرِ الرُّعْـبِ بالأشـلاء.. غطَّـتْ ... مَغـــاورَهُ الجماجِـــمُ والوِهـــادا

جمـــاجِمُ رائـــدي شَرَفٍ وحـــقٍّ ... تهـــاوَوا في مَجاهلـــهِ ارتيـــادا

وأشـــباحُ الضـــحايا في طـــواهُ ... عـــلى الســـارينَ تحتشِـــد احتشـــادا

وفـــوقَ طُروســه خُطّـتْ سُـطورٌ ... دمُ الأحـــرار كـــان لهـــا مِـــدادا

شـــقَقْتَ فِجاجَـــهُ لم تخْـشَ تَيْهـاً ... ومَذْئَبـــةً ولـــيلاً وانُفـــرادا

لأنّـــكَ حامـــلٌ مـــا لا يـــوازي ... بقوّتـــهِ ا ‑ ـــدةَ والفـــؤادا

وتختلـــفُ الـــدُروبُ وســـالكوها ... وغايتهـــا.. دُنـــوّاً وابتعـــادا

ويختلـــفُ البُنـــاةُ ورُبَّ بـــانٍ ... بَنـــى مِـــن فِكـــرةٍ صَرْحـــاً وشـــادا

وأنـــت ازْدَدْتَ مـــن سُـــمٍّ زعـــافٍ ... تَذَوَّقـــهُ سَـــواك فـــما اســـتزادا

نضـــالِ المســـتبدَّ يـــرى انكشـــافاً ... عَمايتـــه.. وعثرتـــه سَـــدادا

إذا اســـتحلىَ غَوايتَـــه وأصـــغى ... إلى المتـــزلفِينَ لـــه تمـــادى

خَشِـــيتَ اللهَ عـــن علـــمٍ وحـــقٍّ ... إذا لم تَخـــشَ في الحـــقّ العبـــادا

وجَـــدْتَ اللـــذَّةَ الكُـــبرى فكانـــت ... طريـــفَ الفِكـــرِ والهِمـــمِ الـــتِلادا

وأعصـــاباً تشُـــدُّ عـــلى الرَّزايـــا ... إذا طاشَـــتْ وتغلبُهـــا اتئـــادا

ولَـــمَّا كنـــتَ كـــالفجرِ انبلاجـــاً ... وكالعنقـــاء تكـــبرُ أنْ تُصـــادا

مَشَـــيْتَ بقلـــبِ ذي لبـــدٍ هَصـــورٍ ... تُعانـــدُ مـــن تريـــدُ لـــه العِنـــادا

صليبَ العُودِ لم يَغمزْكَ خَوفٌ ... ولم تَسهُلْ على التَرفِ انعقادا
ولم تَنزِلْ على أهواء طاغٍ ... ولا عمّا تريدُ لِما أرادا
ولم تجد الأماني والمنايا ... مبررةٌ عن الحق ارتدادا
ولم أرَ في الرجالِ كمُستَمِدٍّ ... من الحقِّ اعتزازاً واعتدادا
وكان مُعسكرانِ الظُلمُ يَطغى ... ومظلومٌ فلم تقفِ الحِيادا
ولم تحتجَّ أنَّ البَغْيَ جيشٌ ... وأنَّ الزاحفينَ له فرادي
ولا أنَّ الليالِيَ محرِجاتٌ ... وأنَّ الدَّهر خصمٌ لا يُعادى
و أنَّ الأمرَ مرهونٌ بوقتٍ ... ينادي حينَ يأْزَفُ لا ينادى
مَعاذيرٌ بها ادَّرَعَتْ نفوسٌ ... ضعافٌ ترهبُ الكُرَبَ الشِّدادا
تُريدُ المجدَ مرتميا عليها ... جَنيّ غَضّاً تلَقَّفُهُ ازدِرادا
جمالَ الدينِ كنتَ وكانَ شَرقٌ ... وكانتْ شِرعةٌ تَهَبُ الجْهادا
وكانت جنّةٌ في ظِلِّ سيفٍ . ... حَمَى الفردُ الذِمارَ به وذادا
وإيمانٌ يقودُ الناسَ طَوعاً ... إلى الغَمراتِ فتوى واجتهادا
وناسٌ لا الحضارةُ دنَسَتْهُمْ ... ولا طالوا مع الطَمعِ امتِدادا
وكانت « عُروةٌ وُثقى » تُزَجّى ... لمنقَسِمينَ حُباً واتحادا
ونيّةُ ساسةٍ بَسُطَتْ فبانت ... ووجْهُ سياسةٍ جلّى وكادا
وحُكْمٌ كالدَّجى عُريانُ صافٍ ... فلم يُنْكرْ إذا انتَسبَ السَّوادا
ولم يدخِلْ من الألوانِ ظّلاً ... يلوذُ به انتقاصاً وازْديادا
دَجا قسْراً وسادَ وكان شَهماً ... صريحاً أنّه بالرُّغمِ سادا
وجِئتَ ورُفقةٌ لك كالدَّراري ... لِضُلاّلٍ بغَيهَبِه رشادا

تَمُـدُّ عُبابَـهُ وجهـاً لوجـهٍ ... وتَزْحَمُـهُ انعكاسـاً وَاطّـرادا
جمالَ الدينِ كنتَ وكانَ عهدٌ ... سُقيتَ لما صمدْتَ لـه العِهادا
نَـما واشـتطَّ واشـتدَّتْ عُـراه ... وزادَ الصامدونَ لـهُ اشتدادا
مشَتْ خمسونَ بعدَك مرْخياتٍ ... أعِنَّتَهـا هجانـاً لا جيـادا
محَّملـةً وسُـوقاً مـن فُجـورٍ ... وشـامخةً كمُحصَنـةٍ تهـادى
تحـوَّرَتِ السياسـةُ عـن مَداها ... إلى أنـأى مـدىً وأقـلَّ زادا
وبـاتَ الشرق ليلَتـه سَـليماً ... عـلى حـالينِ مـا اختَلَفـا مُفـادا
عـلى حُكْمين مـن شَفعٍ وَوتْـرٍ ... عُصـارةُ كـلِّ ذلـك أنْ يسـادا
ولُطِّفَـتِ الإبـادةُ.. فهـو حـرٌّ ... بـأيٍّ يـدٍ يفضّـلُ أنْ يبـادا
ومُـدَّتْ إصْبعٌ لذويـهِ فيـهِ ... فعاثَـتْ فـوقَ مـا عـاثوا فسـادا
فكَمْ في الشَّرقِ مـن بَلـدٍ جريحٍ ... تشَـكّى لا الجروحَ بـلِ الضِّمادا
تشَـكّى بَغـيَ مقتـادٍ بغـيضٍ ... تـأبّى أنْ يطاوعَـه انقيـادا
فكانـتْ حِيلَـةٌ أنْ يَمْتَطيـهِ ... رضـيعُ لبانـه فبغـى وزادا
صـدىً للأجنبـيّ ورُبَّ قَفْـرٍ ... أعـادَ صـدىً فسُرَّ بـما أعـادا
وكـان أجـلَّ مـن زُمـرٍ إذا مـا ... تجّنـى المسـتَبيحُ بهـا تفـادى
فكـانوا منـه في العَـوْراتِ سِـتراً ... وكـانوا فـوق جمرتـهِ رمـادا
تـروَّى مـن مطامعـهِ وأبقـى ... لهـم مـن سـؤر مـا وَرَدَ الـثِمادا
وكـان إذا تهضَّـمهُ غريـبٌ ... أقـامَ لـه القيامـةَ والمعـادا
فأسـلَمَهُ الغريـبُ إلى قَريـبٌ ... يسَـخِّرُهُ كـما شـاءَ اضـطهادا
وكـان الأجنبـيُّ وقـد تَـولَّى ... زمـام الأمـر واغتصـبَ الـبلادا
يـرى أدنـى الحُقـوقِ لهـمْ عليـه ... مُسـاغَ النقـد والكلـم المُعـادا

فأضحوا يحسبونَ النقد فتحاً ... لو اسطاعُوا لِما يَصمُ انتِقادا
فبئسَ مُنىً لمصفودٍ ذليلٍ ... لَوَ أنَّ يديه لم تضَعا الصِفادا
وبئسْ مصيرُ مُفترشينَ جمراً ... تَمَنّيهم لو افترَشوا القَتادا
وكانوا كالزُّروعِ شكَتْ مُحُولاً ... فلمّا استمْطرتْ مُطِرَتْ جرادا

***

يافا الجميلة

يا « يافا » يومَ حُطَّ بها الركابُ ... تمطَّرَ عارِضٌ ودجا سَحابُ
ولفَّ الغادةَ الحسناءَ ليلٌ ... مُريبُ الخطوِ ليسَ به شهاب
وأوسعَها الرَذاذُ السَحُّ لَثْماً ... فَفيها مِنْ تحرُّشِهِ اضطِراب
و« يافا » والغُيومُ تَطوفُ فيها ... كحالمةٍ يُجلّلُها اكتئاب
وعاريةُ المحاسنِ مُغرياتٍ ... بكفِّ الغَيمِ خِيطَ لها ثياب
كأنَّ الجوَّ بينَ الشمسِ تُزْهَى ... وبينَ الشمسِ غطّاها نِقاب
فؤادٌ عامرُ الإيمانِ هاجَتْ ... وساوِسُه فخامَرَهُ ارتياب
وقفتُ موزِّعَ النظَراتِ فيها ... لِطَرفي في مغَانيها انْسياب
وموجُ البحرِ يَغسِلُ أخْمَصَيْها ... وبالأنواءِ تغتسِلُ القِباب
وبياراتها ضَربَتْ نِطاقاً ... يُخطِّطُها كما رُسِمَ الكتاب
فقلتُ وقد أُخذتُ بسِحرِ يافا ... وأترابٍ ليافا تستطاب
« فلسطينٌ » ونعمَ الأمُ.. هذي ... بَناتُكِ كلُّها خَوْدٌ كعاب
أقَلّتني من الزوراءِ رِيحٌ ... إلى « يافا » وحلّقَ بي عُقاب
فيالكَ « طائراً مرحاً عليه ... طيورُ الجوِّ من حَنَقٍ غِضاب

كأنَّ الشوقَ يدفعهُ فيذكي | جوانحَهِ من النجم اقتراب
ركبناهُ ليُبلِغنا سحاباً | فجاوزَه ليبلُغَنا السّحاب
أرانا كيف يهفو النجمُ حُبّاً | وكيفَ يُغازِلُ الشمسَ الّضَباب
وكيفَ الجوُّ يرقِصُهُ سَناها | إذا خطرتْ ويسكِره اللُّعاب
فما هيَ غيرُ خاطرةٍ وأُخرى | وإلاّ وَثبةٌ ثمَّ انصِباب
وإلاّ غفوةٌ مسّتْ جفوناً | بأجوازِ السماءِ لها انجِذاب
وإلاّ صحوةٌ حتّى تمطَّتْ | قوادِمُها كما انتفضَ الغُراب
ولّما طبّقَ الأرَجُ الثنايا | وفُتِّح مِنْ جِنانِ الخُلدِ باب
ولاحَ « اللدُّ » مُنبسِطاً عليهِ | من الزَهَراتِ يانِعةً خِضاب
نظْرتُ بمُقلةٍ غطّى عليها | من الدمعِ الضليلِ بها حِجاب
وقلتُ وما أُحيرُ سوى عِتابِ | ولستُ بعارفٍ لِمنِ العتاب
أحقّاً بيننا اختلفتْ حُدودٌ | وما اختَلفَ الطريقُ ولا التراب
ولا افترقتْ وجوهٌ عن وجوهٍ | ولا الضّادُ الفصيحُ ولا الكِتاب
فيا داري إذا ضاقت ديارٌ | ويا صَحبيْ إذا قلَّ الصِحاب
ويا مُتسابقِينَ إلى احتِضاني | شَفيعي عِندَهم أدبٌ لُباب
ويا غُرَّ السجايا لم يَمُنُّوا | بما لَطُفوا عليَّ ولم يُحابوا
ثِقوا أنا توَحَّدُنا همومٌ | مُشارِكةٌ ويجمعُنا مصاب
تَشِعُّ كريمةً في كلِ طَرفٍ | عراقيٍّ طيوفكم العذاب
وسائلةٌ دَماً في كلِّ قلبٍ | عراقيٍّ جروحكم الرِغاب
يُزَكينا من الماضي تُراثٌ | وفي مُستَقْبلٍ جَذِلٍ نِصاب
قَوافِيَّ التي ذوَّبتُ قامتْ | بِعُذري إنها قلبٌ مذاب

وما ضاقَ القريضُ به ستمحو عـوائرَهُ صـدورُكم الرّحـاب
لـئنْ حـمَّ الـوَداعُ فضِـقتُ ذَرعـاً بـه.. واشـتفَّ مُهجتـيَ الـذَّهاب
فمـنْ أهـلي إلى أهـلي رجـوعٌ وعـنْ وطَنـي إلى وطنـي إيـاب

***

ألقت مراسيها الخطوب

أَلْقَـتْ مراسـيَها الخُطـوبُ وتَبَسَّـمَ الـزمنُ القطـوبُ
وانجـاب عـن صُـبحِ رضيٍّ ذلـك الليـلُ الغَضـوب
وادّال مِـنْ صـدَأِ الحديـد علـى الثـرّى أرَجٌ وطِيـب
ومشـى ربيـعٌ للسَّـلام بـه تفتحـتِ القلـوب
وتطـامن الألمُ الحبـيسُ وأفـرخَ الأمـلُ الرحيـب
فجـرٌ صـدوق ربَّ حـربٍ رِبحهـا فجـرٌ كـذوب
الآنَ يَقبَـعُ في مهانَتـهِ لتنـتفضَ الشـعوب
وَحـشٌ تقلمـتِ المخالـبُ منـه واختفـتِ النيـوب
مشـتِ القصـيدة للقصـيدَةِ يصرعُ الكسِـلَ الـدؤوب
وتلمـس الـدّرنَ الحكـيمُ وشـخّصَ الـداءَ الطبيـب
وتلاقـتِ الأجيـالُ في جيـلٍ هـو النّغَمُ الرتيـب
جيـلٌ توضـحت المعـالمُ مِنْـهُ وانجلـتِ الغُيـوب
وجـرتْ علـى خـير المقـاييس المحاسـنُ والعيـوب
فالمسـتظامُ « المسـتغَلُّ هـو الحسـيب هـو النسـيب
والمسـتقيمُ هـو المحكّـمُ والصريـحُ هـو اللبيـب

والمنطوي كبتاً يشد ... على الضميرِ هو المريب
ومنزّهُ الآراءِ عن ... تأويلِهنّ هو الصليب
والمكتوي بلواذع الألم ... العميقِ هو الأديب
ربّى القرونَ بكلّ حجرٍ ... طيّبٍ نعمَ الربيب
شابتْ مفارقهمُّ وأزمَنَ ... لا يهِمُّ ولا يشيب
أيام « رسطاليس » كانَ ... بُعَيدَ مولدِهِ يهيب
والسمُّ إذ « سقراطُ » يَجْرَعُهُ ... ويحلِفُ لا يتوب
إذ قال للملأ العظيم ... وكأسُهُ فيها شبوب
إني أكولٌ للحِمام ... على مرارتهِ شَروب
أهلاً فإنكِ لا تُخيفين ... العقيدةَ يا شعوب
وخيال «أفلاطون» والجُمْهور ... والحكمُ الأريب
ما عابه أن ضيم فيه « الرقُ » ... وامتهِنَ الجليب
إن العقولَ تكاملٌ ... من يُخطِ ينفعْ من يصيب
وتبارت الأجيال تنجح ... بالرسالة أو تخيب
عصرٌ خصيبٌ بالكفاح ... وآخرٌ منهُ جديب
شرِقٌ بأعوادِ المشانِقِ ... أو بمذبحةٍ خصيب
يجري النعيمُ به وتَزْدحِمُ ... العظائمُ والكُروب
بإزاء وَجْهٍ ناضرٍ ... ألفٌ تلوحّه السّهوب
ومواكبُ الأحرار في ... صَخَبِ الطُّغاةِ لها دبيب
وعواصفُ الظلم الفظيع ... لها رُكودٌ أو هبوب
ومَعينُ فكرٍ في مَعينِ ... دمٍ يصبّ ولا نضوب

ومشرّدون علــــى المبــــادئ | حُقـــروا فيهـــا وعِيبـــوا
سُـــدَّتْ مســـالِكُهُمْ فـــما | ضـاقتْ بمـذهبِهمْ ثقـوب
ضـــمنَ النعـــيمَ إنابـــةٌ | وأبــى التحــررُ أن يُنيبــوا
يتلقّـــفُ الأضـــواء نجْـــمٌ | شـعَّ مــن نجـمٍ يغيــب
« فـــأبو العـــلاء » عـــلى | نـواميسٍ مهــرّأةٍ كئيــب
ويهـــين « فـــولتير » النظـــام | وبـــالمشرع يســـتريب
وتعهـــد « الأوبـــاشَ » – زولا | – فانجلى « الوحشُ » النجيب
فـــإذا بـــه غـــير المـــواربِ | حـين يكْثُـرُ مـن يـروب
وإذا بـــه وهـــو الكريـــب | يُثـيرُ نخوَتـــهُ الكريــب
وإذا بأشـــتاتِ الطُيـــوبِ | يلمُّهـــا هـــذا الجنيـــب
هـــذا المُهـــان لأنـــهُ | مـن نعمـةٍ خـاوٍ سـليب
ولأنَّ مشربـــه حثـــالاتٌ | ومطعمـــهُ جشـــيب
ولأنّـــه ذو معصـــم | لم يزهـــهِ الحلـــقُ الـــذهيب
ولأنـــه في الأكثـــرينَ | الجـــائعينَ لـــه ضروب
ولأنـــه بـــين « الصـــدورِ » | المجـــرمينَ هـــو الكُعـــوب
جيـــل تعـــاوَره الطلـــوعُ | بـــما يُـــبشّرُ والغـــروب
يطفـــو ويُحُجبـــهُ إلى أمـــدٍ | مـــن البغـــي الرســـوب
حتـــى تلقّفـــهُ « لينـــينُ » | وصـــنوُهُ البطـــلُ المَهيـــب
والعـــاكفون عليـــه أمّـــاتٌ | وشـــبانٌ.. وشـــيب
فـــإذا بـــه عبـــلُ الســـواعِدِ | لا يزاحمـــهُ ضريـــب

تعنـــو لــــه الجّـــلى ويـــقصر　　عنـــده اليـــومُ العصـــيب
بالشـــعب تدعَمـــهُ الجيـــوشُ　　وتـــدعمُ الجـيشَ الشُّـعوب
والرايـــةُ « الحمـــراءُ » تحـــتَ　　ظلالهِـــا تمشـــى القلـــوب
قـالوا « السـلام » فـراح يستبقُ　　البعيـــدَ بـــه القريـــب
ودَعْـــوا.. فخـــف مجـــاوبٌ　　وثـــوى صريـــعٌ لا يجيـــب
وتوثـــب العـــاني وأعـــوزَ　　مُثخنـــاً فيـــه الوثـــوب
طـــرح الأســـيرُ قيـــودَهُ　　وهفـــا لموطنـــه الغريـــب
وتعطّـــرتْ بشـــذا اللقـــاءِ　　ونفحـــةِ اللقيـــا دُروب
في كـــلِّ بيـــتٍ بســـمةٌ　　كـــدراءُ أو دَمـــعٌ مشـــوب
غلـــب ابتســـامَ الآيبـــين　　بكـــاؤهم مـــن لا يـــؤوب
رفَّـــت عـــلى أعشاشـــها　　أرواحُ هائمـــةٍ تلـــوب
ذُعـــرٌ تخطفهـــا الفـــراق　　ومسَّـــهاً منـــه لغـــوب
ومشـــى مـــن «القـــبر» الرهيـــب　　خيـــالُ محـــتربٍ يجـــوب
غطّـــى معالَمـــهُ شـــجاً　　وتـــوحّشٌ ودمٌ صـــبيب
أصـــغى فألهَـــبَ ســـمعَه　　مـن « هامـة » الجدَثِ النعيب
وتمطـــتِ الأنقـــاضُ عـــن　　وجـــهٍ يؤملُـــهُ حبيـــب
عـــن ســـاعدٍ ألـــوى عـــلى　　جيـدٍ كـما اختلـف الصّـليب
وفـــمٍ مراشِـــفه للـــثم　　أليفهـــا شـــوقاً تـــذوب
وضـــمائرُ « الأجـــداث » تشـــكو　　مـــا جنـــى البشرُ العجيـــب
ورمـــائمُ الأنقـــاضِ ممـــا　　اســـتوعبت فيهـــا شـــحوب
والنـــار تحلـــف .. مـــن حصـــيد　　لهيبهـــا ذُعـــرَ اللهيـــب

والحـــوتُ يَضْـــمنُ رزقـــه ... بحـــرٌ بهـــا فيـــه خصـــيب
للـــوحشِ مأدبـــةٌ عليهـــا ... مـــا يَلـــذُّ ومـــا يَطيـــب
وكـــواسر العِقبـــانِ يزهيهـــا ... مـــن الجثـــث النصـــيب
مـــاذا تريـــد حواصـــل ... مـــلأى ومنقـــارٌ خضـــيب
والـــدود يســـأل مقلـــةً ... تـــدمى وجمجمـــة تخـــوب
هـــذي المطـــاعم أيُّ طـــاهٍ ... شـــاءها أهـــي الحـــروب
مـــن مُبْلـــغُ الثّـــاوينَ تُعـــوِلُ ... عنـــدهم ريـــحٌ جَنـــوب
والمفـــــردَين علـــــيهم ... مـــن كـــلِّ والفـــةٍ رقيـــب
والطفـــلُ يســـأل مـــن أبيـــه ... أهكـــذا يَلـــجُ المشـــيب
والكاعـــبُ الحســـناءُ جـــفَّ ... بنحرِهـــا نَفـــسٌ رطيـــب
واســـتنزَفَ الحِلـــمَ الرغيـــبَ ... بصـــدرها جُـــرحٌ رغيـــب
إنَّ الريـــــاشَ المســـــتجدّ ... لكُـــمْ تَـــنمُّ بـــه الطيـــوب
والبيـــتَ يُنعشـــه رنـــينٌ ... العـــودِ والطفـــلُ اللَعـــوب
والـــدهرُ لم يـــبرح عليـــه مـــن ... الّصـــبا ثـــوبٌ قشـــيب
والأرض يرقصـــــها الشروقُ ... كـــما عهـــدتم والغـــروب
وعـــلى الربيـــعِ غضـــارة ... وعـــلى الأراكـــةِ عنـــدليب
والشـــمس يســـترُ وجهَهـــا ... بـــالغيم يُمْسِـــكُ أوْ يصـــوب
والخافقـــاتُ العاطفـــاتُ ... بكـــم يُعِـــذّبُها الوجيـــب
ألقـــتْ مراسِـــيها الخطـــوب ... وتبســـمَّ الـــزمن القَطـــوب

****

طرطرة

أيْ طرطــــرا تطرطــــري		تقـــــدَّمي تـــــأخَّري
تَشـــــيَّعي تســــنَّني		تَهـــــوَّدي تَـــــنصَّري
تكــــــرَّدي تَعـــــرَّبي		تهـــــاتري بـــــالعُنصرِ
تَعمَّمـــــــي تَبَرنطــــــي		تعقَّــــــلي تســـــدَّري
كـــوني إذا رُمـــتِ العُـــلى		مـــن قُبُـــلٍ أو دُبُـــر
صـــالحةً كصـــالح		عـــامرةً كـــالعُمري
وأنـــــتِ إنْ لم تَجِــــدي		أبــــاً حميــــدَ الأثَـــر
ومفَخَــــراً مــــن الجُــــدودِ		طيِّــــب المُنحـــــدرَ
ولم تَـــرَ في الـــنَّفْس		مـــا يُغنيـــكِ أن تفتخـــرى
شـــأنُ عصـــام قـــد كفَتْـــه		الـــنفسُ شَرَّ مفْخَـــر
فـــالتَمِسي أبـــاً سِـــواهُ		أشِراً ذا بَطَــــــــــــر
طُـــوفي عـــلى الأعـــرابِ		مـــن بـــادٍ ومـــن محـــتَضِر
والـــتَمِسي مـــنهم جـــدوداً		جُـــــــــــدُداً وزَوِّري
تزَّيــــــدي تزبّــــــدي		تعنّـــــزي تَشـــمَّري
في زَمَـــنِ الـــذَرِّ إلى		بَـــــداوةٍ تَقَهْقَـــــري
تَقَلَّبـــي تَقَلّـــبَ الـــدهرِ		بشـــــتّى الغِـــــيَر
تصرَّفي كـــما تشـــائيِنَ		ولا تعتَـــــــــــذري
لمـــن أللنـــاسِ وهـــم		حُثالـــــةٌ في سَـــــقَر
عبيـــدُ أُجـــدادِكِ مـــن رِقٍّ		ومـــــن مُســـــتَأجَر

أمْ للقـــــوانين ومـــــا جـــاءَتْ بغَـــير الهَـــذَر
تـــأمرُ بـــالمعروف والمنكَـــر فـــــوقَ المِنــــــبَر
شيء أبـــى المعـــروفِ في شـــــويٍّ أمِّ المنكـــــر
أمْ للضـــميرِ والضـــميرُ صُـــنعُ هـــذا الـــبَشَر
تَعِلَّـــــــةٌ لصـــــائم فَطــــــيرةٌ لُمفطِــــــر
لمـــــن ألتلتـــــاريخ وهـــو وفي يَـــدِ المُحَـــبِّر
مُســـخَّرٌ طَـــوْعَ بنـــانِ الحـــاكم المُســـتَحِر
بـــدَرْهَمِ تُقَلّـــبُ الحـــالَ يَـــــدُ المُحـــــرِّر
قـــد تَقـــرأُ الاجيـــالَ في دُفَـــةِ هـــذا المـــحضَر
عـــن مِثـــلِ هـــذا الـعَصْر أن قـــد كـــان زيـــنَ الأعصُر
وأنّـــــه مـــــن ذَهَـــــب وأنّـــــه مـــــن جَـــــوهر
أم للمقـــاييس اقتضـــاهنَّ اخـــــتلافُ النَظَـــــر
إنَّ أخَـــــا طَرْطَـــــرَ مـــن كـــلِّ المقـــاييس بَـــري
أي طرطـــرا إن كـــانَ شَـــعبٌ أو خُلـــــقٌ عَـــــري
أو أجْمَـــعَ الســـتُ الملايـــينُ عـــــلى التـــــذمُّر
أو حَكـــمَ النســـاءُ حُكـــم الغاصـــبِ المقتَـــدِر
أو صـــاحَ نَهبـــاً بـــالبلاد بـــــائعٌ ومشـــــتري
أونُفِّـــذَ المرســـومُ في محـــابرٍ وأســـطر
أو أُخِـــذَ الـــبريءُ بـــالمجرِم أخــــــذَ طرطـــــري
أو دُفِـــعَ العـــراقُ للـــذلِّ أو التـــدهورِ

فاحتكمي تحكَّمي ... وتُحَمَّدي وتؤجَري

أي طرطرا تطرطري ... وهلِّلي وكَبّري

وطَبِّلي لكلِّ ما ... يُخزي الفَتَى وزمِّري

وسَبِّحي بحمدِ مأمونٍ ... وشكرِ أبتَرَ

أعطي سماتِ فارعٍ ... شَمَردَلٍ لبُحتر

واغتَصِبي لضِفدِعٍ ... سماتِ ليثٍ قَسْور

وعَطِّرِّي قاذورةً ... وبالمديح بَخِّرِّي

وصيرِّي من جُعَلٍ ... حديقةً من زَهَر

وشَبِّهي الظلامَ ظُلماً ... بالصَباح المُسفِر

وألبسي الغبيَّ والأحمقَ ... ثوبَ عبقري

وأُفرِغي على المخانيثِ ... دُروع عنتر

إن قيلَ إنَّ مَجدَهمُ ... مزيَّفٌ فأنكِري

أو قيلَ إن بطشَهم ... من بَطْشة المستِعمر

وأنَّ هذا المستعيرَ ... صولةَ الغَضَنفرَ

أهونُ من ذبابةٍ ... في مستحَمٍّ قَذِر

فهي تطير حُرّةً ... جَناحُها لم يُعَر

وذاكَ لو لم يستعِرْ ... جناحَه لم يطر

فغالِطي وكابري ... وحَوِّري وزوِّري

أي طرطرا سِيري على ... نَهجِهِمُ والأثر

واستَقْبلي يومَك من ... يومهمُ واستدبِري

واجمِعي أمرَكِ من ... أمرِهِمُ تَستكثِري

كُوني بُغاثاً وأسلَمي … بالنفسِ ثم استَنْسِري
إنْ طوَّلوُا فطَوِّلي … أو قصَّروا فقصِّري
أو أجَرمُوا فاعتذري … أو أنذروا فبشِّري
أو خَبَطوا عشوا فقُولي … أيُّ نجمِ نَيِّرِ
أو ظَلَموا فابرزي … الظُلْمْ بأبهَى الصُوَر
شَلَّتْ يَدُ المظلوم … لم يَجْن ولم يُعَزِّر
أو صَنَعوا ما لم … يبرَّزْ منطقٌ فبرِّري
أي طرطرا لا تنكري … ذَنْباً ولا تَسْتَغفِري
ولا تُغطِّي سوءةً … بانت ولا تَتَّزري
ولا تغُضيِّ الطرفَ عن … فَرط الحيا والخَفر
كُوني على شاكلةِ … من أمرهم تُؤَمَّري
كُوني على شاكلةِ … الوزيرِ بادي الخَطَر
أيْ طرطرا كُوني … على تاريخِك المحتُقَر
أحَرصَ من صاحبة … النِحيْين أن تذكَّري
طّولي على كِسرى … ولا تُعَني بتاج قَيصر
كوني على مافيك … من مساوئِ لم تُحصَرِ
كوني على الأضداد في … تكوينك المُبعثرِ
شامخةً شموخَ قَرن … الثورَ بين البَقرِ
أيْ طرطرا أُقسم … بالسويكةِ المشهَّر
والخَرزِ المعَقود في … البطن فوَيق المشعر

بوجهـــــكِ المعتكـــــر وثَغِـــــرك المنـــــوَّرِ
وعينِـــك الحمـــراءِ ترمِـــي حاســـداً بـــالشَّررَ
وصـــنوك الثـــور يُثـــار غيظُـــه بـــالأحمر
أقســـم بالكـــافور لا أقصِـــدُ شَـــتم العَنْـــبر
فـــوقَ جميـــع البـــشَرَ فـــوق القضَـــا والقَـــدرَ
أي طَرطـــرا يالَـــك مِـــن قُـــبرَّة بمَعَمـــــر
خـــلا لـــكِ الجـــوُّ وقـــد طـــاب فبـــيضي واصـــفِري
ونقِّـــري مـــن بَعـــدِهم مـــا شـــئت أن تُنَقِّـــري
قـــد غَفَـــل الصـــيّادُ في لنـــدنَ عنـــك فـــأبشِري

إليها

تَهَضَّـــمَني قـــدُّكِ الأهيـــفُ وألهَبَنـــي حُســـنك المُـــترَفُ
وضـــايَقَني أنَّ ذاك المِشَـــدَ يضـــيقُ بـــه خَصرُكَ المُرهَـــف
وقـــد جُـــنَّ وركُـــكِ مـــن غَيظِـــه سَـــمينٌ يُناهِضُـــه أعجَـــف
فـــداءً لعَينَيـــك كـــلُّ العيـــون أخـــالَط جفنـــيهِما قَرْقـــفَ
كـــأني أرى القُبـــلَ العابثـــاتِ مـــن بـــينِ مـــوقَيهِما تَنْطِـــف
ورعشـــةَ أهـــدابك المـــثقلاتِ علـــى فـــرْط مـــا حُمِّلـــت تَحْلـــف
كما الليلُ صَبَّ السَوادَ المُخيفَ صَـــبَّ الهـــوى شـــعرُك الأغـــدَف
تَلَبّـــدَ مثـــلَ ظَليـــلِ الغـــمام وراحـــتْ بـــه غُمـــمٌ تُكْشَـــف
أطـــار الغـــرورَ نثـــيرُ الجـــديلِ عـــلى دَورة البـــدر إذ يُعقـــفَ
وراحَ الحُـــلُي عـــلى المِعصـــمَين بأعـــذبَ ألحانـــه يعـــزِف

وأوشكَ هذا النسيجُ اللصيقُ ... بنَهديك من فرْحةٍ يهتف
وكاد يُذيعُ حديث الجنانِ ... وأسرارَ كوثرِه المُطرّف
مُنى النفسِ إنَّ المنى ترتمي ... على قَدَمَيكِ وتَستَعطِف
وطوعَ يَدَيك كما تَشْتَهين ... حياةٌ تجَدَّدُ أو تتْلف
مُنى النفسِ إنّ على وَجنَتيكِ ... من رَغبةٍ ظُللاً تزحف
تَعالي نَصنْ مقلةً يرتمي ... بها شَرَرٌ وفماً يَرجِف
ونُطاقْ من الأسر رُوحاً ... تجيشُ في قفصٍ من دمٍ ترسِف
تعالي أُذقكِ فكلُّ الثمار ... تَرفٌّ ونوارُها يقطَف
صِراعٌ يطولُ فكمْ تهدفين ... إلى الروح مني وكم أهدِف
إلى الجسم مِنكِ وكم تَعرِفين ... أين المَحزُّ وكم أعرِف
وما بينَ هذينِ يمشي الزمانُ ... ويُفنى مُلوكاً ويستخلف
أميلي بصدركِ نَبعَ الحياةِ ... وخلّي فماً ظامئاً يرشَف
وميطي الرداء عن البُرعُمَينِ ... يَفضْ عَسلٌ منهما يرعُف
ومُرِّي بكفي تَشُقُّ الطريقَ ... لعاصفةٍ بهما تعصِف
أميلي فيَنبوعُ هذا الجمالِ ... إلى أمدٍ ثم يُستَنزَف
وهذا الشبابُ الطليقُ العنان ... سيُكْبحُ منه ويُستوقف
أميلي فسيفُ غدٍ مُصلَتٌ ... علينا وسمعُ القَضا مرهَف
عِدي ثمَّ لا تُخلِفي فالحمام ... صُنوك في العنفِ لا يُخلف
خَبَرتُ العنيفَ من الطارئات ... ما يَستميلُ وما يقصِف
وذُقتُ من الغيدِ شرَّ السُموم ... طعْماً يميتُ ويُستَلطَف

وخضــتُ مــن الحــبِّ لُجِّيــه   عــلى مــتن جنيــة أُقــذَف
فـلا والهـوى مـا اسـتَفزَّ الفـؤادَ   ألطــفُ منــكِ ولا أعنــف

***

ذكرى وعد بلفور

خــذَي مَسـعاكِ مُثخنـةَ الجِـراحِ   ونــامي فــوقَ داميــةِ الصِــفاحِ
ومُــدِّي بــالمماتِ إلى حيــاةٍ   تسَرُّ وبالعَنــاءِ إلى ارتيــاح
وقــرّي فــوقَ جَمــرِكِ أو تُــرَدِّي   مــن العُقبــى إلى أمــرٍ صُراح
وقُـولي قـد صَـبْرتُ عـلى اغتبـاقٍ   فـماذا لـو صَـبرتُ عـلى اصـطباح
فــإنَّ أمــرَّ مــا أدْمــى كِفاحــاً   طُعــونُ الخــائِفينَ مــن النجــاح
فكُــوني في ســماحِكِ بالضــحايا   كعهـدكِ في سـماحِكِ بالأضـاحي
فــإن الحــقَّ يقطُــرُ جانبــاه   دَمــاً.. صِــنوُ المــروءةِ والســماح
وتــأريخُ الشُــعوبِ إذا تبَنّــى   دمَ الأحــرارِ لا يمحــوهُ مــاحي
فِلَسْــطينٌ سَــلامُ الله يَسري   عــلى تلــك المشــارِفِ والبطــاح
رأيتـكِ مِـن خِـلال الفَجـرِ يُلقـي   عــلى خُضر الرُّبـى أحـلى وِشـاح
أطَــلَّ الــنَسرُ مُنتصِــباً عليــهِ   فهـبَّ الـديكُ يُنـذِرُ بالصـياح
يــؤوبُ الليــلُ منــه إلى جَنــاحٍ   وتبـدو الشـمسُ منـه عـلى جَناح
وعَـينُ الفجـرِ تَـذري الـدمعَ طَـلاًّ   وتَمسَــحُه بمنــديل الصــباح
وأنفــاسُ المــروج معطَّــراتٌ   بأنفــاسِ الرُعــاة إلى المــراح
لَمسـتُ الـوحيَ في لحْـنِ المثـاني   وشِـمتُ الحـزنَ في وقْـعِ المسـاحي
وغَنَّــى أُورْشَــليمَ يُعيــدُ لحنــاً   لــداود هــزارٌ بالصّــداح

وحـولي مـن شـبابِكِ أيُّ روضٍ ... يـنمُّ حديثـه بشـذا الأقـاح
وألطـافٍ كأنفُسـهم عِـذابٍ ... وأسـمارٍ.. كـأوجُهِهمْ صِـباح
سـلاماً للعُكُـوفِ عـلى التياحي ... وشـوقاً للظِـماء إلى ارتيـاحي
وحُزنـاً أنْ يجُـرَّ الـدهرُ حزنـاً ... عـلى تلـك الغَطارفـةِ الوضـاح
أأمَّ القـدْسِ والتـاريخُ دامٍ ... ويومُـكِ مثـلُ أمسِـكِ في الكفـاح
ومُهـدُكِ وهـو مهـبِطُ كـلِّ وحـيٍ ... كنعشـكِ وهـو مُشـتَجرُ الرِمـاح
و«وادي التِيَهِ » إنْ لم يأوِ «موسى» ... فقد آوى الصليب على «صلاح»
وذكرى « بختَ نُصَّر » في الفيافي ... يُجَـدِّدُها « اِلنبـي» في الضـواحي
فـلا تَتَخبَّطـى فالليـلُ داجٍ ... وإنْ لم يَبـقَ بـدٌّ مـن صـباح
شَدَدْتِ عرى نِطاقِكِ فاستمِري ... ولا يثقـلْ عليـكِ فتسـتباحي
ولا تُغْنـيْ بنـا إنـا بُكـاةٌ ... نَمـدُّكِ بالعويـل وبالصـياح
ولا تُغْنـيْ بِنـا فالفِعـلُ جَـوٌّ ... مَغِـيمٌ عِنـدَنا والقـولُ صـاح
ولـن تَجِـدي كإيانـا نصـيراً ... يَـدُقُّ مـن الأسـى راحـاً بـراح
ولا قومـاً يـرُدُّون الـدّواهي ... وقـد خَرِسـتْ بألسْـنةٍ فصـاح
أعِيْـذُكِ مـن مَصـيرٍ نحـنُ فيـه ... لقـد عُـوِّذتِ مـن أَجَـلٍ متـاح
ووضـعِ أمـسِ كُلهـمُ لـواهِ ... بـه واليـوم كلُهـم لـواحي
تَنَصـلَ منـه زُوراً صـانِعوهُ ... كمولـودٍ تحـدَّرَ مـن سِـفاح
وذمُّـوا أنَّهـم كـانوا عُكوفـاً ... عليـهِ في الغـدُوِّ وفي الـرواح
وتـاريخ أُريـدَ لنـا ارتجـالاً ... فـآبَ كـما أريـدَ إلى افتضـاح
شَـحَنا دفَتيـهِ بمُغمَضـاتٍ ... كأحـداقِ المهـا مـرضى صحـاح

وغَلَّفْنـا مظـاهرهُ حِسـاناً مزخرفـةً عـلى صُـوَرٍ قِبـاح
وسُـقْنا النـاسَ مُكْرهـةً عليـه عـلى يـدِ نـاعمينَ بـه وَقـاح
ونَصَّـبْنا مرَوَّضـةً غِلاظـاً على مـا في الطبـائعِ مـنْ جِماح
وأحْلَلْنـاه وهـو ضريـحُ شـعبٍ محـلَّ الـوَحي جـاءَ مـن الضُّراح
نجرَّعُـهُ ذُعافـاً ثـم نُضْفي عليـهِ محاسِـنَ الشَّـبم القَـراح
ورُبّـةَ « صـفقةٍ » عُقِـدَت فكانـت كتحـريم الطـلاقِ عـلى نِكـاح
تُـدبَّرُ في العواصِـم مـن مُرِيْـبٍ خبيـثِ الـذكر مَطعـونِ النـواحي
تفـوحُ الخمـر منهـا في اختْتـامٍ ويبـدُو التـبر منهـا في افْتتـاح
ويُسْـفرُ نَصُّـها المُسـوَدّ خِزيـاً ومَظلمـةً عـن الغِيـد المـلاح
وتصريـحٍ يُمِطّطـه قـويّ كَلَـوْحِ الطّـينِ إذ يـدحوه داحـي
وحلـفٍ لسـتُ أدري مِـن ذُهـولٍ أعـن جِـدٍّ يـدَبرُ أم مـزاح
لنـا حـقٌ يُرجَّـى بـالتماسٍ وبـاطِلُهمْ ينفّـذٌ بالسـلاح
ولسـتُ بعـارِفٍ أبـداً حليفـاً يهـدِّدُه حليـفٌ باكتسـاح
فلسـطينُ تَـوَّقـيْ أنْ تكـوني كـما كُنـا بمدرجَـةِ الريـاح
وأنْ تضَـعي أمـورَكِ في نِصـابٍ يـوَّفر أو يطَفّـفُ بـاجتراح
وهـابي أن تُمـدَّ إليـكِ مِنـا يـدُ المتضـارِبين عـلى القـداح
فكـم هـاوٍ أجـدَّ لنـا جُروحـاً بـدعوى أنـه آسي جـراح
وأُصـدِقكِ الحديثَ فكـم حُلـولٍ حـرامٍ.. لحُـنَ في زِيٍّ مُبـاح
نُطَـوِّفُ مـا نُطَـوِّفُ ثـم نـأوي إلى بيـتٍ أُقـيمَ عـلى اقـتراح
يُخـرِجُ ألـفَ وجـه مـنْ حـديثٍ ويَخْلُـقُ ألـفَ معنـىً لاصـطلاح

***

ذكرى أبو التمن

طالَتْ – ولو قَصُرَت يدُ الأعمارِ – لرَمتْ سواكَ عَظُمْتَ مِنْ مُختارِ
من صفوةٍ لو قيلَ أيٌّ فَذُّهُمْ لم تَعْدُ شخْصَكَ أعينُ النُظَّار
لكن أرادتْ أن تحوزَ لنفسها عينَ القلادةِ فازدَرَتْ بنُثار
وأرى المنايا بالذي تختارُهُ للموتِ عاطلةٌ وذاتَ سوار
فطوَتكَ في دَرْج الخُلودِ فعطَّرتْ بك سالفَ الأحقابِ والآثار
واستنزلَتْكَ لغُربةٍ ولأنتَ مِن علياك في لَجِبٍ من الأنصار
وتجاهَلتْ أنَّ البلادَ بحاجةٍ لكَ حاجةَ الأعمى إلى الإبصار
مدَّتْ من الأُخرى إليك معاصمٌ من رفقةٍ لك قادةٍ أبرار
خُلصاءِ سَعيكَ في الجْهاد وإخوةٍ لكَ في الوفاءِ المحضِ والإيثار
ورفاقُ هذي الدار فيما أسلَفوا للكاتِبَينِ رفاقُ تلكَ الدار
بَكَرَ النَّعِيُّ فما سَمعتُ بمِثْلها عِبئاً على الأسماعِ والأبصارِ
رَمتِ العَمايَاتُ العيونَ وصَكَّتِ الأسماعَ صافرةٌ من الإنذار
وترنَّحَ الأحرارُ يؤذِنُ بَعضُهُمْ بعضاً بفقدِهُم أبا الأحرار
لله درُّكَ من نقيٍّ لم يَنَلْ أذيالَهُ وَضَرٌ مِن الأوضار
في حيثُ تزدحِمُ الشكوكُ وترتمي شُبُهاتُها حتّى على الأخيار
خاضَ السياسةَ وانجلى عن لُجَّها ألقَ الجبينِ مكلّلاً بالغار
في حينَ رامَ سِواه خوضَ عُبابِها فطغى عليه فضاعَ في التَّيار
وصليبُ عُودٍ حينَ بعضُ مُرونةٍ في ضَعفها خطرٌ مِن الأخطار
وطَريُّ نفسٍ حينَ بعضُ صلابةٍ في عُقمها حجرٌ من الأحجار

وخَفـيٌّ كيـدٍ حيثُ يسـمو كائـدٌ ... ومـن المكايـدِ جالـبٌ للعـار
وصريـحُ رأيٍ لم يَحِـد عـن خُطَّـةٍ ... ليلـوذَ مـن تأويلها بجِـدار
حَـرْبٌ عـلى مُسـتعمرٍ وربيبـهِ ... ومُسـالمٍ مُسـتَعْمراً ومُجـاري
أعـزِزْ عـليَّ أبـا عزيـزٍ أنْ أرى ... حُضّـارَ حفلِكَ زائغي الأبصارِ
خَلَتِ المحافلُ من عُلاك وأوحشتْ ... مـن بَعـد وجهِـكَ نـدَوةُ السُمّار
وتَعـرَّتِ الأنظـارُ عـن مُستَشرِفٍ ... بـادي السَّـنا.. عـالٍ على الأنظـار
ولقـد يَعـزُّ عليـكَ أنَّـكَ لا تَـرى ... في « الأرْبِعـاء » مواكـبَ الـزُّوّار
أأبـا عزِيـزٍ كنـتَ تُـذكي جـذوتي ... ويَلـذُّ سَـمْعُك مَنطقـي وحـواري
غـوْثَ الصريـخِ أتتـك تُعـوِلُ حُـرَّةٌ ... حّـراءُ صـارخةٌ مـن الأشـعار
هَيَّجـتَ منـي أيَّ داءٍ كـامنٍ ... وقـدحتَ منـي أيّ زَنـدٍ واري
قسَـماً بيومِـكَ والفُـراتِ الجْـاري ... والثـورةِ الحمـراء والثـوّار
والأرضِ بالـدَّمِ ترتـوي عـن دِمْنَـةٍ ... وتَمُجّـهُ عـن روضـةٍ مِعطـار
والخيـلِ تَزحـفُ لم تَـدَعْ لُمغِيرهـا ... جثـثٌ تغَطـي الأرضَ أيَّ مُغـار
قسَـماً بتلـكَ العاطفـاتِ ولم تكُـنْ ... لي قبلَهـا مـن حِلْفـةٍ بالنـار
إنَّ الـذينَ عهِـدتَهُم حطَـبَ الـوغى ... لـولاهم لم تشـتعل بـأوار
واللّاقِحينَ نَتاجَها بأعزِّ ما ملَكَتْ ... يمـينٌ مـن حِمـىً وذمـار
والـداهناتِ دمـاؤُهم لِـمَ الثَّـرى ... والمُؤنسـاتِ شـواطئَ الأنهـار
والناحرينَ مـنَ الضَّـحايا خيرَ مـا ... حَمَلـت بُطـونُ حرائـرٍ أطهـار
مـا إنْ تـزالُ حقـوقُهُمْ كـذَويهمُ ... في القفَـر سـارحةً مـعَ الأبقـار
وأعـزُّ مـا تبغـي الحلائـلُ مِنهمُ ... أنْ تُسـترَ العـوراتُ بـالأطمار
خمسٌ وعشرونَ انقضَـتْ وكأنَّهـا ... بشخُوصِـها خـبرٌ مـنَ الأخبـارِ

ضِقنا بها ضيقَ السجينِ بقيدِهِ ... من فرْطِ ما حَمَلَتْ من الأوزار
وتَجَهَّمتْ فيها السماءُ فلم تَجُدْ ... للخابطينَ بكوكبٍ سيّار
شاخَ الشبابُ الطّيبون وجُدّدتْ ... فيها شَبيبةُ شِيخةٍ أشرار
وبدا على وَجهِ الحفيدِ وجدِّه ... للناظرينَ تقارُبُ الأعمار
من كان يحسَبُ أنْ يُمَدَّ بعُمره ... حُكْمٌ أقيمَ على أساسٍ هاري
ومَن الفظاعةِ أنْ تُريدَ رَعيَّةٌ ... في ظِلِّ دُستورٍ لها وشِعار
ما يَطلُبُ المأسورُ من يدِ آسرٍ ... إسداءَ عارفةٍ وفكَّ إسار
ورِوايةٍ حبَكَ الزَّمانُ فُصولَهَا ... فبدَتْ لنا ممسوخةَ الأدوار
من شرّ ما اختلقَ الرُّواةُ وَلفَّقتْ ... حِيَلٌ وضمَّتْ دَفَّةُ الأسفار
وممثلينَ تصنّعاً ووراءَهم ... خَلْفَ السِتار مُلَقِنٌ مُتواري
ومفّرِقينَ مَذاهباً وعناصراً ... مُتكَفِّلينَ سياسةَ استعمار
نزلوا على حُكم الغريبِ وعَرَّسوا ... في ظِلِّ مأْثَمةٍ له وفَجار
وتحلَّبوا أوطارَهُ فإذا بها ... وَشَلٌ لِما استحلى من الأوطار
واستفرَشَ الشعْبُ الثرى ودُروبهُمْ ... مملوءةٌ بنُثارةِ الأزهار
وتَحلأ الجَمعُ الظِماءُ ووُكِّلَتْ ... أبناؤهم بالوِرد والإِصدار
ذُعِر الجْنوبُ فقيلَ كيدُ خوارجٍ ... وشكا الشَّمالُ فقيلَ : صنْعُ جِوار
وتنابزَ الوَسطُ المُدِلُّ فلم يَدَعْ ... بعضٌ لبعضٍ ظِنّةً لفَخار
ودعا فريقٌ أنْ تسودَ عَدالةٌ ... فرمُوا بكلِّ شنيعةٍ وشَنار
ومشَى المغيثُ على الجياع يَقوتهُمْ ... وعلى العُراةِ بجحفلٍ جرّار
وتساءلَ المتَعَجِّبونَ لحالةٍ ... نكراءَ مَنْ هُم أهلُ هذي الدار

هِـيَ للصـحابةِ مِـن بَنـي الأنصـار ... مـن كـلِّ بـدريٍّ وكـلّ حَـواري
للحـاكمينَ بـأمرِهم عـن غَـيرِهم ... ولصَـفْوةِ الأسـباطِ والأصـهار
مـن كـلِّ غـازٍ شـامخٍ في صـدره ... زاهـي الوسـامِ.. مدَّوخ الأمصـار
هـيَ للـذينَ لـو امتحنـتَ بلاءهـم ... لعجِبـتَ مـن سُـخْريّةِ الأقـدار
هي للذي من كـلِّ مـا يَصِـمُ الفتـى ... كـاسٍ ومـن جُهْـدٍ يُشرّفُ عـاري
ومُسـلَّطٍ لُمسَـلَّطينَ مشـتْ بـه ... الأهـواءُ مِشـيةَ مُثقَـلٍ بخُـار
نَسِيَ المُعـيرَ ولـو تـذكَّرَ لانثنـى ... خَزْيـانَ مـن ثـوبٍ عليـه مُعـار
كـم رامَ غـيرُكَ مِثلَهـا فأحلّـهُ ... نـزَقُ الغُـرور بشَرٍّ دارٍ بـوار
بـل لـو تـذكّرَ لم يجـدْ لضـميرِهِ ... ومصـيرِهِ عَونـاً مـن التّـذكار
لم يبـقَ إلا أنْ تُـتَمّمَ خطـوةٌ ... ويظَـلَّ يَلعـبُ لاعـبٌ بالنـار
فلَـرُبّا نفـتِ الشَّـكاةَ وقرَّبَـتْ ... يـومَ الخـلاصِ سياسـةُ الإصرار
أأبـا عزيـزٍ والحـديثُ كـما رَوَوا ... شَـجَنٌ ومُرُّ القول عـذْبٌ جاري
ومـن العواطـفِ مـا يثـورُ ويَغـتلي ... مثـلَ الجحـيم ويرتمـي بشِرار
عَفْـواً وإنْ شـطَّ المَدى عن غـايتي ... ونبَتْ جيادُ الشعر عن مِضـماري
فلقد تَحَشَّدَتِ البواعـثُ واشـتكَتْ ... صَـمْتَ القـريض لِفَحْلـهِ الهـدّار
ولقـد عَهِـدْتُكَ بـالبلاد وأهلِهـ ... جَـمَّ الشُـجونِ مُـوزَّعَ الأفكـار
ووجـدتُ قَـدْحَ الـذكريات شـجيّةً ... بَـرْداً لأفئـدةٍ عليـك حِـرار
وعَرَفـتُ أشـجاناً يثـيرُكَ بَعْثُهـ ... فـأثَرْتَهُنَّ فطِـرْنَ كُـلَّ مطـار
إيـهِ شـبابَ الرافـدين ومَـنْ بهـم ... يرجـو العـراقُ تَـبَلّجَ الأسـحار
الحـامِلينَ مِـنَ الفـوادحِ ثِقْلَهـا ... ليسـوا بأنكـاسٍ ولا أغـمار
والذّائِدينَ عن الحياض إذا انتحتْ ... كُـرَبٌ ولاذَ مُكـابرٌ بفِـرار

والباذلينَ عن الكرامة- أُرخصَتْ ... أغلَى المُهورِ.. وأفدحَ الأسعار
الفَقْرَ إذ طُرقُ الغِنى مفتوحةٌ ... والبؤسَ إذ غَدقُ النعيم جواري
ومؤَجِّجينَ نفوسَهمْ وقُلوبَهمْ ... شُعَلاً يسيرُ على هُداها الساري
والحابسينَ زئيرَهم بصدورهم ... فإذا انفجرنَ بهِ فأيُّ ضواري
والقانعينَ من الحياة رخيَّةً ... بلُماظَةٍ.. ومن الكَرى بغِرار
والمغرِياتُ مراوداتٌ ترتجي ... وتَخيبُ من عُونٍ ومن أبكار
يرثون للمتفيئين ظلالها ... علما بها شريت به من عار
لا تيأسوا أنْ يَلُحْ من ليلةٍ ... فجرٌ.. ولم تؤذِنْ بضوءِ نهار
فلئِنْ صَليتمْ مِن هَناةٍ جَمْرها ... ومشَيْتُمُ منهنَّ فوق شِفار
فطِوالُ مُحْرِجةِ الأمور وإنْ قَسَتْ ... في شِرعةِ التأريخِ جِدُّ قِصار
لا بُدَّ أنْ يَثِبَ الزَّمانُ.. وينثني ... حُكمُ الطُّغاةِ مُقَلَّمَ الأظفار
وتُجَدِّدَ الأيام عَهْدَ وصالِها ... مِن بَعدِ إعراضٍ لها ونِفار
فهُناك سوفَ يكونُ من زَهَراتِكم ... أصفى معارِفها وأطيبُ جار
وهناكَ سوفَ يَرى الغَنيمةَ معشرٌ ... أنْ يُمْسِكُوا من خَلْفِكُمْ بغُبار
فحَذارِ من عُقبى القُنوطِ حذارِ ... وبدارِ للعهدِ الجديدِ بِدار

***

دجلة في الخريف..

بكَرَ «الخريفُ» فراح يُوعِدهُ ... أنْ سوفَ يُزْبِدُهُ ويرْعِدُهُ
وبَدَتْ من الأرماث.. عائمةً ... فيه طلائعُ ما يُجَنِّدُه
وكأنَّ.. من زَبَدِ الرِّمال على ... أمواجه طِفْلاً يُهَدْهِده

واستثقلَ النوتيُّ مِجْذَفَه ... بَرِماً بمِقبَضِه يُجَدِّده
وتحفَّزَتْ شُمُّ الجبال لهُ ... بثُلوجها كِسفاً تُهدِّده
ظلّتْ تَعُدُّ خُطاه تَرقبُه ... في الصيفِ مزدهراً وتحسُده
جَرداءُ.. وهو يَضِجُّ مَلْعَبُهُ ... ظَلْماءُ وهو يُشَبُّ موقِده
خرَساءُ.. والأنغامُ ترقصهُ ... وكأنَّها بالموج ترفِده
تَتَعَثَّرُ الأجيالُ خالدةً ... فيها .. ويَحضُنها مُخلَّده
« داودُ » بالمزمارِ يوقِظه ... ويُنيمهُ بالعود « معبده »
والهِيمُ تحزُنهُ وتنهبهُ ... والغِيدُ تُنزِلهُ وتصُعِده
أَلْقتْ إليه من مفاتِنِها ... ما ليسَ إلاَّ اللهُ يَشهَده
ورمتْ له يقظانَ من مُتَعٍ ... ما نحنُ في الأحلامِ نَنشُده
والنجمُ حارسُها وحارسُه ... والظلُّ موعدُها وموعده
الآنَ أُدْرِكُ سِرَّ زَفرتِهِ ... إذ لم يَعُدْ سِرّاً تجَلّده
فَلفَقدِه نَفساً تَنفُّسُهُ ... ولذِكره نهداً تَنَهُّده
يتَعقَّبُ المسكينُ موجَتَها ... عَبَثاً بمَوْجتهِ وتطْرُده
لم يدْرِ حتى الآنَ شِيمتَه ... حسِبَ الهوى نَغَماً يردِّده
أمسِ استطابتْ فيه مَقصِدَها ... واليومَ أهونُ منه مَقصِده
لو يستطيعُ لرَدَّ خُضرتهُ ... وبرغْمِ سَفحَيهِ تورَّده
وبرغمهِ أنْ حبَّ خابِطُهُ ... للزارعينَ وذُمَّ مورده
ماسرَّهُ « والبِيضُ » تُنْكرهُ ... أنَّ المراعي الخُضْرَ تحْمَده
فالذكرَياتُ الغرُّ يَشهدُها ... رقراقُهُ الصافي وتَشْهَده
مُتطامنٌ لم تُخْشَ صَولته ... لكن تَضيقُ بصائلٍ يده

فمِـــنَ الشَّـــمالِ يـــدٌ وتُنْهِضُـــهُ ومـــنَ الجَنـــوب يـــدٌ وتُقْعِـــده
كالنّـــاسِ للحُفـــراتِ مَرجِعُـــه ومِـــنَ النِّطـــافِ النـــزْرِ مولِـــده
وخُضـــوعُهُ كخُضـــوعهِمْ أبـــداً للغيـــبِ أنـــى ســـارَ يقصـــده
والفَصـــلُ دونَ الفصـــلِ يُنْعشُـــهُ والأرضُ دون الأرض تُســـعِده
لَغِـــبٌ فـــلا الإمســـاءُ يُوسِـــعُهُ عَطفْـــاً.. ولا الإصـــباحُ يُنجِـــده
الـــنجمُ أعمـــى لا يرافِقُـــهُ والطـــيرُ أخـــرَسُ لا يغـــرِّده
مُتحَـــيرٌ لا يســـتَحِمُّ بـــهِ فلَـــكٌ ولا الأضـــواءُ ترشِـــده
وكـــأنَّ مُحتشَـــدَ الضَّـــبابِ بـــهِ بـــابٌ بوجـــهِ الشُـــهْبِ يوصِـــده
والشَّـــمسُ فـــاترةٌ تـــذَكِّرهُ وضَـــحَ السَّـــنا أيّـــامَ تُوقِـــده
أيّـــامَ تـــنفخُ في قرارتـــهِ مـــن رُوحهـــا نَفَســـاً تُجَـــدِّده
والغـــيم يحلـــف لا يبارحهـــا والـــريح تحلـــف لا تبـــدده
والبـــدرُ .. حتـــى البـــدرُ يُوحشـــه في يـــوم محنتـــهِ ويُفـــرده
هـــذا الـــذي مـــا كـــانَ مِـــثلَهما للصـــيفِ مـــن مَثـــلٍ يُخَلّـــده
كانـــا يرُبّـــانِ الغـــرامَ معـــاً ذا يَصْـــطَفيهِ.. وذا يهدْهـــده
لم يبـــقَ مـــن هَـــرَجِ الربيـــع بـــهِ إلا الـــذي قـــد فـــات أجـــوده
ومـــن العـــريشِ عـــلى شـــواطئه إلاّ خُشَـــيبات تحـــدِّده
ركـــبٌ تحمـــل عنـــه ناشـــطهُ وأقـــام عـــاجزُه ومقعـــده
والســـامرُونَ انفـــضَّ عُرْسُـــهُمُ لا جِـــدُّهُ أغنـــى.. ولا دَده
حجَـــلَ الغُـــرابُ عـــلى مواقِـــدهمْ وعـــلى الرَّمـــادِ بهـــا يُلَبّـــده
ومـــنَ الحَـــمامِ أظَلّـــهُ زَجِـــلٌ كَلِـــفٌ بلحـــنِ الصّـــيفِ يُنْشِـــده
ضَـــنْكُ المَســـقّةِ يَـــدّني عَطَشـــاً وتَمَـــوُّجُ الآذيِّ يبعـــده

مُتَســـائلاً لمَ حـــالَ رَيِّقُـــهُ عـــن حُـــرٍّ لـــونٍ كـــان يعهـــده
وعـلى الضِّـفافِ.. الـبطُّ مُنكمِشٌ لاهٍ بـــذاوي النبـــتِ يعضِـــده
شَـعْثُ النَّسـيل.. كـأنَّ عابشـةً مجنونـــةً راحـــتْ تبـــدِّده
مـا الصَّـيفُ سـبّطَ مـن جَدائلِـه جـاءَ الخريـفُ لـه يجَعِّـده
بـادي الخُمـولِ يـؤودُه عُنـقٌ في أمـس.. مـن زهـوٍ.. يُمـدِّده
وكأنّـه.. إذ خيـفَ مسـبحُه مترِّهـبٌ قـد سـدَّ مَعْبـده
أتـرى يعـودُ غـداً لملعَبـهِ أمْ لا يعـودُ كأمسـه غـده
وتهضـمَ النـوتيُّ زورقـه بالقـار.. بعـد الغِيـد.. يَحشُـده
يقتـاتُ مـن كسَرٍ يُثبِّتُهـا في اللـوح.. أو حَبـلٍ يمَسِّـده
لم أدْرِ لـو لم تُنبِنـي سُرُجٌ في شـاطئيه.. أيـنَ مرقـده
ومَضَـتْ.. فقلـتُ: النّـومُ أعـورَه وجُفونـه.. رُمـداً.. تُسَـهِّده
وخَبَتْ.. فقلتُ: غفا.. وإنَّ صَدىً في السَّمْع مـن زَفْـرٍ يُصَـعِّده
وكـأنَّ تابوتـاً يعِـدُّ لـهُ مَلاَّحُـه فـيها يُنَضِّـده
وحسـبتُ مزمـاراً يشَـيِّعُه للقـبرِ.. مسـماراً يشَـدده
وتجـاوُبَ الأجْـراءِ قافيـةً سـمحاءَ باكيـةً تمُجِّـده
يـا صـامتاً عِيـاً.. ومَنطِقُـهُ مُتفَجـرُ اليَنْبـوع سَرْمـده
تهَفـو فرائـدُ عِقـدهِ جَزَعـاً ممـا بهـا.. وتهـيمُ شُرَّده
وتُثـيرُ فيـه الـذكرياتُ شـبحاً يَعيـا بـه فيخُـورُ أيِّـده
ومُـوَكَّلاً بالـدَّهر يَزرعُـهُ في شـاطئيه ثـمَّ يحصُـده
يـا شَـطُّ.. أنـتَ أعـزُّ مُنقلبـاً في النـاطقينَ بـها تُخَلِّـده
وكـذا الطبيعـةُ في عناصرهـا جِـنٌّ حَبيسُ الـرُّوحِ مجهَـده
نَرتـادُ جامـدَها نفَجِّـرُ، وعقـيمَ غامضـها نُوَلِّـده

فلعـــلَّ ذا.. ولعَّلهـــا لغـــةٌ ... مـــن غـــيرِ مـــا جـرْسٍ نعـــوَّده
ولـــربَّما ضَـــحِكتْ بســـائطُها ... هُـــزءاً بنـــا ممَّـــا نعقّـــده

❊❊❊

الجيل الجَديد

يـــا أيُّهـــا الجيـــلُ الجديـــدُ ســـلامُ ... ألقـــت إليـــك بِثقلِهـــا الأعـــوامُ
ورمــت بكلكلِهـــا عليــك فــوادحٌ ... ممـــا تجنّـــى «الســـادرون» جســـام
ألْقـت إليـك وأنـتَ أشرفُ نـاهضٍ ... ثقلَـــــيهما الآمـــــال والآلام
فرمـى لـكَ المـاضي الأليـم بِـوزْرِهِ ... ورنـــا لـــكَ المســـتَقبلُ البســـام
والحـاضرُ المـرتجّ بيـنهما شـجاً ... وتطُّلعـــاً تهفـــو بـــه الأحـــلام
ألقى إليك« الخائنون» نَتاجَ ما سدروا ... وشـــطوا وارتَعَـــوْا وأســـاموا
والمخلصـون.. رجـاؤهم أن تـنجلى ... كُـرَبٌ وأن يِلـد الصـباحَ ظـلام
ياأيُّهـــا الجيـــلُ الجديـــدُ وطالمـــا ... لصـــقت بغـــير ذواتِهـــا الأعـــلام
ولطالمــا اشــتطّ الطغـــاةُ وأرجفـــوا ... للمصـــلحين وأقعـــدوا وأقـــاموا
سَـمّوكَ « هـدّاماً » لأنـكَ تجْتَـوي ... مـا البغـيُ سَـنَّ ومـا جنـى الإِجرام
ولأنـــك اســتمت العدالـــةَ خطـــةً ... مـن في يديـه الـنقضُ والإِبـرام
وغضِـبت أن تجـدَ الرعايـا مَغْـنَماً ... بيـدِ الرُّعـاة كـأنهم أنعـام
وشـجبت أنّ الحكـم في قاموسِـهم ... سـوطٌ يشـدُّ وشـهوة وعُـرام
هـوّنْ عليـكَ فكـلُّ ذلـكَ فِريـةٌ ... تَفْنـى ويَبْقـى السـعي والإِقْـدام
وكـذاك كـلُّ « مخـرّبٍ » لرذيلـة ... بـانٍ وكـلُّ « مُعَمِّـرٍ » هـدّام

❊❊❊

إلى الوفد الرياضي الإيراني ..

أهلاً بكُمْ رمزَ الشباب ومرحب ... المُطلعين من « الفُتوة » كوكبا
الحاملينَ من « النضال » لواءه ... والناهجِينَ به الطريقَ الألحبا
والناشرينَ من الأخوة مذهباً ... هو خيرُ ما ارتَضتِ الشرائع مذهبا
يا من أُعينَ « قديمنُا » بقديمهم ... و« حديُثنا » بحديثهم فتأشَّبا
وتَسلْسَلَ التاريخُ فيها بيننا ... متقاسمينَ « أمَّره » و « الأعذبا »
إنا وأنتُمْ – والتوجُع واحد – ... لَيَزيدُنا المستعمرون تقرُّبا
لَيَزيدنا الألمُ الدفينُ تماسكاً ... ليزيدُنا صَهرُ الخطوبِ تَصَلُّبا

***

أرج الشباب

أرجُ الشبابِ وخمرُه المسكوبُ ... لَيفوحُ من أردانِكُمْ ويطيبُ
ومنَ الربيعِ نضارةٌ بوجوهكم ... تَنْدىَ ومن شهدِ الحياةِ ضريب
ومنَ الفُتوّةِ سَلْسَلٌ متحدرٌ ... مما يفيضُ يكادُ يُترَعُ كوب
وَلأنتُمُ إن غاب نجمٌ يُقتدى ... أو حُمَّ خَطبٌ حالِكٌ غِرْبيب
وتأزمت كُرَبٌ وضاقت خطّةٌ ... واستوحشتْ طرقٌ لنا ودُروب
سُرُجٌ تنير الخابطين وأنْجُمٌ ... نغدو على أضوائها وَنَؤُوب
تتجهّمُ الدُّنيا ويعبسُ باسمٌ ... منها ويعتورُ الحياةَ قُطُوب
حتى إذا ابتسمَ « الشبابُ » تذوَّبَتْ ... كالغيمِ في الصّحوِ الجميلِ يذوب
يا عاكفينَ على « الدُّروس » كأنَّهُم ... غُلْبُ الصُّقورِ من الظَماء تلوب

والعــازفين عــن اللذائــذِ همُّهــمْ « جَـرَسٌ » يُـدقُّ ومِنـبرٌ وخطيـب
والمسـتقين مـن الضـمير يمـدهم نبـعٌ وواد بالضـمير خصـيب
تركـوا مواعيـدَ الحِسـانِ وعنـدَهُم بـين المقاعـدِ مَوْعـدٌ مَضروب
أشـهى مـن الوجـهِ الجميـلِ إليهمُ وجـهُ « الكتـابِ » وَوُدُّهُ المخطـوب
إن العـراقَ بـلا نصـيرٍ مـنكم وبـلا مُجـيرٍ.. مُقفِـرٌ وجـديب
عاشـت سـواعدُكُم فهـن ضـوامنٌ أن يُسْـتَرَدَّ مـن الحقـوقِ سـليب
وَزَكـتْ عـواطِفُكُمْ فأَيـةُ ثـروةٍ منهـا نكـافئ مُخلِصـاً ونُثيـب
وَلأَنـتُمُ أنْـتُمْ – ولـيس سـواكمُ – أمـلُ الـبلادِ وذُخْرُهـا المطلـوب
وَلأَنـتُمُ إذ لا ضـمائرَ تُرْتَجـى للرافـدَيْن ضـمائرٌ وقلـوب
ولأنـتُمُ إن شوّشـتْ صـفحاتِنا ممـا أُجِـدَّ نقـائصٌ وذُنـوب
الطّـاهرونَ كـ م مـاءُ السّـما لم يَلْتَصِـقْ دَرَنٌ بِهِـمْ وعيـوب
إنّـا وقـد جُزْنـا المَـدَى وتقاربـتْ آجالُنـا . وأمضّـنا التجريـب
وتحالفـتْ أطوارُنـا وتمازَجَـتْ ونبـا بنـا التَقريـعُ والتأنيـب
وتخاذَلَـتْ خُطواتُنـا مـن فَـرْط مـا جَـدَّ السُرى.. والشـدُّ.. والتقريـب
لنَـراكُمُ المثـلَ العـليَّ لأمّـةٍ ترمـي إلى أهـدافها وتُصـيب
هـي أُمّـةٌ لم تحتضـن آمالهـا وغـداً إلى أحضـانِكُمْ سـتؤوب
وغـداً يُكفِّـرُ والـدٌ عـما جنـى ظلـماً عـلى يـدِ ابنـه ويتـوب
فتماسكوا فغـدٌ قريـبٌ فَجْرُهُ منكم وكـلُّ مُؤَمَّـلٍ لَقَريـب
وِتَطلّعـوا يُنِـرِ الطريـقَ أمـامَكم قَـبَسٌ يشـعُّ منـارهُ مَشـبوب
وتحـالفوا أنْ لا يُفّـرِقَ بيـنكم غـاوٍ ولا يَنْـدسَّ فـيكُمْ ذيـب

وتـــذكّروا المســـتعمرينَ فـــإنّهُمْ سَـوْطٌ عـلى هـذي البلادِ وحُـوب
فتفهمّـــوا إنَّ العـــراق بخـــيره وثرائـــه لطَغـــامِهِمْ منهـــوب
وتميـــزوا فهنـــاك وجـــهٌ ســـافرٌ مـــنهمْ وآخـــرُ بالخنـــا محجـــوب
وســـويّة في خِزيّـــةٍ مســـتعمرٌ أو مَـــنْ يُقـــيمُ مقامَـــه ويُنيـــب
إيـــاكُمُ أنْ تُخـــدعوا بنجـــاحكم فـــيما هـــو المقـــروءُ والمكتـــوب
أو تَحْسَـــبُوا أن الطريـــقَ كعهـــدِكم بـــين الصـــفوفِ « معبّـــدٌ » ورحيـــب
إن الحيـــاة ســـيبلوَنَّ جهـــادَكم منهـــا نجـــاحٌ مرهِـــقٌ ورســـوب
ومُسَـــهَّدينَ جـــزاهُمُ عـــن لـــيلِهِمْ اللهُ.. والتعلـــيمُ.. والتـــدريب
أضـــناهُمُ تعـــبٌ .. وخـــيرُ مجاهـــدٍ مُضـــنى يُعَبّـــئُ أنّـــةً « متعـــوب »
أأُخـــيَّ « عبـــودٌ » ولســـتَ بمُعـــوِزٍ مـــدحاً ولكـــنَّ الجُحـــودَ مَعيـــب
إن كـان مسّـك و « الحسـينَ » كلالـةٌ أو كـــان نـــ "كما عنـــاً ولُغُـــوب
فلأنـــتما والشـــاعرون ســـويةٌ كالشـــمع يَهـــدي غـــيرَه ويـــذوب
أُولاء غرسُـــكما فهـــل مِـــنْ غـــارسٍ يزكـــو كهـــذا غرسُـــه ويَطيـــب
وهـــلِ الخلـــودُ ألَـــذُّ ممـــا أنـــتما فيـــه وأمـــــرُ الخالـــدينَ عجيـــب
لا يحســـبون وجـــودَهم ووجـــودُهم قبـــلَ الوجـــودِ وفوقـــه محســـوب

***

إلى المناضلين

أطِلّـــوا.. كـــما اتَّقـــدَ الكوكـــبُ يُنـــوِّر مـــا خَـــبطَ الغَيْهَـــبُ
وســـيروا وإن بَعُـــدَت غايـــةٌ وشُـــقّوا الطريـــقَ ولا تَتْعَبُـــوا
ومُـــدّوا سَـــواعدَكم إنهـــا معـــينٌ مـــن الجُهـــد لا ينضُـــب

وهـــاتُوا قلـــوبَكُمُ أُفرِغـــتْ ... عــلى نَجـدةِ الحَــقِّ.. أو فـاذْهَبوا
فــما إن يَليــقُ بمجــد النضــالِ ... ضــعيفٌ عــلى نَصرِه يُغصَــب
وإنَّ « غـــداً » باســـماً يُجـــتَلَى ... بشِــقِّ النفــوس ولا يُوهَــب
وإني وإن كنــتُ صِــنْوَ الرجــاءِ ... في حومــةِ اليــأسِ.. لا أُغْلَــب
أواعــدكم مــن « غَــدٍ » صــادقاً ... ويُسرِفُ في الوعـد مـن يَكـذب
أمــامَكُمُ مُــوعِرٌ.. مُلغَــمٌ ... بشــتّى المخــاوفِ.. مُستَصْـعَب
يَسُــدُّ مداخلَــه أرقــمٌ ... وتحمــي مســالِكَهُ أذؤب
وسـوف يـ ـنُ إذا مــا انجَــلى ... غــدٌ.. مـن يَجِـدُّ.. ومـن يَلعَـب
فســوف يــدوِّرُ « ســاعاتِكم » ... بــما لا يَسُرُّكُــمُ « عقــرب »
وســوف يخــونُكُمُ « خــائفٌ » ... وســوف يســاوِمُكُم « أشـعَب »
وســوف يــ لكُم خطــوةً ... ويَخــذِلكم خُطــوةً مُتعَــب
وســوف يطــولُ عنــاءُ الطريــقِ ... علــيكُمْ فيَعــزبُ مــنَ يَعْــزب
وســوف تَضــيقُ بِكُــم دُوركُــم ... وسُوحُ « السجون » بكـم تَرحُـب
فقولــوا لمــن ظــن أنّ الكفــاحَ ... غَلــةُ مزرعـــةٍ.. تكــذِب
وقولــوا لمــن ظــنَ أنَّ الجمــوعَ ... مطايــا تُسَــخَّرُ يــا « ثعلــب »
تُريــدون أنْ تســتقيمَ الأمــورُ ... وأن يخلُـفَ « الأخبـثَ » الأطيـب
وأن تجمَعُــوا الشَــمْل مــن أُمَّــةٍ ... يفرِّقُهــا « الجَــدُّ » و « المـذهب »
وأن يأكــلَ « الثمــرَ » الزارعــونَ ... وأن يأخُـذَ « الأرضَ » مـن يـدأب
تريــدون أن يعــرِفَ الكــادحونَ ... مـن « العيش » مـا عنهُم يُحجَـب
تريـدون أن تَطْعَنــوا في الصــميم ... رثَّ « الطبــاع » وأن تضرِبــوا

ومــن دون ذلــك أن تَصــطلوا ... ســعيرَ الحيــاة.. وأن تَســغَبوا
وأن تــرِدوا مــا يمُــجُّ القَــذَى ... وأنَ تَطْعمــوا منــه مــا يَجْشُــب
فــلا تحسَــبوا أنكــم في الجهــاد ... « هــواةٌ » يضــمُّهُمُ ملعَــب
ولا تحسَــبوا أن « مُســتثمِراً » ... ظلومــاً لمصرعِــه يَطــرب
ولا تحسَــبوا أن « مســتعمِراً » ... يُثــارُ عليــه ولا يغضَــب
ولا تحسَــبوا « الأرضَ » يَهْنــا بهــا ... ذَووهــا.. وبالــدم لا تُخضَــب
ولا تحسَــبوا « أنَّهــم يَظمــأون ... وطــوعَ أكفِّهــمُ المشرَب
فأنــذرْ بحنظلــةٍ خائنــا ... تعجَّلَــه الثَمــرُ الطيــب
وبشِّرْ بحُلْــو « الجُنــى » كادحــاً ... عــلى « الجِذر » من شَجر يَضرِب
فــلا تهِنــوا.. إنَّ هَــذي الأكــفَّ ... تُمــلي عــلى الــدَهر مــا يكتــب

***

عُمر الفاخوري

رِثــاؤُكَ مــا أشَــقَّ عــلى لســاني ... ورُزْؤك مــا أشــدَ عــلى جَنــابي
وكيــفَ يُطيــقُ عــن ألمٍ بيانــاً ... ثكــولٌ شَــلَّ منــهُ الأصــغَران
وفَقــدُكَ مــا أمــضَّ وقــد تولَّــتْ ... جِيــادُ الــنصرِ خَــوضَ المعمعــان
وشرقٌ كنــتَ أمــسِ لَــهُ سِراجــاً ... كثيــفُ الجْــوِّ منــتشرُ الــدخان
تَهــاوَى الطــامعونَ عــلى ثَــراهُ ... كــما اختلــفَ الــذُبابُ عــلى خِــوان
تَعــبَّسُ مــن مَــزاحِفِهِمْ ثغــورٌ ... وتنــتَفِضُ المشــارفُ والمــواني
ومــا أنبــا مَصــيرَكَ عــن مصــيري ... ومــا أدنــى مكانَــكَ مــن مكــاني
أصــخْتُ لِمَــنْ نعــاك عــلى ذُهــولٍ ... كــأنيَ قــد أصــختُ لمَــنْ نعــاني

وكنــتُ أُحِــسُّ أنَّ هنــاك رُزْءاً وأجهــلُ كُنْهَــهُ حتّــى دهــاني
صــفَقْتُ براحتَــيَّ مــنِ التيــاعِ وهــل أدنــتْ بعيــداً راحتــان
ورُحْــتُ.. وأيُّ جُـرحِ في فـؤادي مغالَطــةً.. أعَــضُّ عــلى البَنــان
وعــانَقَني مــن الــذِكْرَى خيــالٌ كســيرُ الــنَفْسِ يَشْرَقُ بــالهوان
تســيلُ دمــاً جوانِبُــهُ اشــتياقاً إلى اللَّمَحــاتِ والمُتَــعِ الحِســان
إلى تلــك الليــالي مُشرِقــاتٍ بهــا «لُبنــانُ» مُزدَهِــرُ المغــاني
إلى سَــمَرٍ كــأنَّ عليــه ممــا تَنِــثُّ مِــن الشــذا عَبَــقَ الجِنــان
خيالٌ رُحتُ من يأسٍ وحِرصٍ أُسَــلِّي الــنفْسَ فيــه عــن العِيــان
أثــارَ لِيَ العواطِــفَ مــن عنيــفٍ ومُضْــطَخِبٍ.. ومُرْتَفِــقٍ..وحــاني
وفــكَّ مــن الأعِنَّــةِ ذكريــاتٍ تَهُــزُّ الــنفْسَ مُطلَقَــةَ العِنــان
لَمَسْتُ عُطورَهـا فشَـمِمْتُ منهـا شَــذا الغَضَــبِ المطَهَّــرِ والحَنــان
كِلانــا مَعــوِزٌ نُطْقــاً عليــهِ طيــوفُ المــوتِ مُلقِيــةُ الجِـران
لَعَنْتُ اللفـظَ مـا أقسَـى وأطْغَـى ومــا أعْصَى عــلى صــوَرِ المعــاني
تقاضــاني بيومِــكَ تَرْجُمانــاً وكنــتُ ألــوذُ منــه بِتَرجُمــان
فيــا «عُمَـرَ» النضــالِ إذا تشـكَّى شُـجاعُ القَلْــبِ مـنَ خَـوَرِ الجُبـان
ويــا «عُمَـرَ» البيــانِ إذا تغــذَّى عِجــافُ الــنَشْءِ بــالفِكَرِ السِمان
ويــا «عُمَـرَ» الوفـاءِ إذا تَخَــلَّى فُــلانٌ في الشــدائِد عــنْ فُــلان
ويــا «عمــر» الخلــود إذا تغنــى بمجــد الخالــدين فــم الزمــان
ضُمِنتَ مِن الـردى لـو كـانَ طَـولٌ وأيــنَ القــادِرونَ عــلى الضَّــمان
وإنّــا والحيــاةُ إلى تبــابٍ وكـــلُّ تَجَمُّـــعٍ فـــإلى أوان

لمحتربونَ أن نُمسي ونُضحي … وأنت بمعزِلٍ خالي المكان
أسيتُ لعاكِفينَ عليكَ حُبّاً … ومُختَصينَ فضلَكَ باحتضان
رفاقكَ يومَ مُزدَهرِ الأماني … ودِرْعِكَ يومَ مُشْتَجرِ الطِعان
حبيتُكَ باسِماً والهمُّ يَمشي … على قَسَماتِ وجهِك باتِّزان
تُغالِبُه وتَغْلِبُه إباءً … كأنّكَ والهمومَ على رِهان
يُزَمُّ فمٌ فما تُفْضي شِفاهٌ … ويَخفى السِرُّ لولا المُقلتان
على مُوقَيهِما مَرَحٌ ولُطْفٌ … وإنساناهما بكَ مُتعبان
يفيءُ الصَحْبُ منك إلى وريفٍ … لطيفِ الظِلِّ خفَّاقِ المجاني
تَفيضُ طَلاقةً وتذوبُ رِفقاً … ووحْدَكَ أنتَ تدري ما تُعاني
وما أغلى الرجولةَ في شِفاهٍ … مُغَلَّفةٍ على ألمٍ «مُصان»
وعامِرةِ المعاني مُنتَقاةٍ … بها الكلِماتُ شامخةُ المباني
فتقتَ الذِهنَ فيها عن طَريفٍ … يُشِعُ اللفظُ فيهِ عن جُمان
يَمُدُّك عَبْقَرٌ فيها وتُجبى … لكَ الخطَراتُ من قاصٍ وداني
أثرْتَ سُطورَها وذهبتَ عنها … فهُنَّ إليكَ من مَضَضٍ رواني
أبا «الخَطابِ» رانَ عليكَ ليلٌ … عقيمُ الفجرِ لا يَتلوهُ ثاني
وأُغْمِضَتِ الجْفونُ على شَكاةٍ … تُدَغْدغُها من البُشرى أماني
أمانٍ أن يسودَ الناسَ حُكْمٌ … يَبيتُ الفردُ منهُ على أمان
فلا تبعَدْ وإن أخنى فَناءٌ … وما مُبقٍ مآثِرَهُ بفاني
ورهْنُ الخُلدِ أضْرِحَةٌ عليها … قُطوفُ الفِكرِ يانِعةٌ دواني
بكى «بَرَدَى» عليكَ بفيض دمعٍ … ومجَّ النيلُ فيضاً من بيان
وجِئتُ أغُضُّ طَرْفيَ عن حياءٍ … فهذا ما يمُجُّ «الرافدانِ»

إذا مـا الحُـزنُ طـاوعَ في مصـابٍ | فـإنَّ الشِـعرَ يُعْـذَرَ في الحِـران

***

أرشد العمري

تركـوا الـبلادَ وأمْرَهنَّـه | لخيـال مسـعور بجِنَّـهْ
لمغفَّـلٍ عـمّا بـه | حُمْقـاً فكيـفَ لمـا بهنَّـه
تركـوا الـبلادَ وأمرَهُنّـه | للـدائراتِ تُديرُهنّـه
وموكَّـلٍ بالبـائعين | وبالـدُروب ورشِّـهنَّه
ومرافـق نُـدلَ الفنـادقِ | بـين مَـردوخ وحَنّـه
بـالله قـلْ لي يـا ابـنَ منتـوفٍ | السِـبال لأنـت فتْنَـه

***

ذات الحجاب

دَعـاني جمالُـكِ فـيمن دَعَـا | فلَّبيتُـه مُسرعـاً طيِّعـا
حَشَـدْتُ لـه مـن عَبيـدِ الهَـوَى | عَطاشَـى مُحَـلاةً جُوعـا
عواطِـفَ لم تغـذُ منهـا السـنون | رجـاءً ولا أنعشـت مَطْمَعـا
ترامَـت عـلى عَـذَبات الشِـفاهِ | حـائرةً مَقْطَعـاً مَقْطعـا
ولاحَـت بَريقـاً وُقيـتِ الصِـبا | وعـادت رَمـاداً فلـن تَسْـطعا
أسّـيَدتي مـا أرقَّ الحجـابَ | يُثـير الفُضـولَ ومـا أبْـدعَا
لقـد حِـرتُ أيّـاً مـن الفِتنَتْـين | أصُـدُّ سـناكِ أم البُرْقُعـا

***

أندونيسيا المجاهدة

يـا « أنـدونسُ » إن استـمأتَ بَنـوكِ فـالحربُ أُمُّـكِ والكفـاحُ أبـوكِ
ولـديكِ تـاريخٌ عـلى صَـفَحاتِه أرَجٌ يضُـوعُ مـن الـدم المسـفوكِ
وكـأنَّ مـن ألَـقِ الضُّـحى ورفيفِـه نُـوراً يُشِـعُّ عليـه مـن واديـك
يـا «بنـتَ» ثانيـةِ الجنـان بـما اشتَهتْ نَفْـسٌ ومـا رَمَـتِ الطبيعـةُ فيـك
وبـهـا تسـيلُ ظهورُهـا وبطونُـها بـالتِبْرِ مـن متـذوِّبٍ وسَـبيك
بالحاشِـد الملتَـفِّ منـك إذا دَجـى والضاحكِ العُريانِ من « ضاحيك »
فـاءت عـلى المسـتعمرينَ ظلالُهـا وعـلى مليكـاتٍ لهـم ومُلـوك
يـا بنـتَ ذاك و « أمّ » كـلِّ مغـرِّف في بُؤسـه ومُجـوَّعٍ صُـعلوك
يـا أمَّ كـلِّ مُشرَّدٍ عـن أهلـه وُهِـبَ الجنـانَ وعـاش كـالمملوك
بمـن «الجهـادُ» يَليـق إن لم ينـتظِمْ تاجـاً تَليـق بـه رؤوسُ ذَويـك
في كـل قَـبر مـن قُبـورك طـائفٌ يـمشي إليـك وصـارخٌ يـدعوك
لـيشُدَّ حـاضرَك المضـمَّخَ بالـدِما بـالموَجعِ الأسـيانِ مـن ماضـيك
ومـن الطبيعـةِ عـن بنيـكِ مُـدافعٌ أن يأخـذوا منـك الـذي تُعطيـك
تـأبى المـروءةُ أن تُزقّـي غـيرَهم إذ يُحرَمـون مُجاجـةً مـن فيـك
يـا « أنـدنوسُ » وفي الخلائـقِ شركـة لاشيءَ غـير الله دونَ شريـك
اصلَوْكِ مـا الشرقُ اصطَلى بجحيمِـهِ وبميسَـم مـن ذُلِّـه وَسَـموك
وسَـقَوك مـن كـأسٍ سُـقينا مثلَهـا ولقـد يكـون أرقَّ مـن يسـقيك
وكـذاك أنـتِ وقـد تمخَّـضَ نقمـةً تتمخضِّـينَ عـلى القَنـا المَشـبوك

❊❊❊

أخي إلياس

أخـي إليـاسّ : مـا أقسـى اللَّيـالي تُنـيخُ بكَلْكَـلٍ وتقـولُ : مـالي
تَسَـمَّعُ إذ تَصـامَمُ للنَّجـاوى وتَهْمِـسُ إذ تخـارسُ للـنِّمال
وتخـدَعُنا بمُقْمِـرةٍ لَعُـوبٍ وتَرمينـا بقـوسٍ مـن « هِـلال»
وتُعطينـا اللَّـذاذةَ عـن يمـينٍ وتطعنُنـا دِراكـاً بالشِّـمال
وتَفرُشُـنا أمـانيَ مـن حريـرٍ وفي طيَّاتِهـا سُـمُّ الصِّـلال
وتُـدنينا.. وتُبعِـدُنا.. وتلهـو بِنـا لهـوَ العواصـف بالرِّمـال
ونَلْمِسُـها.. وتَلْمِسُـنا عِيانـاً وتمـرُقُ مثـلَ طَيـفٍ مـن خيـال
أخـي إليـاسّ : لا تَخَـلِ المُبَقَّـى يُـوقَّى مـا احتـواكَ مـن الجِبـال
كـأنَّ الشَّـمسَ لم تَطلُـعْ علينـا ولم نَـنعَم بوارفـةِ الظِّـلال
ولم نـترَوَّ مـن كـأسٍ حـرامٍ ولم نتمَـلَّ مـن سِـحْرٍ حَـلال
ولم نـتمَنَّ أنَّ الـدَّهَر خُلْـدٌ وأنَّـا لا نصـيرُ إلى زَوال
ولم نسـخَرْ بـما نُمـلي عليـه ولم يسـخَرْ بناسِـخةِ الأمـالي
أخـي إليـاسُ : لا وصريـحِ وُدٍّ وعاطفـةٍ أرقَّ مـن الـزُّلال
ومـا شـدَّ التَّصـافي مـن عُرانـا وحَّلاهـا مـن الفِكَـرِ الغـوالي
يَمينـاً لسـتُ للـدُّنيا بقـالي وإنْ كـدُرتْ.. ولا عنهـا بسـالي
لأنَّـكَ كنـتَ تُوصـيني بهـذا وتُوصـيني بـه سِـيَرُ الرِّجـال
ويُوصـينا بـه أنَّـا نُـواري حبيبـاً.. ثـمَّ نُعقِبُـه بتـالي
ونَرجِـعُ مِـنْ جديـدٍ عـن فِـراقٍ ألـيمٍ.. نسـتزيدُ مِـن الوصـال
ومـا أنـا مَـنْ يُحـاولُ أن يُـداجي أحِبَّتَـهُ بكـذِبٍ أو مُحـال

بـــلى إنّي لَتَعْـــتَصَرُ اعتِصـــاراً   حشــايَ وأنــت محــترِبٌ حِيــالي

***

الياس المنشود

رُدُّوا إلى إليـاسِ مـا لم يَتّسع طَمَعا   شَرٌّ مــن الشرِّ خــوفٌ منــه أن يقَعــا
شَرٌّ مــن الأمَـلِ المكـذوبِ بارقُـه   أن تحمِــلَ الهــمَّ والتأميــلَ والهَلَعَــا
قالوا «غدٌ» فَوَجَدتُ اليَومَ يفضُـلُه   و«الصبر» قالوا:وكان الشَهمُ من جَزعاً
ولم أجدْ كمَجالِ الصَبرِ من وَطَنٍ   يَرتــادُه الجُــبْنُ مصــطافاً ومُرتْبَعَــا
وإنَّ مــن حَسَـناتِ إليـاس أنَّ لـه   حَــدّاً إذا كَــلَّ حَــدٌّ غــيرهُ قطَعَــا
وأنَّـه مُصـحِرُ الأرجـاءِ لا كَنَفـاً   لمــن يَلَــصُّ ولا ظِــلاً لمــنْ رَتعــا
وَجَدْتُ أقتَـلَ مـا عانَـت مصايُرنا   ومـا التَـوَى الشَـيبُ منـه والشَـبابُ معـا
أنَّـــا رَكِبنـــا إلى غاياتِنـــا أمَـــلاً   رَخــواً إذا مــا شَــدَدْنا حَبلَــهُ انقطعــا
نسومُه الخَسْف أن يَطوي مراحلَنا   وإن تشَــكَّى الحَفَــا.. والأيــنَ.. والضـلعا
هـذا هـو الأمَـلُ المزعـومُ فـاقتَرِعُوا   واليــأسُ أجــدَرُ لــو أنصَــفْتَ مُقتَرعــا
اليـأسُ أطعَـمَ بالأشْـلاءِ مِقصَـلةً   عَــذْلاً وطــوَّحَ « بالبســتيل » فاقتَلَعــا
وطارقٌ منه أعطَى النصرَ كوكَبُه   نَــزْراً وعَــدَّى إلى الأســبانِ فانَــدفَعَا
يــا نـادِبينَ « فِلَسـطينا »وعِنـدَهُمُ   عِلْــمٌ بــأنَّ القضــاءَ الحـتمَ قـد وَقعـا
كم ذا تُلحُّـون أن تَستَوقِدوا قَبَساً   عــن الرَمــادِ ومِمَّــن مــاتَ مُرتَجَعــا
كَفَى بما فاتَ ممـا سـميت « أمـلا »   من « الحُلول » التـي كيـنَتْ لكُم خُدعا
جيـلٌ تَصَرَّمَ مـذ أبْـدَى نَواجـذَه   وعــدٌ لبلفــورَ في تهويــدِها قَطعــا
نَـمَا وشَـيبَ بأيـدي القَـوم مُحتَضَـناً   ومــن ثُــدِيِّ النتــاجِ المَحـضِ مُرتَضـعا

والساهرونَ عليه كلُّ « منتخَبٍ » يبنـي ويهـدِمُ إن أعطـى وإن مَنعـا
تهوِي «العروشُ» على أقدامهم وتحتمـي ساسـةُ الـدنيا بهـم فَزَعـا
وعنـدَنا ساسـةٌ سـؤنا لُهـم تَبَعـاً ذُلاً.. وسـاؤوا لنـا في الهـدي مُتَّبعـا
من كل مُرتَخَصٍ إن عبَّسَت كُرَبٌ أو كشَّرَ الخطـبُ عـن شـدقيهِ فاتَّسَـعا
ردَّ المصـيبةَ بالمنـديلِ مفتخـراً مثـلَ الصـبايا – بـأنَّ الجفـن قـد دَمعـا
أو عابـثٍ مـن فِلَسطينٍ ومحنتِهـا ألفـى مَعينـاً.. فـألقى الـدَلوَ وانتزَعـا
أو سارقٍ لا لقَعر السِجنِ مَرجِعهُ لكـنْ إلى الجـاهِ وَثّابـاً ومُرْتفِعـا
شَـدُّوا بـذيل غُرابٍ أمَّةً ظُلِمَـت تطـيرُ أن طـارَ أو تَهـوي إذا وقَعـا
وَخوَّفوها بـ « دُبٍ » سوف يأكلُها في حـين « تسعون عامـاً » تـألفُ السَبُعا
وضـيَّقوا أفـقَ الـدنيا بأعينِهـا ممـا استجدُّوه مِـن بغـيٍ ومـا ابتُـدعا
وأودَعـوا لغـلاظٍ مـن « زَبانيـةٍ » حَمْقـى حراسـةَ قِرطـاسٍ لهـم وُضِـعا
وذاك معنـاهُ أنْ بيعـوا كـرامَتكُم بيـعَ العبيـد بتشريـعٍ لكـم شُرِعـا
يـا نـادبينَ فلسـطيناً صـدعتُكُمُ بـالقول لا مُنكَـراً فَضْـلاً لكـم صَـدعا
ولا جَحـوداً بـأن الليـلَ يُعقبـه فَجـرٌ تفجَّـرُ منـه الشـمس مُطَّلَعـا
ولست أنكِرُ أن قد قارَبَتْ فُرَصٌ وأوشـكت مـثقلاتُ الـدَهر أن تَضَـعا
لكن وَجْدتُ القوافي تَشْتكي عَنتاً والمنـبرَ الحُـرَّ يشـكو فَـرطَ مـا افترعـا
إن تحمَـدوا أو تـذُمُّوا أنَّ شـافعتي أنّي رأيـتُ.. ومـا راءٍ كمَـن سَـمِعا
مررت بالقوم «شُذّاذاً» فما وقعت عينـي عـلى مُسـتمنٍّ غـيره ضَرعـا
ولا بمُلْقـىً وأهليـه بقارعـةٍ ولا بحاملـةٍ في الكُـور مَـن رضَـعا
ولا بمن يحرِس الناطورُ أرجلَهُم مهـروءة سَـهَّلت للكلـب منتزَعـا

وعندنا « سِلعةٌ » تُصفي البنينَ لنا نُغـلي – ونُرخصـها – في الأزمـة السِـلعا
وجـدتُها عنـدَهم زهـواً منـورةً البيـتَ.. والبحـرَ.. والأسـواقَ والبِيَعـا
بينـا تُـراقص بالأنغـام صـاحبَها إذا بهـا تُوسِـع الألغـامَ مُزدَرَعـا
ونحـن مـا نحـن قطعـانٌ بمَذْأَبَـةٍ تسـاقَطت في يـدَي رُعيانِهـا قِطَعـا
في كل يـومٍ «زعيمٌ» لم نجدْ خَبَراً عنـه.. ولم نـدر كيـف اختـيرَ واختُرِعـا
أعطـاهموا ربُّهـم فـيما أعـدَّ لُهـم مـن الـولائم صَـفّوا فوقَهـا المُتَعـا
كأسَينِ.. كاساً لهم بالشُهد منزعةً وللجماهـير كأسـاً سَـمُّها نَقَعـا
قتالـةً خـوف أن لا تُستَسـاغَ لهم أوصـاهُمُ أن يُسَّـقوهم بهـا جُرَعـا
وأن يَصُبّوا عليهـا مـن وُعـودِهُمُ كالشِـعر مكـتمِلا – سـهلاً ومُمتنِعـا
مـن ذا يـرُدُّ لنـا التـاريخَ ممتلِئـاً عِـزاً وإن لم نُـرِدْ ردّاً ومرتَجَعـا
كانوا يذمُّون (ربّاً) بالعصا قُرِعا ويغضَـبون لأنـفٍ مـنهم جُـدِعا
ويبعثـون قِتـالاً أنَّ قُـبَّرَةً ضـيمَت وأن « بَسوسـاً » ذيلُهـا قُطِعـا
وكـانَ مـن فـتْحِ عمّوريـةٍ مَنَعـت خُماتَهـا حَـوَّمَ العقبـان أنْ تَقَعـا
نـداءُ صـارخةٍ بـالرومِ « معتصِماً » لم يـألُ أن أدركَتْهـا بُلْقُـه سَرَعـا
حميَّـةٌ لـو أخـذناها ملطَّفـةً بـالعلم طابَـت لنـا رِدءاً ومُـدَّرَعا

***

يا بنت رسطاليس

قُـمْ حَـيِّ هـذي المنشـآت معاهـدا الناهضـاتِ مـع النُجـومِ خوالـدا
الشـامخاتِ أنـوفُهن إلى السـما والمطلعـاتِ لفرقـدين فَراقـدا
والفاتحـاتِ عـلى الخلـودِ نوافـذاً والمجريـاتِ مـع الحيـاة روافـدا

قـم حـيِّهنَّ ببعـثِ شـعب واثقـاً ... وَتَرضَّـهُنَّ بخَلـق جيـلٍ جاهـدا
جَلَّتْ بُنـيَّ تَلـدُ الرجـال وقُدسـت ... غُـرفٌ تَبوَّأهـا الخلـودُ مقاعـدا
قـم حييٍّ هـذي الموحيات صـوامتاً ... واستنطِقِ الحَجَـرَ البليـغ الجْامـدا
واخلَـعْ علـيهنَّ المواهـبَ تُجـتلى ... لا النثـرَ.. لا الشـعرَ المعـادَ.. قلائـدا
يـا بنـتَ رسـطاليسَ أمُّـكِ حـرَّةٌ ... تلـد البنـينَ فرائـداً وخرائـدا
وأبـوكِ يحتضـنُ السريـر يَرُبُّهـا ... ويقوتُهـا قلبـاً وذهنـا حاشـدا
مَشَـتِ القـرونُ ومـا يـزالُ كعهـده ... في أمسٍ.. « مشـاءً » يعـودُ كـما بـدا
يستنزلُ الخَطـراتِ مـن عَليائهـا ... عُصْـاً ويـدني العـالمَ المتباعـدا
لم يقتـنص جاهـاً ولاسـامَ النُهـى ... ذُلاً..ولا اتخـذَ الحريْـرَ وسـائدا
جـلَّ النُهـى الفكـر أعظـمُ عصـمةً ... مـن أنْ يريـدَ وصـائفاً وولائـدا
يـا بنـتَ رسـطاليسَ قُصِّي نسـتمعْ ... عـن عاشِـقيكِ أقاربـاً وأباعـدا
عن واهبينَ حياتَهم.. ما استُعبِدوا ... للشـاكرين.. ولم يَـذُموا الجْاحـدا
والصـاعدينَ إلى المشـانق مـثلما ... ارتَقـتِ النُّسـورُ إلى السـماءِ صـواعدا
ومُحَـرَّقين يُغـازلون وَقودَهـا ... شـوقاً إليـكِ ويَحمـدون الواقـدا
والمُسـملات عُيـونُهم.. وكـأنهم ... بطيوف شخصـك يكحلون مـراودا
قُصِّي فَـدَيتك مـن لَعـوب غَضـةٍ ... تَصِـفُ القـرونَ مَخـابراً ومَشـاهداً
إني وَجـدْتُ – وللشـبابِ حـدودهُ – ... أشـهى بنـاتِ الفكـر أقصـاها مَـدى
فتخلّعـي نجـدِ الفُهـومَ عَوارِيـاً ... وتَبَسـمي نجـد الفُنـونَ نضـائدا
وتطلَّبـي نُـزْجِ النفـوسَ عزيـزةً ... هَـدياً وننـتظمُ القُلـوبَ قصـائدا
يا بنت رسطاليس لُحـتِ « بواسـط » ... فَنزَلـت « حيـاً » بالصـبابة حاشـدا

خصبَ الشُعور ستَحَمدين موطِّناً ... مـن أهلـه.. ومُغـازلاً.. ومُـراوِدا
إيـهٍ « بلاسـمُ » والمفـاخرُ جَمـةٌ ... أحـرزتَ مَـنهُنَّ الطريـفَ التالـدا
أحـرزتَ مجـداً لـيس ينفـدَ ذكـرهُ ... طـولَ المـدى وبـذلتَ كنـزاً نافِـدا
ذكـرٌ يظَـلُّ بكـل خطـوٍ يرتمـي ... للصـف.. أو جـرَسٍ يـدقُّ معـاودا
خَـبِرْ فقـد جُبـتَ الحيـاةَ رخيَّـةً ... خضراء لم تكـذِبْ لعينـك رائـدا
وحَلبتَ من غَفلات دهرِك شطرَها ... وَقنَصتَ مـن مُتع النَعيم الشـاردا
وانسَبْتَ في غُـدرُ اللذائـذ خائضـاً ... وخَـبرَتهن مصـادِراً ومَـواردا
أعرَفْـتَ كـالأثر المخلَّـدِ لـذةً ... جـازَتْ مخَلِّـدها! فكـان الخالـدا
لله درُّك مـن كـريمِ أنعَشَـت ... كفّـاهُ روحـاً مـن نبـوغ هامـدا
نَفَّقتَ مـن عَـذَبات صبيان الحِمى ... عِلْقـاً بمنعـرج ،لأزقـةِ كاسـدا
إني وَجـدتُ مواهبـاً مطمـورةً ... كالزرع أينـعَ لمُ يصـادفْ حاصـدا
ولـربَّ أشـعثَ أغـبرٍ ذي هامـة ... تُلقـي عـلى كتَفيـهِ ثقـلاً آيـدا
ألـوى بـه فَقـرٌ فنكَّـب خطـوَه ... جَهـلٌ فـزلَّ عـن الفضـيلةِ حائـدا
قـد راحَ يبعـثُ بالتعاسـةِ راحمـاً ... قـد كـان لـولا ذاكَ يرجِـعُ حاسـدا
قُتِـلَ العُقـوقُ.. فكـم قتَلنـا نابغـا ... بـين البُيـوتِ.. وكـم وأدنـا قائـدا
أولاء حمـدُك عاقِبـاً عـن عاقـبٍ ... أتريـدُ أحسـنَ مـن أولئـك حامـدا
سيقولُ عنك الـدهرُ : ثَمَّـةَ ماجـدٌ ... في الرافـدين شـأى الكـريم الماجـدا
هل غيرُ أن رُمتَ الثناء كما ادعي ... نَفَـرٌ.. وأن أنْبَهـتَ ذكـرَكَ عامـدا
مجـداً عـلى مجـد.. فتلـكَ طَماحـةٌ ... يـمشي عليها المجـدُ نحـوكَ قاصـدا
كـذَبوا فـإن الأكـرمينَ طرائـدٌ ... للمَكْرُمـاتِ وإنْ حسِـبنَ طرائـدا
وإذا صـدقتُ فللخلـودِ مصـايدٌ ... أبـداً تَلَقّـفُ مـن أتـاه صـائدا

يـمشي الكـريمُ مـع التكـرُّم توأمـاً ... صـنوٌ يسـددُ خطـوَ صـنوٍ عائـدا
حتـى إذا بلـغَ الجميـلُ أشُـدَّه ... سـارَ الكـريمُ إلى المكـارم فـاردا
مـا كـان بـاللُّغزِ الخلـودُ وإنـما ... كـان النفـوسَ نـوازلاً وصـواعدا
هـل غـيرُ آلافٍ تـروحُ كـما اغتـدت ... بيـدي سـواكَ طرائقـاً وبدائـدا
تغـدو إلى مطمـورةٍ.. إن لم تَـرُحْ ... للهـوِ دوراً.. والقِـمارِ موائـدا
أحييـتَهُنَّ فكـانَ عـدلاً ناطقـاً ... هـذا الجـهادُ عـلى سـمُّوكَ شـاهدا
وضـممتَهُنَّ لبعضِـهنَّ مجُهَّـزاً ... جيشـاً تـرُدُّ بـه الوَبـاءَ الوافـدا
الجهـلَ: أكـرمُ ذائـدٍ عـن مـوطنٍ ... مـن راحَ فيـه عـن الجهالـةِ ذائـدا
أعطيـتَ حـقَّ العلـمِ أوفاهـا نـدى ... ومـدَدتَ للتعلـيم أزكاهـا يـدا
فـأعطِ المعلـمَ يـا «بلاسـمُ» حقـهُ ... واعضُـدْ فقـد عَـدِمَ المعلـمُ عاضـداً
لـو جـازَ للحـر السُـجودُ تعبُّـداً ... لوُجـدتُ عبـداً للمعلّـم سـاجدا
للمُتعَـب المجهـودِ في يَقظاتـهِ ... والمرتعـي طيـفَ المتاعـبِ هاجـدا
والمـثُخنِ المجهـولِ لم يَنشُـد يـداً ... تأسـوا الجْـراحَ ولا تَطلـب ناشـدا
والمسـتبيحِ عُصـارةً مـن ذهنِـهِ ... يغذو الألوفَ بها.. ويُحسبُ واحدا
قـل للمعلـم راجيـاً.. لا راشـداً ... كـن للشـبيبةِ في المزالـقِ راشـدا
يـا خـالقَ الأجيـالِ أبـدِعْ خَلْقَـها ... وتَـوَّق بالإبـداع جـيلاً ناقـدا
سـيقولُ عهـدٌ مقبـلُ عـن حـاضرٍ ... نُشـوى عليـه: لُعنـتَ عهـداً بائـدا
ولسـوفَ يـبرأ عاقـبٌ عـن أهلـهِ ... ولسـوفَ يَـتهِمُ البنـونَ الوالـدا
قـل للشـبيبة حـينَ يعصِـفُ عاصـف ... ألا يَظلّـوا كالنسـيمِ رواكـدا
وإذا اغتَلَـتْ فينـا مراجـلُ نقمـةٍ ... ألا يكونـوا زمهريـراً بـاردا

هيِّئ لنا نشئاً كما انصَبَّ الحيا ... لُطفاً.. ونشئاً كالزلازل راعدا
فلقد رأيتُ اللهَ يَخلُق رحمةً ... مَلَكاً.. ويَخلُقُ للتمردِ ماردا
ومحمداً ما إنْ أهابَ بجيشهِ ... يطأ البلادَ روابياً و فدافدا
ويكُبُّ جباراً.. ويُعلي مُدقعاً ... ويُنيرُ خابطةً.. ويُنهضُ راقدا
لو لم يعبئ للقيادةِ ثائراً ... حَنِقاً على نُظُمٍ بَلينَ وحاردا
ما إن يروحُ مع الضعيف مُطاوعاً ... من لا يروحُ على القويِّ معاندا
وأذلُّ خلقِ الله في بَلَدٍ طغت ... فيه الرزايا من يكونُ محايدا
نشءٌ يقوِّمُ من زمانٍ فاسدٍ ... لا كالزمانِ يكونُ خَلْقاً فاسدا
عُلِّمْتُمُ فرْضَ الحسابِ فأنتُمُ ... أدرى بِهِنَّ فوائداً وعوائدا
ما إن تُعجِّلُ جيلٍ ناقصاً ... إلاّ تحمّلَ من عناءٍ زائدا
أطلِقْ يدَ التحليل في تاريخهم ... حراً.. وفكَّ من العِقال أوابدا
لابدَّ من فَهم الحياةِ مَعايباً ... ومفاخِراً.. ولذائذاً.. وشدائدا
جنباً إلى جنبٍ يُتمِّمْ بعضها ... بعضاً كما انتظَم الجُمانُ فرائدا
علِّمْهُ حُبَّ الثائرين من الورى ... طُرّاً.. وحُبَّ المخلصينَ عقائدا
وأجْلُ الشُّعوبَ كرائماً لا تَنتَقِصْ ... شعباً.. ولا تَقحَمْ عليه شواهدا
واجلُبْ له أمسِ البعيدَ مَراجِعاً ... وألحْ له أمسِ القريبَ مساندا
أرِه لثورته عِظامَ جماجمٍ ... وابعَثْ له زنداً أطنَّ وساعدا
وإذا تقصّاكَ الدليلُ مسائلاً ... عن أيّ شيءٍ أعقبَتْ ومناشدا
فابعثْ له الأشباحَ يشهدْ عندَها ... ما يستفز مطالعاً ومُشاهدا
يشهدْ خيالاً عارياً ومجوَّعاً ... من أهلهم ومُضايقاً ومُطارَدا
أصِلحْ بنهجِك منهجاً مُستعبداً ... صُنعَ الغريبِ.. على الثقافةِ حاقدا

قـالوا : قواعـدُ يبتنيهـا غاصـبٌ وسْـطَ العـراق عـلى الكرامـةِ قاعـدا
تحتـلُّ منـه مشـارفاً ومَنـاهلاً وتَسـدُّ منـه مسـالكاً ومنافـذا
سـاقتْ جُيوشَ الموبقـاتِ حواشـداً للرافـدين مـع الجيـوشِ حواشـدا
مـا كـان أهـونَ خطبَـهُ مستعمراً لـو لم يُقـمْ وسْـط العقـولِ قواعـد

***

المقصورة

بـرغمِ الإبـاءِ ورغـمِ العُـلى ورغـمِ أُنـوفِ كـرامِ المـلا
ورغـم القلـوبِ التـي تستفيضُ عُطفـاً تَحوطُـكَ حـوْطَ الحِمـى
وإذ أنـتَ ترعـاكَ عـينُ الزمـانِ ويَهْفـو لجِرْسِـكَ سَـمْعُ الـدُّنى
وتلتـفُّ حولَـكَ شـتّى النُّفـوسِ تَجـيشُ بشـتى ضروبِ الأسـى
وتُعـرِبُ عنهـا بـما لا تُبـين كأنَّـك مـن كـلِّ نفـسٍ حشـا
فأنـتَ مـع الصبحِ شَـدْوُ الرعـاةِ وحلـمُ العـذارى إذا الليـلُ جـا
وأنـت إذا الخطـبُ ألقـى الجِـران وحـطَّ بكلكلـهِ فـارتمى
ألحْـتَ بشِـعرِكَ للبائسـين.. بـداجي الخُطـوبِ.. بريـقَ المُنـى
تـروحُ عـلى مثلِ شَـوك القَتـادِ وتغـدو عـلى مثـل جَمـرِ الغضـا
وتطـوي الضُّـلوعَ عـلى نافـذٍ مـن الصَّـبرِ يـدمي كحـزِّ المُـدى
دريئـةَ كـلِّ جـذيم اليـدينِ رمـى عـن يـدَيْ غـيرهِ إذ رَمـى
رمـى عـن يـدَيْ حاقـدٍ نـافسٍ عليـك احتشـادَ العـلى والنـدى
وحلِسـاً لـدارِكَ والمُقرفـون يجولـونَ كـلَّ مجـالٍ بـدا
عـلى حـينَ راحَ هجـينُ الطبـاعِ تَنطّـفُ أطرافـه بالخَنـا

أدرَّ عليـــه ثـــدِيَّ الخُمـــولِ وهزَّتْـــهُ في المهـــدِ كـــفُّ الغَبـــا
يجـــرُّ ذيـــولَ الخنـــا والغِنـــى وتهفـــو عليـــه ظِـــلالُ المُنـــى
وحولـــكَ مثـــلُ فـــراخِ الحَـــامِ لـــولا الشـــعورُ - وزُغْـــبِ القَطـــا
تـــدورُ عيـــونُهُمُ والـــذَّكاءُ يَلمَـــعُ فيهـــا كحـــدِّ الظُبـــا
إلى كـــلِّ شَـــوْهاءَ مرذولـــةٍ وأشـــوَهَ مســـتأثرٍ بـــالغِنى
وتَرْجِـــعُ والعتـــبُ في مُوقِهـــا تَســـاءلُ : أيكـــا المُبـــتلى
بـ « علقمةَ الفحلِ » أُزجي اليمينَ أني ألـــذُّ بمـــرِّ الجنـــى
وبـــ « الشَّـــنْفَرى » أنَّ عينَّـــي لا تَلَـــذّانِ في النـــومِ طعـــمَ الكـــرى
وبـــ « المتنبـــئِ » أنَّ الـــبلاءَ.. إذا جـــدَّ.. يَعلـــم « أني الفتـــى »
ألا مِـــن كـــريمٍ يَسُرُّ الكـــرامَ بجيفـــةِ جلـــفٍ زَنـــيمٍ عَتـــا
فيـــا طالمـــا كـــانَ حـــدُّ البَغِـــيِّ يُخَفّـــفُ مـــن فحـــشِ أهـــلِ البِغـــا
ويـــا طالمـــا ثُنـــيَ الســـادِرونَ بـــا اقتِيـــدَ مـــن ســـادرٍ مـــا ارعـــوى
عـــلى أنّـــه مـــن شِـــفاءِ الصُـــدورِ لـــو أنَّ حـــرّاً كـــريماً شـــفى
تأصَّـــلَ هـــذي العـــروقَ الخِبـــاثَ فقـــد ضـــاقَ بالجـــذْمِ منهـــا الثـــرى
فـــا هـــي أوّلُ مجذومـــةٍ مخافـــةَ عـــدوى بهـــا تُنتفـــى
ولا هـــي أوّلُ « أغلوطـــةٍ » محـــا شـــاطبٌ رســـمها فـــامّحى
ومـــا بـــالنفوسِ اللـــواتي ملكـــنَ بـــأطماحهنَّ عَنـــانَ السّـــا
عنـــاءٌ إلى مـــن يُقيـــتُ البُطـــونَ ولكـــنْ إلى مـــن يُمـــيطُ الأذى
إلى مـــن يكُـــفُّ صـــغارَ النفـــوسِ.. صـــغارَ الحلـــومِ.. صـــغارَ الهـــوى
يَكُفُّهُـــمُ أنْ يكـــون الكـــريم بـــه عـــن هـــوانهمُ : يُشـــتفى
أُنبيـــكَ عـــن أطيـــبِ الأخبثـــينَ فقُـــلْ أنـــتَ بالأخبـــثِ المـــزدرى

زِقــاقٌ مــن الــرّيحِ منفوخــةٌ		وإنْ ثَقَّــلَ الزهــوُ منهــا الخطــى
وأشــباحُ نــاسٍ.. وإنْ أُوهِمــوا		بــأنّهمُ .. « قــادةٌ » في الــورى
ألمْ تــرَ أنيَ حــربُ الطغــاةِ		ســلمٌ لكــلِّ ضــعيفِ الــذَّما
وأني تركــتُ دهــينَ السِّــبالِ		كثــيرَ الصيالِ.. شــديدَ القــوى
مـن الخـوفِ كـالعَيْرِ قبـلَ الكـواءِ		يَجبــقُ ممــا اصــطلى واكتــوى
بــماذا يخــوِّفني الأرْذَلــونَ		ومــمَّ تخــافُ صِــلالُ الفــلا
أَيُسْــلبُ عنهــا نعــيمُ الهجــيرِ		ونفــحُ الرمــالِ.. وبــذْخُ العــرا
بـلى ! إنّ عنـديَ خـوفَ الشُّـجاعِ		وطـيشَ الحلـيمِ ومـوتَ الـرَّدى
إذا شــئتُ أنضــجتُ الشِّــواء		جلــوداً تعَّضْــت فــما تشــتوى
وأبقيــتُ مــن مِيسَــمي في الجِبــاهِ		وشْــماً كوشْــمِ بنــاتِ الهــوى
فــوارقُ لا يمّحــي عارُهــا		ولا يَلتَبسْــنَ بوصــفٍ ســوى
بحيـثُ يقـالُ إذا مـا مشـى الصّـليُّ		بهـــا : إنّ وغـــداً بـــدا
وحيـــثُ يُعـــيّرُ أبنـــاؤهُ		بـــأنّ لهُـــمْ والـــداً مثـــلَ ذا
أقـــولُ لـــنفسي – إذا ضـــمَّها		وأترابَهـــا محفـــلٌ يُزدهـــى
تســامَيْ فإنــكِ خــيرُ النفــوسِ		إذا قــيسَ كــلٌّ عــلى مــا انطـوى
وأحســنُ مــا فيـكِ أنّ « الضـميرَ »		يَصــيحُ مــن القلــبِ أنّي هُنــا
وأنــتِ إذا زيــفُ المعجبــينَ		تــلألأ للعــينِ ثــمَّ انجــلى
ولم تســتطعْ همــمُ المــدَّعين		صــبراً عــلى جمــرةِ المــدَّعى
خلَصْتِ كما خَلصَ ابنُ « القُيون »		تَرعــرَع في النــار ثــمَّ اســتوى
تســامَيْ فــإنّ جناحيــكِ لا		يَقــرّانِ إلا عــلى مرتقــى

كـذلكَ كـلُّ ذواتِ الطِماحِ ... والهـمِّ مخلوقـةٌ للـذُّرى
شـهِدتُ بأنـكِ مـذخورةٌ ... لأبعـدَ مـا في المدى من مدى
وأنـكِ سـوفَ تـدوِّي العصورُ ... بـما تتركـينَ بهـا مـن صدى
بآيـةِ أنَّ يـدَ المُغريـاتِ ... تهابُـكِ إلاَّ كلمـسِ النـدى
وأنـكِ إنْ يَلتمـعْ مطمـعٌ ... يُخـاف عـلى الرُّوحِ منـه العمـى
يمـوتُ « النبـوغُ » بأحضـانه ... ويُنعـى بـه « الأمـل » المرتجـى
وتمشي الجمـوعُ عـلى ضـوئهِ ... لتبكـي عـلى عبقـريٍّ قضى
وكـادتْ تَلُفّـكِ في طيّهـا ... حواشـيه ردَّكِ عـزمٌ قَضى
لشرِّ النِهايـاتِ هـذا « المطـافُ » ... وكـلُّ مَطـافٍ إلى مُنتهـى
متـى تَرعـوي أُمـةٌ بـالعراقِ ... تُسـاقُ إلى حتفِهـا بالعصـا
تُـذَرَّى عـلى الضَّـيْمِ ذَرْوَ الهشـيمِ ... ويَعرقُهـا الـذُّلُّ عَـرْقَ اللِّحـا
وتنـزو بهـا شـهوةُ المشـتهينَ ... كـما دُحرجـتْ كـرةٌ ترتمـى
يَجِـدُّ بَغـيضٌ بهـا عهـدَهُ ... إذا قيـلَ عهـدُ بَغـيضٍ مضى
وتسـمَنُ منهـا عِجـافٌ مَشـتْ ... إلى الأجنبـيِّ تَجُـرُّ الخُصي
تُراودُهـا عِزّهـا كـالقرومِ ... هِجـانٌ عليهـا غريـبٌ نـزا
عجبـتُ وقـد أسـلمتْ نفسَـها ... لعَـرْكِ الخُطـوبِ وعَصْرِ الشَّقا
وقَـرَّ عـلى الـذُّلِّ خَيشـومُها ... كـما خطـمَ الصعب جـذبُ البرى
وأغْفَـتْ فلـم أَدْرِ عـن حَـيرةٍ ... بهـا كيـف إيقاظُهـا أو متـى
ولم أدرِ مـن طيـبِ إغفائهـا ... عـلى الـذُّلِّ.. أيَّ خيـالٍ تـرى
أهِمّـاً تغشّـاهُ بَعْـدَ العنـا ... كـرىً .. أمْ صـبياً بريئـاً غفـا
متـى تسـتفيقُ وفحـمُ الـدُّجى ... عليهـا مشـتْ فيـه نـارُ الضّحى

وقد نَفض الكهفُ عن أهله ... غُبارَ السنينَ ووَعْثَ البِلى
تعيشُ على الأرضِ أُمّ الكفاحِ ... وتربطُ أحلامَها بالسَّما
وتَصْبَغُ بالوَرْد آماها ... كما طرَّزَ الحائكونَ الرِّدا
وأصنامِ بَغْيِ يصُبّونها ... ويَدْعُونها مَثلاً يُقتدى
يُثيرونَ من حولِها ضَجَّةً ... بها عن مَخازيهمُ يلتهى
كما حَجَبتْ بالغُبارِ العيون ... خِفافٌ مُهرّأةٌ تحتذى
فهذا سيمضي وهذا مضى ... وهذا سيأتي وهذا أتى
وهذا « زعيمٌ ».. لأنّ السفيرَ ... يرنو إليه بعينِ الرّضا
وفي ذاكَ عن سُخطِ أهل البلادِ ... على حُكمهِ أو رضاهم غِنى
وهذا بعِمتّهِ.. ساخراً.. ... من « الجنِّ » يرفعها للعلى
تجيءُ المطامعُ منقادةً ... إليه إذا شاءَ أو لم يَشا
وليتكَ تَحسَبُ أزياءهم ... فتجمعَ منها زهورَ الرُّبى
فتلكَ اللفائفُ كالأقْحُوانِ ... بها العِلمُ ينفحُ طيبَ الشذا
تَطُقُّ المسابحُ من حولِها ... لتُعلِنَ أنَّ ملاكاً أتى
وتلكَ الشراشيفُ كالياسمينِ ... تاهَ « العِقالُ » بها وازدهى
تدلّتْ عناقيدُ مثلُ الكرومِ ... على كتفيْ « يابسٍ » كالصُوى
يَوَدُّ من « التّيهِ» لو أنّه ... يَشدُّ بها « جَرَساً » إنْ مشى
لِيَعلِمَ سامعُه أنه ... « ينوبُ» عن البلدِ المبتلى
إذا رَفعَ اليدَ للحاكمينَ ... بدَتْ « نَعَمٌ » وهي في زيِّ لا
وبينهما محدَثٌ ناشئ ... إذا خطَّ تَعرِفُه أو حكى

تعـــــوِّذُه أُمّـــــه إنْ مشـــــى ... إلى « البرلمـــانِ » بـــأمِّ القـــرى
ومُستسـلمين يَـرونَ الكفـاحَ ... قـــوراء مـــدحوَّةً تمتطـــى
فَتغــرُزُ في رَخـــوةٍ ســـمْحةٍ ... وتنفـــرُ عـــن ذي مسَـــنٍّ قســـا
يــرَوْنَ السياســةَ أنْ لا يمـــسَّ ... هـــذا.. وأنْ يتَّقـــى شرُّ ذا
وهـــذا وذا في صـــميمِ الـــبلادِ ... سُـــلٌّ.. وفي العـــينِ منهـــا قـــذى
مســاكين يقتحمـــونَ الكفـــاحَ ... وقـــد راعهـــمْ بابـــه مـــن كُـــوى
ومـــا هـــو إلاَّ احـــتِمالُ الخُطـــوبِ ... وإلاّ الأذى والعَـــرا والطَّـــوى
فهـــمْ يعرفـــونَ مزايـــا الخُلـــودِ ... ولا يُنكـــرونَ مزايـــا الفَنـــا
وهـــمْ يعشَـــقونَ هُتـــافَ الجمـــوعِ ... ويَخْشـــونَ مـــا بعـــدَه مـــن عَنـــا
فليـــتَ لنـــا بهـــمُ ناقـــةً ... تطيـــق الحفـــا والوجـــا والـــوحى
وتجـــترُّ بـــالجوعِ مـــا عنـــدَها ... وتَطـــوي عـــلى الخِمـــسِ حـــرَّ الظـــما
ومُحتقـــبٍ شرَّ مـــا يُجتـــوى ... مشـــى ناصـــباً رأســـهُ كـــاللوا
مشـــى ومشـــتْ خلفـــهُ عُصـــبةٌ ... تقـــيسُ خُطـــاهُ إذا مـــا مشـــى
يُحِـــبُّ « الســـلامةَ » مشـــفوعةً ... بـــدَعوى « الجبـــانِ » بحُـــبِّ الـــوَغى
ويجمـــعُ بـــينَ ظِـــلالِ القصـــورِ ... وعَصـــرِ الخمـــورِ ورشْـــفِ اللّمـــى
وعـــيشِ « المَهازيـــلِ » في نـــاعمٍ ... مـــن العـــيشِ مـــن مثلـــهِ يُســـتحى
وبـــينَ « الزعامـــةِ » لا تُصـــطفَى ... بغـــيرِ الســـجونِ ولا تشـــترى
ولم أدرِ كيـــفَ يكـــونُ الـــزعيمُ ... إذا لم يكـــنْ لاصـــقاً بـــالثرى
ومنتحلـــينَ ســـماتِ الأديـــبِ ... يظنونهـــا جُبَبـــاً ترتـــدى
كـــما جاوبـــتْ « بومـــةٌ » بومـــةً ... تَقـــارَضُ مـــا بينهـــا بالثَّنـــا
ويرعَـــوْن في هـــذَرٍ يـــابسٍ ... مـــن القـــولِ.. رعـــيَ الجِـــمالِ الكـــلا

يـــرَوْنَ « وُرَيقــــاتهم » بلغـــــةً | مـــن العـــيشِ لا غايـــةً تُبتغـــى
فَهُــمْ والضــميرِ الــذي يصــنعونَ | لمـــنْ يعـــتلي.. صـــهوةٌ تعـــتلى
ولاهِــينَ عــن جِــدِّهم بــالفراغِ | زوايـــا المقـــاهي لهـــم مُنتـــدى
تصـــايَح بـــاللغوِ مـــا بينهـــا | صِـــياحَ اللقـــالق تنفـــي الحصى
وشـــدُّوا خُيوطـــاً بأعنـــاقِهمْ | تَصـــارَخُ ألوانُهـــا بالـــدِّما
ألا يخجلـــــونَ إذا قايســـــوا | حيـــاتَهمُ بحيـــاةِ الأُلى
ســقَوا أرضَــهم بنجيــع الــدِّماءِ | فكـــانَ الشـــعارَ الـــدَّمُ المُستقى
وأولاءِ شُـــغْلُهم بـــالبطونِ | فهـــلاّ اســـتعانوا بشـــدِّ المِعـــى
وعـــارٍ تحـــلى بثـــوب الأديـــب | وممَّـــا يزكـــي أديبـــاً خـــلا
ومـــن تبعـــات النُّفـــوس الكبـــار | بسِـــنِّ اليـــراعِ الـــرخيصِ احتمـــى
ووغـــدٍ تخـــيّرَ أمثالـــه | فوغـــداً أهـــرَّ ووغـــداً شـــلا
إذا مـــا تصـــفحتَ أصـــنامه | وهـــزأةَ ألقابهـــا والكُنـــى
أراكَ– وإن أنكـــرَ العالمـــانِ | – بمزمـــارِ داودَ.. بومـــاً شـــدا
وأنَّ غرابـــاً شـــأى « معبـــداً » | وأنّ حِمـــاراً « غريضـــاً » حَكـــى
بـــدا لـــكَ طـــاهٍ أجـــيرُ البطـــونِ | كـــلُّ الـــذي تشـــتهيهِ طهـــا
يســـدُّ بـــذاكَ فـــراغَ الضـــميرِ | ويُوقـــدُ روحـــاً خبيثـــاً خَبـــا
يـــبِصُّ لـــذي مَنصِـــبٍ يُرتجـــى | ويَخـــدُم ذا صـــولةٍ يُختشـــى
يَـرى أنـه حـين يُطـري الفسيل | جُـــذَيلاً هجـــا وعُـــذَيْقاً رمـــى
وشرٌّ أهـــرَّ بهـــا أكلُبـــاً | أعـــارَهمُ نـــابَهمْ إذْ سَـــطا
حَبـا مـا حبـا طغمـة أُتخِمـتْ | بفَضْـــلاتهِ وزوي مـــا زوى

وأطلــقَ للصــيدِ أظفــارهنَّ ... وأنيــابَهنَّ بهـــا واختفـــى
يقولــونَ إنَّ يــداً في الغُيــوبِ ... تُــدير عــلى الأرضِ حُكــم السَّما
ولّمــا يــزَلْ مَثــلٌ ســائرٌ ... عــلى النــاسِ يَجــري : بأيــدي سبا
وتحريــقُ « لــوطٍ » بــذنبِ أتــى ... وأخــذُ «ثمــودٍ » بســقبِ رغــا
فــما بــالُ كــفِّ القضــا لا تــدورُ ... عــلى بلــدٍ ظــلَّ حتــى اختــزى
وأضــحى « ثمــودُ » و « لــوطٌ » بــه ... ومــن لهــما في الشرورِ انتمــى
ومَــن عــاثَ في أمــمِ المشرقَــينَ ... وجــارَ عــلى أهلهــا واحتمــى
حَبيــينَ بــينَ ولاة الأمــورِ ... في بلــدٍ ضــاعَ فيــه الحيــا
يســائلُ بعــضٌ بــه بعضــهم ... أنحــنُ أُخــذنا وهــذا نجــا
أُخِــذْتَ لأني ركبــتُ الطريــقَ ... شَــذا إلى غايــةٍ تبتغــى
وأنــت أُخــذْتَ عــلى ناقــةٍ ... بفلْســينِ أمثالُهــا تُشــترى
وكنّــا أُناســاً كــماء السَّماءِ ... تَخــبطَ طــوراً وطــوراً صــفا
نجــيءُ الحيــاةَ عــلى رِســلِها ... نهاياتُهــا عنــدنا كالبــدي
ونــأتي الجريــرةَ لا نغــتلي ... ونَبغــي الهَنــاةَ كــما تُبتغــي
ولا نكبــتُ العاطفــاتِ الجْيــاعَ ... فيُشرِقنــا كبتُهــا بالشــجا
إلى الآنَ يُضرَبُ مــن ههنــا ... بنــا مَثــلٌ في مصــيرِ الــدُّنى
ولــو صــحَّ مــن مثــلٍ للــدَّمارِ ... مــا كــانَ غــيرَهمُ.. والتّــوى
وجَــدنا هنــا كــلَّ ذي عــورةٍ ... عــلى كــلِّ ذي حرمــةٍ قــد ســطا
وكــلَّ كــريم الثَّنــا أصــيدٍ ... تَقلّــص في كنّــهِ وانــزوى
وجــدنا الرِّجــالَ هنــا بالرِّجــالِ ... لاهــينَ.. في وَضــح مــن سَــنا
عــلى حــينَ تخــتصُّ نِســوانُهم ... نســاءً ومنتصــفٌ مــن جــزى

وجـدَنا الـزعيمَ – كـما يَنْعَتُـونَ – عـلى قـدَميْ غاصـبيهِ ارتمـى
وجـدنا الخبائـثَ والطَّيبـاتِ بأضـدادِهنَّ هنـا تصـطفى
وجـدنا الرَّجـالَ وأسـماءَهم يُخَفِّـفُ مـن قبحهـا بـالكُنى
بَنـيَّ إذا الـدَّهرُ ألقـى القنـاعَ وصرَّح مـن حسـوهِ مـا ارتغـى
ودالـتْ لهـمْ دولـةٌ كـالَّتي لـدى النـاسِ في وجههـا والقفـا
سـواءٌ فـلا خَلْفُهـا مـن أمـامِ يبـدو ولا وجهُهـا مـن ورا
ولا يسـتبيحُ بهـا سـابقاً إلى المجـدِ ركاضـةً مـن حَبـا
ولا يقـذفُ الشـهمَ ذو لَوثـةٍ ذمـيمٌ.. ولا يـدّري مـن وعـى
وكـانَ المُفَضـلُ لا المـزدرى لـهُ يُعتـزى وبـهِ يُؤتسـى
وكـان بهـا المُثـل الصـالحاتُ لا الطالحـاتُ.. هـي المُقتـدى
فـلا تبخلـوا أنْ تـزوروا أبـاً جريرتـه أنَّ ذُلاً أبـى
ولا تبخَلـوا أنْ تمـدوا يـداً لتحضـنَ منـه خيـالاً سرى
وطيفـاً أتـاكمْ يهنّـيكمُ بـأنْ قـد وُقيـتمْ زمانـاً مضى
ولا تُنكـروا أنَّ « عُشـاً » بـه تلـوحُ لكـمْ قسَـماتُ الهنـا
كطُهْـرِ « الطفولـةِ » أجـواؤه وأفيـاؤه كرفيـفِ الضـحى
ضرَبنـا لنجمـعَ أعـوادَه لكـم في صـميمِ زمـانٍ جسـا
سـتدرون أيَّ مطـاوي الـبلاءِ نزلنـا إليهـا وأيَّ الهُـوى
وأيَّ الخصـومِ مـدَدْنا لـه بـأيِّ الأكـفِّ بـأيِّ القَنـا
ضربنـاهُ بـالفكرِ حتـى التـوى وبالقلـبِ حتـى هفـا بـالرَّدى
وكـانَ القـريضُ الـذي تقـرؤونَ أقتـلَ مـن ذا وهـذا شـبا

ضربنـــاه أنْ لم يُصــبْ مَقــتلاً بســـهمِ أراشَ ونصـــلٍ بـــرى
وشرُّ « الســـهامِ » رُواءُ النعـــيمِ وشرُّ « النضـــالِ » بريـــق الغِنـــى
ســـلامٌ عـــلى هَضَـــباتِ العـــراقِ وشـــطّيهِ والجُـــرفِ والمُنحنـــى
على النَّخْـلِ ذي السَّـعَفاتِ الطـوالِ عـــلى ســـيدِ الشـــجَرِ المُقتنـــى
عـــلى الرُّطَـــبِ الغـــضِّ إذ يُجـــتلَى كـــوَشْيِ العـــروسِ وإذ يجتنـــى
بإيســـارهِ يـــومَ أعذاقُـــه تـــرفُّ.. وبـــالعسرِ عنـــدَ القنـــى
وبالسَّـــعفِ والكـــرَبِ المُســـتجِدِّ ثوبـــاً « تهـــرا » وثوبـــاً نضـــا
ودجلـــةَ إذْ فـــارَ آذيهـــا كـــما حـــمَّ ذُو حـــرَدٍ فـــاغتلى
ودجلـــة تمشـــى عـــلى هونهـــا وتمشـــى رخـــاء عليهـــا الصبـــا
ودجلـــةَ زهـــوِ الصَّـــبايا المـــلاحِ تَخـــوَّضُ منهـــا بـــماءٍ صرى
تُريـــكَ العراقـــي في الحـــالتينِ يُسرِفُ في شُـــحهِ والنـــدى
ســـلامٌ عـــلى قَمـــرٍ فوقَهـــا عليهـــا هفـــا وإليهـــا رَنـــا
تُدغـــدِغُ أضـــواؤهُ صـــدْرَها وتَمســـحُ طياتهـــا والثِنـــى
كـــأنَّ يـــدا طـــرَّزَتْ فوقها مـــن الحُســـن موشِـــيةً تُجـــتلى
رواءُ النمـــيرِ لهـــا لحمـــةٌ وذَوبُ الشـــعاعِ عليهـــا سَـــدى
ونجـــمٌ تغَـــوَّرَ مـــن حبّهـــا ونجـــمٌ عليهـــا ادَّنـــى فـــادَّلى
عـــلى الجْسِرِ مـــا انفـــكَّ مـــن جانبيـــهِ يُتـــيحُ الهَـــوى مـــن عيـــونِ المهـــا
فيـــا ليـــتَهُنَّ الـــذي يعتـــدي ويـــا ليتـــكَ الرّجـــلُ المُعتـــدى
ويـــا ليـــتَ بلـــواكَ قُـــبُّ الصـــدورِ ولُعـــسُ الشـــفاهِ وبـــيضُ الطُّـــلى
ويـــا ليـــتَ أنّـــكَ لا تشـــتكي ظَـــماءكَ إلاَّ لهـــذا اللمـــى
وليـــتَ بهـــنَّ ولا غـــيرهنَّ تَنَقّـــلُ في غضـــبٍ أو رِضـــا

بهـــنَّ ولا بغـــلاظِ الرقـــابِ ... قِبـاحِ الوجـوهِ خِبـاثِ الكُـلى
سـلامٌ عـلى جـاعلاتِ النَّقيـقِ ... عـلى الشّـاطئينِ بَريـدَ الهـوى
لُعنـتنَّ مـن صـبيّةٍ لا تشـيخُ ... ومـن شِـيخةٍ دَهْرَهـا تُصـطبى
تقـافزُ كـالجنِّ بـينَ الصـخورِ ... وتنـدسُّ تحـتَ مهيـلِ النَّقـا
حَلَفـتُ بمـنْ راءَكـنَّ الحيـاةَ ... سـمحاءَ أبـدعَ مـا ترتـأى
وألبسـكُنَّ جمـالَ الغـديرِ ... مَـن صـافَ منكنَّ أو مـن شـتا
لأنـتنَّ مـن واهبـاتِ البيـانِ ... جمـالاً ومـن محيِيـاتِ اللُغـى
عـلى أنهـا لغـةٌ ثـرَّةٌ ... عـواطفكنَّ بهـا تمـترى
لقـد عـابكنَّ بـما لا يُعـابُ ... فَـدْمٌ بخَلْـقِ جميـلٍ زَرى
بسَـمحِ يُنـادمُ رَكـبَ الخلـود ... ويُحسِـن للخـابطينَ القـرى
يَـدُلُّ عـلى المـاءِ مـن ضَـلَّه ... ويرفـعُ وحشـةَ ليـلٍ طخـا
كـأنَّ بعينيـكِ يـاقوتتينِ ... صـاغهما جـوهريٌّ جَـلا
ولـو لم يُخـبرْ بريـقُ النبـوغِ ... بعينيـكِ عـن مثـلِ سـفعِ الـذّكا
لـنمَّ الجُحـوظُ عـلى شـاعرٍ ... بعيـدِ الخيـالِ عنيـفِ الـرؤى
سـجا الليـلُ إلا حمامـاً أجـدَّ ... هَـديلا وترجيـعَ كلـب عَـوى
وجُندُبـةً طارحـتْ جُنـدُباً ... وبومـاً زقـا وسـحيلاً ثغـا
وديكـاً يـؤذّنُ في جمعهـم ... بـأن قـد مضى الليـلُ إلا أنـى
ودَّوى قِطـارٌ فـرَدَّ الحيـاةَ ... عفـواً إلى عـالَمٍ يُبتنـى
ومـا بـرحَ القمـرُ المسـتديرُ ... يَسـبحُ في فلـكٍ مـن سـنا
تلـوذُ النجـومُ بأذيالـهِ ... هَفـتْ إذ هفـا ودَنَـتْ إذ دنـا

إلى أنْ تَضــوَّرَ غــولُ الصَّــباحِ ودَبَّ الهُــزالُ بـــه فانضـــوى
ســلامٌ عــلى عــاطراتِ الحقــولِ تنــاثرُ مــن حــولهن القــرى
ويــا لَلَطافــةِ هــذي الــدُّنى يُتمّمهــا لطــفُ تلــكَ الــقُصى
وحبــلِ ضــياءٍ تــدلى بــه عــلى أُفــقٍ أُفــقٍ والتقـــى
كــأنَّ يــدَيْ خــالقٍ مبــدعٍ تخيّــلَ عُريتهـــا وارتـــأى
يَمُــرَّانِ فــوقَ الرُّبــى والســفوحِ ويخترقــانِ ســدوفَ الــدُّجى
وينتزعــانِ الشُــفوفَ التــي تــدثّرَ كــوْنٌ بهــا وارتــدى
رويــداً رويــداً كــما سُرِّحــتْ غلائــلُ غانيـــةٍ تنـــتضى
وألقــتْ عليهــا الغيــومُ اللطــافُ نَسْــجاً كعهــدِ الغــواني وهـــى
تحــرّقَ كــاسٍ إلى عُريـــهِ وأُغــرم عــارٍ بــه فاكتســـى
كــأنَّ بهــا عالمــاً واحــداً تلاقـــى.. وإنْ بعُــد المتـــأى
ســـلامٌ عـــلى بلـــدٍ صـــنته وإيــايَ مــن جفــوةٍ أو قــلى
كلانــا يكابــدُ مــرَّ الفــراق عــلى كبــدينا ولــذع النــوى
وكـــل يفـــذ إلى طيـــه لنــا عنــد غايتهــا ملتقـــى
غــدا إذ يظــن فضــاء العــراق طنــين الثــرى مــن هزيــر خــلا
وإذ يســتقل بضــيعتى فتـــى يـرى الغـنم فى العـيش كسـب الثنـا
ويقــدر إن ضــم منــه اليــدين أى ثمـــين نفـــيس حـــوى
غـــدا إذ فريـــق يحـــوز الثنـــا يعـــض فريـــق بضـــم الصـــفا

***

عُدنا وقودًا ..

وَلَّى شبابٌ فهلْ يعودُ ... ولاحَ شَيْبٌ فما يُريدُ
يُريدُ أنْ يُنقِصَ الليالي ... مِنّي ظُلْمًا بما يَزيد
يا أبيضَ الريشِ طرْنَ منه ... غِدفانُ ريش الجَناحِ سُود
يا هُولةً تَفزَعُ المرايا ... مِنه ويستصرخُ الوليد
يا حامِلاً شارةِ الزَّرايا ... يا ساعيَ الموتِ، يا بَريد
يا ناغِرَ الجُرحِ لا يُداوي ... إلاَّ بأنْ يُقطَعَ الوريد
برغمِ أنفِ الصِّبَا وأنفي ... يَخضبُ فَودي منكَ الصديد
وأنَّ رأسي يمشي عليه ... تيهًا عَدُوّ لَهُ لَدَود
كمْ ليلةٍ خوف أنْ تُواتي ... أُترِعَ كأْسُ ورنَّ عُود
وكمْ وكمْ، والشَّبابُ يَدري ... رُوِّعَ ظَبيٌ فَنُصَّ جيد
أعائِدٌ للشَّبَّابِ عيدُ؟ ... أمْ راجعٌ عهدهُ السَّعيد
أيّامَ شرخُ الصِّبا وريقٌ ... وظِلّهُ سجسجٌ مَديد
ونحنُ، مِثلَ الجُمانِ زهوًا ... ينظِمُنا عِقدَهُ الفريد
أمْ لا تلاقِ، فلا خطوطٌ ... تُدني بعيدًا، ولا حُدود
مَنْ مُبلغُ المُستفينَ أنَّا ... صِرنا لِما يَطمحُ الحسود
أنَّا استعَضْنا ثوبًا بثوب ... وطالما استُبْدِلَتْ بُرود
فراحَ ذاكَ العتيقُ غضًّا ... ولاحَ - رَثًا - هذا الجديد
ألوى بنا عاطفٌ حبيبٌ ... ومَلَّنا الواصِلُ الودود
قد كانَ يُشجي أهلَ التَّصابي ... أنَّا على هامِهِمْ قُعود

لم نــــدرِ مــــا نَسْــــتزيدُ منــــهُ ... لــو قيلَ : هــلْ عنـدَهُمْ مزيـد
نهارُنـــــا مُـــــترَفٌ بَليـــــدٌ ... وليلُنـــــا جـــــامحٌ عَنيـــــد
فــــاليوم إنْ تُعــــتصَرْ شَــــفاهٌ ... أو تُهــــتصَرْ – لَدْنَــــة – قُــــدود
أو يَطَّــــرِدْ قــــانِصٌ قَنيصــــا ... أو تُعْجــــبِ الأغيــــدينَ غِيــــد
نقنــــعُ مِــــن لــــذَّةٍ ولهــــوٍ ... أنَّــــا عــــلى عُرْســــهِمْ شُــــهود
عُــــدنا وَقــــودًا .. وكُــــلُّ حــــيٍّ ... للــــذَّة تُشــــتهي، وقــــود

***

مقطعات من لندن..

هنــــا يرقــــدان وخضْرُ الجبــــالِ ... تَبــــلُّ اليــــنابيعُ أردانَهــــا
بحيــــث البحــــيرةُ تُنســــيهُما ... عنــــاءَ الحيــــاةِ وأدرانهــــا
وحيــــثُ الرُعــــاةُ تُغنِّــــيهما ... إذا شَعْشَــــع الفجــــرُ ألحانهــــا
وحيــــثُ يَهــــيج نســــيمُ الصباح ... غــــرامَ العَــــذارى وأشــــجانها
هنــــا يرقُــــدان بحيــــثُ الســــماءُ ... تَصْــــبغ بــــالوردِ ألوانهــــا
يَبُــــثهما الزَهــــرُ أشــــواقَهُ ... وتُعطــــي الخمائِــــلُ عُنوانهــــا

***

المقام في لندن

مَلِلــــتُ مُقــــاميَ في لندنــــا ... مُقــــامَ العَــــذارى بــــدور الزِنــــا
مُقــــام المســــيح بــــدارِ اليَهــــودِ ... مُقــــام العــــذابِ.. مُقــــام الضَــــنى

***

صاحبي

صاحبي لو تكونُ من أعدائي لتمنَّيتَ أن تموتَ بدائي
لتمنيت أن يكونَ لك الطُولان طُولُ الأذى وطُولُ البقاء

***

جين

أسرفتِ في ترف الجْمالِ وسكرتِ من خمر الدَّلالِ
وثنيتِ طرَفكِ فانثنى يرمي الظِلالَ على الظلال
أعيا جمالك منطقي وسما خيالك عن خيالي
يا «جينُ» لطفُ الخمر أنكِ كنتِ ماثلةً حِيالي
ما شاء فليكتبْ عليَّ الدهرُ.. إني لا أُبالي
إذ كان خَصْرُكِ في اليمينِ وكان كأسي في الشِّمال

***

آمنتُ بالحُسين

فِداءٌ لَمثواكَ من مَضْجَعِ تَنَوَّرَ بالأبلج الأروَعِ
بأعبقَ من نَفحاتِ الجِنانِ رَوحاً.. ومن مسكِها أضوع
ورَعياً ليومكَ يومِ «الطُفوف» وسَقياً لأرضِكَ من مصْرَعِ
وحُزناً عليك بحَبْسِ النُفوسِ على نهجِكَ النَّيرِ المْهيع
وصَوتاً لمجدِكَ منْ أنْ يذالَ بما أنت تأباهُ من مبدع

فيــا أيُّهــا الــوِترُ في الخالِــدينَ ... فــــذّاً.. إلى الآنَ لم يشْــــفع
ويــا عِظَــةَ الطــامحينَ العِظــامِ ... للاهــينَ عــن غَــدِهِمْ قنّــع
تعاليــتَ مــن مُفــزِعٍ للحتــوفِ ... وبــورك قــبرُكَ مِــن مفــزَع
تلــوذُ الــدُّهورُ فمِــنْ سُــجَّد ... عــلى جانبيــه .. ومــنْ رُكّــع
شَــممتُ ثــراكَ فهــبَّ النســيمُ ... نســيمُ الكرامــةِ مــن بلقــع
وعفّــرتُ خــدي بحيــثُ اســتراحَ ... خــدٌّ تفــرَّى ولمْ يضرَع
وحيــثُ ســنابكُ خيــلِ الطُغــاةِ ... حالــتْ عليــهِ ولم يخشــع
وخِلــتُ وقــد طــارتِ الــذكرياتُ ... بروحــي إلى عــالمٍ أرفــع
وطُفْــتُ بقــبرِكَ طــوفَ الخَيــالِ ... بصــومعةِ المُلْهِــمِ المُبــدع
كــأنَّ يــداً مــن وراءِ الضريــحِ ... حمــراءَ « مَبتــورَةَ الإِصــبع »
تَمُــدُّ إلى عــالمٍ بــالخُنوعِ ... والضــيمِ ذي شرقٍ مُــترَع
تَخَــبَّطَ في غابــةٍ أطبقَــت ... عــلى مُــذئبٍ منــه أو مُسْــبع
لِتُبــدِلَ منــه جــديبَ الضــمير ... بــآخَرَ مُعشوشِــبٍ ممــرِع
وتــدفعَ هــذي النفــوسَ الصِــغارَ ... خوفــاً إلى حَــرَمٍ أمنــع
تعاليــتَ مــن صــاعِقٍ يلتظــي ... فــإنْ تــدْجُ داجيــةٌ يلمــع
تــأرّمُ حِقــداً عــلى الصــاعقاتِ ... لم تــنْءِ ضَــيراً ولم تَنْفــع
ولم تَبــذُرِ الحــبَّ إثــرَ الهشــيمِ ... وقــد حرَّقَتــهُ ولمْ تــزرع
ولم تُخــلِ أبراجَهــا في الســماء ... ولم تــأتِ أرضــاً ولم تــدْقع
ولم تَقْطَــعِ الشرَّ مــن جِذْمــهِ ... وغِــلَّ الضــمائرِ لم تَنــزع
ولم تَصْــدِمِ النــاسَ فــيما هُــمُ ... عليــهِ مــن الخُلُــقِ الأوضــع
تعاليــتَ مــن « فَلَــكٍ » قُطْــرُهُ ... يــدورُ عــلى المِحــوَرِ الأوســع

فيـابنَ « البتـولِ » وحَسْـبي بهـا   ضَـماناً عـلى كـلْ مـا ادَّعـي
ويـابنَ التـي لم يَضَـعْ مِثْلهـا   كمِثلِـكَ حَمـلاً ولم ترْضِـع
ويـابن البطـينِ بـلا بطنـةٍ   ويـابن الفتـى الحـاسرِ الأنْـزَع
ويـا غُصْـنَ « هاشِـمَ » لم ينفَـتِحْ   بـأزهرَ منـكَ ولم يفـرِع
ويـا واصِـلاً مِـن نشيدِ « الخُلـود »   خِتـامَ القصـيدةِ بـالمطلع
يَسـيرُ الـورى بركـاب الزمـانِ   مِـن مسـتقيم ومـن أظلـع
وأنـتَ تُسـيرُ ركـبَ الخلـود   مـا تسـتجِدّ لـه يَتبَـع
تَمَثَّلـتُ « يَومـكَ » في خـاطري   وردَّدت « صـوتكِ » في مَسـمعي
وتَحَّصـتْ ،مـرَكَ لم « أرتهـبْ »   بنقـلِ « الـرُّواة » ولم أُخـدَع
وقلـتُ : لعـلَّ دويَّ السـنين   بأصـداءِ حادِثـكَ المُفجِـع
ومـا رتـلَ المخلِصـونَ الـدُّعاةُ   مـن « مرسِـلينَ » ومـن « سُـجَّع »
ومِـنْ « نـاثر ،ـبِ عليـكَ المسـاءَ   والصُـبحَ بالشَـعْرِ والأدمـع
لعـلَّ السياسـةَ فـيما جَنَـتْ   عـلى لاصـقٍ بـكَ أو مـدَّعي
وتشريـدَها كـلَّ مـنْ يـدَّلي   بحبـلٍ لأهلِيـكَ أو مقطـع
لعـلَّ لـذاكَ و« كـونِ » الشَّـجيِّ   وَلُوعـاً بكـلِّ شَـجٍ مولـع
يَداً في اصطباغ حـديثِ « الحُسين »   بلـونٍ أُريـدَ لـهُ ممتـع
وكانـتْ ولّمـا تـزَلْ بـرْزَةً   يـدُ الواثـقِ المُلْجَـأ الألمعـى
صَـناعاً متـى مـا تـرِدْ خُطّـةً   وكيـفَ ومهـماً تـرِدْ تَصـنع
ولَّمـا أزَحـتُ طِـلاءَ « القـرونِ »   وسِـتر الخِـداع عـنِ المخْـدع
أُريـدُ « الحقيقـةَ » في ذاتِهـا   بغـيرِ الطبيعـة لم تُطْبَـع
وجـدتكَ في صُـورةٍ لم أُرَعْ   بـأعظمَ منهـا ولا أرْوَع
ومـاذا ! أأروعُ مِـنْ أن يكـونَ   لحمُـكَ وَقْفـاً عـلى المِبضَـع

وأنْ تَتَّقـي – دُون مـا ترتـائي – ضـميرَكَ بالأَسَـلِ الشُرَّع
وإنْ تُطْعِـم المـوتَ خـيرَ البنـبنَ مـنَ « الأكهلـينَ » إلى الرُّضَـع
وخـيرَ بنـي « الأمِّ » مـن هاشـم وخـيرَ بنـي « الأب » مـن تُبّـع
وخـيرَ الصِّـحاب بخـيرِ الصـدورِ كـانوا وِقـاءكَ.. والأذْرع
وقدَّسْـتُ « ذكـراكَ» لم أنتحِـلْ ثِيـابَ التقـاةِ ولم أدَّع
تَقَحَمْتَ صدري وريبُ «الشكوكِ» يَضِـجُّ بجدرانـه « الأرْبـع »
ورانَ سَـحابٌ صـفيقُ الحجـاب عـليَّ مـن القَلَـقِ المُفـزع
وهبـتْ ريـاحٌ مـن الطيّبـات و « الطيبـينَ »ولم يقْشَـع
إذا مـا تزحـزحَ عـن مَوضـع تـأبّى وعـادَ إلى مَوضـع
وجازَ بيَ الشكُّ فيما معَ « الجدودِ » إلى الشـكِّ فـيما معـي
إلى أن أقمـتُ عليـه الـدليلَ مـن « مبـدأ» بـدم مشـبع
فأسـلَمَ طَوعـاً إليـكِ القِيـاد وأعطـاكَ إذعانـه المُهطِـع
فنَـوَّرْتَ مـا أظْلَـمَّ مـن فِكـرتي وقَوَّمـتَ مـا اعـوجَّ مـن أضـلُعي
وآمنـتُ إيـمانَ مـن لا يـرى سِوى (العقل) في الشكِّ من مَرْجع
بـأن (الإبـاء).. ووحـيَ السـماء وفـيضَ النبـوَّةِ.. مـن منْبـع
تجمّـعُ في جـوهرِ خـالصٍ تَنَـزهَ عـن عـرَضِ المَطْمـع

***

ناغيت لبنانا...

ناغيـت « لُبنانـاً » بشِـعريَ جِـيلا وضـفرته لجبينـهِ إكلـيلا
وردَدْتُ بـالنغمِ الجميـلِ لأرزه ظِـلاً أفـاءَ بـه عـليَّ ظَليـلا
أو مـا تـرى شـعري كـأنَّ خِلالَـه نسيَ النسـيمُ جناحَـهُ المبلـولا

وحِسانَ لُبنانٍ منحتُ قصائدي فسحبنهنَّ كدَلِّهِنَّ ذُيولا
أهديتُهُنَّ عُيونَهنَّ نوافذاً كعيونِهِنَّ إذا رَمينَ قتيلا
فرددنهنَّ من الأسى وجِراحِه كِسَراً .. فَرُحْتُ الْمَهنَّ فُلولا
ورَجَعتُ أدراجي أجرُّ غنيمةً من « بنتِ بيروتٍ » جوىً وغليلا
لُعنَ القصيدُ فأيُّ مُثرٍ شامخ سرعانَ ما استجدى الحسانَ ذليلا
رَدَّتْ مطامحه البعادَ دوانياً وكثيرَ ما خدعَ الخيالَ قليلا
ناغيتُ « لُبناناً » وهل أبقى الهوى بُقيىً على قيثارتي لتقولا
طارحته النغماتِ في أعيادِهِ بأرقَّ من سجعِ الحمامِ هديلا
ومَسحْتُ دمعَ الحُزنِ في أتراحِه وجعلتُ مَحضَ عواطفي مِنديلا
وكذاكَ كنتُ وما أزالُ كما بنى أهلي أُجازي بالجميلِ جميلا
يا شيخَ « لُبنا َ » الأشمِّ فوارعاً وشمائلاً.. ومناعةً.. وقبيلا
مثَّلتَهُ في كلِّهنَّ فلم يُردْ بسواك عنكَ.. ولن يريدَ بديلا
إنَّ العراقَ وقد نزلتَ رُبوعَهُ لَيَعُدُّ ساكِنه لديكَ نزيلا
بُشرى « بشارةُ » أنْ تجوسَ خِلالَها وتُزيرَ طرَفكَ أهلها وتُجيلا
قف في ضفافِ الرافدينِ وناجِها وتفيَّ صَفصافاً بها ونخيلا
واسمَعْ غِناء الحاصدينَ حُقولَها للحاصداتِ من القلوبِ حُقولا
سترى القريضَ أقلَّ مِن أنْ يَجتلي لغةَ النفوسِ عواطفاً ومُيولا
وتلمّسِ الآهاتِ في نَبَراتِهِمْ يُشعِلنَ من حَدَقِ العيونِ فتيلا
واستنطِقِ « الرَّمَلاتِ » في جَنَباتِها ولطالما استوحى النبوغُ رمولا
واستوحِ كُوفاناً وبصرةَ إذ هُما يتصدَّرانِ العالمَ المأهولا

يستوردانِ حَضارةً ومواهبا ... ويُصدِّرانِ فطاحلاً وفحولا
وتَقرَّ « بغداداً » فإنَّ دُروبَها ... ستُريكَ من سِفرْ الزمانِ فُصولا
ستُريكَ كيف إذا استتمّتْ دولةٌ ... أعمى الغرورُ رجالَها لتدولا
إيهِ « بِشارةُ » لم تكنْ لتَحُدَّ من ... مهوى النفوسِ ولم تكنْ لتحولا
إني رَصَدتكَ من بعيد لم أُرِدْ ... إذناً عليكَ ولا بعثتُ رسولا
ودخلتُ نفسَك لم أزاحِمْ حاجاً ... عنها.. ولم ألجِ « لِرواقَ » فضولا
وحَلَفْتُ لا أُوذي الملوك ولا أُرى ... ظِلاًّ على بابِ « الأميرِ » ثقيلا
صَونٌ لمجدِ الشعرِ أوهمَ خاطئاً ... أني خُلِقتُ على قِليً مجبولا
ولربما ظنَّ الرواجمُ أنّهمْ ... سيرَوْنَ من هذا « المنخّل » غُولا
وعرفتُ فضلَكَ قبل كونِك عاهلاً ... تُرخي عليكَ حجابَك المسدولا
تَلِجُ العقولَ عباقراً ونوابغاً ... وتُمحّصُ [illegible]ـولَ والمنقولا
ووجدتك المُعطي السياسةَ حقَّها ... ترعى النُّصوصَ وتُحسِنُ التأويلا
والمستجيرَ بظلِّها من ظلّها ... تتخيرُ التحويرَ والتحويلا
ولمستُ يومَك حين ضجَّ ضجيجُها ... ومشتْ تدُكُّ روابياً وسهولا
تستخدمُ المتفجراتِ لدافعٍ ... عن حقهِ وتُسخرُ « الأسطولا »
وعُقابُ « لبنانٍ » تَضُمُّ جَناحَها ... تحمي الفراخَ وتحرُسُ الزُّغلولا
وبنوكَ أُسْدَ الغابِ في لِبداتِهِمْ ... عُبلُ السواعد يمنعونَ الغيلا
حتى إذا انجلتِ العَجاجةُ وارتمى ... شِلْواً – ربيبُ « فَجارةٍ » منخولا
وتخلتِ الأقدارُ عن متجبرٍ ... ملأ البلادَ وأهلَها تنكيلا
وبرزتَ مثلُ السيفِ لا مُستسلِماً ... جُبْناً.. ولا نِكْساً.. ولا مخذولا
وتزاحمتْ بالهاتفينَ شِعابُها ... يُزجُونكَ التكبيرَ والتهليلا

كنتَ الجديرَ بكلِّ ذاكَ وفوقَه إذ كنتَ سيفَ جهادِها المسلولا
يا شيخَ « لبنانٍ » وحَسْبُكَ خِبرةً رَفَعَتكَ شيخاً في الملوك جليلا
جرَّبتَ حنظلةَ الدخيلِ وطعمَها وصميمَها وطلاءَها المعسولا
ولمستَ من لَهَبِ السياطِ ووَقْعِها فوقَ الظهورِ على الطُّغاةِ دليلا
ورأيتَ كيف العِلْجُ يُسمِنُ أهلَهُ يُقري بنيهِ شعبك المهزولا
وعرفتَ قدرَ العاملينَ مبجَّلاً شكراً.. وحظَّ العاملينَ جزيلا
رَنتِ العيونُ إليكَ تُكبِرُ موقفاً من « شيخِ » لُبنانَ النبيلِ نبيلا
وتُريدُ منك وقد تقلَّصَ ظلُّهم ألا تَميزَ على الدخيلِ دخيلا..
فلقد خَبَرنا نحنُ قبلك مِثلَهُ وأشرَّ في لغةِ الطُّغاةِ مثيلاً
فإذا بحنظلةٍ تَحِنُّ لأختِها وإذا بـ «شدقمَ» يستظلُّ « جديلا »
وإذا بأولاوءِ تفرَّقُ بينَهم شتى الدُّروبِ ويلتقونَ سبيلا
فاوِض فقد غَدَت العوالِمُ عالماً ما زالَ حَبلُ صِلاتهِ موصولا
وسيجرِفُ التاريخُ في تيّارِه شعباً يظَلُّ مُجانِباً معزولا
وتراثُ « لُبنانٍ » قديمٌ نشرُهُ في المشرقينِ مواهباً وعقولا
لكنْ توَقَّ من الوعودِ سلاسلاً برّاقةً.. ومن العهودِ كُبولا
فاوِضْ وخلِّ وراءَ سمعِك مُغرياً وأمامَ عينكَ شامتاً وعَذولا
ولأنتَ أعلمُ إنْ تُزحزِحْ عندَهم شبراً.. فسوفَ يزحزحونكَ ميلا
وإذا ارتختْ عُقدٌ تيسَّرَ حلُّها جدُّوا لكم عُقداً تريدُ حُلولا
« عبدَ الإله » وليس عاباً أنْ أرى عِظمَ المقامِ مطوِّلاً فأطيلا
كرَّمت ضيفك يستثيرُ جلالُه نُطقاً.. ويدفعُ قائلاً ليقولا

يـا ابـنَ الـذينَ تنزَّلـتْ ببيـوتِهم سُـوَرُ الكتـابِ.. ورُتِّلـتْ تـرتيلا
الحـاملينَ مـن الأمانـةِ ثقلَهـا لا مُصـعِرينَ ولا أصـاغِرَ مِـيلا
والناصـبينَ بيـوتَهم وقبـورَهم للسـائلينَ عـن الكـرامِ دلـيلا
والطامسـينَ مـن الجهالـةِ غَيْهبـاً والمُطلعـينَ مـن النهـى قِنـديلا
ملكـوا الـبلادَ عروشَـها وقصـورَها واستعذبوا وعْـث الـتراب مَقـيلا
يـا ابـنَ النبـيِّ وللملـوكِ رسـالةٌ مَـنْ حَقَّهـا بالعـدلِ كـانَ رسـولا
يرجـو العـراقُ بظـلِّ رايـةِ فيصـلٍ أنْ يرتقـي بكـما الـذُّرى ويطـولا
لا شـك أنَّ وديعـةً مرموقـةً عـز الكفيـلُ لهـا فكنـت كفـيلا
وكيـانُ مُلـكٍ في حداثـةِ عهـدِه يتطلـبُ التلطيـفَ والتـدليلا
وسياسـة حضـنتْ دُعـاةَ هزيمـةٍ وتبنّـتِ التفريـقَ والتضـليلا
تُغـري المثقـفَ أن يكـون مُهادِنـاً وابـنَ الجهالـةِ أنْ يظَـلَّ جَهـولا
ألقـت عـلى كتِفيـكَ مـن زَحَماتِهـا عبئـاً تنـوءُ بـهِ الرِّجـالُ ثقـيلا
شـدَّتْ عروقـك مـن كـرائمِ هاشـمٍ بـيضٌ نمـينَ خديجـةً وبتـولا
وحَنَـتْ عليـكَ مـن الجـدودِ ذؤابـةٌ رَعَـتِ الحسـينَ . وجعفـراً وعقـيلا
قُـدْتَ السـفينةَ حـين شَـقَّ مقادُهـا وتطلَّبـتْ رُبّانَهـا المسـؤولا
أعْطتـكَ دَفَّتهـا فلـم تَرجِـعْ بهـا خوفَ الرِّياحِ ولا اندفعتَ عَجولا
وَمنَحْتَهـا والعاصِـفاتُ تؤودُهـا مَتنـاً أزلَّ وسـاعداً مفتـولا
أُعطِيـتَ مـا لم يُعـطَ قبلَـكَ مثلَـه شـعباً عـلى عِرفـانِكمْ مجبـولا
إنَّ العـراقَ يُجِـلُّ بيْعـةَ هاشـمٍ مـن عهـدِ جـدِّكَ بـالقرونِ الأولى
هـذي مصـارِعُ مُنجيـكَ ودورُهـم يمـلأنَ عَرضـاً للعـراقِ وطُـولا
مـا كـانَ حجُّهُـمُ وطـوفُ جمـوعِهمْ لقبـورِ أهلـكَ ضَـلّةً وفُضـولا

حبُّ الأُولى سكنوا الديارَ يَشفُّهم ... فيعاوِدونَ طلولَها تقبيلا
يا شيخَ « لُبنانٍ » شكيَّةَ صارخٍ ... تتخلَلُ الترحيبَ والتأهيلا
كنّا نُريدُكَ لا القلوب « مغيمة » ... فينا ولا خِصبُ النفوسِ مَحيلا
لنريكَ أفراحَ العراقَ شَمالَه ... وجنوبَه وشبيبةً وكهولا
جئتَ العراقَ ومن فِلَسْطِينِ به ... وَجَعٌ مطببهُ يعودُ عليلا
والمسجدُ المحزونُ يُلقي فوقَه ... ليلاً - على الشرقِ الحزينِ - طويلا
ذهبتْ فِلَسْطِينٌ كأن لم تَعتَرِفْ ... من كافليها ضامناً وكفيلا
وعفتْ كأن لم يمشِ في أرجائها ... عيسى وأحمدُ لم يَطِرْ محمولا
والمسجدُ الأقصى كأنْ لم يرتفعْ ... فيهِ أذانٌ بُكرةً وأصيلا
وثرى صلاحِ الدينِ دِيسَ وأنعلتْ ... منه جيوشُ الواغلِينَ خُيولا
و« الحنظلّي » بحِلْفِهِ ووعُودهِ ... ما زالَ كاذبُ وعدِه ممطولا
لم يرعَ شرعَ الكافرينَ.. ولا وفى ... حقَّيهما القرآنَ والإنجيلا
أعطى « ألَنْبي» أهلَها فاستامهم ... بلفورُ.. فاستوصى بهم عِزريلا
واليومَ يفخرُ « بالحيادِ » كفاخرٍ ... بالقتلِ إذ لم « يُسلَخِ » المقتولا

***

قف بأجداث الضحايا

حضَنَ « التاجُ » بنيه فتعالى ... وتعالى « حارسُ التاج » جَلالا
وتعالت أُمةٌ لم تنحرفْ ... عن مدى الحقِّ ولا زاغت ضَلالا
أُمةٌ تكرهُ من مستعمِرٍ ... فَرْضَه النصرَ وتأبى الانخِذالا
أوطأت أقدامها « عارمَة » ... حسَكَ الجور.. وشاءَته انتِعالا

وتخطَّت جمرَة الغيضِ إلى … « وقدةِ »المَوتِ فرادتها اشتِعالا
ومشَت « للهُلك » تدري أنه … يسأَلُ الرّوح عن الدنيا زَوالا
عرفَت أنَّ الذينَ استفرَشوا … حُلَلَ الديباجِ غَنْجاً ودَلالا
نَعمت أظفارُهمْ من « رقةٍ » … فهي لا تَقوَى عن اللحم انفِصالا
ثم شاءوا المجدَ فيما يُقتَنَى … حِلْيةً تُضفي على البيتِ جَمالا
كتَبَ الدهرُ على أبوابِهم … هَهنا يرقد من عافوا النِضالا
ههنا يرقدُ من ظَلوا على … هامشِ « التاريخ » كلاًّ وعِيالا
والذين استنزَفوا طاقاتِهم … في المشقات هم كانوا الرجالا
حضَنَ التاجُ بنيهِ حضنَةَ الليث … لا يبغي عن « الشِبل » انفِصالا
وتحدَّى من تحدَّى معلناً … أنه يَقبل في الحق النزالا
وانبرَتْ كفٌّ هي البُرْءُ مشَى … فشفَى من « مُزمن » داءَ عُضالا
تمسَحُ الدمعةَ سالتْ حرّةً … فوق جُرحٍ فاحَ بالعِطر وسالا
ورَمى نَسْرُ قرَيشٍ فوقَهم … من جَناحَيه الحبيبَين ظِلالا
يَسْتجِمُّ المجدُ في أفيائها … مُتعَباً لاقى من الجَهد كلالا
يا حُماةَ الطُهرِ في مُعترَكٍ … زَحَمَ الطُهْرَ به الرجسُ فمالا
كرفيفِ الزَّهرِ في رَيْعانه … لم تدنِّسْه يدُ الجاني ابتذالا
نَسَلوا من كل حَدْبٍ.. نسوةً … ورجالا.. وَجنوباً.. وشَمالا
يا شباباً صَبَغوا الأرضَ دماً … كان في « وجنة » سفر المجدِ خالا
مَنَحَ الباغي هواناً وصغى … وحَبا الأمةَ زهواً واختِيالا
أكثروا من دَمكمْ تَستكثروا … من فمِ التاريخ مجداً وابتهالا
فهو ظَمآنُ إلى أمثاله … لا دماءٌ خَثرت فهي كُسالى

واكتُبوهـا صـفحةً إن ذُكـرت كنـتُمُ الأمثـال فيهـا والمِثـالا
ليلـةٌ ألقـتْ إلـيكم ثِقْلَهـا وليـالٍ سـوف تـأتيكم « حَبـالى »
واختِموا عهدَ « زعامات » عَفَتْ كاذبـاتٍ لفَقـوهُنَّ انتحـالا
جامعـاتٍ – كـلَّ مـا لا يلتَقـي مـن نَقيضَـين – شَـناراً واحتِفـالا
مـن حُطـام لَمَّ مـن كـلِّ خَنـا وادعـاءٍ صـارخ قـيلاً وقـالا
وَمُـدِلّين بـأن قـد قَرَنـوا بالخَنـا جاهـاً وبـالحُظِوةِ مـالا
قِـف بأحـداث الضّـحايا لا تُسِـلْ فوقهـا دَمعـاً ولا تَبـكِ ارتجـالا
لا تُـذِلْ عهـدَ الرجـولات التـي تكـرهُ الضَـعْفَ.. وتـأبى الانحِـلالا
وتَلقّـفْ مـن ثراهـا شَـمةً تمـلأُ المنخِـرَ عـزا وجـلالا
وَضَـعِ « الإكليـل » زَهْـراً يانعـاً فـوقَ زهـرٍ مـن ضـمير يَـتلالا
ثـم خَفّـضْ مـن جَناحيـك بهـا ثـم أبلغْهـا إذا شِـئتَ « مقـالاً »
أيُّهـا الثـاوونَ في جَـولاتكم طِبْـتمُ مَثـوىً وعُطّـرتمْ مجـالا
كلُّنـا نحسُـدُكم أن نِلْـتمُ شَرَفَ الفُرصـةِ – من قبلُ – اهتبالا
كلُّنـا نـمشي عـلى آثـارِكمْ بالضَـحيّات خفافـاً وثقـالا
كلُّنـا ممتَثـلٌ مـن وَحـيكم مـا يُريـد الـوَطنُ الحُـرُّ امتِثـالا
فـإذا شِـئْتُم مَشَـيْناها ونـىً وإذا شـئتم مشـيناها عِجـالا
وإذا شِـئتُم صَـبغْناها دمـاً صـبغةً تـؤْذِنُ بالحـال « انتقـالا »
يـا حفـيظَ العهـدِ للـوادي ويـا أمَـلَ الـوادي فُتـوّاً واقتبـالا
وصـليبَ العـود يَـأبى غمـزةً ورفيـعَ الـرأس يـأبى أنْ يُطـالا
هُـرِعَ الشـعب إلى مُنقـذِه مُلقِيـاً في السـاحة الكـبرى الرِّجـالا

كَـذَبَ المُلقـون في رُوعِكُـمُ أنَّـه يطلـبُ أمـراً لـن يُنـالا
قـل لأولاءِ الـذين اسـتأثَروا باللـذّاتِ وبـالحكمِ احتيـالا
والـذين اختَلقـوا أنّهُـمُ وحـدَهُمْ مـدُّوا إلى العـرشِ حبـالا
كـم وكـم ثـاوٍ بجُحْـرٍ مُظلـمٍ وحريـبٍ يأكـلُ المـاءُ الـزلالا
كـان أصـفى نيـةً في حُـبّكم مـن مـدِلّينَ نِفـاقـاً وافتِعـالا
والـذين افتَخـروا أنّهـم يَلبَسون « الشعب » ما شاؤوا نعالا
والـذين اسـتَنْفروا مـن حـولهم زُمـراً عبّأهـا الشرُّ رِعـالا
ليسُـدَّ « السـوطُ » مجْرَى فكـرةٍ وتُعيـقَ « النـارُ » قـولاً أنْ يُقـالا
قـلْ لهـم : لَسْـتم رفـاقي فـانفِروا إنَّ هـذا الشـعبَ لا يَبغِـي مُحـالا
إنـه يَشـجُبُ مـن حُكامـه خُطـةَ العَسـف ويـأبى الاغـتلالا
ويريـدُ العـدْلَ في أحكامـه والمسـاواةَ وإن عـزَّتْ منـالا
لا « يقـالُ » الشـعبُ لكـنْ طغمـةٌ تسـترِقُّ الشـعبَ أولى أن تُقـالا

***

أخي جعفر

أتَعْلَـمُ أمْ أنـتَ لا تعْلَـمُ بـأنَّ جِـراحَ الضحـايا فـمُ
فَـمٌ لـيس كالمَـدعي قولـةً ولـيس كـآخَرَ يسـترحم
يصـيحُ عـلى المُـدْقِعينَ الجيـاع أريقـوا دمـاءكمُ تطعَمـوا
ويهْتـفُ بـالنَّفرِ المهطِعـين أهينـوا لِئـامكمُ تكرمـوا
أتعلَـمُ أنَّ رِقـابَ الطُغـاة أثقَلهـا الغُـنمُ والمـأثم
وأنّ بطـونَ العُتـاةِ التـي مِـن السُـحتِ تَهضِـمُ مـا تهضـم

وأنَ البغــــيَّ الــــذي يــــدعي من المجـد مـا لم تَحـزْ « مـريم »
ســـتَنْهَدُّ إن فـــارَ هـــذا الـــدمُ وصــوَّتَ هــذا الفمُ الأعجـم
فيـا لـكَ مـن مـرهم مـا اهتـدَى إليـــه الأُســـاة ومـــا رهّمـــوا
ويـــا لـــكَ مـــن بَلسم يُشـتَفى بـــه حـــينَ لا يرتجـــى بلســـم
ويـــا لـــكَ مـــن مبسِـم عـابسٍ ثغـــور الأمـــاني بـــه تبسِـــم
أتعلـــمُ أنّ جِـــراحَ الشـــهيد تظَـــلُّ عـــن الثـــأر تســـتفهِم
أتعلـــمُ أنّ جِـــراحَ الشـــهيد مِـــن الجُـــوع تهضِـــمُ مـــا تَلهـــم
تَمـــصُّ دمـــاً ثـــم تبغـــي دمـــاً وتبقـــى تلِـــحُ وتســـتطعِم
فقُـــلْ للمُقـــيم عـــلى ذُلـــهِ هجينـــاً يســـخّرُ أو يُلجَـــم
تَقَحَّـمْ.. لُعِنْـتَ.. أزيـزَ الرَّصـاص وَجـرِّبْ مـن الحـظّ مـا يُقسَـم
وخُضْـها كـما خاضَـها الأسـبقون وَثـــنِّ بـــما افتـــتحَ الأقـــدم
فإمّـــا إلى حيـــثُ تبـــدو الحيـــاة لِعينيـــكَ مكرُمـــةً تغـــنم
وإمّـــا إلى جَـــدَثٍ لم يكـــن ليفضـــله بيتـــكَ المُظلـــم
تَقَحـــمْ.. لُعِنـــتَ.. فـــما ترتجـــي مـــن العـــيش عـــن وِرده تحـــرَم
أأوجـــعُ مـــن أنـــك المـــزدرى وأقتـــلُ مـــن أنـــك المُعـــدِم
تقحَّـــمْ فمـــنْ ذا يَخـــوضُ المَنـــون إذا عافهـــا الأنكـــدُ الأشـــأم
تقحَّـــمْ فمـــنْ ذا يلـــومُ البطـــين إذا كـــان مثلـــكَ لا يقْحَـــم
يقولـــون مـــن هـــم أولاءِ الرَّعـــاعُ فـــأفهِمهُمُ بـــدَم مـــنْ هـــم
وأفهِمْهُـــــمُ بـــــدم أنهـــــمْ عَبيـــدُكَ إنْ تَـــدْعُهمْ يخـــدُموا
وأنّـــك أشرفُ مـــن خـــيرِهمْ وكعبـــك مـــن خـــدهِ أكـــرم
أخـي « جعفـراً » يـا رُواء الربيـع إلى عَفـــنِ بـــاردٍ يُســـلم
ويـا زَهـرةً مـن ريـاض الخُلـود تَغوَّلهـــا عاصـــفٌ مـــرزِم

ويـا قبَسـاً مـن هيـب الحيـاة   خَبـا حـين شـبَّ لـه مضْرَم
ويـا طلعـةَ البشر إذ يـنجلي   ويـا ضِـحكةَ الفجـر إذ يبسِـم
لَثَمْـتُ جراحـكَ في « فتحـةٍ »   هـي المُصـحَف الطُهـرُ إذ يُلـثم
وقبّلـتُ صـدرَك حيـثُ الصَّميم   مـن القلـب.. منْخرقـاً.. يُخـرَم
وحيـثُ تَلـوذُ طيـورُ المُنـى   بـه فهـيَ.. مُفزعَـةً.. حـوَّم
وحيثُ استقرَّت صِفاتُ الرجال   وضَـمَّ معادِنهـا مـنجَم
وَرَّبـتُّ خـدّاً بـماءِ الشـباب   يـرفُّ كـما نـوّر الـبرعُم
ومسـحتُ مـن خُصَـلٍ تَـدَّلي   عليـه كـما يَفعـلُ المُغـرم
وعلَّلـتُ نـفسي بـذوب الصـديد   كـما علَّلـتْ وارداً « زمـزم »
ولقَّطـتُ مـن زَبـدٍ طـافح   بثغـرك شـهداً هـو العَلْقـم
وعوَّضـتَ عـن قُبلتـي قُبلـةً   عَصَرْتَ بهـا كـلَّ مـا يـؤلِم
عَصَرْتَ بهـا الـذكرياتِ التـي   تقَضـتْ كـما يَحْلـمُ النُـوَّم
أخـي جعفـراً إنّ رجـعَ السـنين   بَعْـدَكَ عنـدي صـدىً مـبْهم
ثلاثـونَ رُحْنـا عليهـا معـاً   نعـذِّبُ حِينـاً ونسـتنعم
نُكـافحُ دهـراً ويستسْـلمُ   ونغلـبُ طـوراً ونسْتَسـلِم
أخـي جعفـراً لا أقـولُ الخَيـال   وذو الثـأرِ يقْظـانُ لا يحلـم
ولكـنْ بـما أُلهِـمَ الصـابرون   وقـد يقـرأُ الغيـبَ مُسـتَلهِم
أرى أُفُقـاً بنجيـع الـدماءِ   تنـوّرَ واختفـتِ الأنجـم
وحـبلاً مـن الأرض يُرقـى بـه   كـما قـذفَ الصـاعدَ السُـلّم
إذا مـدَّ كفـاً لـه ناكـث   تصـدّى ليقطعهـا مُـبرِم
تكـوَّر مـن جُثـثٍ حولـه   ضـخام وأمجادُهـا أضـخم
وكفـاً تُمـد وراء الحجـاب   فترسُـمُ في الأفـقِ مـا ترسُـم

وجيلاً يروحُ وجيلاً يجيء ... ونـاراً إزاءَهمـا تُضرَم
أُنبِّيكَ أنّ الحِمى مُلْهِبٌ ... ووادِيه من ألم مفعم
ويا وَيحَ خانقةٍ من غدٍ ... إذا نفَسَ الغدُ ما يَكظم
وأنّ الدماءَ التي طلّها ... مُدِلٌّ بشُرطتهُ مُعرم
تَنَضّحُ من صدرِك المُستطاب ... نزيفاً إلى الله يَستظلم
ستبقى طويلاً تجُرُّ الدماء ... ولَنْ يُبرِدَ الدمَ إلاّ الدم
وأنَّ الصدورَ التي فلّها ... وأبدعَ ! في فلِّها مُجرم
ونَثَرَ أضلاعها نَثْرةَ ... شَتاتاً كما صرّفَ الدرهم
ستَحْضُنُها من صُدور الشباب ... قُساةٌ على الحقِ لا ترحم
أخي « جعفراً » إنّ عِلَم اليقين ... أُنبِّيكَ إنْ كنتَ تستعلم
صُرِعتَ فحامتْ عليك القلوب ... وخفَّ لك الملأُ الأعظَم
وسُدَّ الرِواقُ.. فلا مَخرجٌ ... وضاقَ الطريقُ.. فلا مَخرم
وأبلغَ عنك الجَنوبُ الشَّمال ... وعزَّى بك المُعرِقَ المُشئم
وشَقَّ على « الهاتفِ» الهاتفون ... وضجَّ من الأسطُرِ المرقِم
تعلَّمتَ كيف تَموتُ الرجال ... وكيف يُقامُ لهمْ مأتم
وكيف تُجرُّ إليك الجموعُ ... كما انجرَّ للحرم المُحرِم
ضحِكتُ وقد هَمْهَمَ السائلون ... وشقَّ على السمع ما همهموا
يقولون متَّ وعند الأساةِ ... غيرَ الذي زَعموا مزعَم
وأنتَ مُعافى كما نرتجي ... وأنت عزيزٌ كما تعلم
ضحِكتُ وقلتُ هنيئاً لهم ... وما لفَّقوا عنك أو رجموا
فهم يبتغون دماً يشتفي ... به الأرمدُ العينِ والأجذم
دماً يكذِبُ المخلصونَ الأباة ... به المارقينَ وما قسّموا

وهـم يبتغـونَ دمـاً تلتقـي | عليـة القُلـوب وتسـتَلئم
إلى أنْ صَـدَقْتَ لهـمْ ظَـنَّهم | فيـا لـكَ مـن غـارِم يغـنم
فهـمْ بـك أولى فلَّـما نَـزَل | كَجِـذْرٍ عـلى عَـددٍ يُقسـم
وهـم بـك أولى.. وإن رُوِّعـت | « عجـوزٌ » عـلى فِلـذةٍ تلطِـم
وتكفـرُ أنَ السـما لم تعـد | تُغيـثُ حريبـاً.. ولا تـرْحَم
وأُخـتٌ تشـقُّ عليـك الجيـوب | فيغـرَزُ في صـدرها معصَـم
تناشِـدُ عنـك بريـقَ النُّجـوم | لعلـك مـن بينهـا تـنجُم
وتـزْعُمُ أنـك تـأتي الصَّـباحَ | وقـد كـذَّبَ القـبرُ مـا تـزْعُم
لِيَشْـمخْ بفقـدِكَ أنـفُ الـبلاد | وأنفـي وأنفُهـم مـرغم
أخـي « جعفـراً » بعُهـود الإخـاءِ | خالصـةً بيننـا أُقسِـم
وبالـدمع بَعـدَكَ لا يَنثنـي | وبـالحزنِ بَعـدَكَ لا يُهـزم
وبالبيـتِ تَغمـرُهُ وحشـةٌ | كقـبرِكَ يَسـأل هـل تقـدَم
وبالصحب والأهلِ « يستغربون » | لأنَّـك منحـرفٌ عـنهم
يمينـاً لتَنهَشُـني الـذكريات | عليـك كـما يَـنهش الأرقـم
إذا عـادني شـبحٌ مفـرحٌ | تصـدَّى لـه شـبحٌ مـؤلم
وأني عُـودٌ بكـفِّ الريـاح | يسـأل منهـا متـى يُقصـم
أخـي « جعفـراً » وشـجونُ الأسي | سـتَصرِم حـبلي ولا تصرَم
أزِحْ عـن حَشـاك غُثـاء الضـمير | ولا تكتمَنـي.. فـلا أكـتُم
فـإنْ كـانَ عنـدكَ مـن مَعتـبٍ | فعنـدي أضـعافه منـدَم
وإن كنـتَ فـيما امتُحِنـا بـه | ومـا مسَّـنا قـدَرٌ محْكم
تُخـرِّجُ عُـذراً يُسـلي أخـاً | فأنـت المـدِلُّ بـه المُـنعِم
عصـارةُ عُمـرٍ بشـتى الصنُوف | مـليءٍ كـما شُـحنَ المُعجـم

بــه مــا أُطيــقُ دفاعــاً بــه   ومــا هــو لي مُخـرِسٌ مُلجـم
أســالتْ ثــراك دمــوعُ الشـباب   ونــوَّر منــك الضريــحَ الــدم

يوم الشهيد

يــومَ الشَــهيد : تحيــةٌ وســلامُ   بــك والنضــالِ تــؤرِّخُ الأعــوام
بك والضـحايا الغُـرِّ يزهـو شـامخاً   علـمُ الحسـاب.. وتفخـر الأرقـام
بك والذي ضـمَّ الثرى من طيبِهم   تتعطَّــرُ الأرَضــونَ والأيــام
بـك يُبعَـث « الجيـلُ » المحتَّمُ بعثُـه   وبــك « القيامــةُ » للطُغــاة تُقـام
وبك العُتاة سيُحشَرون.. وجوهُهُم   ســودٌ.. وحَشْــوُ أُنــوفهم إرغـام
صــفاً إلى صــفٍّ طغامــاً لم تــذُقْ   مــا يجرَعــون مــن الهَــوان طَغـام
ويُحــاصَرون فــلا « وراءُ » يحتـوي   ذَنبــاً.. ولا شُرطــاً يحـوز « إمـام»
وسيســألون مــن الــذين تسـخَّروا   هــذي الجمــوعَ كأنهــا أنعــام
ومــن استُبيح عــلى يَـديهم حقُّهـا   هــدراً.. وديســت حرمــةٌ وذِمـام
ومــن الــذين عَـدَوا عليـه فشـوَّهوا   وجــهَ الحيــاة فكــدَّروا وأَغــاموا
خَلَـصَ النعـيمُ لهـم فهـم مـن رقـةٍ   وغضــارةٍ بــيضُ الوجــوه وِســام
وصـفا لهـم فلـكُ الصِـبا فتلألـؤوا   فيــه كــما تَــتلألأ الأجــرام
يتـدلَّلون عـلى الزمـان كـما اشتَهت   شــهواتُها قــبُّ البطــون وِحــام
ومَــداس أرجلهــم ونَهْــبُ نِعــالهم   مهــيضُ الجــانِحين مضــام
يُــمسي ويُصـبح يسـتظلُّ بِخِدنـه   بَقَــر الزَريــب.. ويرتَعــي وينَـام
سيُحاسَبون.. فـإن عَـرتْهم سَـكْتَةٌ   مــن خيفــةٍ فســتنطِقُ الآتــام
ســيُنكّسُ المتذبــذبون رقــابَهم   حتــى كــأنّ رؤوســهم أقــدام

يومَ الشهيد ! وما الخيالُ بسادر ... بئسَ الخيالُ تقودُه الأوهام
الشعر - يا يومَ الشهيد - تجارِبٌ ... وبلاؤُها.. لا لؤلؤٌ ونِظام
كَذِباً يُخيل أن بارقة المُنى ... تنجابُ منها وحشةٌ وظَلام
أو أنَّ بالنزْر اليسير من الدما ... سيُبلُّ من عطَش الطغاة أُوام
أو أنَّ مَتعوباً ستَسْعى نحوه ... عما قريبٍ راحةٌ وجِمام
حُسبانُ ذلك للشهيد خِيانةٌ ... ولِما تفَجرَ من دمٍ إجرام
ولَتلك مدعاة سيُنصَرُ عندها ... عارُ النُكوص ويُخذَلُ الإقدام
ولذاك إيهام يضلِّلُ أُمةً ... وسلاحُ كل مضلِّلٍ إيهام
عَظُمت محاولةٌ وجلَّ مرامُ ... أفباليَسير من العَناء ترام
يومَ الشهيد ! طريقُ كل مناضلٍ ... وَعرٌ.. ولا نُصبٌ ولا إعلام
في كل منعَطَفٍ تَلوحُ بليةٌ ... وبكُلِّ مُفترقٍ يدِبُّ حِمام
وحياضُ موت تلتقي جَنَباتُها ... وعلى الحياضِ من الوُفود زِحام
وقِباحُ أشباح لِمُرتَعِدي الحَشَا ... برمٌ بها.. ولِمُحرِبين هُيام
بك بعد مُحتَدِمِ النضالِ سينجَلي ... مما ابتدأتَ من النِضالِ ختام
سيُجازُ شَهرٌ بالعَناء وآخرٌ ... ويُخاضُ عامٌ بالدماء وعام
ستطيرُ في أفقِ الكفاح سَواعدٌ ... وتَطيحُ في سوح الكرامة هام
ستَثور من رَهَجِ اللُهاث عجاجةٌ ... ويَهُبُّ من وَهجِ الشَّكاة قَتام
سيُعالجُ الباغي بنَضحٍ من دَمٍ ... حتى تُسَكنَ شَهوةٌ وعُرام
لابُدَّ من نارٍ يروح وَقودُها ... منّا ومنه غارِبٌ وسَنام
وتُنير منها الخابطينَ دُروبَهم ... من بعدِ ذلك جذوةٌ وضِرام
إذ ذاك يُصبحُ بعد طُول مَتاهةٍ ... بيد الشُعوب مقادةٌ وزِمام

تبـــاً لدولـــةِ عـــاجزينَ تَوهَّمـــوا ... أن « الحكومـــةَ » بالسِـياط تُــدام
والوَيــلُ للماضــينَ في أحلامِهــم ... إن فـرَّ عــن « حلـمٍ » يـروع منَـام
وإذا تفجّـرَت الصــدورُ بغيظهــا ... حَنَقــاً كــما تتفجّــر الألغـــام
وإذا بهــم عَصْــفاً أكــيلاً يرتمــي ... وإذا بــما ركنــوا إليــه رُكـــام
وإذا بــما جَمـعَ الغــواةُ خُشــارةٌ ... وإذا عصــارةُ كــلِّ ذاك أثـــام
يومَ الشهيدِ ! لَسوف تُعقِبُ في غدٍ ... يومــاً تَحــارُ بكُنهــه الأَفهـــام
ولســوف نجهـل مـا يِقـلُّ بصـلبه ... قــدَرٌ.. ومــا تَــتمخّضُ الأيــام
ولسـوفَ يُصبحُ مـا نحـارُ بكُنْهـه ... إن حــانَ حِــينٌ واســتتم تمــام
أمــراً كــما قــالَ البديهــةَ قائــلٌ ... النــورُ نــورٌ والظــلامُ ظــلام
إني لَيخنُقُنــي الأســى ويُحْــزِنـي ... مــا لاحَ طفــلٌ يجتَبــي وغُــلام
علـماً بـأن دِمـاءَهم ليسـت لهـم ... وبأنهـــا للجـــائعينَ طَعـــام
للنـاس بعـد اليَـومِ مِـيلادُ الفَتـى ... ومَماتـــه.. ورَضـــاعةٌ وفِطـــام
يـوم الشـهيد ! بكـل جارحـةٍ مشَـى ... داءٌ تَعـــاوَرَه الزمـــان عُقـــام
تَعِـبَ الأسـاةُ بـه.. وجـافَى أهلَـه ... يأســـاً نِطـــاسيٌّ بـــه عَـــلاّم
وتَــعَسّر الإبــلالُ حتــى تَنتَفـي ... منــه الجـذورُ.. وتُقطَـعَ الأَجـذام
يوم الشهيد! بـك النُّفوس تفتَّحت ... وَعيـــاً.. كـــما تَتَفَــتحُ الأكـــمام
كــادَ الضــعيف يشُــكُّ في إيمانــه ... والصــبرُ كــاد يَشُــله استســلام
طــاح الــبلاءُ بخــائرٍ في مَعــرَكٍ ... أشِــبٍ تطـيشُ بهَولــه الأحــلام
وانجـاب عـن مـترددينَ طِلاؤُهـم ... وانــزاحَ عــن متربصِّــينَ لِثــام
وأعضَّ قوم بالسكوت وأفصَحَتْ ... عــن غــير مــا عُرِفَــت بــه أقــوام

وتمسـك المتشبِّثـون بجـاحمٍ … جَمَراتُـه تُشـوى بهـا الأقـدام

وتـراكم الصـبرُ الجميـلُ بسـاحة … مـن حولهـا تـتراكمُ الآلام

شـعب يُجـاعُ وتُسـتدرُّ ضروعُـه … ولقـد تُمـارُ لتُحلـبَ الأغنـام

وأُمِـدَّ للمسـتهترين عنـانُهم … في المُخزيـات فـأرْتَعوا وأسـاموا

وَتَعَطَّـلَ الدسـتورُ عـن أحكامـه … مـن فَـرطِ مـا ألـوَى بـه الحُكَـام

فـالوعيُ بَغـيٌ.. والتحـرُّرُ سُـبَّةٌ … والهَمـسُ جـرْمٌ.. والكـلامُ حَـرام

ومـدافعٌ عـما يَـدينُ مُخـرِّبٌ … ومطالـبٌ بحقوقـه هـدّام

ومشَـى بأصـلاب الجُمـوع يَهُزُّهـا … الجَهـلُ والإدقـاعُ والأسـقام

وهَـوَت كرامـاتٌ تولَّـت أمرهـا … خِطـطٌ.. تـولّى أمْرهـا إحكَـام

فكرامـةٌ يُهـزَى بهـا.. وكرامـةٌ … يُرثـى لهـا.. وكرامـةٌ تُسـتام

وانصـاعَ يغـزُو أهلـه وديـارَه … جـيشٌ مـن المتعطِّلـين لُهـام

وتَصـافَقت حُجَـزٌ عـلى مُتحـرِّرٍ … ومفكـرٍ فتحطَّمـت أقـلام

ولكـلِّ مُحتَطـبِ الخنـا مداحـةٌ … ولكـل مُمتـدِح النثـا شَـتام

ومعاتـبٍ والسَـوط يُلهـب ظهـرهُ … ومعـذَّبٍ بجراحـه ويـلام

ممـا أشـاعَ البَغـيُ مـن إرهابـه … فيهـا استُطيبَ الخـوفُ والإحجـام

ومطـارَدون تعجَّلـوا أيَّـامَهم … ومشرَّدون مـن المذلـةِ هـاموا

ومشـكِّكون وقـد تعاصَـت محنـةٌ … صلُّوا على شَرفِ الخلاص وصاموا

ولقـد تَرقـرْقَ في العُيـون تسـاؤلٌ … وعـلى الشِـفاه تحـيّر اسـتِفهام

أعفـا القَطـينُ فـما بـه مُتَـنَفَّسٌ … وَخـلا العَـرينُ فـما بـه ضِرغـام

أفوعـدُ مُرتقِـبِ « القيامـةِ » خُلَّـبٌ … وبريـقُ منتظِـر « النُشـور » جَهـام

أو يكثـرُ الأبطـالُ حـين سِـلاحُهم … بـين الجُمـوع قَصـيدةٌ وكَـلام

فإذا استحرَّ الخطبُ واحتَدمَ الأذى ... ذابـوا.. فـلا بطـلٌ ولا مِقـدام

أفـلا تكـون مغـارةٌ أو مـا انتَهـى ... مـا قَعْقـعَ الإِسراجُ والإِلجـام

أعـلى ضـمير المخلصـينَ غِشـاوة ... وعـلى فـم المتحـرِّرين لجـام

حتـى إذا قَـذفَ الحمـى بحُماتِـه ... ورَمـت بأشـبالٍ لهـا الآجـام

وتنـافَسَ «الفـادون» لم يتمنَّنـوا ... فضـلاً.. ولم يُبطـرْهُمُ الإنعـام

وجـدوا عتابـاً للـبلاد فـأعتَبوا ... وملامـةً لشـبابها «فـألاموا»

ومَشـوا إليهـا يـدعَمون صـفوفَها ... بصـدورهم.. إذ عـزَّهن دِعـام

حَملوا الرصاص عَلى الصدور وأوغلوا ... فعلى الصـدور من الدِماء وِسام

تـابَ الغـويُّ وثـاب كـل مشـكِّكٍ ... إنَّ الحمـى مـن فوقـه قـوّام

نَكِـروا النفـوسَ وفجَّـروا أعراقَهـا ... صَـمْتاً.. فـلا صَـخَبٌ.. ولا إرزام

وأبَـوا سِـجامَ الـدمع شـيمةَ نـائح ... فلهـم دمـاءٌ يغتلـينَ سِـجام

نـاموا وقـد صـانُوا الحمـى ومعـاشِرٌ ... تَركـوا الحِمـى للطارئـات ونـاموا

يـومَ الشـهيد: وكـلُّ يـوم قـادمٌ ... سـتُريهِ كيـف الجـودُ والإكـرام

دالَ الزمـانُ وبـدلتْ نُظُـمٌ بـه ... ولكـل عصرٍ دولـةٌ ونِظـام

ومَضى الحُـداةُ «بحـاتِم» وبرهَطِـه ... وتبـدَّلت لمكـارِمِ أحكـام

فهُـمُ وقـد حَلَبـوا الصَريـحَ أماجـدٌ ... وهـمُ وقـد عقـروا الجَـزور كـرام

وهـمُ لأنَّ الضـيفَ ينـزِلُ سـاحَهم ... للفقـر في سـاحاتهم إلمـام

وأتـى زَمـانٌ مـن مكـارِمِ أهلِـه ... السَـجْنُ.. والتشريـدُ.. والإعـدام

والسَـوط يحـترِشُ الظهـورَ ووقعُـه ... في سَـمع محـترِسٍ بـه أنغـام

وكأنّـه «للمسـتغيث» إغاثـةٌ ... وكأنّـه «للجـائعين» إدام

جيل يرى أنَّ الضيافة والقِرى … للطارئات الصبرُ والآلام
يَقرونَ جائعةَ البلاد نفوسَهم … فلها لحومٌ منهُمُ وعظام
ويُرونَ ضيفَهُمُ الكرامةَ تُزدَرى … والحقَّ يُغصب.. والديارَ تُضام
يتقامَرون على المنايا بينَهم … حُمْراً.. فلا الأيسارُ والأزلام
لاهُم عفوكَ.. لا الشجونُ قليلةٌ … عندي.. ولا أنا أخرسٌ تمتام
قلبٌ يذوبُ أسىً.. وشعرٌ كلّه … ضَرَمٌ.. وبيتٌ كلّه آلام
أخنى بوحشته على جيرانِه … وهَفَا به.. رعباً.. فطارَ حَمام
ويكادُ يشهَق بالعويل بَلاطُه … ويَصيحُ بالألم الدفينِ رُخام
ودمٌ أريق على يدَيَّ يهُزني … هَزَّ الذَبيح وقد علاه حُسام
وخبيئةٌ في الصدرِ نَفثُ دُخانها … حَرَجٌ.. وكَبتُ أُوارها إيلام
لاهم ما قَدْرُ البيان إذا انزوى … عنه الضميرُ.. وعَقّه الإلهام
وإذا استوَى فيه الثَّكولُ وغيرُهُ … والساهرونَ الليلَ والنّوام
أكبرت شعري أنْ تُهينَ كريمَهُ … غُفْلٌ تضيق بها الرُّعاةُ سَوام
أو عائشونَ على الهوامشِ مثلَما … يَنفي فُضولَ الصورةِ الرِسام
والمتلونَ كأنَّهم كلُّ الدُّنى … والفارِغونَ كأنَّهم أصنام
والصادِعونَ بما يَرى مُستعمِرٌ … فهمُ متى يأمرْهُمُ خدّام
والمُولَعونَ بفاجراتِ مطامعٍ … فلهمْ قُعودٌ عندَها وقِيام
ماذا يحطِّمُ شاعرٌ من صاغرٍ … أخنى الهوانُ عليه فهو حُطام
لكنْ بمختلطينَ في نياتهم … شُبُهاً.. فلا وَضحٌ ولا إبهام
من كل هاوٍ برجه وكأنَّه … قَمرٌ على كَبدِ السَماءِ تَمام
يؤذيهِ أنَّ الشمس تطلُعُ فوقَه … أو لا يظلِّلَ وَجنَتيهِ غَمام

اللَيـلُ عنـدَهمُ التَعِلَّـةُ والمُنـى فـإذا اسـتطالَ فسَـكرةٌ ومُـدام
وإذا النهـارُ بـدا فكـلُّ حـديثِهِمْ عنـه بكيـفَ تـفسّرُ الأحـلام
حتـى إذا حَميـتْ وغـىً وأدارهـا كأساً « إياسٌ » مرةً و « عِصام »
وتلقَّفَـتهمْ كـالرَّحى أشـداقُها مَضْـغاً هُمـامٌ يَقتضـيه هُمـام
زَحَموا الصُّفوفَ « مشَيَّعين » كأنَّهم بـين المواكـبِ قـادةٌ أعـلام
ومَشـوا عـلى جثَـثِ الضَّـحايا مثلَما يـمشي بمقتـنص النَّعَـامِ نَعـام
ثـم اسـتدارُوا ينفُخـون بطُـونَهم نَفـخَ الطُّبـول.. وأقعـدوا وأقـاموا
يـومَ الشـهيد : ومـا تـزال كعهـدِها هُـوجٌ تـدنسُ أُمـةً ولئـام
قَصروا عـن العليـا فلـم يتناوَشـوا مـا احتـازَ منهـا فـارعونَ جِسـام
وتقطّعـتْ بالمَكرُمـات حِبـالُهم وبـها ابْتنـتْ همـمٌ فهُـنَّ رِمـام
وعنـاهُمُ أخـذُ الكـرامِ عِنانَهـا مـن بعـد مـا داروا عليـه وحـاموا
وتجـاهَلوا أنْ لـيس تـربُ مسـامح بدمائـه نَهّـازةٌ غَنّـام
وبـأنَّ أُمـاتِ المـآثرِ بـرزَةٌ عملاقـة.. وبـأنهمْ.. أقـزام
فهُـمُ وقـد ذَكَـتِ الحزازةُ عنـدهم « كوب » من الحقـد الـدفين وجام
يُسْـقَونَ جـذوتَها وفـيها يجـتلي تـربُ النـدي لأُوارِهـا إضرام
حتـى إذا ألقـى الكـريمُ بوجهـه فتمايـزَ الإشراقُ والإظـلام
وتَضَـوَّرتْ جوعـاً فلـم تَـرَ عنـده مـا تأكـلُ الأوغـارُ والأوغـام
ومشى الفَعال لهم صَريحاً لم يَشُبْ آياتـه عـيٌّ.. ولا إعجـام
وتَخارَسـوا وعَمـوا فمـلءُ عُيونِهِمْ رَمـدٌ.. ومـلء حُلـوقِهم إفحـام
لجأوا إلى « الأنساب » لـو جَلّى لهم « نسب » ولـو صَـدَقَتْ لهم أرحام

وتنــابَزُوا بالجاهليــة شــجَها ... من قبل نورُ « الفكر » و«الإسلام»
فــأولاءِ أعــرابٌ فكــل محَــرَّمِ ... حِــلٌّ لهــم وأولــئكمْ أعجــام
وأولاءِ « أغــمارٌ » فــلا رأسٌ ولا ... كعــبٌ.. ولا خَلــفٌ.. ولا قُــدام
وأولاءِ « أشرارٌ » لأنّ شــعارهم ... بــين الشُــعوب محبــةٌ وســلام
وكــأنَّ « أرحامــاً » تُــرَصُّ فريضــةٌ ... وكــأنَّ « أفخــاذاً » تُلــزُّ لــزام
وكــأنَّ مــن لم يَحْــوِ تلــكِ وهــذه ... وإنْ اســتقامَ بهيمــةٌ وســوام
نُكــرٌ لــو استَعلى.. لما استَعْلَت يَدٌ ... بــالعروة الــوثْقى لهــا استِعصــام
ولمــا تمَــايزَتِ النُّفــوسُ بخَيرهــا ... وبشرِّهــا.. ولمــا اســتَتَبَّ نِظــام
لزَكــا « أبولهَــبٍ » وكــانُ مُرجَّمــاً ... ودَنَــا « صــهَيبُ » وإنــه لإمــام
قَبَليّــةٌ يلجــأ إليهــا مُقْعــدٌ ... لا الحــزمُ يُنجــده ولا الإعــزام
وبهــا تَسَــتَّرَ عــن صَــغارةِ نفسِــهِ ... خَزيــانَ يأكــلُ زادهُ وينــام
بــل قــد تَفَيّــأ ظِلَّهــا مــن حِطّــةٍ ... نســبٌ يَســومُ رخيصَــه المستام
مــن كــل مُعــدٍ في الصَــغارِ كأنَّــه ... جــرَبٌ تُخــاف شــذاته وجُــذام
ســلمانُ أشرف مــن أبــيكمْ كعبُــهُ ... وعِصــامُ مــا عَــرَفَ الجدودَ عِصام
ومحمــدٌ رَفَعــتْ رســالةُ ربــه ... كَفّــاهُ.. لا الأخــوالُ والأعــمام
ولقــد يــذِلُّ مُســوَّداً أعقابــه ... ولقــد يســودُ عشــيرةً حجّــامُ
أأُخَــيَّ : لــو ســمع النــداءَ رُغــامُ ... ولــو اســتجابَ إلى الصريــخِ حِمام
منــي عليــك تحيــةٌ وســلامُ ... ولــذكرِك الإجــلالُ والإعظــام
والله لــولا طــائفٌ مــن سَــلوةٍ ... ولُمامــةٌ مــن مسْــكةٍ تعتــام
ورســالةٌ نــدعو لهــا وأداؤهــا ... فــرضٌ.. ورَعْــيُ حقوقهــا إلــزام
وَبنّيــةٌ للســالكين طــريقهم ... والقــادمينْ عــلى الطريــق تُقــام

ودعــاةُ حــقٍ يخرُجـون ســواهُمُ … عـــارٌ إذا لزِمـــوا البيـــوتَ وذام
لعكفتُ حولَـك لا أريـمُ ولم يكـن … إلا بحيـث أقمــتَ أنــتَ مقــام
يــا نــائماً والمــوتُ مــلءُ جُفونِـه … أعلمـتَ مـن فارقـتَ كيـف ينـام
وملاءَمــاً بيـد المَنــون جِراحَـه … جـرح المُقـيم عليـكَ لا يلتـام
قـد كنـتَ تقـدِرُ أن تُظلَّـكَ بهجـةٌ … ونَضـارةٌ.. لا ظلمـةٌ ورَغـام
أو أنْ يـرِفَّ عليـك في رَيْعانِـهِ … هـذا الربيـعُ - كوَجهِـك - البسام
لـو شئتَ أعطتـكَ الحياةُ زِمامَها … ولهـا عـلى كـفِّ الشَـباب زِمـام
لِتَضـمَّك الغُـدرانُ في أحضـانها … وتُقِلّـك الهضَـباتُ والآكـام
وشـقيقك القَمـرُ المُـدِلّ بلُطفـه … نَشـوانُ.. يَصـحو تـارةً ويُغـام
لو شئتَ.. عن شرفٍ أردتَ فصِدْتَه … بـدَلاً.. لكانـت صـبوةٌ وغَـرام
ولجئتَ مُقتَنصَ الشباب ولارتمتْ … مـن حولـك الظَبيـاتُ والآرام
لوشئتَ ؟ لكن شاءَ مجدُك غيرَها … فتلقَّفَتـك مـن الثـرى أكـوام
رَدّ البكــاءَ عليـكَ أنـك قائـدٌ … ولـو استبدَّ بـك الثرى.. وإمـام
تمشي الجُمُوعُ على هُداك كما هَدى … الضُـلاّلَ بـرقٌ في الظـلام يُشـام
لو غَيْرُ ذلك أطاحَ رأسَك لارتَمى … بِشراك نعلِـكَ طائحـاً « هَمّـام »
ولما استقلَّ برأس « مرةَ » خِنصرٌ … لـكَ.. واسـتقادَ بوجهـه إبهـام
قـد كـانَ يَعطِفُني عليك مـلامُ … أن لـو ذخرتـكَ أيهـا الصِمصـام
أن لـو سـلمتَ فـلا شـبايَ مُزنّـدٌ … أسـفاً.. ولا حـدَيّ عليـك كَهـام
لـو لم تُجبني مـن رفاتـك هامَـةٌ … صـبراً جمـيلاً أيهـا اللـوام
ما كنتَ « نحاماً » بنفسِك للورى … أفأنـت بي مـن أجلهـم نَحـام

نحنُ الضَحايا : للشعوب فَقاره ... ولكل ما يبني الشعوبَ قوام
هذي القُبورُ قنابرٌ مَبثوثة ... لمكابرٍ وحَفيرُها ألغام
ما كانَ جيلٌ تستقيمُ قناتُه ... إلا وموتٌ.. يستقيمُ.. زُوام
فالثُكْلُ والعَيشُ السويُّ سَويةٌ ... ودَمُ الضحايا والحياةُ تؤام
يومَ الشهيد! ونعمتِ الأيام ... لو تستتِمُّ أخوّةٌ ووِئام
لو يرْعَوي المتنابذونَ وكلُّهم ... بهمومِهم وشُعورهم أرحام
ولو التَقى من بعدِ طُولِ تَفرُّقٍ ... الشَيخُ والقِسيسُ والحَاخام
ولو اتفقنا كيف يهتِفُ هاتِفٌ ... فينا وكَيفَ تُحرَرُ الأعلام
وبمن يقودُ الزاحفينَ أخالدٌ ... ومحمدٌ أم أحمدٌ وهِشام
هي أمةٌ خافَ الطُغاة شَذاتَها ... فسعَوا بها فإذا بها أقسام
وإذا بها والذلُ فوق رؤوسها ... قُبَبٌ له مَضروبةٌ وخِيام
يحتازُها والجوعُ ينهَشُ لحمَها ... باسم «الرغيف» معرَّةٌ وصدام

***

الشهيد قيس

يا قيسُ : يا لُطفَ الربيعِ ... ووقدَ رَونقه الشَبُوبِ
يا قيس : يا همسَ الحبيب ... يذوب في سَمع الحبيب
يا قيس : يا هَزَج الرُعاة ... يَشيعُ في الحقل الخَصيب
يا قيس : يا شَجْوَ «الهزار» ... يُهيبُ بالغصن الرطيب
يا قيس : يا حُلُمَ «العذاري» ... يزدَحِمْنَ على «القَليب»
يا قيس : يا ذَوْبَ «الغَضارة» ... قُطِّرت بأرَقِّ كُوب

يـا قـيس : يـا لحـنَ الحيـاة ونغمـةَ الأمَـلِ الرَتيـب
يـا قـيس : يـا لمـحَ السَـنا يـا قـيسُ : يـا نفْـحَ الطيُـوب
يـا قـيس : هـل تَـدري بـما خلَّفـتَ بعـدَكَ مـن نُـدوب
وبـما غَمَـرْتَ البيـتَ مـن فَـيْضِ الصَّـبابة والوَجيـب
وبـما جَلَبْـتَ لـ « ثاكـلٍ » حَـرّى ومُحتَسِـب حرَيـب
الوالـدانِ – عليـك يـا قـيسُ المـدلَّلُ – في لُغُـوب
يـتعلَّلانِ بلَمـح وجهِـكَ في الشُروق وفي الغُـروب
ويغالِطـانِ النَـومَ عنـك بطَيفِـك المَـرحِ الطَـروب
ويراجعـانِ تَلاوُمـاً نفْسَـيهما.. صُـنعَ المُريـب
يتبـادلانِ أسـاهُما شَـكوى الغريـبِ إلى الغريـب
يـا قـيسُ أُمُّـك لا تـزالُ تعـيشُ بالأمَـل الكَـذوب
تهفـو لقَـرْع البـاب في الجِيئـات منـكَ وفي الـذهوب
وتظَـلُّ تسـألُ مُخْـدَعاً لـك عـن هجوعِـك والهُبـوب
يـا قـيسُ : يـا رمـزَ الشـهادةِ عُطِّـرت بـدَم خَضـيب
كرَّمـتَ بـالكَفَن المخضَّـب منـك والخـدِّ التَريـب
وطنـاً بمثلـك مـن بنيـه يَسـتجيرُ مـن الخُطـوب
ويـرُد أنصـبةً إلـيهم مـا حَبـوه مـن نَصـيب
بالمجـدِ تَخلعُـه الحُقـوبُ علـيهِمُ تلـوَ الحقـوب
والغـار تَضـفِرُهُ لهـمْ رَيـانَ مـن طَفَـح القلـوب
يـا قـيسُ : يـا قـيسُ الملـوِّح في شـبابك بـالحُروب
الشـعب يثـأرُ مـن « رُماتِـك » في بعيـدٍ أو قريـب

دم الشهيد.

خُـذوا مـن يَـومكم لغـدٍ متاعـا وسـيروا في جهـادِكمُ جِماعـا
وكونـوا في ادراء الخطـب عـنكم يـداً تَبني بهـا العَضُـدُ الـذراعا
ذروا خُلفـاً عـلى رأيٍ ورأيِ إلى أن يلقـيَ الأمـرُ القِناعـا
وخلُّـوا في قيـادتكم حكيـماً يـدبِّرُها هُجومـاً أو دِفاعـا
رحيبٌ الصَدر ينهضُ بالرزايا ويُحسـنُ أن يُطيـعَ وأن يُطاعـا
حملـتم ثِقْـل جـائرةٍ عسـوفٍ تميـل بمـن يحاولهـا اضـطِلاعا
ونـادَيتم بذائعـةٍ هَتـوفٍ نَمـى خَـبَرٌ بهـا لكُـمُ وذاعـا
تعلَّقـتِ العُيـونُ بهـا احتفـاءً وأُتلِعَـتِ الرقـابُ لهـا اطلاعـا
وأوجفتِ الشعوبُ على صداها وقـد عـابَ العِيـانُ بهـا السَماعا
تـراهَنُ بينهـا عـن كـلِّ شَـوط بحلْبـتكم.. وتُقـتَرعُ اقتراعـا
فقـد وعَظَـتْكُمُ سُـودُ الليـالي ولم تعـرفْ بـما تعِـظ الخِـداعا
بـأنَّ أشـقَّ مطَّلَـبٍ رأتـه ضـعيفٌ طالـبٌ حقـاً مُضـاعا
فـلا تكِلـوا الأمـورَ إلى قضـاء فـما كـانَ القضـاءُ لكـم رَضـاعا
ولا تنسَـوا بـأن لكـمْ عـدوّاً طويلاً..وفي ازدراع الخُلفِ.. باعا
يُلـوِّي كـلَّ يَـوم مـن قنـاةٍ ويَبتـدِع الشِـقاقَ بهـا ابتِـداعا
وأنكُـمُ بكَعْـب السَـوطِ منكم قَـرَعْتُم « رأس » مَن سنَّ القِراعـا
قَـرَعَتُم رأسَ مختَـبطٍ رؤوسـاً ممـاكرةً.. ومالكَهـا صُـداعا
مسـكتُمْ مـن خِناقـةِ أفعُـوانٍ شـديدِ البطش يـأبى الانصِراعـا
تعـاصى والـدُنى من كـل حَـدْبٍ تهـزُّ الصُـلْبَ منـه والنُخاعـا

فمُـدّوا كفَّكَـم هَونـاً فهَونـاً — وجُـرّوا منـه أنيابـاً شِـناعا
وفكُّـوا شِـدْقَ مُؤتـذِبٍ خبيـث — وسُـلُّوا حَقَّكـم منـه انتزاعـا
ولا تَنْسَـوا بـأنَّ لـه عبيـداً — شَراهـم بابتسـامته وباعـا
حَبـاهم شرَّ مـا يُجبَـى خَـؤونٌ — يغـذّي مـن كرامتـه الطِماعـا
وعوَّضَـهم عـن الشَرَفِ المُبقَّـى — حُطـام المـالِ يـذهَبُ والضِـياعا
أحَـلَّ لهـم دمـاءكمُ مَخاضـا — وبـوَّأهم « حقـوقَكمُ » رباعـا
وملَّكهـم رقـابَكم فـآبٍ — تملَّكَهـا وذو خَـورَ أطاعـا
فسـقُّوهُم بكأسـهمُ دِهاقـاً — ذِعـافَ الهَـون والـذلِّ اجتراعـا
وجُـروّهم عـلى حَسَـك الخطايـا — ورُدُّوا كَيْـدَهم بالصـاع صـاعا
وزيـدوا بالـدم العَبِـق اتشـاحاً — وبـالوحي الـذي يـوحي ادِّراعـا
وكـانوا في احتراشِـهمُ ذئابـاً — فكونـوا في ضَراوتكـمْ ضِـباعا
شَـبابَ اليَـوم إن غـداً مَشـوقٌ — يَمُـدُّ لكـم ليَحضُـنكم ذِراعـا
يُمـدُّكُمُ بـروح مـن خُطـوبٍ — تعـوَّدَ أنْ يمـدَّ بهـا الصِراعـا
وأنْ يعتـاضَ عـن جيـل بجيـلٍ — بهـا.. ويفـضَّ بيـنهما النزاعـا
رصاص البَغي يفجُرُكم ليجري — دمٌ يَزْكـو بـه الـوطنُ ازدِراعـا
ويُخصِب من رياضِ المجد حقلٌ — يُـراح القـادمونَ بـه انتِجاعـا
و« سَـوطُ » الفـاجرينَ يُعيـد لحنـاً — لـه تـترنَّحُ الـدنيا اسـتِماعا
وقَعرُ السجن حيثُ مشتْ «فرنسا» — مـن « البسـتيل » ترتَفِـعُ ارتفاعـا
وألـوانٌ مـن « التعـذيب» تَهـدي — سـجلَّ « الثـورة » الكـبرى شُـعاعا
وأشـباحٌ تُـراوحكم قِبـاحٌ — تَـروعُ حَصـاتَكم سـاعاً فسـاعا

هـي الأشـباحُ مـن عهـد تَرامـى ... عـلى عهـد فترتجـفُ ارتياعـا
شـبابَ اليـوم إنكـمُ ثـمارٌ ... سـيقطفُها الغـدُ الآتي سِراعـا
جَنـى جيـلٌ يعبِّـئُ للرزايـا ... مصـايرَه وللـذُل اقتناعـا
عـلى جيـلٍ كـأنَّ عليـه ممـا ... بَنَـى البـانون مـن وِزْرٍ قلاعـا
بـذوب الفكـر يفتـتح القَضـايا ... ويختِمهـا بمهجتـه انـدفاعا
دَمَ « الشـهداء » لا تـذهَبْ هبـاءً ... ولا تجمُـدْ بقارعـةٍ ضَـياعا
ولا تشـكُ الظِـماء فـإن فينـا ... دمـاءً سـوفَ تشربُهـا تِباعـا
ولا تَخـلِ الجفـاءَ فلـم تُغَيَّـبْ ... يـدٌ تُرعـى.. ولا ذمـم تُراعـى
فـما كَـدم « الشـهيد » إذا تَنـادى ... كثـيرٌ نـاثِروهُ إذا تَـداعى
ومـا تَهَـب الصـنائع للبَرايـا ... كما يَهَبُ « الشهيد » لها اصطِناعا
أنَفقِـدُكم ولا نَرعـىَ حفاظـاً ... وتَرعَـى البيـتَ فاقـدةٌ صُـواعا
إذن فالثَـأر نَنشُـده كِـذاباً ... وصـوتُ الحـق نسـمعُه خِـداعا
إذن فسَيُوسِـعُ التـاريخُ رجمـاً ... كِلَينا.. من « أطَلَّ » ومن أضاعا
ونحـن – إذنِ – نَسـومُ دمـاً زكيّـاً ... بعاجلـةٍ شِراءً وابتِياعـا
فأيُّ « زكاً » يُصان – إذن – ويُقْنَى ... وأيُّ شـذاة طهـرٍ لـن تُباعـا
ونحن – إذن – على الأشلاء نُزجي ... رغائبَنـا ! ونُسـمنُها رِتاعـا
فليـتَ الحـزنَ تُطبـقُ فـوق سـالٍ ... سـحابتُه وتـأبى الانقِشـاعا
وليـت الليـلَ يغمـرهُ دخانـاً ... وليـت الصـبحَ يُمطـرُه التياعـا
وليـت مُنـىً يُراودهـا فِجـاراً ... تُعـاوِده لتنهَشَـه ضِـباعا
وليـت ضـميرَه يثـب افتزاعـا ... مـن الـذكرى وينـتفِضُ التذاعا
وليـت العـارَ يـبرحُ مستضـيفاً ... سريرتَـه اصـطيافا وارتِباعـا

وليــت أمــامَ عينيــه احتراقــاً ... جَـرىَ كالشـمع حـاضرهُ وماعـا
وليـت خيـالَ ماضـيه مَسـيخاً ... يَلــوح عــلى ملامحِــه انطِباعــا
دمَ « الشــهداء » أنــتَ أعــزُّ مُلكـاً ... وقاعُــك أشرفُ الــدنيا بِقاعــا
وأنــت الخُلــدُ بالأنهــار يَجْــري ... وبالمِسـك انتَشَـى أرَجـاً وضَـاعا
دمَ الشــهداء كنــتَ النــارَ شـبَّتْ ... عــلى البــاغين تنــدَلِعُ انــدلاعا
تلُــفُ طَغــامَهمْ نِكســاً فنِكســاً ... إلى يَـــوم تَلفُّهُــــمُ جِماعــــا
إلى يـــوم تُطــيح بـــها أقــاموا ... ومــا اختَطُّــوا فتَنسِــفُهُ اقتِلاعــا
دمَ « الشهداء » اهِدِ الجمعَ يُبصِرْ ... طريقــاً منــك يزدَهِــرُ التِماعــا
أهــبَّ لــه الحــواضر والبــوادي ... وعرِّفْــه المَشــارفَ والتِلاعــا
متــى يَقْحَــمْ قِطاعــاً مــن شُرور ... فأقحِمْــه بسَــوْرتِه قِطاعــا
وســدِّدْ مــن خُطــاه إذا تــواني ... وجــدِّدْ مــن قُــواه إذا تَــداعى
وكــن.. إن لفَّــه ليــلٌ.. شُــعاعاً ... وإن طــال الطريــق بــه.. متاعــا
دفعــتَ بــها اســتطعتَ الضُرَّ عنــه ... فــزده مــا اسـتطعتَ بـك انتِفاعـا
وزِدْه مـا اسـتطعتَ لـك انصـياعا ... وعــها يُغضِــبُ الــوطَنَ امتِناعــا
وزِده في الخُطــوب بــك اعتِــزازاً ... وحَــوْلَ شــعارِك الألِــقِ اجتِماعــا
وكــنْ فــيها انــدفَعْتَ شِـعارَ جيـلٍ ... حثيــثِ الخطــو يــأبى الارتجاعــا
وأعلِــنْ بانفطامِــك عــن شَــبابٍ ... بــه يتعلَّــلُ الشــيخ ارتِضــاعا
عن الشـهوات في الحكـمِ ازدجاراً ... وعــن حكــم يُــلاث بهــا ارتِـداعا
دمَ «الشهداء» مهما اسطَعْتَ فادفَع ... وحَسْــبُ الحـر جُهـداً مـا اسـتطاعا
إلى الغَمَــــرات أفئــــدة تَنَــــزَّى ... من « الغَمرات » تَخْشَى الانخِلاعـا

تُحِبُّ المـوتَ تغمـرُه التحايـا ... وتـأبَى أن تَطـيرَ بـه شَـعاعا
وتَخْشَـى الخُلـدَ.. مُفزعـةً نفوسـاً ... وتهـواه.. مُكرَّمـةً طُباعـا
وما انفكت عـلى رِجْـلٍ وأخـرى ... تُخالفهـا نُكوصـاً وانصِيـاعا!
فأكرِهْهـا وقُـل سـيري بسَـوطٍ ... يُـدَمِّي مـن أبَـى سَـيْراً وطاعـا
بسَـوْطٍ مـن جُلـودٍ ملزمـاتٍ ... بهَـدْي النـاس يقتَطِـعُ اقتِطاعـا
تَوَكَّـلَ أن يسـودَ النـاس حكـمٌ ... يُسـاوي مـن أُجيـعَ بمـن أجاعـا
ويُسـقطُ مـن شِـفاهِهُمُ سَـواداً ... ويمحُـو مـن مَعـاجِمِهم رَعاعـا
وقـل سـيري ولا تقفـي انتِكاصـاً ... وأنـتَ فَسَـلْ ولا تقـفِ انقِطاعـا
وقـل سـيري فـما يَعْيَـا دليـلٌ ... حَـدا مـن قـبلكم فَهَـدَى وضـاعا
وقـل سـيري اتبـاعَ أخـي افتِـداءٍ ... مَشَـت مـن خَلفـه الأمـم اتباعـا
جلبـتُ لهـا « السُـمُوَّ » فأوسـعتني ... مـن النُّكـران مـا يصِـمُ اتضـاعا
وذُقْـتُ الوحشـةَ الكـبرى فكانـت ... أنـيسَ النـاعمين بهـا اضـطجاعا
وكنـت لهـا أنـا المجهـول علـماً ... وأخلاقـاً وحكـماً واشـتِراعا
ومخـترعٍ يتيـه عـلى كِـبراً ... ولـو لم أجـرِ لم يجـدِ اختِراعـا
وفـذٍ « عبقـريّ مـن نَتـاجي ... تَرَعْـرَعَ « صـيتُه » ونـما وشـاعا
تجـاهَلَني وكنـتُ لـه خيـالاً ... وأهملنـي وكنـت لـه يَراعـا
وآخـرَ ذي فُتـوحٍ أشـجعيٍّ ... سـفحتُ لـه ليرتبـيَ اليَفاعـا
تناسـى مـن لـه اقتـادَ السرايـا ... ومـن كـانَ الشَّـجاعةَ والشُّـجاعا
ويـا أكفـانَهم كـوني لـواءً ... وسـيعاً يحضُـن الهِمـمَ الوِسـاعا
وسُـدي ثُلمـةً مـن كـل خَـرْقٍ ... يَزيـدُ الخَـرقُ شـقتَّه اتسـاعا
وزِيـدِي في خضَـمِّ المجـد مَوْجـاً ... وكـوني مـن سـفائِنه شِراعـا

ذكريات

يـا « ذكريـاتُ » تحَشَّـدي فِرقـا ... تسَـعُ الخيـالَ وتمـلأُ الأُفُقـا
وتـأهَّبي زُمـراً تجهـزني ... محضَ الأسى.. والذُّعرَ.. والقلقا
هُـزّي الرِّتـاجَ علـيَّ أُحكِمـه ... وتقحَّمـي البـابَ الـذي انغلقـا
الليـلُ صُـبّي في قرارتـهِ ... مـن وحشـةٍ مـا يفـزَعُ الغَسَـقا
والـريحُ خلّيهـا إذا صـفِرَت ... في البيـت توسِـعُ مـن بـه فرقَـا
خلّي الصغار من الأسى فَزَعـاً ... يتسـاءلون : مـن الـذي طَرَقـا
ودَعـي الكِبـار يـرَوْنَ مدخنـةً ... فيـه ولا يجـدون محترِقـا
والنوم من فـزَعٍ « الرؤى » يبسـاً ... رُدِّيـه.. أو بـدمائها غَرِقـا
ليعـودَ ممـا « تنفُثـين » بـه ... مِسـخاً فـلا نومـاً ولا أرَقـا
والصـبحُ رُدِّيـه لمَبْسِـمه ... شَرِقـاً وبـالعبرات مُختنِقـاً
ثـم اطلِعـي مـن كـلِّ زاويـة ... ذاك الجبـينَ ووجهَـه الطَلِقـا
حتـى إذا انتصـف الأصيل بـه ... فتكـوّري في صُـلبه شَـفَقا
ثـم اسـكُبي نَضـحَ الـدماء بـه ... ثـم ابعَثـي مـن نَشْرهـا عَبِقـا
وتمزّقـي قِطَعـاً مضرّجـةً ... تمـتصُّ مـن نَضَـحاته عَلَقـا
فكـأن فيهـا الصُـلبَ منغلقـاً ... بجراحـه.. والصـدرَ منخرقـا
يـا ذكريـات تجسّـدي بَـدَناً ... غـضَّ الصبا وتعطَّـري خُلُقـا
عُريـانَ : لا خـتَلا.. ولا وَغَـراً ... ضَـحْيانَ : لا صَـلَفاً ولا ملَقـا
لم تتركـي مـن كـلِّ شـاردةٍ ... نَمَطـاً ولا مـن نأمـةٍ نَسَـقا
ثـم ابـدَهيني كـلَّ آونـةٍ ... منهـا بـها يسـتامُني رَهَقـا

يــا ذكريــاتٌ كلهــا حــرقٌ تَطَــأ الفُــؤادَ.. وتلهــبُ الحـدَقا
مــن لي بشِــعرٍ خــالقٍ شـجناً للنــاس يعجــزهم بــما خَلَقــا
هـي صـورة حمـراءُ مـن شَـجني تــدمي الــيراع وترعــب الوَرَقــا
لــيَرى الــذين تجــاهَلوا برَمــاً أســيانَ كيــفُ يُكابــد الحُرَقــا
مــن لي بأطيــافٍ تُراوحنــي بــالهمِّ مصــطبَحاً ومُغتبَقــا
متسلســلات كلــما وَجَــدَتْ فيهــا فراغــاً.. أفرغَــتْ حَلقــا
مســتجمعات كــلَّ خــاطرةٍ مــا جــدَّ مــن عهـدٍ ومــا خَلِقــا
مــا كــان مثــلَ القــبر مُختفيــاً تُبديــه مثــلَ الــنجم مُنبثِقــا
فَرِحــاً ومكتئبــاً ومختلطــاً بهــا.. ومُتَّحــداً.. ومفترِقــا
مــن لي بهــا وكأنَّهــا بشرٌ عــن نفســه يــروي إذا نطَقــا
مــن لي بأشــباحٍ أنــوءُ بهــا رَسْــفَ الســجين بقيــدِه عَلِقــا
حتـى إذا انصَرَمـت بـدا شَـبحٌ حُلــوٌ يكــادُ يُطــيرني نَزَقــا
طــوراً نــروح معــاً عــلى ظَــمَأٍ منهــا وطــوراً نســتقي غَــدَقا
يومــاً بقَعــر البيــت يُوغرنــا حَنَقــاً.. قضــاءٌ مــوغِر حَنِقــا
وهُنيهــة نرتــاد مرتفِعــاً مــن هَضْــب « لبنــانٍ » ومُنْزَلِقــا
مــن لي بهــا تَعتــادُ قارئهــا فَرَقــاً.. كــما تَعتــادني فَرَقــا
وتــردُّ – مــثلي – عيشَــه رَنِقــاً وتَسُــدُّ – مــثلي – حَولَــه الطُرُقــا
مــن لي بشِــعرٍ خــالقٍ حُرَقــاً تطــأ الفــؤادَ وتُلهِــبُ الحـدَقا
لــيريُهم القلبــينِ قــد لَصِــقا صِــنوين.. كيــف إذا هُمــا افتَرَقــا
وإذا همــا – والمــوت بيــنهما – مــدّا مــن الجْيــدينِ فاعتَنَقــا
وتســاءَلا : مــا ضرَّ لــو ســلكا كَفَنــاً معــاً.. وبحبلــه عَلِقــا

حتـــى إذا اســـتبقى أحرُّهمـــا ... رَمَقـــاً.. وأســـلمَ خدنـــهُ رَمَقـــا
وحثـــا الـــترابَ بوجهـــه قَـــدَرٌ ... عبـــا لكـــل مُفـــارق طَبَقـــا
وانـــداحتِ الـــدنيا بنـــاظرِه ... حتـــى لظَـــنَّ رحابَهـــا نَفَقـــا
ومضى حســـابُّهما برُمَّتـــه ... مـــا انفـــكَّ مـــن دَيـــن ومـــا انغَلَقـــا
صَـــفقَ اليـــدين كـــأنَّ مرتجِعـــاً ... يرجُـــو لصـــاحِبه بـــما صَـــفقا
وكـــأنها يُعطـــي الشـــقيقَ دمـــاً ... إن الشـــقيقَ بدمعـــه شرِقـــا
وكـــأنها انشـــقَّ الضريـــحُ لـــه ... بـ « رعى السحابُ ضريحَه وسَقَى »

***

غضبة

عَـرَتِ الخطـوبُ ، كيـف لاتعـرو ... فصَـبرتَ أنـتَ ودِرعُـكَ الصبرُ
وصَـبرتَ أنـتَ وانـت ذو ثقـةٍ ... أن لـو تشـاءُ لزُحـزِحَ الأمـر
لانجـاب عُسرٌ مـن فرائسـه ... صِيدُ الرجـال ولارتَمـى اليسر
ولَـدَرَّ ضرْعٌ رُحـتَ تحلِبُـه ... إنْ كـان أعـوَزَ غـيرَكَ الـدَرُّ
عَـرتِ الخطـوب فـما خَفَضْـتَ لهـا ... مـن جـانح وكـذلك النسر
ومَضـيت تلتهـبُ السـما صُـعُداً ... لـك عنـد غُـرِّ نُجومهـا وَكـر
وعـلى جَناحَيـك ارتَمـتْ كِسَراً ... مثـلَ الضَّـباب عواصـفٌ صِرُّ
فتجاوَزَتـكَ وراح نَهبتهـا ... نَخـبُ الفـؤادِ وخامـلٌ غَمْـر
النَفـعُ رِخـوٌ لِسـتَ صـاحِبَه ... وأخـوكَ هـذا الشـامخُ الضر
أجـررتَ والـدنيا فـما سَـطَرتْ ... إلا وعنـدك فوقَهـا سَـطر
ومضـيتُها كـلٌ بوطأتـه ... فَـرَسَيْ رهـانٍ أنـت والـدهر

عـرت الخطـوب وكيـف لا تعـرو ... وطريـقُ مثلِـكَ.. صـامداً.. وعَـر
عَـدَتِ الضِّـباعُ عليـك عاويـةً ... ظنــاً بأنــك مأكــلٌ جَـزْر
فتـــذوَّقَتك فقـــال قائلُهـــا ... إنَ الغضَـــنفر لحمـــه مـــرّ
وخَلَصـت حـرَّ الوَجـه ذا أَلَـقٍ ... ووجُـــوهُهُم مطموســـةٌ عفْـــر
حَسَـدوكَ أنـكَ دُسـتَ هـامَهُمُ ... مُتجـــبّراً ولنَعْلـــكَ الفَخْـــر
وحَقـــرْتهم فقُلـــوبُهم وَغْـــرُ ... مـــن ضِـــغنةٍ وعيـــونُهم خُـــزْر
لا أمـــرَ عنـــدهمُ فهـــمُ هَمـــلٌ ... غُفــلٌ وكــل حيــاتِهم خَمــر
وزعـــيمُ قـــومِ كـــالغُراب بـــه ... صِـــغَرٌ وفي خُطُواتـــه كِـــبر
يغـــترُّ فـــيما لا يُشرِّفـــه ... جَهِـــلَ المُغَفـــل كيـــفَ يغْـــترّ
يغـــترُّ أنْ ألقـــوا بمعدتـــه ... عَفْـــنَ الطعـــام فـــراحَ يجـــترّ
بـــادي الغَبـــاء تكـــادُ تقـــرؤه ... بـــالظنِّ لا خَـــبرٌ ولا خُـــبر
أضـحى وزيـراً فاغتـدَى رَهِقـاً ... مثـــل الحـــمار يـــؤودُه الـــوِزْر
لله أنـــتَ مطيـــةٌ عَرِيـــتْ ... منهـــا الشَـــوَى وتأكّـــلَ الظهـــر
ودريئـــةٍ يرمـــي الأبيَّ بهـــا ... وغـــدٌ.. ويُصـــمي الـــبرَةَ الفُجـــر
والتـــفَّ عـــن أطرافـــه هَمَـــجٌ ... مثـــل النَّعـــام يســـودُها الـــذُعر
وتحلَّبـــوه ففـــي أكُفِّهـــم ... شَـــطرٌ وفي أفـــواهِهم شَـــطْر
مـــن فـــاجرينَ بكـــل قارعـــةٍ ... حلـــو تحـــدَّث عـــنهم العُهْـــر
ومُفَـــرِّقين مـــذاهباً جُمِعـــت ... وحَنـــا عليهـــا الآيُ والـــذِكر
مثـــل اللُّصـــوصِ يلـــمُّ شَـــمْلَهُمْ ... خَـــيطُ الـــدُجى ويَحُلّـــه الفجـــر
يـــا عبـــدَ ســـوء في مزاعِمِـــهِ ... يشـــتطُّ حيـــثُ تحـــرَّرَ الفِكـــر
قبليّـــةٌ والكـــونُ وحَـــدَّه ... فكـــر وخـــطَّ مصـــيرهُ ذَرُّ

أفأنــتَ كــونٌ يُســتَظلُّ بــه
أمْ أنــت يــا بــنَ جهالــةٍ عَصر

قــل « للصـحيفةِ » أنـتَ قائـدُها
سَــفَهاً وأنــتَ زعيمُهــا الحـرُّ

إني – ولي في المجــد مُتَّسَــعٌ –
عَــفٌّ عــن اســتغلالة بــرُّ

لمــا أدخــر منــه ســوَى نَشَــب
هــو للــبلاد وأهلهــا ذُخــر

غَنِيــت بــه الأجيــالُ طاعمــةً
منهــا السـمينَ.. وعَضَّــني الفقــر

لا أســتَغلُّ فأنــتَ لي عظــةٌ
فــيما أتيــتَ.. وأنــتَ لي زجْــر

***

يا ثمر العار

أي جَرَبــا تجــرَّبي تكــتَّلي تحــزَّبي
كــإبرة البحــار في عاصــفةٍ تَذبْــذبي
وكــالطُيورِ في الســماءِ حُــرَةً تَقَلَّبــي
أي جَرَبا ويحَكِ ما أصلفَ وجهَكِ الغبي

أكــلَّ يــومِ تطلُعــين للــوَرى بكَوكَــب
مـذنَّبٍ من فَضْـل مـا أُعطِتِه مـن ذَنَـب
فتــارةً بــمشِرقٍ وتــارةً بمغــرب
أيْ جَرَبـا في كـلِّ يَـوم حُلـةً تجَلْبَـي
أيْ جرَبـا كـم تَـدَّعينَ عفـةً لم تُـوهَبي
إذ أنـت للفَجْـرة تمتطـين شرَّ مركـب

أيْ جَرَبـا يـا بَهْلـوانَ الملعَـب المجـرَّبِ

يا ضُحكةً جاد بها الدهرُ على مكتئِب
يـا فرُجـةً لُمعـلِمين : فرجـةً عـن كثـب
حَكَّـةً مـن جَـرَبٍ في دُمَّـلٍ مُلتَهِـب
يـا ثمَـرَ العـارِ ويـا جريمـةَ التَسـيُّب
يـا «هِرةً» تُريـد أن تَحكـي دهـاءَ ثَعلَـب
يـا أُمـةً مغلوبـةً لأجـذمٍ مُغَلَّـب
يـا بومـةً خائفـةً مـن خـائِفٍ مُتَرَقِـب
مـن سـارِقٍ مـتَّهمٍ وخـائنٍ مرتكِـب

***

فلسطين والأندلس

ناشدتُ جندكَ جندَ الشعبِ والحرسا ... أن لا تَعـودَ فلسـطينٌ كأندلُسـا
ناشـدْتُك الله أن تسـقي الـدماءُ غـداً ... غَرْسـاً لَجـدِك في أرجائِهـا غُرسـا
تلمـسِ الجـذفَ الزاكـي تجـدْ لَهَـثاً ... مـن الشَّـكاةِ وتسـمعْ للصـدى نَفَسـا
ناشـدْتُك اللهَ والظلْـماءُ مطبقَـةٌ ... عـلى فلسـطينَ أن تُهـدي لهـا قَبَسـا

***

فلسطين

دَلالاً في مَيـادينِ الجِهـادِ ... وتيهـاً بـالجراحِ وبالضِّـمادِ
ورَشْـفاً بـالثغورِ مـن المَـواضي ... وأخـذاً بالعِنـاقِ مـن الجِهـاد
وَعبّـاً مـن نميـرِ الخُلـد يَجـري ... لِمُنْزَفـةٍ دِمـاؤُهم صـوادي

وَتَوطيناً على جَمرِ المنايا ... وإخلاداً إلى حرِّ الجِلاد
وَإقداماً وإنْ سَرَتِ السَواري ... بما يُشجي وإن غدتِ الغوادي
وبذلاً للنفيس من الضحايا ... فَأنْفسُ منهم شَرفُ البلاد
حُماةَ الدارِ مسَّ الدارَ ضُرٌّ ... ونادى بافتقادكُمُ المُنادي
أرادَتْكمْ لِتكفوها فُلُولاً ... مُعزَّزةٍ كأرتالِ الجَراد
وشاءتْكُمْ لتنهطلوا عليها ... هُطولَ الغيثِ في سَنةٍ جَماد
وطافَ عليكمُ حُلم العَذارَى ... مُروَّعةً كحِلنَ من السُهاد
يَشُوْقُ الذائدينَ على المَنايا ... نداءُ العاجزاتِ عنِ الذياد
تطَلعتِ العيونُ إلى خُيولٍ ... مُحجَّلةٍ مُنشرَةِ الهوادي
خبِرْنَ رَحَى الوغَى فعن اعتِسافٍ ... يَدُرنَ مدارَها وعنِ اعتياد
إذا الرِجّلانِ مسَّها لُغوبٌ ... شأتْ بهما اليدانِ عن ارتداد
عليها كلُّ أُغلبَ أرقمي ... يَبيسِ العَينِ ريّانِ الفؤاد
زَوَتْ ما بين جَفْنَيهِ هُمومٌ ... نَفتْ عن عينهِ دَرَنَ الرُقاد
وشدَّتْ خافِقَيهِ فلن يَرِّفا ... إذا التقيا على الكرَبِ الشِّداد
وكلُ مسَعّرِ الجَمراتِ يُكسَى ... من الغَبراتِ ثوباً من رماد
تَمرَّسَ بالحُتوف فلا يُبالى ... أحادَتْ عنهُ أم عَدَتِ العوادي
ويا جُثثاً يَفوحُ المجدُ مِنها ... فتَعبَقُ في الجبالِ وفي الوِهاد
سَقتْكِ الصائباتُ من التَحايا ... مُعطّرةً فما صَوبُ العِهاد
أعزُّ الناسِ في أغلى مماتٍ ... وَخيرُ الزرعِ في خيرِ الحَصاد
ويا مُتقربين إلى المنايا ... يَشُقُّ عليهمُ وطءُ البِعاد

رأيـتُ الجـودَ ملهـاةً يُجازَى ... بهـا اللاهـي بحَمـدٍ مسـتفاد
ومُتَّجَـراً يـدُرُّ المجـدَ ربحـاً ... لكـل مسـلفٍ بِـيض الأيـادي
يـؤدِّي النـاسُ مـا وَهَبَـتْ كِـرامٌ ... وتدفَعُـهُ المحافـلُ والنـوادي
ولكِـنْ ثـمَّ للبلـوى محَـكٌّ ... تَميـزُ بـه البخيـلَ مِـنَ الجـواد
هُنالِـكَ إذ يَشُـقُّ عـلى المفـدَّى ... فَكـاكُ إسـارِهِ مـنْ كـفٍّ فـادي
تفـيضُ النفسُ لا تـدري جـزاءً ... - ولا تبغـي - إلى يـوم المعـاد
ولا يَختـالُ - صـاحبُها ازْدِهـاءً ... بـها أسـدى - عـلى هـام العبـاد
وروح من « صلاح الدّينِ » هَبتْ ... مـن الأجـداثِ مُقلَقَـةَ الوِسـاد
تَسَـاءَلُ هـل أَتَـتْ دوَلٌ ثـهانٍ ... ضِـخامٌ مـا أتـاه عـلى انفـراد
ومـا أضـفى الحـديثُ على قـديم ... ومـا ألقـى الطَريـفُ عـلى تـلاد
ومـا عِنـد الـدُهاة مـنِ انْتقـام ... ومـن أخـذٍ بثـأرٍ مُسـتقاد
وهـل ضـاقوا وهـمْ كُثْـرٌ ذِراعـاً ... بداهيـةٍ نهضـتُ بهـا دَآد
مَشَـيتُ بطبِّهـا عَجِـلاً فطابـت ... عواقُبهـا.. وسـاروا باتِئـاد
بـلى كـانوا ومـنْ عـادَوْا تبيعـاً ... وكنـتُ المسـتقلَّ ومـن أُعـادي
ومعتـدّاً ومـا تُجـدي حيـاةٌ ... إذا خلـتِ النفـوسُ مِـن اعتـداد
حُمـاةَ الـدّارِ لم تَـتْرُكْ لشـعري ... فِلَسْـطينٌ سـوى كَلِـمٍ مُعـاد
بَكَيـتُ مصـابها يَفَعـاً ووافَـتْ ... نِهايَتهـا وخَمْسـونٌ عـدادي
قَـدَحتُ لهـا رَويـاً مـن زِنـادِي ... وصُـغْت لهـا رَّوِيـا مـن فـؤادي
وألقَيـتُ الظـلالَ عـلى القـوافي ... عليهـا يضْـطَفقْنَ مـنِ ارتعـاد
وهـل عنـدي سـوى قلـبٍ مريـرٍ ... أُذَوِّبُـهُ بكـأسٍ مـن سـهاد
حمـاةَ الـدارِ إني لا أُمـاري ... وإن قلـتُ الجديـدَ ولا أُصـادي

وليس تملقُ الجمهورِ مني ... ولا التَّضليلُ من شيمي ونادي
حماةَ الدارِ من عشرينَ عاماً ... تقضَّتْ فاتَنا يومُ التَّنادي
دعانا وعدُ بلفورٍ وثنى ... وثلثَ صائحُ البلدِ المُذاد
ونادتْنا بألسِنةٍ حدادٍ ... دِماءٌ في قرارةِ كلِّ وادي
ومَوجاتٌ من الكرَبِ الشدادِ ... تراوَحُ بانتقاصٍ وازدياد
فكنا نسْتَنيمُ إلى قُلوبٍ ... قَدَدْناها من الصمَ الصلاد
وكنا نستجير إلى زعيمٍ ... كليلِ السيفِ لماع النِّجاد
كَذوبِ الدَّمعِ يسمَنُ في الرَّزايا ... ويَذْعَرُ وهو يَرْفُلُ في الحِداد
وكنا نمتطي مُهْرَ الطِراد ... فِلَسْطيناً إلى يومِ اصطياد
وكانَتْ دَلوَ نَهازين مدّوا ... بها واستنفدوا ملء المزاد
وَعَدْناها بثأرٍ مستقادٍ ... ومجدٍ قد أضَعنا مُسْتَعاد
بتصريحٍ وصاحبه مفادٍ ... وتصريحٍ يَظَلُّ بلا مفاد
ومؤتمرٍ تعجّلَ عاقدوه ... ومؤتمرٍ سيؤذِنُ بانعقاد
حماةَ الدارِ ما النَّكساتُ سِرٌّ ... ولا شيءٌ تلفَّفَ في بِجَاد
ولا لُغزٌ يَحارُ المرءُ فِيهِ ... فَيَجهلُ ما سداسٌ مِنْ أُحَاد
ولكن مِثلَما وَضحتْ ذُكاءٌ ... ونَوَّرَ حاضِرٌ منها وبادي
فما ذَهبتْ فِلَسطينٌ بسحر ... ولا كُتُبَ الفناءُ بلا مِداد
ولا طاحَ البِناءُ بلا انحرافٍ ... ولا بَنتِ اليهودُ بلا عِماد
وما كانتْ فِلَسْطينٌ لتَبقى ... وجيرتها يصاحُ بها بداد
وسِتٌّ جِهاتِها أخذت بجوعٍ ... وجهلٍ.. واحتقارٍ.. واضطهاد

شعوبٌ تسترقُّ فما يُبقّي ... على أثرٍ لها ذُلُّ الصفاد
تُساطُ بها المواهِبُ والمزايا ... وتُحتَجزُ العقائدُ والمبادي
وتَطْلعُ بينَ آونةٍ وأُخرى ... « بحجّاج » يُزَيِّفُ أو « زياد »
فَيُذوي الخوفُ منها كُلَّ خافٍ ... ويُصمي الجَوْرُ منها كلَّ بادي
وتُنتَهبُ البلادُ ومنْ بَنيها ... يَؤوبُ الناهبون إلى سِناد
وتَنطلقُ المطامعُ كاشراتٍ ... تُهدِّدُ ما تلاقي بازدراد
وتَنطبقُ السّجونُ مُزمجراتٍ ... على شبهٍ.. وظَنٍّ.. واجتهاد
حُماةَ الدارِ.. ما ميدانُ حَربٍ ... بأعنفَ من مَيادينِ اعتقاد
فَمثلُكمُ من الأرواحِ جسمٌ ... تُقاسي الموتَ من عَنتِ الجهاد
وأخلاقٌ تضيق بمُغْرياتٍ ... شدادٍ في خُصومَتها لِداد
تَكادُ تطيحُ بالعَزماتِ لولا ... رُجولةُ قادرينَ على العِناد
رُجولةُ صائمينَ ولو أرادوا ... لكانوا الطاعمينَ بأيِّ زاد
ومعركةٍ يَظَلُّ الحقُّ فيها ... يُسالمُ أو يُهادِنُ أو يُبادي
وميدانٍ وليس لنازليهِ ... سوى الصَّبرِ المثلّم من عَتاد
وكانتْ في السُّطوحِ مَزعزَعاتٍ ... خُطوطٌ يرْتَسمْنَ منَ الفَساد
فها هي فرطَ ما جَنَتِ الجواني ... إلى عُمقٍ تَغّورُ وامتداد
لقد شبتْ عنِ الطَّوقِ المخازي ... وكانَتْ بنتَ عامٍ في مِهاد
حُماةَ الدارِ.. لولا سمُّ غاوٍ ... أساغَ شرابه فرطُ التمادي
وَلوْغٌ في دم الخلِّ المُصافي ... فقل ما شِئتَ في الجِنفِ المُعادي
ولبّاسٌ على ختلٍ وغَدْرٍ ... ثيابَ الواقفينَ على الحِياد
وَخِبٌّ لا يريكَ متى يُواتي ... فتأمنَ سرَّهُ ومتى يُصادي

تَطلّــعُ إذ تَطلــعُ في رَخــيٍّ ... وتَقــرَعُ حــين تَقــرعُ في جَمــاد
ولــولا نــازلونَ عــلى هــواه ... سُــكارَى في المحبــةِ والــوداد
نَسُــوْا – إلا نفوسَــهُمُ – وهــاموا ... غرامــاً حيــثُ هــامَ بكــلِّ واد
أجــرّهُمُ عــلى ذَهــبٍ فجــرّوا ... فلســطيناً عــلى شــوكِ القَتــاد
وقادُوهــا لــه كــبشَ افتــداءٍ ... صــنيعَ الهــاربينَ مــنَ التّفــادي
لكنتم طــبَّ عِلَتِهــا.. وكانــت ... بكــم تحــدَى عــلى يــدِ خــيرِ حــادي
حُمــاةَ الــدارِ لم تــزَلِ اللّيــالي ... يُطــوِّحُ رائــحٌ منهــا بغــادي
ولا تَنفــكُّ داجيــةٌ بــأخرى ... تَعثّــرُ لم ينرهْــا هَــدْيُ هــادي
ولا تــألو الضــلالَةُ وهــي سِــقطٌ ... تكــابرُ أنهــا أمُّ الرَّشــاد
حمــاةَ الــدار كــلُّ مَســيلِ ظُلــمِ ... وإن طــالَ المــدى فــإلى نفــاد
وكــلُ مُحتَشَّــدٍ فــإلى انِفِضــاضٍ ... وكــلُ مفــرَّقِ فــإلى احتشــاد
فصــبراً ينكشِــفُ ليــلٌ عمــيٌّ ... ويــنحسرِ البيــاضُ عــن الســواد
وتَتَضــح النفــوسُ عــن الخبايــا ... ويُفصــحُ مــنْ يريــدُ عــن المــراد
وتَنــدفعِ الشــعوبُ إلى محــجٍّ ... مُبــينِ الرُشــدِ موثــوقِ السَّــداد
وتــؤذنْ جــذوةٌ إلى انطِفــاءِ ... يــؤولَ مآلُهــا أم لاتقــاد
ومهــا كانــتِ العُقبــى فَلســتُمْ ... بمســؤولينَ عــن غيــبِ مــراد

❊❊❊

أطِل مكثاً

عسـى أنْ لا يطـولَ بـكَ الوُقـوفُ ... وأنْ يعتَجّــل الــزمنُ الرَّســيفُ
وأنْ ينجــابَ عنـكَ غُبـارُ بُـؤسٍ ... يَضــيقُ بــه محيــاك الأســيف

أقِمْ كتِفَيكَ لا يثْقِلكَ ذُلٌ ... ولا يشمَتْ بكَ القَصرُ المُنيف
ولا يقلِ السّريُّ هنا شقيٌّ ... يَضيقُ بذُلِّ وَقفَته الوصيف
تقدَّمْ إنَّ خلفكَ راسفاتٍ ... جماهيراً يضجُّ بها الرَّصيف
صُفوفاً للسُجونِ بها تُعَبا ... إذا أزِفتْ.. وتنتَظِمُ الصُفوف
وأجنِحةً وإن طُويتْ ففيها ... على الأجيالِ.. قادِمةً.. رفيف
أطِلْ مكثاً فإنكَ عن قريبٍ ... ستَنْقضُ في الضَّحايا أو تُضيف
وطُفْ دَهراً فقد كرَّتْ دهورٌ ... على الدُّنيا.. وأحرارٌ تطوف
ولم يَبْرَحْ بحيثُ نزلتَ ضيفاً ... يُنيخُ الرَّحْلَ حرٌّ مستضيف
هُنا الرأيُ العنيدُ أقامَ سَدّاً ... عليه البغيُ – والفِكرُ الحصيف
ولا تخجلْ فحيثُ وقفتَ ظلَّتْ ... إلى غاياتِها تقفُ الأُلوف
ومنْ حيثُ احتُجزتَ مشى طليقاً ... يهُزُّ الكونَ جبارٌ عَصوف
وأولاءِ الذينَ لهمْ وجوهٌ ... تُحَبُ.. أو تعَطَّفُ.. أو تخيف
وأجفانٌ ترِفُّ على عُيونٍ ... تغورُ كما تَغوَّرَتِ الكهوف
وأسمالٌ لهمْ منها فراشٌ ... يُلمُّ بها الثرى ولُهمْ شُفوف
همُ المتقحِمون الدَّهْرَ بأساً ... به من وقعِ أرجلِهمْ وجيف
فلا يُخذَلْ بمظهرِكَ الأليفُ ... ولا يطْمعْ برُفقتكَ « العريف »
أطِلْ مكثاً فسوفَ يزاحُ ليلٌ ... تَلُفكَ منه والدُّنيا سُجوف
ومِنْ هذي الكُوى سيُطِلُّ فجرٌ ... ضَحوكٌ يملأ الدُّنيا كشوف
ولم تزَلِ الدُّنى من ألفِ ألفٍ ... يُصرِّفُ من أعنَّتها « الرَّغيف »
تمرَّغتِ الخدودُ مُصعَّراتٍ ... به..واسترْغِمتْ منها الأنوف
وظلَّ ابنُ « المطاحِنِ » مشمَخِراً ... عليه الهامُ من فزعٍ عُكوف

يـــدورُ الفكـــرُ جبـــاراً عنيـــداً ... بحيـــثُ يـــدورُ والقلـــمُ الرَّهيـــف
يُقـــضُّ مضـــاجعَ البـــاغينَ منـــه ... لكـــلِّ منامـــةٍ طيـــفٌ يطـــوف
وأني عرَّســـــوا أسرى إلـــــيهم ... يُطيـــلُ عـــذابَهمْ وجـــهٌ مُخيـــف
تَخـــافُ شـــذاةَ غَضـــبَتِهِ أُلـــوفٌ ... وتســـتجدي مودَّتـــهُ ألـــوف
وتُســـتاقَ الجيـــوشُ مُسَـــخَّراتٍ ... لهـــا مـــن خـــوفِ زحفتـــهِ زُحـــوف
وكـــم جـــرَتِ الـــدّماءُ.. لهـــا هَـــديرٌ ... عـــلى حبّاتِـــه وبهـــا نزيـــف
وكـــم ألـــوى بهـــا هـــذا النَّحيـــفُ ... وهـــذا المســـتبدُّ بنـــا العنيـــف
سَلِ التـــاريخَ كـــم زخَـــرَتْ شُـــجونٌ ... بدفَّتِـــه وكـــمْ شـــحِنتْ حُتـــوف
وكـــم غـــادى ربيـــعَ الفكـــرِ فيـــه ... مـــن النزعـــاتِ عـــابرةٌ خريـــف
وكـــمْ ألقـــى عـــلى حـــيٍّ نزيـــلٍ ... غُبـــارَ كِفاحـــهِ حـــيٌّ خَســـوف
وهـــلْ بـــالرَّغْمِ مـــن هـــذا وهـــذا ... تأبّـــتْ منـــه.. دانيـــةٌ.. قُطـــوف
وهـــلْ دهـــرٌ أتـــى لمْ يَسْرِ فيـــه ... يفـــيءِ ظلالـــهُ فكـــرٌ وَريـــف
ولمْ تســـحبْ بـــه الخطَـــرات ذيـــلاً ... لـــه في مســـمعِ الـــدُّنيا حَفيـــف
أطِـــلْ مكثـــاً إلى يـــومِ تُـــوقّي ... بـــه كفَّيـــكَ.. أو تُلـــوى كفـــوف
ودَعْ رُســـغَيها للقَيـــدِ نهبـــاً ... لِنابَيـــه بلحمهِـــا صريـــف
فمـــنْ تاريخِـــكَ الألـــقِ المـــدَّمى ... تَبـــينُ بهـــذه الـــنقَطِ الحُـــروف
وملْـــكُ الـــدَّهرِ أنـــتَ بـــما تـــوقّي ... مـــن الألمِ الـــذبيح ومـــا تُعيـــف
ولَسْـــتَ مخَّـــيراً في زمهريـــرِ ... تُشَـــتّي.. أو بجاحمـــةٍ تَصـــيف
ولا في أنْ يمـــسَّ ذويـــكَ ضُرٌّ ... يَحيـــقُ بهـــمْ ومظْلَمـــةٌ تحيـــف
ولا آيِّ المصـــايرِ يحتـــويهمْ ... وأيِّ نـــوىً تعـــاوَرهمْ قـــذوف

ولا أيِّ الجنــــينِ تـــدِرُّ أمٌّ رَؤومٌ في مراضــــعها رَءوف
ولا أيِّ الأكُــفِّ بهـــا تهـاوى ولا أيِّ السُــمومِ لهـــا تــديف
أطِــل مكثــاً فلــمْ يَـبْرَحْ أنيــقٌ رَشــيقٌ في تـــأطّرِهِ ظريـــف
يَتيــهُ بحيــثُ تَلــتحِمُ الرَّزايــا عليـكَ..بحيـثُ تلْـتحمُ السـقوف
مَشــى فتعجَّــبَ « الطـاووسُ » منـه فقـــد ألـــوى بمتـــيتهِ الزَّفيـــف
كـــأنْ لم تضـــوِ إخوتَـــهُ سِـياطٌ ولمْ تَتحَـــدَّ أهلَهـــمُ الصُروف
بـــلى : وكـــأنَّ بؤْســـهُمُ تليـــداً لــــه ولأهلــــهِ مجْــــدٌ طَريــــف
أطِـــلْ مكثـــاً إلى يـــومِ تَلاقـــى عليـــكَ بســـاحةِ الألمِ الصُـــفوف
أطِــلْ مكثــاً : وفــاخِرْ أنْ خصــماً عَســـوفاً خصـــمُهُ بغـــيٌ عســـوف
ونصِّـــبْ مِـــنْ جبينـــكَ فاللَّيـــالي تُحـــاولُ أن تُخَـــوِّفَ مـــنْ يخيـــف
عســى أنْ لا يطــولَ بــكَ الوقــوفُ ومهــــما طـــالَ فالـــدُّنيا ظُـــروف

***

باريس

تعاليــتِ « بــاريسُ » .. أمَّ النضــالْ
وأمَ الجـــمال.. وأمَّ الـــنغم
تَـــذوَّبَ فـــوقَ الشِـــفاهِ الألَمَ
وســال الفــؤادُ .. عــلى كــلِّ فــم

تضـيعُ الحــرارةُ بــينَ الوصــالْ
وبـين التّنــائي وبــين المــلال
كأنــكِ شمسُــك بــينَ الجبــال

تغـــازلُ حـــين .. تلـــوحُ القِمـــمْ
وتبـــدو الغيـــومُ لهـــا .. مـــن أمَـــم
فَتخفـــى كـــما يتخفّـــى النَّـــدَم
تعاليتِ « باريسُ » .. كم تلعبينْ
وكـــمْ تُلهِمـــينَ .. وتســـتلهِمين
وكـــمْ تـــؤثرين .. وتســـتأثرين
تعاليتِ « باريسُ » .. كم تشتهين

تَصيحُ مـن الجـوعِ منـكِ العُيـونْ
وتُطوَى على الحبِّ خُمصُ البُطون
وتَنسَـينَ مـا كـان أو مـا يكـون
بـما أنـت في لُجِّـهِ مـن فُتـون
تعاليـتِ « بـاريسُ » إنّ الجنـون
جُنـونَ العواطـفِ مـا تَصْـنَعين

تعاليـت «بـاريسُ» إن الســنينْ
بـــما تَعْلَمـــينَ ومـــا تَجْهَلـــين
ومـــا تســـتلذّينَ إذ تحلمـــين
بوَقْـع الشَّـكاةِ ورَجـعِ الأنـين
ونثـرِ الزُّهـورِ عـلى الفـاتحين
وثـلِّ العـروشِ .. وضَرْبِ الـوتين
وما سـنَّ «روسـو» .. و«لامـارتَين»

أناخــتْ طــويلاً عــلى عاتقَيْــكِ
وألقــتْ بريقــاً عــلى ناظريــك
وهَدْهَــدَتِ المــوجَ مــن ناهــديك
تعاليــتِ « بـاريسُ » .. في وجنتيك
يلـــوحُ جمـــيلاً .. دمُ الثـــائرين

جلَتْ منك « باريسُ » كفُّ الدهورْ
فُتونـــاً مضَـــمَّخَةً بـــالعُطورْ
ودنيـــا تفـــور .. بنـــارٍ ونـــورْ
بـــما يتَّقـــى ويرَجّـــى تمـــورْ
صراعٌ مريـــرٌ فُوَيـــقَ الثُّغـــورْ
لنَـوح الأسـى .. وابتهـالِ الحُبـورْ

تَكـــادُ جراحاتُـــكِ المُثخنـــة
تُصـــفِّق منهـــا .. كـــؤوسُ المـــدامْ
ويبـــدو عـــلى حَجـــرِ المدخَنـــة
مواعيـــدُ حُـــبٍ .. وشـــكوى غَـــرام

تُخـــال نجـــاواكِ خلـــفَ السُّـــتورْ
لفـــرطِ الجـــوى .. قِصـــةً في سُـــطور
ويُوشِـــكُ مـــا اخْتَزَنَتْـــهُ .. الصُّـــدور
يـــرِفُّ عـــلى .. « لافتـــاتِ المـــرور »
تَكـــادُ الأحاســـيسُ فـــوقَ الوجـــودْ
تُشـــيعُ الهـــوى .. والـــرُّؤى .. والمنـــى

وتُوشــك مكبوتــةً .. أن تَفــوه
تَحــلُّ الــذي يعقــدُ .. الألسُــنا
كــأن طُيــوفَ الخطايــا .. تتــوه
مــدىً .. ثــم تحتضِــنُ الأعينــا
كأنــكِ « بــاريسُ » كــلُّ الــدُّنا
بكـلّ « الغمـوض» .. بكـل السّـنا
عــلى كــلِّ خَصرٍ تلاقــت يــدانْ
ألانــا مثقفــةُ فاســتلان
وكــل فــمِ حشــوُه وردتــان
همــا الشــفتانِ .. همــا الجَمْرتــان
أراقَ الزمــانُ دمــاءَ الشــباب
لِــيَرْويهما وهمــا يلْهَثــان

تَمَسّــح خــدٌّ بخــدٍّ يلــوبْ
مــن الحــب في وجنتيــهِ نُــدوب
ولاح كــما لاح فــوقَ السُّــهوب
رؤًى شــفقٍ في الوجــوه الشــحوب
كــأني رأيــت فــؤاداً يــذوب

عــلى مثلــه بــدمٍ يَقْطُــرُ
وأمــواجَ عاطفــةٍ تزخــر
بصــدرَين كــالبحرِ مستســلمَيْن

لِكَيفَ تُريدُ رياحٌ ؟ وأين ؟
تعاليتِ « باريسُ » منْ فاتنهْ
يُدَغْدِغُ فيها النعيمُ العذابْ
يُزيح بأجوائِها الداكنه
شفيفُ السنا .. مزقاً من سَحاب

تعاليتِ « باريسُ » مِنْ ماجنه
وما في مُجانتها ما يُعابْ
سوى أنّها في .. كؤوسِ الشراب
وجمرِ الشفاه .. وبردِ الرُّضاب
ترى كاذبَ العمرِ مثل الحبَاب

يخادع آونةً .. آونه
ويَنْسَلُّ كالعُهْر تحتَ الثياب
إلى الآنَ « باريسُ » في مسمعي
صدى مرَحِ « العابثاتِ » الحسنْ
ولمحُ العُيونِ لها الشرَّع
وزحف الصحافِ وعزف «الكمان»
ومقهى تكوّرَ كالبُّعْبع
تَماوَجُ جُدرانه بالدُّخان

ومعتركٌ .. ببذيءِ الشجار
تصارخَ .. ثمَّ انتهى بالحِوار
كما اسّاقطتْ بالحصاةِ الثِمار

وعاد « الشجار » .. لنجوى سرار

وَقَــــرَّ دمٌّ فــــار كالموقـــدِ
بمســـح الشـــفاه .. وعصرِ اليـــد
ومـــات الـــذي خيـــلَ .. لم يولـــد
وغـــودر « أمـــسِ » .. لمثـــوى غـــد

وفاحـــت عطـــورٌ .. مـــن المضـــجعِ
تنـــزّى لهـــا قفـــصُ الأضْـــلُع
ودبَّ الضِرامُ .. عـــــــلى الأذْرع

فراحـــت تَشـــابكُ نـــاراً بنـــارْ
وأزَّ الوقيـــدُ .. وســـار القطـــار
سجا الليلُ « باريسُ » سجوَ الحمام
تـــدلّى « الجناحـــان » منـــهُ فنـــام
ولاحت كُوىً .. من خِلالِ الظّلام
تـــرِفُّ عليهـــا .. ظِـــلالُ الغَـــرام
رفيـــفَ العواطـــفِ .. في المقلَتَـــيْن

وحـــام رهيبـــاً عليهـــا الغـــدُ
خليقـــاً بإنجـــازَ .. مـــا يوعَـــد
فمُـــدَّت .. إلى كـــلِّ بـــابِ يـــد

فَأرْخـــتْ ستاراً .. مِـــنَ الـــذّكرياتْ
عـــذارى مـــن النـــورِ .. مُسْـــتَحْيِيات

وراحــت .. حنايـا ضُـلوعٍ تمـوجْ
بـما لم تَمــجْ في الربيــع المــرِعج
وضمّت شَتاتَ النجومِ .. «البُروج»

فكــلٌّ « طَوالِعِهـــا » أســعدُ
عــلى الحــبِّ تنْـزِلُ .. أو تَصْـعَد
ويحنــو عــلى « فرْقــدٍ » .. فَرْقــد
كـــأنَّ مـــدارَهُما معْبـــد
ينــاجي بــهِ المرقــدَ .. المرقــد
نجـــومٌ بأحلامهـــا شُرَّد
فـلا « الـزاجُ » منهـا . ولا المرصد

وثَــمَّ بصـيصُ ضـياءٍ .. يلــوحْ
ونفحــةُ عطــرٍ ذكــيٍّ ..تَفــوح
وصـــدرٌ يجــيء لصــدرٍ يــروح

وحاشــيةٌ مــن غطــاء السريــرُ
وأصـداءُ نجـوى كَسَـحْب الحريـر

ونهــدانِ قامــا عــلى الشــاطئينْ
يَمُــدّانِ نحــوَ غريــقِ الغــرام
يَــدَينِ يُليحــانِ بــالبرْعُمَين
تعاليـتِ « بـاريسُ » كـلُّ الـدّروبْ
تَفــايضُ مُفْعَمــةً بالقُبــلْ
تعلّمــتِ كيــفَ يَشُــقُّ الغــزَل

طريـــقَ الحيـــاةِ إذا أظلـــما
مـن اليـأس والتـاثَ فاسـتجهما

وكيـفَ تحُـد الشـفاه الأمـلْ
إذا مـا التـوى بـالُمنى عُـودُهُ
وحـلَّ مـن اليـأسِ معقـودُهُ

تعلّمـتِ « بـاريسُ » : أنَّ الضَّـجَرْ
إذا لم يـدَفْ .. بلذيـذِ السَّـمر
ولحـنِ الكـؤوسِ .. وسَجْعِ الـوَتر

ومـا لم تغـصَّ بحُلـوِ اللمـى
شـفاهٌ .. تعـودُ لتشـكو الظّـما
ومـا لم يَجِـدْ مِعْصَـمٌ .. مِعْصَـما
لـه في حِمـىً مسـتباحٍ .. حِمَـى
أمـاتَ الضـميرَ .. ولاثَ الـدما

ودب دبيـبُ الـرّدى .. في المُقَـلْ
وجـرّرَ عـدواه .. حيـثُ انتَقَـل
تعلمـتِ « بـاريسُ » .. كيـف الملَـل
إذا لم تُقَطّـرْ بكـفٍ رفـل
عـلى سُـمّه .. قطْـرَةٌ مـن عسـل
لِتَقْتُلَـهُ بمـزاج .. قتـل !
تعلّمتِ «باريسُ» .. كيفَ الفروضْ

تـؤدّى وكيـف تُـوَفّى .. القـروض
تعلّمت : كيـف بوشـمِ العضـوض

عـلى أذرعِ بضّـةٍ يسـتدلْ
وكيـف ... خُصيـلَةُ شـعرٍ تُسَـل
إذا الشَّـعُر عِيـثَ بـه فانسَـدل
بهـا عـن « سبائكِ » تـبرٍ بـدَل
وأن « حسيسـاً » كلـفٌ يُفـل
لفـرطِ الـوَنى .. أو لِفـرْطِ الجَـذَل

ووجـدٌ تنـاهى لأوجِ الغمـوض
لأوجِ الوضـوحِ .. لأوجِ الوَجَـل
فـريضٌ .. ودنيـا سـواه نفَـلْ
تعاليـتِ « باريسُ » إنَّ الصـبحْ
أطـلَّ فـألقى عليـكِ الوِشـح
وضـمَّكِ تحـتَ خَضـيبِ الجَنـاح
وألفـاكِ غافيـةً فاسـتراح

عـلى صـدرِكِ العَطِـرِ النّـاعِمِ
وأنفـاسِ بُرْعُمـكِ الحـالم
تعاليـتِ « باريسُ » مـن نـائم

كـانَ الـدنا كلَّهـا نائمـةْ
بمقلتـهِ وبـهِ حالمـه
تعاليـتِ « باريسُ » هـلْ مـنْ مزيـدْ

علـى مـا لَـدَيكِ وهـل مِـنْ جَديـد
ومــاذا تركــتِ لهــذا الوجــود
إلى المــوتِ يَرجِــعُ أوْ للخُلــود
وللكائنــاتِ ســواء تعيــد

نـماذجَ مـن حُسْـنكِ المسـتفيضْ
بـماذا يعوِّضُـها المسـتعيض

بـماذا يعـوض هـذي الخـدودْ
مزبــرةٍ كغصــونِ الــوُرود
ومثقلــة بــثمارِ النُّهــود
بهـذي الوجـوهِ .. بهـذي العيـونْ
بهـذا الـرُّواءِ .. بهـذا البريـقْ
يفـيض عليهـا شُـواظ الحريـق

كأنّــكَ تَعــرِفُ عُنوانهــا
ورافقــتَ مــن قبــلُ إنســانها

وأصـبحتَ تَعـرِفُ مـاذا يقـولْ
كــأنَ عواطفَــهُ والميــول
خيــولٌ أُبــيحَ لهــا أنْ تجــول

بحيــثُ تشــاءُ وميــدانُها
صـميمُ القلـوبِ وصَـفوُ العقـول

***

أنيتا

أَنّي وجـدت « أنيـتَ » لاحَ يَهـزني   طيـفٌ لوجهـك رائـعُ القسـماتِ
ألق « الجبين » أكـاد أمسح سطحه   بفمـي.. وأنِشـق عِطـرَه بشـذاتي
ومنـوَّر « الشـفتين » كـادت فرجـةٌ   مـا بـين بـين تسـدُ مـن حسراتي
وبحيثُ كنتُ تساقطَت عن جانبي   نظـراتُ محترِسـين مـن نظـراتي
نَهـب العيـون يُثيرهـا ويزيغهـا   إطـراق أشـعثَ زائـغ اللفتـات
متـوزِّع الجنبـات يَرقُـب قادمـاً   شـقٌّ وآخـرُ مـال للطرقـات
حسبي.. وحسبك شقوةٌ ! وعبادةٌ   أن لـيس تفرُغُ منك كـأسُ حياتي

***

شهرزاد

إنَّ وجـهَ الـدُجى «أنيتـا » تجـلَّى
عـن صـباح مـن مُقلتيـكِ أطَـلا
وكـأنَّ النجـومَ ألقَـينَ ظِـلا

في غـديرٍ مُرقـرَقٍ ضَحْضـاحِ
بـينَ عينيـكِ نُهبـةً للريـاح

وغيـاضُ المـروج أهـدَتكِ طَـلا

إن هـذا الطـيرَ البليـلَ الجَنـاحِ
المـدوِّي عـلى متـونِ الريـاح
والـذي أزعـجَ الـدُّجى بصَـباحِ

عبَّ في الليل من « ثُغورِ » الأقاح

رشفةٌ مجَّ عِطرَها وتولّى
حيثُ هذا الرأسُ الجميلُ تدلّى
والفِراشُ الذي به يتمَلّى

وبحيثُ ارتدَّتْ هباءً نَثيرا
تملأُ النفسَ والفضاءَ عبيرا

خِصلاتٌ من شَعرِكِ الذَهبيِّ
كنتِ فيهِ الثرىَّ أيَّ ثرِيٍّ
اسمعي.. اسمعي « أنيتا »
فهنا وهُنا.. صادِحٌ صَبا فتغنّى
والطريق المهجورُ عادَ فرَنّا
منْ جديدٍ ببعثه يتهنى

فلقد دبتِ الحياةُ إليهِ
وتمشّى المعاوِدونَ عليه

اسمعي وقعَ رائِحينَ وغادي
وتَمَلّيْ من الوُجودِ المُعاد
والقَطارَ المجَلجِلَ المُتهادي
في سُفوح مُنسابةٍ وَوِهادِ

اسمعي.. اسمعي « أنيتا » صَداهُ

تَجِدي عن صَدى الزّمانِ بديلا

وَتَـــرْينَ الـــدُّنيا تُجِـــدُّ رَحـــيلا
بالأمـــانيِّ غُـــدوةً وأصـــيلا
إنَّ وجـــهَ الـــدُجى «أنيتـــا» يُلـــيحُ
والليـــالي في «شـــهرزَادَ» تَصـــيحُ
ههُنـــا.. ههُنـــا يَطيـــبُ الصَّـــبوحُ

حُلـــمٌ رائـــعٌ وطيـــفٌ لذيـــذُ
بهـــما اليـــومُ مـــن غَـــدٍ يستعيذ
واللّيـــالي مـــن اللّيـــالي تَلـــوذ
فطريـــدٌ مؤمـــل وأخيـــذ

حُلُـــمٌ رائـــعٌ كـــأن الخيـــالا
حـــينَ ضـــاقَت بـــه الحيـــاةُ مجـــالا
مَـــلَّ أســـفارَهُ فحـــطَّ الرِّحـــالا

ههُنـــا..فهـــو عـــن سِـــواهُ صَـــدوفُ
وهـــو في أعـــينِ السُّـــقاةِ يَطـــوف
لجِناحيـــهِ في الكـــؤوس رفيـــف
ورنـــينُ الأوتـــارِ منهـــا حفيـــف
حَلُـــمٌ رائـــعٌ وجـــوٌّ لطيـــفُ
والنـــدامى عـــلى الكـــؤوسِ عُكـــوف
والأبـــاريقُ نـــالَ منهـــا النّزيـــف
غـــير أنـــا – ورُبَّ صـــغوٍ يُخيـــف –

ملـــكَ الـــذعرُ نفسَـــنا والفـــؤادا

ونسِـــينا حتـــى المُنـــى والمــــرادا
وأبَحنْـــا للعاطِفـــاتِ القِيـــادا
أتُـــرى أنَّ هـــذه « الشــــهرَزادا »
ذكرَّتنـــا أحلامُهـــا « بغـــدادا » ؟

يـــا حبيبـــي وهـــذه الأطيـــافُ
عـــن قريـــبٍ بيقظـــةٍ ســـتُداف
وإلى مثلهـــا انقضـــتْ.. ستُضـــاف
يـــا حبيبـــي وهـــذه الأعطـــاف

تتثنّـــى عـــلى الكـــؤوسِ دَلالا
كـلُّ عِطـفٍ.. لـولا الحيـاءُ لسـالا
ســوفَ تنهـدُّ بعــدَ حـينٍ كــلالا
حـينَ تسـتامُها الحيـاةُ النضـالا
حـينَ تَلقـى مـا لا تُطيـقُ احـتِمالا

يـــا حبيبـــي : وهـــذه النظَـــراتُ
في مـــذابِ الفُتـــورِ مُـــنكسِرات
والوجـــوهُ الحيِيّـــةُ الخَفـــرات
والنفـــوسُ الفياضـــةُ الخـــيِّرات
والشِـــفاهُ النديّـــةُ العَطِـــرات

والشُـــعورُ المسترسِـــلاتُ انســـيابا
وجفـــونٌ تســـتثقِلُ الأهـــدابا

والأكُفُّ التي تذوبُ انجِذابا

كلُّ خِصرٍ بكلِّ كفٍّ يَلُفُّ
وشِفاهٌ على شِفاهٍ تَرِفّ
وقلوبٌ من صفوها تُستَشَفّ

كلُّ هذا.. وكلُّ ما غيرُ هذا
عن قليلٍ سيستطيرُ رُذاذا

فأفيقي فقد تَناهى المَطافُ
واستردَّتْ هِباتِها الألطاف
هاهُمُ العازِفونَ حولَكِ طافُوا

يستعيدونَ من صدى الأجيالِ
وحفيفِ الأحراشِ والأدغالِ

ما يَخالون أنَّ في مُقلتيكِ
وارتجاج الميل في وجنتيك
ونَثيرِ الجَديلِ عن جانِبيك
صِلةٌ بينه وبينَ الخَيالِ

لستُ أدري «أنيتُ» كيف استحالا
وجهُكِ المستَظِلُّ بالأضواءِ
خافِتاتٍ كعاطفاتِ المرائي

نغَما سارِباً مع الأنغامِ

يا حبيبي وللنديم هُمومُ
يُقعدُ « الكأسَ » ثِقلها .. ويُقيم

يـا حبيبـي ! و«ليـتَ» شيءٌ عَقـيم
ليـــتَ أنَّ الحيــاةَ ظِــلٌّ مغــيم
هكذا :

ليـــتَ أنَّ عَيشـــاً يــــدومُ

مثلَ هذا..

ليـــتَ « الشـــقاءَ » سَرابُ
يرتعـــي المــرءُ ظِلــه ويهــاب

من بعيدٍ :
ليـــتَ « النعـــيمَ » شرابُ
كلــما أَهُــبَ السرابُ النّفوســا
نهلــتْ مِنــهُ.. تسـتزيدُ الكؤوسـا
ليتَ « دمعَ » الفجرِ الحزينِ البـاكي
لفــراقِ الــدجى.. بعــينِ الــورودِ
وبــذَوبِ النــدى.. يعــودُ فيرقــا
ليــتَ أنَّ « الظــلامَ » برِتــق فتقــا

شقَّهُ الصبحُ في « الرُّبى » والسَّكاكِ

ليـتَ أنَّ « الـدُجى » يعـودُ فيُسـقى

مـن كـؤوس النـدمانِ.. والأقـداحِ

ليـت هـذا الظـلَّ الخفـوقَ الجَنـاحِ
يرتمـــي فوقَهـــا مـــن المصبــاحِ

مُشعِراً بانصرامِ حَبلٍ تبقَّى
من حبالِ الدُجى يعودُ فيرقى

يا حبيبي راحَ « الظلامُ » يُداحُ
والأباريقُ ظِلّها ينزاح

عن مُغِذٍّ في سيرِه.. وطليح
ومُباح لحُكْمِها ومبيح
و « ظِلالٌ » من الدمِ المسفوح
بيد «الصُبحِ» في الفضاء الجريح

راعِشاتٌ على الثرى.. والحُقولِ
وعلى الجدولِ الرتيبِ المسيل
في مرَيح أهدى الصَباحُ إليه
قُبلةً تَخلعُ الدلالَ عليه
وتهادى النَسيمُ بين يديه

مُتْعَباً.. ناعساً.. بليلاً.. كسولا
لم يَجِدْ مثله الصباحُ رسولا
للِقاء السنابلِ المُغفياتِ
في دِثارٍ ضافٍ من الذِّكْرَيات
ولإيقاظِ تلكمُ « المُغرِيات »
من صبايا الحُقول.. والفتيات

سالِكاً ذلكَ السَّبيلَ الجميلا
في ثنايا الثِّيابِ والطيّباتِ

وظِـــلالٌ مـــن الغُيـــومِ الرِّقـــاق
فـوق خُضْرِ الربـى وبـينَ السـواقي
تلاقـــى بمَوعـــدٍ للتلاقـــي

بظـــلالٍ كـــأنّهُنَّ خيـــوطُ
يَتشـــابكنَ جَيْئـــةً.. وَذهابـــا
مـــن طيـــورٍ تجمَّعـــت أسْرابـــا
يَتغـــازَلنَ والصـــبا.. والضَّـــبابا
تتحـــدَّى قِناعَـــه وتمـــيطُ

يـــا حبيبـــي.. ورَغبتـــي.. ودلـــيلي
إنَّ لـــونَ الظـــلامِ حـــالَ فَحُـــولي
والـــدّراري بعـــدَ الصراعِ الطويـــل
وســـــنا الفجـــــرِ
ينحـــــدِرْنَ فلـــــولا
وبنـــاتُ الـــنَعشِ المُقـــلِّ القتـــيلا

يتـــــذوَّبنَ حسرةً وعـــــويلا
ويُجَـــرِّرْنَ مـــن حِـــدادٍ ذيـــولا
مُســـبَلاتٍ عـــلى المجـــرِّ الـــذليلِ

يـــا حبيبـــي مـــالَ الزمـــانُ فمـــيلي
وأمـــيلي بموضـــعِ التّقبيـــل

يـــا حبيبـــي : لم يبـــقَ لي مـــن مـــآبِ

مـــن لبانـــاتِ هـــذه الأطيـــاب
و« الظــلامِ » المزعــزعِ الأطنــاب
ومجاجـــاتِ عطْـــرهِ المُنســـاب
غيرُ هذا « الليلِ » الفسيحِ الرِحاب
بـــين جَفنيـــكِ حـــارَ والأهـــداب

إي وعَينَيـــكِ والخيـــالِ الشَّرودِ
إي وهــذا الغــورِ الســحيقِ البعيــد

بـــين موقَيـــكِ يَســـبقُ الأبعـــادا

إي و« صحراءَ » صَحصَـح تتنادى

عنـــدها مـــن « عـــوالمِ » أصـــداءُ

إي ولمـــحِ .. مـــن السّـــنا يتهـــادى

فتســـيرُ الأطيـــافُ والأهـــواء

خلفَه:

إي وصـــــامتٍ كالجليـــــدِ
ومـــدوٍّ كقاصـــفاتِ الرّعـــود

منها :

إي وذلـــــك « الإنســـــانِ »
هازئـــاً بـــالملاكِ. والشـــيطانِ

لامتـدادُ الفضـا.. وعنـفُ الـدياحي
وخِضـــمٌ مـــن بحـــرهِ العجّـــاج
دونَ هذا الطرفِ الكحيلِ الساجي

روعـــــةً.. وانبســـــاطةً واقتـــد

إي.. وعينيــكِ حلفـــةً لا تمــار

***

ذكريات

لا تمُــرِّي « أنيــتُ » طَيفــاً ببــالي

مــا لِطيــفٍ يســمُ لحمــي ومــالي

أنــا عنـدي مـن مُوحشـاتِ الخَيـالِ

الطيـــوفُ المُعرِّســـاتُ حيـــالي

كـــذئابٍ مســـعورةٍ وسَـــعالي

بـــل تعـــالي إلى يـــديَّ.. تعـــالي

فهُـــما الآنَ يحضـــنانِ الفراشـــا

خاليــاً منــكِ يســتفيضُ ارتعاشــا

هھنـــا.. هھنـــا مكانُـــكِ أمـــسِ

هھنـــا.. مـــسَّ أمـــسِ رأسُـــكِ رأسي

هھنـا أمـسِ.. أمـسِ.. ذوَّبتُ نـفسي

في يبـيسٍ مـن الشـفاهِ الظّـوامي

تتســاقى مــن القلــوبِ الــدّوامي

أمسِ كنّا هُنا هنا نتساقى

مـن كـؤوس الهـوى دِهاقـاً وِفاقـا

أمـس كنّـا رُوحـاً بـروحِ تَلاقـى

ويـــداً تحتــوي يــداً.. وفــؤادا

لأخيــهِ يبــثُّ نجــوى.. وعينــا
ترتعــي أُختَهــا فكيــفَ وأينــا

عــادَ مــا كــانَ أمــسِ منّــا طِباقــا
وحشــةً.. وارتِعاشــةً.. وفِراقــا

أمسِ .. أمسِ.. التقت هُنا شَفَتانِ
كانتــا مــن عجيــبِ صُنع الزمــانِ
ذوَّبَ الــدهرُ مــن مــزيج الأمــاني

فــيهما.. كــلَّ مــوحِشٍ ولطيــفِ
وبليــدٍ.. وحــائرٍ.. وعصــوفِ

أمسِ.. أمسِ.. التقت هنا شَفَتانِ
يســـتطيرانِ « وقـــدةً » وأوارا
ويســـيلان في المراشِـــف نـــارا

ويُثــيران مــن شَــكاةِ الزمــانِ
في لهــاثِ الأنفــاسِ مثــلَ الــدخان
وكــأن العيــونَ بُلهــاً.. ســكارى
مــن عثــار اللهــاثِ تُكســى غبــارا

أمسِ.. راحــت عــلى الشـفاهِ تـدور
قُــبلاتٌ مــن قبــلُ كانــت أســارى
في شِــعافِ الفــؤادِ. حَــيرى.. تمــورُ
وزوانٍ كـــأنهُنَّ العــــذارى

أمـــسِ.. رُدَّتْ إماؤهـــا أحـــرارا
وأماطـــتْ عـــن الضّـــميرِ السّـــتارا

فبـــدا ذلـــك «الحِـــمارُ» الصـــغيرُ
مـــثقلاً.. فوقـــه الخنـــا، والفجـــور
يأكـــلُ الشـــهوةَ الفظيعـــةَ نـــارا
ويعُـــدُّ الصـــبرَ القبـــيحَ فخـــارا

ثُـــم يَطغـــى ســـعيرُها ويثـــورُ
فـوقَ وجـهٍ يَضـوى وعَـينٍ تغـور
ثـــم يُلـــوى بِثقْلِـــهِ ويخـــور

أمـــسِ «نـــعٌ» بـــين الشـــفاه طَهـــورُ
غسَـــلَ الحِقـــدَ الخنـــا.. والعـــارا
ونهـــى الـــرجسَ أن يكـــون شـــعارا
أمسِ.. راحـــت عـــلى الشّـــفاهِ تـــدورُ
هَمَســـاتٌ تُصـــغي لهـــنَّ الـــدُهور

وبـــذيل «المجـــرِّ» منهـــا عبـــير

ههنـــا أمـــسِ كـــانَ خـــيطٌ يَـــرِقُّ
مـــن نســـيجِ الـــدُّجى.. وفجـــرٌ يشُـــقُّ
دربَـــه والنجـــومُ شـــقٌّ وشـــقُّ
ههنـــا أمـــسِ.. كـــانَ جـــرسٌ يـــدُقُّ

ضربـــاتٍ ســـتّاً يـــرنُّ صـــداها

وتفيــقُ الــدُّنيا عــلى نجواهــا

أمــسِ مــدَّ الصباحُ كفَّــاً فحــلاّ
مــن نجــومِ السّــماءِ عِقــداً تحــلّى
بســناهُ الــدُّجى.. وفــرَّقَ شَــملا
أمــسِ.. إلاّ نجــماً دنــا فتــدلّى
يــرغِمُ الشــمسَ أن تــرى منــهُ ظِــلاّ
أمــسِ هــذا الــنجمُ الغريــبُ أطــلاّ

مــن عــلى شرفــةٍ نطِــلُّ عليهــا
ونُزَجّــي همــسَ الشــفاهِ إليهــا

أمــسِ.. هــذا الــنجمُ المنــوَّرُ كانــا
يَرتبــي مــن ذُرى الســماءِ مَكانــا
أمــسِ.. والآنَ لا يــزالُ عِيانــا

وســيَرْتَدُّ بُكــرةً وعشِــيا
مــائِلا ظِلّــه الخفــوقُ لــديا
يمــلأُ الــنفسَ لوعــةً وحنانــا

كــان في ظِــلِّ غيمــةٍ تتهــرّى
ترتَديــه طَــوراً.. وطَــوراً تعــرَّى
ومشــى « ســانحٌ » إليــه.. ومــرّا

« بــارِحٌ » جنبــه وكــانَ جَنــاحُ
يلتقــي جنــبَ آخــرٍ ينــزاحُ

عنــهُ: في حــينَ راحَ يبغــي مَمَــرّا

بَيـنَ هـذا وذاكَ حتـى استقرّا
أفتــدرِينَ أيــنَ تــدرينَ أينـا

فلقــد كنــتِ تَملئــينَ العَينــا
مــن جمــالِ « الشـجيرةِ » الورفــاءِ
تــــتراءى كقُبّـــــةٍ خَضراءِ
عــن يمــينِ الحَديقـــةِ الغنّــاء

بُرهــةً ثُــمَّ راحَ يــمشي الهُوينــا
والهُوينـا حــتى اضْــمَحلَّ فغابـا
وانطــوى ثــم عــادَ أمــسِ فآبــا

وتمشّـى فويــقَ.. ثــمَّ دُوَينــا
ورآنـــا – ولا نــؤوبُ انطوينـــا

ورأى غيرَنـــا يُجِــدُّ مكانـــا ..
كــانَ في أمــسِ مرْتَعــاً لِهوانـــا
هكــذا.. هكــذا.. أردنــا فكانــا
فلنُخَــلِّ القضــا ! ونُعــفِ الزمانـا

***

فراق

رفَّ جُـنْحُ لـدُّجى «أنيـتُ» عَليّـا
رفّــةً خِلــتُ وَقْعَهــا في عظــامي
كـان أحنـى ، وكـان أشـهى إليّـا

لــو طــواني عنــه جَنــاحُ الحِـــام
لــو تَعوَّضــتُ ثَــمَّ عــن مُقلتيْــا
مُقلتَـــيْ هــانئ تعــرّى فنامــا
وتناســى اللَّــذاتِ والآلامــا !

خِلْــتُ أني منــه أُنــازِلُ ذئبــا
رجَفــتْ بــالعُزاء منــه القِفَــارُ
خِلــتُ أنَّ النجــوم تَــنقَضُّ رُعبــا
وســماءً تُقِلُّهــا تنهــارُ
والأحاســيسَ شــبَّ منهــا أُوارُ
لــفَّ عينــيَّ وجهُــه فاســتطارا
ضَرَمــاً يُمطِـ ـرُ الفُــؤادَ شَرارا

يــا هَنــانئ وشَــقوتي يــا نعيمــي
وجحيمــي يــا كــوثري وحميمــي
يــا وَقــائي مــن وافــدات الهُمــوم
جنبينــي رَتْــعَ الظــلامَ البهــيم
في عظــامي بــالثغرِ منــكِ البســيم
وأديــلي مــن حُكــمِ هــذا الظَّلــوم
بِصراطِ مــن لُطفــكِ المســتقيم
يــا رُقــادي إذا اســتطال سُــهادي
وسُــهادي إذا ذممــتُ رُقــادي

ثــم ألفيــتُ في يــديك الضْــميا

لا تهبـــي عـــليَّ إلا نســـيما

يَـنفَحُ اللُّطـفَ والهـوى والشَّـبابا

يـــا يـــدَ الله رحمـــةً وعـــذابا

افتحـــي لي مِـــن الهنـــاءة بابـــا

ســـامحي ســـامي، فـــإنَّ الليـــالي

التّـــوالي مـــنهنَّ مثـــلَ الخـــوالي

نـــاقلاتٌ ســـاعاتِها كـــالظِّلالِ

لِســـوانا ، ونحـــن عـــمّا قريـــبِ

نـــتراءى مثـــلَ الخيـــالِ المُريـــبِ

ســـامحي إنَّ روعـــةً وشـــبابا

وجلـــودًا مجلُـــوَّةً وإهابـــا

ســـوف تغـــدو – إذا أطـــار الغُرابـــا

منـــكِ هـــذا (الـــثلجَ) النـــديفَ

سَرابا

وســـيبقى عـــلى الزمـــان نَـــدِيّا

وعـــلى لافـــحِ الهجـــيرِ عَصِـــيّا

خـــافقٌ لا تَرَيْنَـــهُ اليـــومَ شـــيّا

وداع

«أنيـــتُ» نزَلنـــا بـــوادي السِـــباغ

بـــوادٍ يُـــذيبُ حِديـــدَ الصراع

يُعَـــيرُ فيـــه الجبـــانُ الشُّـــجاع
« أنيــتُ » لقــد حــانَ يــومُ الــودع

إليَّ إليَّ حبيبـــــي « أنيــــــتْ »
إليَّ إليَّ بجيـــــدٍ وليـــــت
كـــأنَّ عُـــروقَهما النـــافرات
خُطــوطٌ مــن الكلــم الســاحِرات

إليَّ بــــذاكَ الجبـــينِ الصَـــلِيت
تخــافقَ عــنْ جانبيـــهِ الشَـــعَرْ
يبـــثُّ إليَّ أريـــجَ الزَهـــر

ســيعبقُ في خــاطري عــا حيَيــتْ
ويــذكرُني صَــبوتي لــو نَســيِت
إليَّ إليَّ حَبيبــــي « أنيـــتْ »

إليَّ إليَّ بــــــذلك الـــــذّراعْ
أبــضَّ تفــايَضُ مِنــهُ الشُــعاع
أطِـــلّي عـــليَّ بـــهِ كـــالشراع

فقــد لفحتنــي سَــمومُ العِــراقْ
فـــألهِبَ منّـــيَ جــرحَ الفِــراق
إليَّ إليَّ بـــــه للعنـــــاق

لغــيرِ العِنــاقِ الــذي تَعــرفينْ
بحيــثُ يلــزُّ الــوتينُ الــوتين
عَشِـــيّةَ أهتِـــفُ أوتهتِفـــين

لــنجمِ القَضــا ولسَــهمِ القــمَرْ
وللمُســـتقِرِّ بـــذاكَ المَقَـــرّ

بـــأنْ لا يميّـــلَ هـــذا السَّـــفينْ
إلى حيـــثُ أرهـــبُ.. أو تـــرَهبين
إلى وَحـــلٍ مـــن دُمـــوعٍ وطـــين
إليَّ بصـــــدِركِ ذاكَ الخضــــمّ
مـــن العاطفـــاتِ العُجـــابِ الشِـــيَمّ
مـــن العاصـــفاتِ بلحـــمِ « وَدَمّ»

تُلـــوِّنُ وجهـــكِ في كـــلِّ آنْ
بـــما لم تُلـــوِّنْ فصـــولُ الزّمـــان
أحاســيسُ تُعـرِبُ عــن كــلِّ شــان

كـــأنَّ وُجوهـــاً عـــداداً لـــديكِ
تـــرِفُّ ظِـــلالاً عـــلى مقلَتيـــك
كأنـــكِ تلقِـــينَ مـــن عاتِقيـــك

بتلــكَ الظِــلالِ القِبــاحِ اللِطــافْ
وأشـــباحِهنَّ السِّـــمانِ العِجـــاف

عنـــاءَ الضـــميرِ.. وثِقْـــلَ السِـــنين
وجهـــلَ المصـــيرِ.. وعِلـــمَ اليقـــين

بلُطفِ الحياةِ

وجُهدِ الظّنين

بســـــاعاتِها أنّ يــــروحَ الحِــــامْ
إلى الصـــمتِ.. يـدفعُها والظَـلام

إليَّ إليَّ حبيبـــــــي « أنيـــــــت »
إليَّ بنبـــعِ الحيـــاةِ المميــــتْ
إليَّ بـــذاكَ النظـــيم الشّـــتيت

بثغـــركِ ذاكَ العبـــوسِ الطـــروب
يـــرفُّ إذا مـــا عـــلاهُ الشُّـــحوب
كـــأنّيَ أقـــرأ « ســـفرَ » الغُيـــوب

عـــلى شـــفَتيكِ.. و« سِرَّ » اخفايـــا
كـــأنّيَ أســـمعُ عتـــبَ الـــذّنوب

عليـــكِ.. ووقـــعَ دبيـــبِ الرزايـــا
كـــأنّيَ أشربُ كـــأسَ الخطايـــا
وســـؤرَ دمٍ مُهـــدَرٍ مـــن ســـوايا
كـــأنيَ أمضـــغُ لحـــمَ الضّـــحايا
تنـــاثرُ مـــن بـــينِ تلـــكَ الثّنايـــا

كـــأنَّ الـــزفيرَ بـــنفحِ الطِّيـــوب

إذا امتزجـــا يَكشِـــفانِ النوايـــا
ويَســـتصْرِخانِ أثـــيماً يتـــوب

عـــلى مـــا تَجرَّمـــهُ مـــن منايـــا
إليَّ هـــــــواني.. إليَّ هوايـــــا
إليَّ المُنـــى تُشـــترى بالمنايـــا

إليَّ إليَّ بتلـــــك البقايـــــا
مِــن المُســاراتِ بتلــكَ الجُيــوب
إليَّ بصـــفوِ النعـــيمِ المَشــوب
بلفــح أُوارِ الجحــيمِ الشَّــبوب
إليَّ إليَّ أغيثــــــي ظمايـــــا
فقــد نــالَ مــن شــفتيَّ اللُّغــوب

****

بَرِمٌ بالشباب

برِمــتُ بريعــانِ هــذا الشــبابِ ... تخــارَسَ في الفجــرِ صــدّاحُهُ
وجــاء خضــمَّ الحيــاةِ الرهيــب ... وكــفَّ عــن الجــدفِ ملاَّحــه
برمــتُ فليــتَ الــردى عاصــفٌ ... بهـــذا الشـــباب فيجتاحـــه
أمــوتُ وجهــدُ الحيــاةِ اللذيــذ ... تطـــوفُ بعينـــيَّ أشـــباحه
تُهدهـــدُ روحـــيَ أمســـاؤه ... وتُـــنعشُ نـــفسيَ أصـــباحه
أمـــوتُ وبي ظمـــأ للشَّـــجا ... تهُـــبُّ فتعصِـــفُ أرياحـــه
فـــماليْ وللعـــيشِ لا تســـتثارُ ... بنـــار التحـــرُّقِ أطماحـــه
ومـــاليْ وللمـــوتِ إن لم تـــرِفَّ ... عـــليَّ مـــن الحُـــزن أفراحـــه
سيُطربُني وقـعُ زحـفِ السـنين ... بسرِّ الحيـــاةِ.. وعُمـــقِ القـــدَمْ
وتفــتحُ عينــيَّ ســودُ الــدياجي ... يُنـــوِّر منهـــا بريـــقُ الألم
ســتُلهِبُني عاصــفاتُ الرِّيــاح ... فقــد مــلَّ ســمعي وئيــدَ النَّســم
أرى المــوتَ نبــعَ الحيــاةِ الجميــلَ ... إذا خَضَـــبته الليـــالي بـــدم

وعن وهج الكأس كأسِ الوجود ... تُــترجِمُ عينــاي سرَّ العـــدم
ألـــذُّ عنــاقَ ظِــلالِ الحيــاةِ ... تخــالطَ فيهــا سرورٌ بهـــم
ولا أعــرِفُ النــومَ حتــى تــرِفَّ ... عــلى جانبيــهِ نُســورُ الحُلــم
يُصــافِقُ منهــا الجنــاحُ الجنــاحَ ... وتوشِــكُ مــن زحمــةٍ تــرتَطِم
ولم أدر مـــا يقظـــةٌ لا تُثـــارُ ... عواصـــفُها برهيـــب الـــنَّغم

***

هاشم الوتري

مجّـدْتُ فيـكَ مَشـاعِراً ومَواهبـا ... وقضـيْتُ فرضـاً للنوابـغِ واجِبـا
بالمُبـدعينَ « الخـالقينَ » تنـوَّرَتْ ... شـتى عـوالمَ كـنَّ قبـلُ خرائبـا
شرفـاً « عميـدَ الـدارِ » عليـا رُتبـةٍ ... بوِّئْتهـا في الخالـدين مراتبـا
جازَتْكَ عَن تَعَبِ الفؤادِ.. فلم يكن ... تعـبُ الـدماغ يَهُـمُّ شـهماً ناصـبا
أعْطَتْكَهـا كـفٌّ تضـمُّ نقائضـاً ... تعيـا العقـولُ بحلّهـا.. وغرائبـا
مُـدَّتْ لرفـعِ الأفضـلينَ مَكانـةً ... وهـوتْ لصـفعِ الأعـدلينَ مَطالبـا
ومضـتْ تُحـرِّرُ ألـفَ ألـفِ مقالـةٍ ... في كيـفَ يحترمـونَ جـيلاً واثبـا
في حـين تُرهِـقُ بالتعنّـتِ شـاعراً ... يَهـدي مواطنـهُ.. وتُزهِـق كاتبـا
« التَيمِسـيّونَ ! » الـذين تنـاهبوا ... هـذي الـبلاد حبائبـاً وأقاربـا
والمغـدِقونَ عـلى «البياضِ» نعيمَهُمْ ... والخـالعون عـلى السـواد زرائبـا
والحاضـنون الخـائنين بلادهـم ... حَضْـنَ الطيـورِ الـرائماتِ زواغبـا
يَستصرخونَ على الشّعُوب لُصوصَها ... في حـينَ يَحتجـزونَ لِصّـاً ساربا

ويُجَنِّبـونَ الكلـب وَخـزةَ واخـزٍ ... ويجَهّـزُونَ عـلى الجُمـوعِ معاطِبـا
أُولاءِ « هاشـمُ » مَنْ أروكَ بسـاعةٍ ... يصحو الضـميرُ بهـا.. ضـميراً ثائبا
فاحمَــدْهمُ أن قـد أقـاموا جانبـاً ... واذمُمْهُــمُ أن قـد أمـالوا جانبـا
وتحرَّسَـــنْ أنْ يقتضـوكَ ثوابَهـا ... وتـوقَّ هـذا «الصـيرفيَّ» الحاسـبا
لله درُّكَ أيُّ آسٍ مُنقـــــــذٍ ... يُزجـي إلى الـداءِ الـدواءَ كتائبـا
سـبعونَ عامـاً جُلـتَ في جَنَباتها ... تبكـي حريبـاً أو تُسـامرُ واصـبا
متحـدِّياً حُكـمَ الطبـاعَ.. ودافعـاً ... غَضـبَ السَّماءِ وللقضـاءِ مُغالِبـا
تـتلمَّسُ «النَبَضـاتِ» تجـري إثرَها ... خلَجـاتُ وجهِـكَ راغبـاً أو راهبا
ومُشـارِفٍ ! نَسَـجَ الهَـلاكُ ثيابَـهُ ... ألْبسـتهُ ثـوبَ الحيـاةِ مُجاذبـا
ومكابـدٍ كـرْبَ المـماتِ شركتَـهُ ... إذْ لم تَجِـدْ منجـىً عنـاءً كارِبـا
ومحشرجٍ وقـفَ الحِـمامُ ببابـهِ ... فدفعتَـهُ عنـه فزُحـزِحَ خائبـا
كم رُحتَ تُطلِعُ من نجومٍ تختفي ... فينـا وكـم أعْلَيـتَ نجـماً ثاقبـا
هـذا الشَّـبابُ ومـن سَـناكَ رفيفُهُ ... مجـدُ الـبلادِ بـهِ يـرفُّ ذوائبـا
هـذا الغـراسُ – ومـلْء عينِكَ قـرّةٌ ... أنـا قطفنـا مـن جَنـاهُ أطايبـا
هـذا المَعـينُ.. وقـد أسـلتَ نَمـيرَهُ ... وجـهُ الحيـاةِ بـه سيُصـبحُ عاشـبا
هـذي الاكُـفُّ عـلى الصـدورِنوازِلاً ... مثـلُ الغيـوثِ عـلى الزُّروعِ سـواكبا
أوقفــتَ للصّرعــى نهـاراً دائبـا ... وسـهِرْتَ لـيلاً « نابغيـاً » ناصـبا
وحضَـنتَ هاتيـكَ الأسِرَّةَ فوقَها ... أُسـدٌ مضرَّجَـةٌ تلـوبُ لواغِبـا
أرَجٌ مـن الـذكرى يلفَّـكَ عِطـرُهُ ... ويَزيـدُ جانبـكَ الموطّـد جانبـا
ولأنـتَ صـنْتَ الـدارَ يـومَ أباحها ... بـاغٍ يُنـازلُ في الكريهـةِ طالبـا

الْغَيُّ يُنجِدُ بالرَصاصِ مُزَمْجِراً والرّشدَ يَنجدُ بالحجارةِ حاصبا
وَلأنتَ أثخَنْتَ الفؤادَ من الأسى للمُثْخَنينَ من الجراحِ تعاقُبا
أعراسُ مملكةٍ تزَفُّ لمجدِها غُررُ الشَّبابِ إلى التُرابِ كواكبا
الحاضنينَ جراحَهَمْ وكأنَّهمْ يتَحَضَّنونَ خرائداً وكواعبا
والصابرينَ الواهبينَ نُفوسَهُمْ والمُخجِلينَ بها الكريمَ الواهبا
غُرَفُ الجنانِ تضوَعَتْ جنَباتُها بصديدِ هاتيكَ الجراح لواهبا
وبحَشرجاتِ الذاهبينَ مُثيرةً للقادمينَ مواكباً فمواكبا
غادي الحيا تلك القبورَ وإنْ غدت بالنّاضحاتِ من الدّماءِ عواشبا
وتعهّد الكَفنَ الخصيبَ بمثلهِ وطنٌ سيَبْعثُ كلَّ يوم خاضبا
بغدادُ كانَ المجدُ عندَكِ قَيْنَةً تلهو وعُوداً يستحثُّ الضّاربا
وزِقاقَ خَمرٍ تستَجِدُّ مَساحبا وهَشيمَ رَيحانٍ يذَرَّى جانبا
والجسرُ تمنحُهُ العيونُ من المَها في الناسِبينَ وشائجاً ومناسِبا
الحَمدُ للتاريخ حينَ تحوَّلَتْ تلكَ المرافهُ فاستَحَلْنَ مَتاعبا
الشِّعْرُ أصبحَ وهو لُعْبةُ لاعبٍ إنْ لمَ يَسلْ ضَرَماً وجَمْراً لاهبا
والكأسُ عادتْ كأسَ موتٍ ينتشي زاهي الشبابِ بها ويمسحُ شاربا
والجسرُ يفخرُ أنَّ فوقَ أديمهِ جثثَ الضَّحايا قد تَركْنَ مساحبا
وعلى بريقِ الموتُ رُحْنَ سوافراً بيضٌ كواعبُ يندفعنَ عصائبا
حدِّثْ عميدَ الدارِ كيفِ تبدَّلَت بُوَراً.. قِبابٌ كنَّ أمسِ محَارِبا
كيف استحالَ المجدُ عاراً يتّقى والمكرُماتُ من الرّجالِ مَعايبا
ولم استباحَ الوغدُ حُرمةَ من سَقى هذي الديارَ دماً زكِيّاً سارِبا
إيهِ «عميدَ الدار» كلُّ لئيمةٍ لابُدَّ – واجدةٌ لئيماً صاحبا

ولكـلٍّ « فاحشـةِ » المَتـاع دَميمـةٍ ... سُـوقٌ تُتيـحُ لهـا دَمـيماً راغبـا
ولقـد رأى المسـتعمِرونَ فرائسـاً ... منّـا.. وألفـوْا كلـبَ صيـدٍ سـائبا
فتعهّـدوهُ.. فـراحَ طـوعَ بَنـانِهِمْ ... يَـبرُونَ أنيابـاً لـه ومخالبـا
أعَرَفـتَ مملكـةً يُبـاحُ شـهيدُها ... للخـائنينَ الخـادمينَ أجانبـا
مسـتأجَرِينَ يُخرِّبـونَ دِيـارَهُمْ ... ويُكـافؤونَ عـلى الخـرابِ رواتبـا
مُتَنمـرينَ يُنَصِّـبونَ صُـدورهُمْ ... مِثْـلَ السّـباعِ ضراوةً وتَكالُبـاً
حتى إذا جَـدَّتْ وغـىً وتضرَّمَـتْ ... نـارٌ تلـفُّ أباعِـداً وأقارِبـا
لَزِمـوا جُحـورَهُمُ وطـارَ حليمُهُمْ ... ذُعْـراً وبـدِّلتِ الأسـودُ أرانبـا
إيهٍ «عميدَ الـدار» شكوى صاحبٍ ... طفَحَـتْ لواعجُـهُ فنـاجى صاحبا
خُـبرْتُ أنـكَ لسـتَ تـبرحُ سـائلاً ... عنـي تُناشـدُ ذاهبـاً.. أو آيبـا
وتقـولُ كيـفَ يَظَـلُّ «نجـم» ساطعٌ ... مـلءُ العيـونِ عـن المحافـل غائبـا
الآنَ أُنبيـكَ اليقـينَ كـما جـلا ... وضَحُ «الصَّباح» عن العيون غياهبا
فلقـد سَـكتُّ مخاطِبـاً إذ لم أجِـدْ ... مَـن يستحقُّ صـدى الشكاةِ مُخاطَبـاً
أُنبيـكَ عـن شرِّ الطّغـامِ مَفـاجراً ... ومَفـاخراً.. ومسـاعياً.. ومكاسـبا
الشَّـاربينَ دمَ الشَّـبابِ لأنـهُ ... لـو نـالَ مـن دَمِهِـمْ لكـانَ الشّـاربا
والحاقـدينَ عـلى الـبلادِ لأنَّهـا ... حقـرَتْهم حَقـرَ السَّـليبِ السَّـالبا
ولأنَّهـا أبـداً تـدوسُ أفاعيـاً ... مـنهمْ تمُـجُ سـمومَها .. وعقاربـا
شَـلَّتْ يـدُ المستعمرينَ وفرضُـها ... هـذي العُلـوقَ على الـدّماءِ ضرائبـا
ألقـى إلـيهمْ وِزْرَهُ فتحمّلـوا ... أثقالَـهُ حَمْـلَ « الثيـابِ » مشـاجبا
وأذابَهُـمْ في « المُوبقـاتِ » فأصبحوا ... منهـا فجـوراً في فجـورٍ ذائبـاً

يتَمَهّلُ الباغي عواقبَ بَغْيِهِ ... وتراهُمُ يَستعجلونَ عواقبا
حتى كأنَّ مصايراً محتومةً ... سُوداً تُنيلهُمُ نُنىً ورَغائبا
قد قلتُ لِلشّاكينَ أنَّ « عصابةً » ... غصَبتْ حقوقَ الأكثرينَ تَلاعُبا
ليتَ « الموالِيَ » يغصبونَ بأمرِهِمْ ... بل ليتَهم يترَسَّمونَ « الغاصبا »
فيُهادِنون شهامةً ورجولةً ... ويُحاربونَ « عقائداً » ومذاهبا
أُنبيكَ عن شرِّ الطّغام نكايةً ... بالمؤثرينَ ضميرَهمْ والواجبا
لقَدِ ابتُلوا بي صاعقاً مُتَلهِّباً ... وَقد ابتُليتُ بهِمْ جَهاماً كاذبا
حشَدوا عليَّ المُغرياتِ مُسيلةً ... صغراً لُعابُ الأرذلينَ رغائبا
بالكأسِ يَقرَعُها نديمٌ مائلاً ... بالوعدِ منها الحافَتَيْنَ وقاطبا
وبتلكمُ الخَلواتِ تُمْسَخُ عندَها ... تُلعُ الرِّقابِ من الظّباءِ ثعالبا
وبأنْ أروحَ ضحىً وزيراً مثلَما ... أصبحتُ عن أمرٍ بليلٍ نائبا
ظنّاً بأنَّ يدي تُمدُّ لتشتري ... سقطَ المتاع.. وأنْ أبيعَ مواهبا
وبأنْ يروحَ وراءَ ظهريَ موطنٌ ... أسمنتُ نحراً عندهُ وترائبا
حتى إذا عجَموا قناةً مُرَّةً ... شوكاءَ تدمي من أتاها حاطبا
واستيأسوُا منها.. ومن مُتخشّبٍ ... عَنتاً كصلِّ الرّملِ يَنفُخ غاضبا
حُرٍ يُحاسِبُ نفسَهُ أنْ تَرْعَوي ... حتّى يروحَ لمنْ سواه محاسِبا
ويحوزَ مدحَ الأكثرينَ مَفاخراً ... ويحوزَ ذمَّ الأكثرينَ مثالبا
حتى إذا الجُنديُّ شدَّ حِزامهُ ... ورأى الفضيلةَ أنْ يظلَّ مُحاربا
حَشدوا عليه الجُوعَ يَنْشِبُ نابَهُ ... في جلدِ « أرقطِ » لا يُبالي ناشبا
وعلى شُبولِ اللّيثِ خرقُ نعالِهِم ... أزكى منَ المُترهِّلينَ حقائبا
يتساءلونَ أينزِلونَ بلادَهم ... أمْ يقطعونَ فدافداً وسباسبا

إنْ يــعصِرِ المتحكِّمــونَ دمــاءَهم ... أو يغتـدوا صُفْرَ الوجـوه شـواحبا
فـالأرضُ تشـهدُ أنَّهـا خُضِبَتْ دمـاً ... منّـي.. وكـان أخـو النعيم الخاضبـا
مــاذا يضرُّ الجــوعُ مجـدٌ شـامخٌ ... أنّي أظـــلُّ مــع الرعيــة ســاغبا
أنّي أظَــلُّ مــع الرعيــةِ مُرْهَقـاً ... أني أظَــلُّ مــع الرعيّــةِ لاغبــا
يتبجَّحُــونَ بــأنَّ موجــاً طاغيــاً ... سَــدُّوا عليــهِ مَنافــذاً ومَســاربا
كَـذِبوا فملءُ فـمِ الزّمـان قصائدي ... أبــداً تجــوبُ مَشــارقاً ومغاربــا
تستلُّ مـن أظفـارِهم وتحـطُّ مـن ... أقــدارِهمْ .. وتثــلُّ مجـداً كاذبـاً
أنـا حـتفُهم ألـجُ البيـوتَ عليهم ... أُغـري الوليـدَ بشـتمهم والحاجبـا
خسـؤوا فَلَـمْ تَـزَلِ الرّجولـةُ حُـرَّةً ... تـأبى لهـا غـيرَ الأماثـلِ خاطبـا
والأمثلـونَ هـمُ السّـوادُ.. فـديتُهمْ ... بــالأرذلينَ مــن الشراةِ مَناصــبا
بمُمَلكــينَ الأجنبــيَّ نفوسَــهُمْ ... ومُصَــعّدينَ عـلى الجُمـوعِ مَناكبـا
أعلِمـتَ « هاشـمُ » أيُّ وَقْدٍ جاحمٍ ... هــذا الأديــمُ تــراهُ نِضـوا شـاحبا
أنــا ذا أمامــكَ مــاثلاً متَجــبِّراً ... أطـأ الطُغـاة بشسـعِ نعـليَ عازبـا
وأمُـطُّ مـن شـفتيَّ هُـزءاً أنْ أرى ... عُفـرَ الجبـاهِ عـلى الحيـاةِ تكالُبـا
أرثــي لحــالِ مزخــرَفينَ حمـائلاً ... في حـينَ هُـمْ مُتكَهِّمـونَ مَضـاربا
لله درُّ أبٍ يــــراني شاخصــــاً ... للهـاجراتِ..لحُـرّ وَجْهـيَ ناصبا
أتــبرَّضُ المــاء الــزُّلالَ وغُنيتــي ... كِسَرُ الرَّغيــفِ مَطـاعماً ومَشـاربا
أوْصى الظّـلالَ الخافقـاتِ نسـائماً ... ألاّ تُــبرِّدَ مــن شَــذاتي لاهبــا
ودعــا ظـلامَ اللّيــلِ أنْ يخـتطَّ لي ... بـينَ النجـومِ اللامعـاتِ مَضـاربا
ونهــى طُيــوفَ المُغريـاتِ عرائسـاً ... عـنْ أنْ يعـودَ لهـا كـرايَ ملاعبـا

لستُ الذي يُعطي الزمانَ قيادَه ... ويروحُ عن نهجٍ تنهّجَ ناكبا
آليتُ أقتحمَ الطُغاةَ مُصرِّحاً ... إذ لم أُعوِّدْ أنْ أكونَ الرّائبا
وغرستُ رجلي في سعيرِ عَذابِهِمْ ... وثَبتُّ حيثُ أرى الدعيَّ الهاربا
وتركتُ للمشتفِّ من أسارِهِمْ ... أن يستمنَّ على الضّروعِ الحالبا
ولبينَ بينَ منافقٍ متربِّصٍ ... رعيَ الظروف ! مُواكباً ومُجانبا
يلِغُ الدّماءَ مع الوحوشِ نهارَه ... ويعودُ في اللّيلِ ! التّقيَّ الراهبا
وتُسِيلُ أطماعُ الحياةِ لُعابَهُ ... وتُشِبُّ منه سنامَهُ والغارِبا
عاشَ الحياةَ يصيدُ في مُتكدِّرٍ ... منها.. ويخبطُ في دُجاها خاطبا
حتى إذا زوَتِ المطامِعُ وجهَها ... عنه.. وقطَّبتِ اللُّبانةُ حاجبا
ألقى بقارعةِ الطريقِ رداءَه ... يَهدي المُضِلِّينَ الطريقَ اللاحِبا
خطّانِ ما افترقا.. فإمَّا خطَّةٌ ... يلقى الكميُّ بها الطُغاة مُناصبا
الجوعُ يرْصُدها .. وإمَّا حِطَّةٌ ... تجترُّ منها طاعِماً أو شاربا
لابُدَّ « هاشِمُ» والزَّمانُ كما ترى ... يُجري مع الصَّفْوِ الزُّلالِ شوائبا
والفجرُ ينصرُ لا محالةَ «ديكَهُ» ... ويُطيرُ من ليلٍ «غراباً» ناعبا
والأرضُ تَعْمُرُ بالشّعوبِ فلن ترى ... بُوماً مشوماً يستطيبُ خرائبا
والحالِمونَ سيَفْقَهون إذا انجلَتْ ... هذي الطّيوفُ خوادعاً وكواذباً
لابُدَّ عائدةٌ إلى عُشّاقِها ... تلكَ العهودُ وإنْ حُسِبنَ ذواهبا

***

أطبق دجى

أطْبِقْ دُجى.. أطْبِقْ ضَبابُ ... أطْبِقْ جَهاماً يا سَحابُ

أطبــق دخــانُ مــن الضــمير ... مُحَرَّقــاً أطبــق.. عَــذاب
أطبــق دَمــارُ عــلى حُمــاةِ ... دمــارِهم.. أطبــق تَبــاب
أطبــق جَــزاءُ عــلى بُنــاةِ ... قُبــورِهم أطبــق عِقــاب
أطبــق نعيــبُ.. يُجِــبْ صــداكَ ... البُــومُ أطبــق يــا خَــراب
أطبــق عــلى مُتَبلِّــدينَ ... شــكا خُمــولَهمُ الــذُّباب
لم يَعرِفــوا لــونَ الســماءِ ... لِفَــرْطِ مــا انحنَــت الرقــاب

ولفــرطِ مــا دِيسَــتْ رؤوســهمُ ... كــما دِيــسَ الــتراب
أطبــق عــلى المِــزى يُــرادُ ... بهــا عــلى الجــوعِ احــتِلاب
أطبــق عــلى هــذي المُســوخ ... تَعــافُ عيشــتَها الكــلاب
في كــلّ جارحــةٍ يلــوحُ ... لجــارحٍ ظُفــرٌ ونــاب
يجــري الصــدِيدُ مِــن الهــوانِ ... كأنــه مِســكٌ مُــلاب
أطبــق عــلى الدِيــدانِ ... ملّتهــا فَيافيــكَ الرِّحــاب
أطبــق عــلى هــذي الوجــوه ... كأنهــا صُــوَرٌ كِــذاب
المُخرَســاتُ بهــا الغُضــونُ ... فــلا ســؤالَ ولا جــواب
بُلهــا تــدورُ بهــا العيــونُ ... كــأنَّ صحصَــحَها سَراب
مــلَّ الفــؤادُ مــن الضــمير ... وضــجَّ بــالرُّوح الإهــاب
أطبــقْ عــلى مُتفــرقينَ ... يَزيــدُ فُــرْقَتَهم مُصــاب
يتبجَّحــونَ بــأنّ إخــوتَهم ... يُحُــلُّ بهــم عَــذاب
نــدِموا بــأنْ طلبــوا أقــلَّ ... حقــوقهم يومــاً فتــابوا
وتــأوَّبوا للــذلِّ يأكــلُ ... رُوحَهــم نِعْــمَ المــآب

أطبــق عــلى هــذي الكــرُوشِ يَمُطُّهـــا شَـــحْمٌ مُـــذاب
مِـــن حولِهـــا بقـــرٌ يَخُـــورُ وحولَـــه غَرثـــى سِـــغاب
أطبـــــق إلى أنْ ينتهــــــي للخـــاطبينَ بـــكَ احتِطـــاب
أطبـــق عـــلى مُتنفِّجـــينَ كـــما تَنفَّجـــت العِيـــاب
مســـــتنوقِينَ ويـــــزأرون كـــأنهم أُســـدٌ غِـــلاب
يَزهـــوهمُ عَسَـــلٌ ويُلهـــيهم عـــن العليـــاءِ صـــاب
يَـــمشي مِـــن الأمجـــاد خَلْفَهُـــمُ بمـــيَسَرةٍ رِكـــاب
فـــإذا التقـــت حَلَـــقُ البِطـــانِ وجـــدَّتِ النُـــوبُ الصِّـــعاب
خفَقَـــت ظِلالُهـــم ومـــاعوا مِـــن نُعـــومَتِهم فـــذابوا
ونَجَـــوا بأنفُسِـــهم وراحـــت طُعمَـــةَ النـــارِ الصـــحاب
أطبـــق دُجـــى لا يَنْـــبَلِجْ صُـــبْحٌ ولا يَخْفِـــق شِـــهاب
أطبـــق فتحـــتَ ســـماكَ خَلـــقٌ في بصـــائرِهِ مُصـــاب
لا ينفـــتحْ – خوفـــاً عليـــه – مِـــن العمـــى للنـــور بـــاب
أطبـــق إلى يـــومِ النشـــور ويـــومَ يكتمـــلُ النصـــاب
أطبـق دُجـى حتَّـى يقـيءَ خُمـولَ أهـــلِ الغـــاب غـــاب
أطيـق دُجـى حتـى يَمَـلَّ مـــن الســـوادِ بـــهِ الغُـــراب
أطيـق دُجـى حتـى يُحَلِّـقَ في ســـــماوات عُقـــــاب
غضـبانَ أنْ لم تحـمِ أعشاشـا لهـــا طـــير غِضـــاب
أطبـــــق دُجـــــى يَسْرَحْ بظلّـــك نـــاعماً عـــار وعـــاب
مـــن لونـــك الـــداجي رِيـــاءٌ وارتيـــــاعٌ وارتيـــــاب
يـا عِصـمةَ الجـاني ويـا سرحـاً تلـــوذُ بـــه الـــذئاب

يـا مَـن مشت بدمائها — فيه الخناجرُ والحِراب
يا مَن يضِجُّ من الشرورِ — الماخراتِ به العُباب
يا مَن تَضيقُ من الهوام — الزاحفاتِ به الشعاب
كُن سِتْرَ مُجرِمةٍ تهاوَتْ — عن جريمتِها الثياب
أطبق فأين تفِرُّ إنْ — تُسفرْ وينحدرِ النِقاب
هذي الغَباوات الكريمةُ — والجمودُ المُستطاب
هذا النفاقُ تَرُبهُ — صُحُفٌ ويُسْمِنُه كِتاب
أطبق دُجى.. حتى تجولَ — كأنها خيلٌ عراب
هذي المعرَّات الهِجانُ — لها لظُلمتِك انتساب
أطبق فأنتَ لهذه السوءاتِ — عاريةً حجاب
أطبق فأنت لهذه الأنيابِ — مُشحذةً قِراب
أطبق فأنت لهذه الآثامِ — شامخةً شباب
أطبق فأنت لصِبغةٍ منها — إذا نصَلَتْ خِضاب
كُنْ سِتْرَها لا يَنبلِجْ — صُبحٌ ولا يَخْفِقْ شهاب

أطبق دجى أطبق ضباب
أطبق جهاما يا سحاب

حنين

أحِنُّ إلى شَبَح يَلْمَحُ — بِعينَيَّ أطيافُه تَمْرَحُ
أرى الشَّمْسَ تُشْرِقُ من وجهِهِ — وما بينَ أثوابِه تجنح

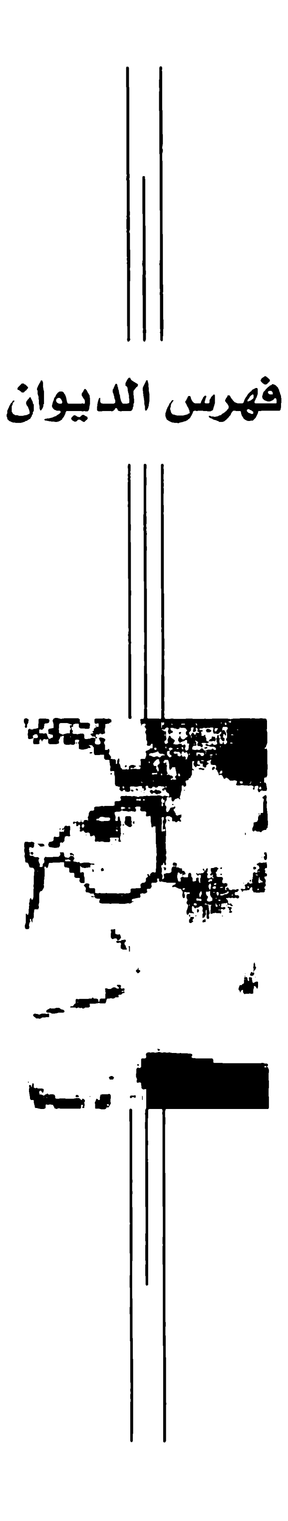
رضيِّ السِّماتِ.. كأنَّ الضَّمير على وَجْهِهِ ألِقاً يَطْفَح
كأنَّ العبيرَ بأردانهِ على كلِّ «خاطرةٍ» يَنْفح
كأنَّ بريقَ المُنى والهنا بعينيهِ عن كوكبٍ يقدح
كأنَّ غديراً فُويقَ الجبينِ عن ثقةٍ في «غدٍ» يَنْضَح
كأنَّ الغُضونَ على وَجْنَتيهِ يكنُّ بها نغمٌ مُفرِح
كأنَّ بهامتهِ منبَعاً من النُّور.. أو جمرةً تجدح
كأنَّ «فَناراً» على «كاهل» يُنارُ بهِ عالَمٌ أفسح
وآخرَ شُدَّتْ عليه يدٌ فلا يَسْتَبِينُ و لا تُفْتَح
أحنُّ إليهِ بليغَ الصُموت معانيهِ عَنْ نَفْسِها تُفْصِح
تَفايَضَ منهُ كموجِ الخِضمِّ أو لحنِ ساجعةٍ تصدَح
جَمالٌ .. وليسَ كهذا الجمال بما بهرَجَتْ زِينةٌ يُصْلَح
كأنَّ الدُّهورَ بأطماحِها إلى خِلقةٍ مِثْلِهِ تَطْمَح
كأنَّ الأمورَ بمقياسهِ تُقاسُ فتؤخَذُ أو تُطرح
كأنَّ الوجوهَ على ضَوئهِ نلوحُ فتَحْسُنُ أو تَقبح
يُداعِبُني إذ تَجِدُّ الخُطوبَ فأمْزَحُ منها كما يَمْزَح
يُشَدُّ جَناني بعزْماتهِ ودمعي بِبَسْماتهِ يُمْسَح
ويُبْرِدُ نَفسي بأنفاسهِ إذا لَفَّني عاصفٌ يَلْفَح
ويَطرُقُني كلَّما راودَتْ ضميريَ فاحشةٌ ترشَح
وكِدْتُ أُطاحُ بإغرائِها فأحْدو ركائبَ مَنْ طُوِّحوا
فيمشي إليَّ وثِقْلُ الشُكوك مُنيخٌ على النَّفسِ لا يَبْرَح
وقد أوشكَ الصَّبرُ أنْ يلتوي ويَكسِرَهُ المُبْهِضُ المُترِح

وحـــينَ تكـــادُ شِـــغافُ الفـــؤاد بِســـكّينِ مُطْمِعـــةٍ تُجْـــرَح
وإذْ يُركِـبُ الـنَفْسَ حَـدَّ الـرَّدى عِنـــانٌ مـــن الشرِّ لا تُكـــبَح
وإذْ يـعْصُرُ القلـبَ حُـبُّ الحياة وكـــابوسُ حِرمانهـــا المُفْـــدِح
فيرفـــعُ وجهـــي إلى وَجهِـــه ويقـــرأُ فيـــه ويَسْتَوضِـــح
فـــأرجفُ رُعبـــاً كـــأنَّ الحشـــا تَخطَّفَـــهُ أجـــدَلٌ أجـــدَح
وأفْهَـــمُ مِـــنْ نظـــرةٍ أنَّنـــي لشرٍّ فكَـــرْتُ بـــهِ أصْـــلُح
وأنَّ الضَّـــميرَ بغـــيٌّ يجـــيءُ لهـــا « الَّليـــلُ » مـــا الصُّـــبْحُ يَستقبِح
وأنْ لـــيسَ ذلـــكَ مِـــنْ دَيْـــدَنِ لِمَـــنْ هَمّـــهُ عـــالَمٌ أصْـــلَح
فأنهـــالُ لـــثماً عـــلى كفّـــهِ وأســـألُ عفـــواً وأسْتَصْـــفِح
أحِـــنُّ لـــه وكـــأنَّ الحيـــاةَ خضراءَ مِـــنْ دونـــه..صَحْصَـــح
أحِـــنُّ لـــه وأحـــبُّ الكَـــرَى لســـانحةٍ منـــهُ قـــد تَسْـــنَح
أحِـــنُّ لـــه لـــيسَ يَقْـــوَى النَّعـــيمُ وكُـــلٌّ لذاذاتـــهِ مُـــرْبِح
ولا كـــلُّ مـــا نَهَـــزَ النـــاهِزون مـــن المُمتِعـــاتِ ومـــا استَنْزَحوا
ولا كـــلُّ مـــا أمَّـــلَ الآمِلـــون ولاتُخفِـــقٌ منـــهُ أو مُـــنْجَح
لِتَعْـــدلَ مِـــنْ ثَغْـــرهِ بســـمةٌ بهـــا نَسْـــمةُ الخُلـــدِ تُسْـــتَرْوَح
فيـــا ليتنـــي بعـــضُ أنفاســـهِ لأمْـــنَحَ مِـــنْهُنَّ مـــا يُمْـــنَح
ويـــا ليتنـــي « ذرّةٌ » عنـــدَه لأســـبَحَ في فَلَـــكٍ يَسْـــبَح

أحـــنُّ إلى شـــبحٍ يلمـــحُ
بعيْنَـــي أطيافُـــه تمْـــرَح

❊❊❊

فهرس الديوان



فهرس الديوان

الموضوع	الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

